سلسلة مؤلفات سماحة الشيخ عبد الله ابن جبرين رحمه الله ٤٤

ج ٢

شرح كتاب اعتقاد أئمة الحديث

للإمام أبي بكر
أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الشافعي
رحمه الله (ت ٣٧١هـ)

شرحه
سماحة الشيخ العلامة
د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله
(ت ١٤٣٠هـ)

العقيدة

طبع بإشراف مؤسسة سماحة الشيخ عبد الله ابن جبرين الخيرية

العبيكان
obeikan

ⓒ **مؤسسة ابن جبرين الخيرية، ١٤٤٣هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجبرين؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله

شرح كتاب اعتقاد أئمة الحديث./ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله

الجبرين؛ - الرياض، ١٤٤٣هـ

٤٨٠ص؛ ١٦,٥ × ٢٤سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٢٤-٥٩-٥

١- العقيدة الإسلامية   أ. العنوان

ديوي ٢٤٠   ١٤٤٣/١٩٧٨

حقوق الطباعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

توزيع:

العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية-الرياض

طريق الملك فهد-مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

تواصل معنا

CONTACT US

مؤسسة ابن جبرين الخيرية

Ibn Jebreen Foundation

المملكة العربية السعودية

ص.ب: ٣٣٥ الرياض ١١٤١١

هاتف: ٤٢٦١٠٠٠ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٢٦٣٧٠٠ ١١ ٩٦٦+

جوال ١: ٥٦٠٠٨٠١٠٠ ٩٦٦+، جوال ٢: ٥٠٦١٦١٥٠٠ ٩٦٦+

www.ibn-jebreen.com

info@ibn-jebreen.com

أسهم في طباعته بعض محبي الشيخ رحمه الله ليباع بسعر تشجيعي جزاهم الله خيرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الإسلام عقيدةٌ وعملٌ، فلا ينفعُ اعتقادٌ بلا عملٍ، ولا يصحُّ عملٌ بلا عقيدةٍ صحيحةٍ؛ لذلك كان للعقيدةِ أهمية كبيرة في حياةِ المسلم؛ فهي سبب للفلاح في الدارين الدنيا والآخرة، ولما انتشرت البدع قديمًا بخروج طوائف عدة عن منهج أهل السنة والجماعة، صنَّف العلماء تصانيف كثيرة في مجال العقيدة، ومنهم: الإمام الإسماعيلي؛ فقد كتب هذه الرسالة المهمة في عقيدة أهل الحديث -وهم أهل السنة- ذكر فيها عقيدة المسلم الصحيحة.

ولأهمية هذه الرسالة قام سماحة الوالد الشيخ العلامة عبد الله ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشرحها وبسطِ مواضعها في دروس الدورة العلمية المكثفة الرابعة، التي عقدت عام ١٤١٧هـ، بمسجد شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحي سُلْطانة، في مدينة الرياض، وقامَ بتسجيلهِ الإخوةُ في تسجيلاتِ التقوىٰ الإسلاميةِ بالرياضِ؛ جزىٰ الله الجميعَ خيرًا.

وقد مَهَّد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لشرحه بمقدمة هامّة ذكر فيها أهمية تعلم العقيدة، ومراحل نشأة الفرق، وغير ذلك، ثم شرع في شرح المتن فبين غامضَ العبارات، وقرَّب بعيد الإشارات، بأسلوب سهل ممتع؛ فزاد شرحُهُ الرسالةَ نورًا علىٰ نور، وقرَّر تبعًا للإمام الإسماعيلي هذه الأصول المتينة، والقواعد العظيمة في العقيدة.

ولحرص مؤسَّسة ابن جِبْرِينَ الخيريَّة علىٰ إخراج تراث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ نشرًا للعلم، وخدمة لطلَّابه، ترجو الثواب من الله تعالىٰ، ثم نَفْعَ المسلمين، تولَّىٰ قسم البحث العلمي وقسم النشر فيها العمل علىٰ إخراج هذه الرسالة؛ لما فيها من النفع العميم، والخير العظيم.

وهذهِ نبذةٌ موجزةٌ عن منهجِنَا في إخراجِ كتبِ الشيخِ رَحِمَهُ اللَّهُ وتحويلَهَا من مادَّةٍ مسموعةٍ إلىٰ نصٍّ مقروء، وهي عمليَّةٌ قد تكونُ عسيرةً أحيانًا؛ فلا يَخفىٰ أن المادةَ الصوتيةَ الملقاةِ يعْتَريها ما لا يعْتَري المصنَّفاتِ التي قُصدت بالتأليفِ وحرَّرها مؤلِّفوها وانْتَقوا ألفاظَهَا، إلا أنَّ أسلوبَ الشيخِ رَحِمَهُ اللَّهُ الفَصيحِ وطريقتُهُ في الشرحِ سهَّلتْ مُهِمَّتنا كثيرًا.

ومِنْ أبرزِ ما قمنا به ما يلي:

- تحريرُ النصِّ بحذفِ المكرَّر، وتعديلِ العبارات الخطابيَّة إلىٰ عباراتٍ تتناسبُ مع كتابٍ مقروء، ورَبْطِ الشَّرح بالمتن، وغير ذلك مما يحتاجه العمل العلمي في مثل هذا.
- مراجعةُ الكتاب وضبطُهُ لُغَوِيًا، ووضعُ علامات الترقيم اللازمة، ونحو ذلك.
- وضع عناوين لبعض الفصول والأبواب في بعض الأحيان.

- تخريجُ الآياتِ والأحاديثِ والآثارِ الواردةِ في الشرح.
- توثيقُ المسائلِ والنقولاتِ بعزوِهَا إلىٰ المصادرِ المعتمدةِ.
- وضْعُ فهارسَ فنيَّة للآياتِ والأحاديثِ والآثار والموضوعاتِ.

وقد اعتمدنا في المتن علىٰ طبعة دار ابن حزم، تحقيق جمال عزُّون، والتي قدم لها الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما رجعنا إلىٰ الطبعة التي حققها الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميّس، وأثبتنا في هوامشنا بعض تعليقاته.

وختامًا: نسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، موافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده، وأن يَجزي الماتن والشارح عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعِفَ لهما المثوبة والأجرَ، ويُعلي درجاتِهما في المهديِّين؛ إنه سميع قريب مجيب.

كما نسأله سبحانه أن يَجْزِيَ كلَّ من ساهم في العمل علىٰ هذه الرسالة من الباحثين والفنيين خير الجزاء، ونخُصُّ بالشكر والدعاء: **فضيلة الشيخ الدكتور سعد بن فلاح بن عبد العزيز العَرِيفي**، وهو من تلاميذ الشيخ الأوفياء؛ فقد تفضَّل بالاطِّلاع علىٰ هذه الرسالة بعد انتهاء العمل فيها؛ فسدَّد العمل بآرائه القيِّمة، وملحوظاته المفيدة.

وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

قِسمُ البحثِ العِلميّ في مؤسَّسةِ ابنِ جبرينَ الخيريّةِ

ترجمة مختصرة للشارح سماحة الشيخ العلامة د عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين بن محمد بن عبد الله بن رشيد، من قبيلة بني زيد المعروفين في نَجْد، وأصلهم من مدينة شَقْرَاء، ثم نزح الكثير منهم إلىٰ كثير من المدن والقرىٰ ومنها مدينة القُوَيْعِيَّة.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عام ١٣٤٩هـ، ببلدة مُحيرقة، إحدىٰ قرىٰ القويعية، التابعة لمنطقة الرياض، ونشأ في بلدة مُحيرقة وبلدة الرّين التابعة للقويعية، في أسرة علمية.

طلبه للعلم:

قرأ القرآن علىٰ والده الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، وعلىٰ إمام جامع مُحيرقة وهو أحد أعمامه، واسمه: سعد بن عبد الله الجبرين، رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فأتم الشيخ حفظ القرآن وتلقىٰ مبادئ العلوم وهو دون العشرين علىٰ والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث تعلم الفرائض ومبادئ النحو والقراءة في كتب الحديث؛ مثل: «عمدة الأحكام»، و«الأربعين النووية»، ونحوها.

(١) ينظر: أعجوبة العصر، لابنه أ.د عبد الرحمن الجبرين، وأبي كما عرفته، لابنته هيا الجبرين، وسيرة الشيخ رحمه الله في موقعه علىٰ الإنترنت: http://www.ibn-jebreen.com/

ثـم في عـام ١٣٦٧هـ بـدأ بالدراسـة علىٰ شـيخه عبـد العزيـز الشِّـثْرِيّ في المسـجد وفي المنـزل؛ فقـرأ كثيـرا مـن المتـون في التوحيـد والفقـه والنحـو والحديـث ونحوهـا، وقرأ في الشـروح كـ«سـبل السـلام»، و«شـرح الأربعين»، والصحيحيـن، وبعـض السـنن وكتـب الآداب، وكثيـر مـن الكتـب المطولـة سـردًا، واسـتفاد مـن ذلـك كثيـرًا.

ثـم انتقـل مـع شـيخه الشِّـثْرِيّ إلىٰ الريـاض في أول عـام ١٣٧٤هـ، وانتظم في معهـد إمـام الدعـوة الـذي أُسـس في ذلـك العـام، ولتميـزه أُلحـق بالقسـم الثانـوي، فـكان متفوقًـا.

ثـم واصـل في القسـم العالـي الـذي انتهـىٰ منـه عـام ١٣٨١هـ، وفي أثنـاء هـذه المـدة كان يحضـر كثيـرًا مـن دروس العلمـاء في الجامـع الكبيـر بوسـط الريـاض.

وفي عـام ١٣٨٧هـ -مـع قيامـه بالتدريـس- دَرَس في المعهـد العالـي للقضـاء، وأنهـىٰ مرحلـة الماجسـتير في عـام ١٣٩٠هـ بتقديـر جيـد جـدًّا، ثـم سـجل الدكتـوراه في كليـة الشـريعة، وانتهـىٰ منهـا عـام ١٤٠٧هـ بتقديـر ممتاز.

أبرز شيوخه:

١. الشـيخ أبـو حبيـب: عبـد العزيـز بـن محمـد الشِّـثْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان قاضيًـا في بلـدة الرّيـن.
٢. سـماحة الشـيخ محمـد بـن إبراهيـم آل الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مفتـي المملكـة سـابقًا.
٣. سـماحة الشـيخ عبـد العزيـز بـن عبـد الله بـاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مفتـي المملكـة سـابقًا.

٤. الشيخ عبد الرَّزَّاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥. الشيخ محمد الأمين الشِّنْقِيْطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قيامه بالدعوة والتدريس:

من أول أعماله في الدعوة أنه اختير مع البعثة الذين أُرسلوا للدعوة في الحُدود الشمالية للمملكة برئاسة شيخه عبد العزيز الشِّثْرِي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في أوائل عام ١٣٨٠هـ لمدة ثلاثة أشهر.

وقد قام بالتدريس النظامي حينما عُين مُدرسًا في معهد إمام الدعوة عام ١٣٨١هـ، ثم في كلية الشريعة إلىٰ عام ١٤٠٢هـ.

كما قام الشيخ بالتدريس التطوعي في كثير من مساجد الرياض، وقام برحلات دعوية وعلمية إلىٰ غالب مدن المملكة، وسجلت له آلاف الساعات الصوتية.

فكان أول قيامه بالتدريس في حدود عام ١٣٦٧هـ؛ حيث قام بتعليم أبناء قريته الرّين القرآن ومبادئ القراءة والكتابة.

ودَرَّس في سنة ١٣٨٤هـ في «دار العلم»، وهي مدرسة خيرية في الرياض.

ودرَّس مدة طويلة طلاب مدرسة تحفيظ القرآن التي كان مديرها الشيخ محمد بن سِنَان، وأغلبهم من اليمن، وجنوب المملكة، فدَرَس كثير منهم عنده الكثير من المتون والشروح.

ودرَّس في الجامع الكبير بالرياض لما أنابه الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان جلوسه بعد المغرب أربعة أيام في الأسبوع.

كما درّس في منزله بحِلَّة الحَمَّادي في حي السَّبَالَة، ثم نقل الدروس إلىٰ منزله في حي شُبرا لما انتقل إلىٰ هناك.

ودرّس في عدد من مساجد مدينة الرياض، منها: جامع الرَّاجحي في حي الرَّبْوَة، وجامع الملك خالد، وجامع شيخ الإسلام ابن تيميّة في حي سُلْطَانَة، ومسجد البَرْغَش، وغيرها، ثم جُمعت دروسه في آخر حياته في جامع الشيخ عبد الله الرَّاجحي في حي شُبرا.

الأعمال والمناصب التي شغلها:

التدريس في معهد إمام الدعوة من عام ١٣٨١هـ، واستمر في التدريس فيه نحو أربعة عشر عامًا، درّس فيها: الفقه والحديث والتفسير والتوحيد.

التدريس في كلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من عام ١٣٩٥هـ، وكان يتولىٰ الإشراف علىٰ البحوث المتعلقة بالعقيدة، والإشراف علىٰ رسائل الماجستير والدكتوراه والمناقشة لبعضها.

عضو إفتاء برئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض من عام ١٤٠٢هـ.

الاشتراك في التوعية في موسم الحَجّ للإجابة علىٰ أسئلة الحُجاج.

كما كان يسعىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مساعدة المحتاجين والشفاعة لهم وقضاء حوائجهم.

تلاميذه:

تتلمذ علىٰ الشيخ وحضر دروسه جموع غفيرة من مختلف الفئات، أما طلاب العلم فكانوا من مختلف الجنسيات؛ فمنهم من حضر الدروس النظامية في معهد إمام الدعوة أو في كلية الشريعة، أو في المساجد والمنزل، وقد تولىٰ كثير منهم مناصب مرموقة، فمنهم:

١. الشيخ إبراهيم بن عبد الله الغَيْث، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقًا.
٢. الشيخ سليمان بن عبد الله بن مهنا، رئيس المحكمة الكبرىٰ بالرياض سابقًا.
٣. الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس إمام وخطيب المسجد الحرام والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.
٤. الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الشِّثْرِي، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقًا.
٥. الدكتور سعد بن عبد الله الحُميد.
٦. الدكتور عبد العزيز بن محمد السَّدْحَان.
٧. الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العَسْكَر.
٨. الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العَنْقَرِيّ.
٩. الدكتور محمد بن حمد المَنِيْع
١٠. الشيخ عبد الله بن عامر.
١١. الشيخ أحمد بن عبد الرحمن المهنا.
١٢. الدكتور طارق بن محمد الخُويطر.

آثاره العلمية:

بلغت مؤلفات الشيخ المطبوعة في حياته أكثر من مائة وخمسين كتابًا، فمنها:

١. أخبار الآحاد في الحديث النبوي، وهي رسالته للماجستير، مجلد.
٢. تحقيق شرح الزَّرْكَشِيّ علىٰ مختصر الخِرَقِيّ، وهي رسالته للدكتوراه، خمس مجلدات.
٣. شرح الأربعين النووية، مجلد.
٤. الرياض الندية شرح العقيدة الطحاوية، خمس مجلدات.
٥. السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، مجلدان.
٦. الدرر المبتكرات شرح أخصر المختصرات، أربع مجلدات.
٧. إبهاج المؤمنين شرح منهج السالكين، مجلدان.
٨. التعليقات الزكية علىٰ العقيدة الواسطية، مجلد.
٩. النقوش الذهبية علىٰ القلائد البرهانية، مجلد.
١٠. الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد، مجلد.
١١. وتقوم المؤسسة بالعمل علىٰ إخراج تراث الشيخ الذي يتوقع أن يزيد علىٰ مائتي مجلد.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العشرين من شهر رجب من عام ١٤٣٠هـ، عن واحد وثمانين سنة، بعد أن ذَاع صِيته وانتشر علمه في أصقاع الدنيا، رحم الله الشيخ وغفر له، وتقبل جهوده وأعماله، وجعل ما قدَّم في ميزانِ أعمالِهِ.

ترجمة مختصرة لمؤلف المتن(١)

اسمه ونسبه ومولده:

أبو بكر، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مِرْدَاس الجُرْجَانِيّ الإسماعيلي الشافعي، ولد سنة سبع وسبعين ومائتين.

نشأته:

كتب الحديث بخطِّه وهو صبيٌّ مميِّز(٢)، وطلب العلم في سنة تسع وثمانين وما بعدها.

مشايخه:

سمع رَحِمَهُ اللَّهُ من مشايخ كُثُر، منهم:

١. إبراهِيم بن زُهَيْر الحُلْوانيّ.

٢. حَمْزَة بن محمَّد بن عيسىٰ الكاتب.

٣. يحيىٰ بن محمَّد الحِنَّائيّ.

٤. جعفر بن محمَّد الفِرْيابيّ.

٥. يوسف بن يعقوب القاضي.

٦. محمَّد بن عبد الله الحَضْرَمِيّ.

---

(١) ينظر: تاريخ جُرْجَان للسَّهمي ص ٦٩، والمنتظم لابن الجوزي (١٤/ ٢٨١)، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص١٣٠)، والمعين في طبقات المحدِّثين (ص١١٥)، والوافي بالوفيات (٦/ ١٣٥)، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٣/ ٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٣٨٢)، وديوان الإسلام (١/ ١٢٤).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٩٥.

٧. محمَّد بن عثمان بن أَبي شَيْبَة.

٨. محمَّد بن الحسن بن سَمَاعَة.

٩. عَبْدَان.

١٠. أَبو يَعْلَىٰ الموصلي.

١١. وخلقٌ ببغداد، والكُوفَة، والبَصْرَة، والأَنْبَار، والأَهْوَاز، والمَوْصِل.

١٢. تلامذته:

١٣. أخذ عنه جمع غفير، منهم:

١٤. أبو عبد الله الحَاكِم.

١٥. أبو بكر البَرْقَانيّ.

١٦. حمزة بن يوسف السَّهْمِيّ.

١٧. أبو حازم عمر بن أحمد العَبْدويي.

١٨. الحسين بن محمد البَاشَانيّ.

١٩. أبو الحسن محمد بن علي الطَّبَري.

٢٠. أبو بكر محمد بن إدريس الجَرْجَرائيّ الحافظ.

وغيرهم.

مؤلفاته:

١. مسند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢. المستخرج علىٰ صحيح البخاري.

٣. اعتقاد أئمة أهل الحديث[1]؛ وهو هذا الكتاب المشروح الذي نقدِّمه للقراء.

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٥).

٤. معجم شيوخه.

وغيرها.

مكانته العلمية:

قال الحَاكِمُ: «واحدُ عصره، وشيخُ المحدِّثين والفقهاء، وأجلُّهم في الرياسة والمروءة والسخاء»[(١)].

وقال الخَلِيْلِيُّ: «كبير المحل في العلم، كان يُعْرَفُ بهذا الشأن»[(٢)].

وقال السَّهْمِيُّ: «كان بارًّا بوالديه، فلحقته بركة دعائهما»[(٣)].

وقال الشِّيْرَازِيُّ: «جمَعَ بين الفقه والحديث، ورياسة الدين والدنيا، وصنَّف الصحيح»[(٤)].

وقال ابنُ كَثِير: «الفقيه الإمام الحافظ، أحد كبراء الشافعية فقهًا؛ وحديثًا، وتصنيفًا»[(٥)].

وقال السُّبْكِيّ: «إمام أهل جُرْجَان، والمرجوع إليه في الفقه والحديث وصاحب التصانيف»[(٦)].

وقال ابن قاضي شُهْبَة: «رحَلَ وسَمِعَ الْكثير، وصنَّف الصحيح، والمعجم ومسند عمر بن الْخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»[(٧)].

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٤).
(٢) الإرشاد (٢/ ٧٩٣).
(٣) تاريخ جرجان (ص١٠٩).
(٤) طبقات الفقهاء (ص١١٦).
(٥) طبقات الشافعيين (ص٣٠٥).
(٦) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٣/ ٧).
(٧) طبقات الشافعية لابن قاضي شُهْبة (١/ ١٣٧)

وفاته:

مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غُرَّة رجب، سنة إحدىٰ وسبعين وثلاثمائة، عن أربع وتسعين سنة.

مقدِّمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن تلقي العلوم خَصْلة حميدة، وفائدة عظيمة، وحسنة كبيرة، اختَصَّ بها من اهتم بطلب العلم؛ فما أعظمها من فائدة، وما أعظمها من حسنة، وأَخَصُّ من هؤلاء: مَن فارقوا بيوتهم وأهليهم وأوطانهم، وسافروا في طلب العلم؛ فهؤلاء قد أراد اللهُ تعالىٰ بهم خيرًا؛ لقول النبيّ ﷺ: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ»**[(١)]، ولم يفرِّق ﷺ بين الطريق البعيد والطريق القريب، ولا شكَّ أن الطريق البعيد الذي تُقطَعُ فيه مئات الكيلومترات، أو ألوفها: أعظم أجرًا؛ حيث إنه عمل علىٰ مشقة وصعوبة، والأجر علىٰ قَدْر النَّصَب[(٢)].

وقد ثبت أن النبيّ ﷺ لما ذكر فضل العلم، قال: «**إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، حديث رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما في حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبيّ ﷺ قال: «**...ولكنها علىٰ قَدْرِ نَصَبِكِ، أو قال: نفقتكِ**»؛ أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران...، حديث رقم (١٢١١). وينظر: الفروق للقرافي (٢/ ٢٣٥)، والأشباه والنظائر (ص١٤٣).

الْمَاءِ»[(١)]، وليس العالم هنا هو العالم الربَّاني فقطْ؛ بل كل من علم علمًا، ولو قليلًا، ولو بآية أو آيات أو أحاديث، أو نوع من العلوم.

فيصدُقُ علىٰ طلبة العلم؛ حيث تستغفر لهم الملائكة، وتستغفر لهم الدوابُّ وحيتان البحر، وكذلك تتواضع لهم الملائكة؛ ففي الحديث: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ**»[(٢)]، يعني: تتواضع لطالب العلم رضًا بما يصنعه.

وكذلك أيضًا يصدُقُ عليهم قول النبيّ ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»[(٣)]؛ فالفرق كبير بين من يشتغل بالعبادة؛ كالصلوات، والتهجُّد، والصيام، والذكر، والدعاء، ونحو ذلك، ومن يشتغل بطلب العلم وتعلُّمه، والتفقه في الدين؛ ففضل هذا علىٰ الأول: «**كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**».

فلا شكَّ أن ما ورَدَ في هذه النصوص خصالٌ حميدة، يُشجِّعُ علىٰ تحصيلها من تجشَّم المشقة، وصبَرَ، وواصل التعلم، فليهنأ من حصَّل علمًا، ولو قليلًا، ولو معرفةَ آيةٍ يحفظها، أو يعقل معناها، أو حديثٍ يفهمه، ويعرف ما يدُلُّ عليه؛ فإنه يفوق غيره ممن فاتته هذه الآية أو هذا الحديث.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢١٧١٥)، وأبو داود، كتاب العلم، باب في فضل العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، والترمذي، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال ابن حجَرٍ في فتح الباري (١/ ١٦٠): «له شواهد يتقوَّىٰ بها».

(٢) جزء من حديث أبي الدرداء السابق.

(٣) جزء من حديث أبي الدرداء السابق.

ومـوضـوع هـذا الكتـاب: هـو اعتقـاد أئمـة الحديـث، واعتقـاد أهـل السـنة جميعًـا، ولا شـك أن اعتقادهـم هـو اعتقـاد الرسـل جميعًـا؛ صلـوات ربـي وسـلامه عليهـم.

فرُسُلُ الله تعالـىٰ -مـن أولهـم إلـىٰ آخرهـم- علـىٰ عقيـدة واحـدة، لـم يختلِفْ واحـد منهـم عـن الآخر في أمـر العقيـدة، ومـا ذاك إلا أن هـذه العقيـدة التـي يدعـون إليهـا ويؤصِّلونهـا، هـي أمـور يُعْقَـدُ القلـبُ عليهـا ممـا يتعلَّـق بالأمـور الغيبيـة، ومـا ينتُـجُ عنهـا مـن الآثـار الحسـنة.

والأصـلُ في العقيـدة: أنهـا علـوم مسـتوحاة مـن كتـب الله تعالـىٰ، وممـا بلَّغتـه رسـله؛ فالرسـل كمـا ذكرنـا علـىٰ معتقـد واحـد، ليـس بينهـم اختـلاف؛ وقـد ثبـت أن النبيّ ﷺ قـال: «**أَنَـا أَوْلَـىٰ النَّـاسِ بِابْـنِ مَرْيَـمَ، وَالأَنْبِيَـاءُ أَوْلَادُ عَـلَّاتٍ، لَيْـسَ بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ نَبِـيٌّ**»[(١)]، وأولادُ العَـلَّاتِ: هـم الذيـن أبوهـم واحـد، وأمهاتهـم مختلفـة.

والمعنىٰ: أن أصـل الديـن هـو العقيـدة، متفـق عليـه بيـن أنبيـاء الله كلهـم، متقدِّمهـم ومتأخِّرهـم، وأمـا الشـرائع والفـروع، فيحصُـلُ بينهـم فيهـا اختلافٌ؛ قـال تعالـىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وإذا كان الأمـر كذلـك، فمـن المهـم تعلُّـمُ هـذه العقيـدة؛ فيجـب أن يتعلمهـا كل مسـلم حتىٰ يكـون مصدِّقًـا لمـا جـاءت بـه الرسـل، ومؤمنًـا بهـم إيمانًـا كامـلًا، متبعًـا لهـم حقيقـة الاتبـاع، مقتفيًـا آثارهـم؛ ليُحْشَـرَ في زمرتهـم.

هذه هي حقيقة العقيدة وفائدتها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، حديث رقم (٣٤٤٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسىٰ عليه السلام، حديث رقم (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا شكَّ أن عقيدة أهل السنة وأئمة الحديث كلها مأخوذة من الوحيَيْن: كتاب الله تعالىٰ، وسنة رسولِهِ عليه الصلاة والسلام.

ومعلوم أن الأدلة التي تؤخذ من الوحيين أدلة قطعيَّة الثبوت، وقطعيَّة الدَّلَالة، لا يتطرق إليها شك ولا توقف؛ مَن توقف فيها أوشك فيها، فهو ضالٌّ مضلٌّ.

فمن شكَّ في آية من كتاب الله، وقال: هذه لم تثبُتْ، أو أنكر آية من القرآن، اعتُبِرَ مكذِّبًا للرسل؛ لأنه كذَّب رسولًا، ومن كذَّب رسولًا، فقد كذَّبَ الرسل كلَّهم، ومن كذَّب خَصْلةً يقينيةً مما جاء به الرسول، فقد كذَّب الرسالة كلها.

هذه العقائد مأخوذة من أدلة قطعية؛ ليطمئن المسلم إلىٰ صحة معتقده، ويعرف أنه علىٰ عقيدة ثابتة راسخة، تبعث علىٰ الأعمال؛ فالعقيدة الراسخة الثابتة تنبُعُ عنها الأعمال الصالحة، ومثال ذلك: أن الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لما تيقنوا أن الذي جاءهم وَحْيٌ من الله تعالىٰ، وأنه حق وصدق، حملهم ذلك اليقين علىٰ أن صدَعُوا بالحق، وقابلوا الأمم بما يكرهون، وكلَّموا أممهم بكلامٍ قويٍّ؛ وذلك لأنهم واثقون أن ما يدعون إليه كله حق.

فنبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تيقَّن أن الوحي من الله تعالىٰ، وأنه شرع الله ودينه، وأنه مرسَلٌ به ليبلِّغه، صدَعَ بالحق ودعا إليه، وأظهره وأعلنه، ولقي من ذلك ما لقي، فصبر وصابر، فلقي الأذىٰ والتسفيه والمقاطعة، فآذاه من آذاه بأنواع من الأذىٰ -كما هو معروف في سيرته- ولكنَّ ذلك لم يزده إلا ثباتًا، إلىٰ أن أظهر الله تعالىٰ دينه.

وقد اشتهَرَ عنه ﷺ قوله: «**لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي عَلَىٰ أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ**»(١)، ولا شك أن الذي حمله علىٰ ذلك هو يقينه بأنه علىٰ الحق.

وكذلك أيضًا كان صحابته رضي الله عنهم لمَّا تلقَّوْا منه هذه العقيدة، ورسَخَتْ في قلوبهم، وثبَتَتْ أرسىٰ من الجبال، **كان من آثارها**: أنهم صمَدُوا علىٰ الإيمان، وثبتوا ثبوتًا يقينيًّا، وصبروا علىٰ فراق الأهل والمال، وصبروا علىٰ الأذىٰ الذي لاقَوْهُ من تعذيبٍ وضَرْبٍ، ووضع الصخور علىٰ صدورهم، وإلقائهم في الشمس مكتَّفين، وفي النهاية: إخراجهم وطردهم من بلادهم، ومن أموالهم؛ كما هو مشهور في تراجمهم.

وكذلك أيضًا كان من آثارها: أنهم اندفعوا يدعون إليها بكل ما يستطيعونه، فانطلقوا يدعون إلىٰ هذه العقيدة، وإلىٰ هذا الدين، حتىٰ وصلوا البلاد البعيدة، وصبروا علىٰ الجهاد، وقاتلوا المشركين، فقتَلُوا من قتلوا، وقُتِلَ منهم من قُتِلَ.

فالذي حملهم علىٰ قطع المسافات البعيدة للغزو، وعلىٰ مقابَلةِ جيوش الرُّوم والفُرْسِ، والتُّرْكِ والصَّقَالِبَةِ(٢)، والزُّنُوج، وغيرهم

(١) هذا حديث يذكره أهل السير والتاريخ؛ أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ١٥٤)، وابن هشام في السيرة (١/ ٢٦٦)، والطبري في تاريخ الرسل والملوك (٢/ ٣٢٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٨٦)، وذكره السهيلي في الروض الأنف (٣/ ١٠)، وابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٣٦٨)، وابن الأثير في الكامل (١/ ٦٦٢)، وابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١١٨)، والذهبي في تاريخ الإسلام (١/ ١٤٩)، وابن كثير في السيرة النبوية (١/ ٤٧٤). وينظر: السلسلة الضعيفة (٢/ ٣١٠).

(٢) الصَّقَالبةُ: جمعُ صَقْلَبِيّ، وهو نسبة إلىٰ «صَقْلَب»؛ وهم جيلٌ حُمْر الألوان، صُهْبُ الشعور، يتاخمون أعالي جبال الروم، فبلاد الصقالبة بلاد: بريطانيا وألمانيا وإيطاليا وما جاورها.
ينظر: صفة جزيرة العرب (ص ٣٣)، وأخبار الزمان (ص ٩٢)، ومعجم البلدان (٣/ ٤١٦).

من المشركين الذين كانوا علىٰ أهبة القتال، ومعهم القوة والكثرة، والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في قلة وضعف، لكنَّ قوة الإيمان، وقوة العقيدة، هي التي دفعتهم إلىٰ أن أنفقوا ما يملكونه من الأموال، وتعرَّضوا للقتل، وتعرَّضوا لسفك الدماء؛ هذه العقيدة التي رسَخَتْ ورست في قلوبهم، فأُشْرِبَتْها القلوب والجلود والدماء والعروق.

فهذا أثر هذه العقيدة في أولئك الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ويقال ذلك أيضًا فيمن كان علىٰ هذه العقيدة في قديم الزمان وحديثه.

فإذا ضعُفَتْ هذه العقيدة في القلب، كانت عُرْضةً للزوال والتزعزع، ولأجل ذلك نرىٰ كثيرًا من الذين لم تَرْسَخ العقيدة في قلوبهم، ينحرفون بسرعة، ويرجعون القَهْقَرَىٰ، ويكفُرُونَ بعد إيمانهم؛ حيثُ إنهم لم يصلوا إلىٰ اليقين الحقيقي؛ لأن اليقين هو الإيمان كله؛ كما ورد عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «**الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ**»[1]، واليقينُ هو الاعتقاد الصادق.

فذكر الله تعالىٰ أن الذين لم تَرْسَخِ العقيدة في قلوبهم يتزعزعون وينحرفون؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحج:١١]، هذه حالة بعض من لم ترسخ العقيدة في قلوبهم؛ دخلوا في الإيمان تجرِبةً، يقولون: ننظر في هذا الدين؛ فإن جاء بما يوافق أهواءنا وما نحبه، صرنا مع أهله،

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (٨١٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٤)، حديث رقم (٨٥٤٤)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (٢/ ٤٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٤٧)، وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه».

وإلا رجعنا إلىٰ ما كنا عليه، رجَعْنا إلىٰ بلادنا وعشنا فيها علىٰ أدياننا التي كان عليها أسلافنا.

إذا أصابهم خير، مِن نَصْرٍ، ورزقٍ، وفتحٍ، ومالٍ، وإقبالِ الدنيا عليهم بما يحبونه من زهرتها وزينتها، اطمأنوا وساروا علىٰ معتقدهم، ولو كان ضعيفًا، أما إذا ابتُلُوا وأصيبوا في أموالهم أو أبدانهم بشيء من المصائب؛ بأن أصابتهم فتنة، أو أوذوا، أو اضطهدوا، أو نحو ذلك، فما أسرع رجوعهم وانقلابهم علىٰ أعقابهم.

فالله تعالىٰ يبتلي العباد حتىٰ يَظْهَرَ من هو راسخ العقيدة، ومن ليس براسخ، فيسلِّط عليهم الفقر والمرض والأذىٰ، فإذا جاءتهم هذه المصائب، سبُّوا هذا الدين وهذا المعتقد، وقالوا: ليس في هذا الدين خير، منذ أسلمنا ونحن في مصائب؛ إذا شُفِينا من مرض، أتانا مرض غيره، وإذا سُلِّطَ علينا إنسان وتخلَّصنا منه، تسلط علينا آخر! فهؤلاء لم ترسخ العقيدة في قلوبهم.

فنقول لهؤلاء: اصبروا وصابروا، وتحمَّلوا ما تَلْقَوْنَهُ من الأذىٰ إذا كنتم حقًّا من أهل العقيدة، ولا تتزعزعوا وترجعوا إلىٰ ما كنتم عليه؛ فتخسروا دينكم وتخسروا حياتكم؛ فإن البلاء يسلَّطُ علىٰ الأنبياء وعلىٰ أتباع الأنبياء؛ كما ورد في الحديث: «**لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**»(١)،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٧٨٥٩)، والترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، حديث رقم (٢٣٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وفي الحديث، عن سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَىٰ الْعَبْدُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ**»(١).

فالله تعالىٰ ابتلَىٰ صحابة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أسلموا، وأخبرهم بهذا الابتلاء، وأمرهم بالصبر؛ اقرؤوا قول الله تعالىٰ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

فالذين صبروا واتقوا وتحمَّلوا، ما حملهم علىٰ ذلك إلا أن بشاشةَ الإيمانِ باشرت قلوبهم، والعقيدةَ الصحيحةَ ملأَتْ أفئدتهم، والإيمانَ بالله والإيمانَ بدينه وبشريعته باشَرَ أفئدتهم، وأُشْرِبَتْ به لحومُهُم ودماؤهم، فصبروا، وقالوا: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فهذه آثار العقيدة؛ فأنت تَعْرِفُ صادقَ العقيدة وقويَّ العقيدة، وتعرف الكاذب وضعيف العقيدة، ويظهر جليًّا عند الامتحان.

والامتحان من الله تعالىٰ، يسلِّطه علىٰ بعض العباد، وقد يكون الأذىٰ والتسليط علىٰ المؤمن راسخِ الإيمان؛ فيكون التسليط والمصائب التي تصيبه رفعًا لدرجاته، وتكريمًا له، وزيادة في حسناته؛ كما حصل للأنبياء،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٤٩٤)، والترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، حديث رقم (٢٣٩٨)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء، حديث رقم (٤٠٢٣)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب الطب، باب أيُّ الناس أشد بلاء، حديث رقم (٧٤٣٩)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

ولكنها في الحقيقة اختبار وامتحان لكثير من الناس في أمر إيمانهم؛ ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣]، لابدَّ من الفتنة والابتلاء، وذكَرَ الله هنا الحكمة من الابتلاء في قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

والعلمُ هنا: علمُ الظهور، يعني: يظهر معلومُ الله تعالىٰ فيهم؛ فيظهر هذا أنه منافق، وأنه يعبد الله علىٰ حرف، فلما جاءه هذا الابتلاء، رجع القهقرىٰ، وأن هذا قويُّ الإيمان، فما زاده الابتلاء والفتنة إلا ثباتًا ورسوخًا وصبرًا واحتسابًا.

فهذه آثار العقيدة، ومن خلالها تَعرِفُ قويَّ العقيدة وضعيفها.

وعقيدة أهل السنة، وأئمة الحديث، هي: ما كان عليه سلفهم الصالح.

وكلمة «السَّلَفِ»[1] اصطلاحًا يراد بها: أهل القرون المفضَّلة، الذين زكَّاهم النبيّ ﷺ بقوله في حديث عِمْران رضي الله عنه: «**خَيْرُكم: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[2].

وفي حديث آخر أنه ﷺ قال للصحابة رضي الله عنهم: «**أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِكُمْ، وَأَبْنَاؤُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِهِمْ**»[3].

ولا شكَّ أن هذا هو الواقع؛ وذلك لأن الصحابة رضي الله عنهم تلقَّوْا

---

(١) السلف لغة: المتقدِّمون، وكل من تقدَّمك من آبائك وقرابتك. ينظر: القاموس المحيط (ص ٨٢٠): (س ل ف)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد علىٰ شهادة جور إذا أشهد، حديث رقم (٢٦٥١)، ومسلم، كتاب العتق، باب بيع الولاء وهبته، حديث رقم (٢٥٣٥).

(٣) أخرجه البزار في مسنده، حديث رقم (٦٧٨٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦): «فيه الحسن بن أبي جعفر؛ وهو متروك».

العقيدة عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فتلقَّوْا عنه الإيمان بالله تعالىٰ وبوحدانيته، والإيمان بعظمة الله وبجلاله وكبريائه علىٰ خلقه، وتلقَّوْا معرفة حقوقه عليهم، ولم يكن ذلك عن واسطة، بل أخذوه عن نبيِّهم مباشرة، فكان هذا أكبر سبب في امتلاء قلوبهم بالإيمان، فكان لذلك الأثر البليغ في أنهم صاروا كلهم علىٰ هذه العقيدة.

وبالتتبُّع لم يوجد أحد من أصحاب النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخَلَ في بدعة، ولا خالف السنة، ولا خالف جماعة المسلمين، ولا خرج علىٰ أئمة الدين، ولا انتحَلَ نِحْلةً مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة، بل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ زكَّاهم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأجل ذلك عدَّلهم أئمَّةُ الحديث، وما ذاك إلا أنهم تَلَقَّوُا الوحي من نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتعلموا القرآن، وفيه أمور العقيدة وأمور الشريعة، وتعلَّموا من السنة إيضاحَ ما في القرآن من أمور المعتقد، ومن أمور الغيب، ولا شكَّ أن هذا التعلُّم دليلٌ واضح علىٰ وصول الإيمان إلىٰ قلوبهم، وعلىٰ قوة إيمانهم؛ حيث لم يكن إيمانهم عن تقليد، بل عن اتباع.

فبعضهم -كالخلفاء الأربعة- منذ أسلموا بمكَّة إلىٰ أن توفِّي النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم يتعلَّمون منه العلم، ويتعلَّمون منه العمل؛ فكلما نزلت آية أو آيات، علمهم إياها؛ فإما أن يكتبوها، أو يحفظوها، يشرحها لهم، ويبيِّن ما تدلُّ عليه.

وهكذا الذين أسلموا بمكَّةَ من بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الذين هاجروا معه إلىٰ المدينة، أو هاجروا قبل ذلك إلىٰ الحبشة ثم إلىٰ المدينة؛ كلُّهم تلقوا علمًا جمًّا في مكة والمدينة.

كذلك الذين أسلموا من أهل المدينة لا شَكَّ أنهم تلقَّوْا عن النبيّ ﷺ علومًا جمَّةً فيما يتعلَّق بالعقيدة والشريعة، ولم يكن ذلك عن واسطة بل مباشرة، وقد يكون بعضهم عن واسطة؛ وذلك أن أحدهم قد ينشغل، ولحِرْصهم على العلم يسألون عنه غيرهم؛ ذكَرَ ذلك عُمَرُ رضي الله عنه لما كان نازلًا في العَوَالِي، كان هو وجارٌ له من الأنصار يتناوبون النزول إلى المدينة، يدخُلُ أحدهم يومًا فيأتي بما حصَّل، وما حدَّث، ويأتي الثاني في اليوم الثاني بما حصَّل[1]؛ وهو دليلٌ على حرصهم على تلقِّي العلم.

فإذا كان أحدهم مثلًا في تجارته أو في بيعه وشرائه يومًا، فاليوم الثاني يتفرَّغ حتى يلازم النبيّ ﷺ ويتعلَّم منه.

وكان النبيُّ عليه الصلاة والسلام إذا كان في المدينة، يجلس كل يوم غالبًا في المسجد، ويكون عنده حَلْقة أو حَلَقات، يعلِّمهم وينبِّههم ويشرح لهم، ويلقِّنهم ويقُصُّ عليهم، وهم مصغون إليه مُصِيخون[2]، يستمعون ما يقول ويتعقَّلونه، وإذا أشكَلَ عليهم شيء، استفصلوا واستفسروا عنه، فحياتُهم ووَقْتُ نبيهم ﷺ كلُّه علم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم (٨٩)، ومسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾، حديث رقم (١٤٧٩)، من حديث ابنِ عباس عن عمر رضي الله عنهما.

(٢) يُصِيخُونَ: أصاخ له يصيخ إصاخةً: استمع وأنصت. ينظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٥): (ص ي خ).

وهكذا إذا سافر لغزو أو حجٍّ أو عمرة، سافروا معه، ولازموه ملازمة الظلِّ، وكل ذلك حرصًا علىٰ طواعيته، وعلىٰ تحمُّل شريعته؛ ليكونوا من أهلها.

ولا شكَّ أن هذه الملازمةَ القويةَ أثَّرتْ في قلوبهم، وفي عقائدهم، فصارت عقائدهم ثابتةً لم تتغيَّر، إلا ما كان من المنافقين الذين ذمَّهم الله تعالىٰ، وذكَرَ نفاقهم.

وهؤلاء المنافقون لم يكونوا من المؤمنين؛ لقول الله تعالىٰ في صفة المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وبالأخصِّ من المهاجرين والأنصار الذين: ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ فهؤلاء ثبَّتهم الله تعالىٰ ولم يتزعزعوا، ولم تُنقَلْ عنهم مخالفةٌ في أمر العقيدة.

وبعد أن رأوا حاجة الناس إلىٰ علم الاعتقاد، لم يسكتوا، بل علَّموا تلامذتهم وأولادهم وأحفادهم العقيدة، ورسَّخوها في قلوبهم؛ خوفًا عليهم من الفتن، وخوفًا عليهم من التغير بالشبهات، فتَلْمَذَ عليهم تلامذة كُثُرٌ، وتلقَّوُا عنهم العلم الجم، في المدينة، وفي الكُوفة، وفي الشام، وفي مكة، وفي غيرها، ثم قام تلامذتهم مَقَامَهم.

ومن أشهر التلامذة في المدينة: الفقهاء السبعة، الذين اشتَهَرُوا بهذا الاسم، وقد نظمهم بعض العلماء بقوله(١):

إِذَا قِيلَ: مَنْ فِي الْعِلْمِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ رِوَايَتُهُمْ لَيْسَتْ عَنِ الْعِلْمِ خَارِجَهْ

(١) أوردهما ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٤/ ١٠٩)، وابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١٩).

فَقُلْ هُـمْ: عُبَيْدُاللهِ، عُرْوَةُ، قَاسِمٌ سَعِيدٌ، أَبُو بَكْرٍ، سُلَيْمَانُ، خَارِجَهْ

فهـؤلاء السـبعة هـم فقهـاء المدينـة، وأكثرهـم مِـن قريـش، وفيهـم مَـن ليـس مِـن قريـش.

فمنهـم: عبيدالله بـن عبدالله بـن عتبة بـن مسـعود، وعـمُّ أبيـه عبدالله بـن مسعود؛ مـن هُذَيْـل(١).

ومنهم: عُروة بن الزُّبَيْر؛ من أكابر قريش(٢).

ومنهم: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق(٣).

ومنهم: سعيد بن المُسَيَّب، مِن بني مَخْزُوم من أكابر قريش(٤).

---

(١) عبيدالله بـن عبدالله بـن عتبة بـن مسعود، أبو عبدالله المـدني، عـمُّ أبيـه عبدالله بـن مسـعود، ولـد في خلافة عمـر، وقيـل غيـر ذلـك، مفتـي المدينـة، وعالمهـا، كان صالحًـا جامعًـا للعلـم، ومـن بحـور العلـم، توفِّي بعـد أن عمـي في سنة ٩٤ هـ. ينظـر: تهذيـب الكمـال (١٩/ ٧٣)، وسـير أعـلام النبـلاء (٤/ ٤٧٥).

(٢) عروة بـن الزبير بـن العوام بـن خويلـد القرشـي الأسـدي، أبو عبـدالله المـدني، كان فقيهًـا عالمًـا كثير الحديث ثبتًـا مأمونًـا، ولـد سـنة ٢٣هــ، وتـوفي سـنة ٩٤ هـ. ينظـر: تهذيـب الكمـال (٢٠/ ١١)، وسـير أعـلام النبـلاء (٤/ ٤٢١).

(٣) القاسـم بن محمد بـن أبـي بكـر الصديـق القرشـي التيمي، أبو محمـد، ويقال: أبو عبدالرحمـن، المـدني، جده أبو بكـر الصديـق، ولـد في خلافـة علـيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قـدوة حافـظ حجـة، عالـم وقتـه بالمدينـة، كان مـن سـادات التابعيـن. تـوفي سـنة: ١٠٦هـ. ينظـر: تهذيـب الكمـال (٢٣/ ٤٢٧)، وسـير أعـلام النبـلاء (٥/ ٥٣).

(٤) سـعيد بن المسيب بن حَزَن بـن أبـي وهـب بـن عمـرو بـن عائـذ بـن عمـران بـن مخـزوم، القرشـي المخزومي، أبو محمـد المـدني، أحـد العلمـاء الأثبـات الفقهـاء الكبـار، وسـيد التابعيـن، رفيـع الذكـر، رأس في العلـم و العمـل، ولـد لسـنتين مضتـا مـن خلافـة عمر بـن الخطـاب، وقيـل: لأربـع. تـوفي سنة: ٩٤، وقيـل غيـر ذلـك، ينظر: تهذيـب الكمـال (١١/ ٦٦)، وسـير أعـلام النبـلاء (٤/ ٢١٧).

ومنهم: أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام[١]، جده الحارث بن هشام أخو أبي جهل؛ من بني مخزوم، من الذين حمَلُوا العلم.

ومنهم: سُليمان بن يَسَار الهِلَاليّ؛ مِن المَوَالي[٢].

ومنهم: خَارِجَة بن زيد بن ثابت؛ من الأنصار[٣].

هؤلاء تلامذة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم قدوة لمن بعدهم، لم يدخُلُوا في شيء من البدع، ولم يُنقَلْ عنهم شيء من المخالفات، بل هم من حملة العقيدة، ومن الذين بلَّغوا العلم، ونفع الله تعالىٰ بعلمهم نفعًا كبيرًا.

وأيضًا بالكُوفة تَلْمَذَ علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلامذة أفذاذ صاروا علماء، أخذوا عنه، واختَصُّوا في العلم به؛ وذلك لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسلَهُ إلىٰ الكوفة لما رأىٰ الجهل العميقَ في المسلمينَ الجُدُدِ بالعراق، فأرسله هناك وآثرهم به علىٰ نفسه[٤].

---

(١) أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي المدني، قيل: اسمه كنيته، وقيل غير ذلك، من سادة بني مخزوم، ثقة فقيه عالم سخي، كثير الحديث، وكان ضريرًا. توفي سنة: ٩٤هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ١١٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٦).

(٢) سليمان بن يَسَار الهلالي أبو أيوب، ويقال: أبو عبدالرحمن مولىٰ أم المؤمنين ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كان من فقهاء المدينة ومفتيها، ثقة مأمون عابد، توفي بعد سنة: ١٠٠ هـ. ينظر: تهذيب الكمال (١٢/ ١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٤).

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت، أبو زيد الأنصاري، النجَّاري، الفقيه الإمام ابن الإمام، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام، توفي سنة: ١٠٠هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٨/ ٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٧).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٢/ ٨٤٢)، حديث رقم (١٥٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٨٦)، حديث رقم (٨٤٧٨)، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٣/ ٤٣٨)، وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه».

ولا شكَّ أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان محترَمًا عندهم وموقَّرًا؛ وذلك لطولِ صحبته للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فنفع الله تعالىٰ به، وتَلْمَذَ عليه خلق كثير من فقهاء التابعين بالكوفة، ويُعْرَفونَ بأصحاب ابن مسعود، وعليهم يعتمِدُ أكثر الفقهاء هناك من أتباع أبي حنيفة.

فالغالب: أنهم يعتمدون أقوال أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كعَلْقَمَةَ(١)، والأَسْوَدِ(٢)، وعَبِيْدَةَ السَّلْمَاني(٣)، وإبراهيم النَّخَعي(٤)، ونحوهم من حملة العلم.

وهكذا أيضًا تَلْمَذَ علىٰ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البَصْرَة علماء أجلَّاءُ، من أشهرهم: الحسن بن أبي الحسن، المعروف بالحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان له أعظم الأثر علىٰ المسلمين؛ فما أكثر الذين تأثَّروا به وانتفعوا؛ فقد رزقه الله تعالىٰ علمًا جمًّا!

وكذلك محمد بن سيرين، وسِيْرِينُ مولًىٰ مملوك لأنس أعتقه،

(١) علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك النخعي، فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، الإمام، الحافظ، المجوِّد، المجتهد الكبير، من المخضرمين، ولد زمن النبوة، وتوفي بالكوفة بعد سنة: ٦٠ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣).

(٢) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمرو، وهو ابن أخي علقمة بن قيس، وخال إبراهيم النخعي الإمام الفقيه القدوة، من المخضرمين، الزاهد العابد، ولد زمن النبوة، وتوفي سنة ٧٤ هـ أو بعدها. ينظر: تهذيب الكمال (٣/ ٢٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠).

(٣) عَبِيدة بن عمرو، ويقال: ابن قيس بن عمرو، السَّلْماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، أحد الفقهاء الكبار بالكوفة، قال سفيان بن عيينة: «كان عَبِيدة يوازي شريحًا في العلم والقضاء»، توفي سنة: ٧٠هـ أو بعدها. ينظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠).

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو النخعي، أبو عمران الكوفي الإمام الحافظ، فقيه العراق، ولد سنة: ٤٦ هـ، وتوفي سنة: ٩٦ هـ، ينظر: تهذيب الكمال (٣٥/ ٦٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠).

ورزق الله سيرين أولادًا علماء، منهم: أنس بن سيرين، سمَّاه باسم مولاه، ومنهم: محمد بن سيرين، ومنهم: حفصة بنت سيرين؛ فهؤلاء أيضًا نبغوا في ذلك الزمان؛ فنفع الله تعالىٰ بهم.

وخلاصة ذلك: أن التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ قد حفظوا السُّنَّة، والعقيدة، وقد تلقَّوُا العلم من مَعْدِنه الأصلي، وهم صحابة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف لا يكون هؤلاءِ قُدْوةً يقتدىٰ بهم؟!

وهناك غير هؤلاء:

فبمَكَّة: علماءُ أجلَّاءُ؛ كعَطَاء بن أبي رَبَاح[1]؛ وهو تلميذ لعبدالله بن عباس.

وباليمن: طَاوُس بن كَيْسَان[2]؛ وهو تلميذ لابن عباس؛ قرأ عليه، وحفظ عنه كثيرًا.

وكذلك في كثير من البلاد تلامذة للصحابة، حفظ الله تعالىٰ بهم العلم.

فمثل هؤلاء يعتبرون قدوةً؛ ولأجل ذلك كان التابعون في المرتبة الثانية بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) عطاء بن أبي رَبَاح، واسم أبي رباح: أسلم القرشي، مولاهم، أبو محمد المكي، وُلِدَ في أثناء خلافة عثمان، ونشأ بمكة، أحد أعلام التابعين، انتهت فتوىٰ أهل مكة إليه وإلىٰ مجاهد في زمانهما، كان ثقةً فقيهًا عالمًا كثير الحديث، توفي سنة: ١١٤ هـ، علىٰ المشهور، وقيل بعده، ينظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨).

(٢) طاوس بن كيسان الخَوْلاني الهَمْداني بالولاء، أبو عبدالرحمن الفارسي ثم اليماني، من أكابر التابعين تفقُّهًا في الدين، وروايةً للحديث، وتقشُّفًا في العيش، الفقيه، عالم اليمن، ولد سنة: ٣٣هـ، وتوفي سنة: ١٠٦هـ. ينظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٣٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨).

وقد يقولُ قائلٌ: إنه حدَثَتْ في زمان التابعين بدع.

فنقـول: صحيـح، لكـنَّ أولئـك الذيـن انتحلـوا بدعًـا في زمـان التابعيـن، لـم يكونـوا مـن تلامـذة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ غالبًـا، وإنمـا أخـذوا بدعهـم هـذه عـن تأويـلات بعيـدة.

ومعلـوم أن الخـوارج: خرَجُـوا سـنةَ سـتٍّ وثلاثيـن؛ فكانـوا في زمـان التابعيـن؛ لأنهـم مـن جيـش علـيّ، وأغلبهـم مـن أهـل العـراق -وقـد كان في العـراق مجموعـة كبيـرة مـن الصحابـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ- ومـع ذلـك فـإنَّ هـؤلاءِ خـوارج، ولكـنْ ليس فيهـم مشـهور بالعلـم، وليس فيهـم مـن تَلْمَذَ تلمذةً صحيحةً علىٰ الصحابـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وإنمـا قـرؤوا القـرآن، ولـم يقـرؤوا تفسـيره ومعانيـه؛ فأخـذوا الآيـات التـي فيهـا عـذابٌ فطبَّقوهـا علىٰ أهـل زمانهـم، فكان مـن عقيدتهـم -كمـا سـيأتي- :أنهـم يجعلـون الذنـب كفـرًا، والعفـو ذنبًـا، فهـؤلاء -وإنْ عُـدُّوا مـن التابعيـن؛ لكونهـم في زمانهـم- لكنهـم لـم يتعلَّمـوا العلـم ولا العقيـدة الصحيحـة، حتىٰ يكونـوا مـن حملـة العلـم، وإنمـا أخـذوا مذهبهـم مـن نظريَّاتهـم وأفكارهـم الفاسـدة.

وكذلـك القدريَّـة: الذيـن حدَثُـوا في آخـر عهـد الصحابـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وأدركهـم ابـن عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لـم يكونـوا مشـهورين بالتلمـذة علىٰ الصحابـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وغالـب اعتقادهـم عـن أفـكار سيئة، بسـبب سـوء معرفتهـم، وسـوء نَظَرهـم في الآيـات، وحَمْلِهـا علـىٰ محامـل بعيـدة.

فـإن مـن عقيدتهـم: إنـكارَ عِلْـمِ الله السـابق، وأن الله لا يعلـم الأشـياء حتـىٰ

تحـدُثَ، ومـن أبرزهـم: مَعْبَـدٌ الجُهَنـي[١]، وغَيْـلان القَـدَري[٢]، وعمرو بـن عُبَيْد[٣]، ولـم يُعرَفْ أنهـم تتلمذوا علىٰ صحابي، أو أخذوا عنه العلم الصحيح.

فعـرف بذلـك: أن تلامـذة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذيـن تلقَّـوْا العلـم عنهـم، أصبحـوا ورثـةً لهـم؛ و«الْعُلَمَـاء وَرَثَـةُ الأَنْبِيَـاءِ»[٤]، وأمـا الذيـن أخـذوا العلـوم مـن أفكارهـم، فحصـل في قلوبهـم زَيْـغٌ، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛ نعـوذ بـالله مـن زيـغ القلـوب.

وهـذا دليـل علـىٰ أن العلـم الصحيـح الـذي يؤخـذ مِـنْ مَعْدِنِـهِ الأصلـي يثبُـتُ في القلـب، ويكـون لـه آثـار حسـنة.

ومعلـوم أن التابعيـن صـار لهـم تلامـذة، وصـاروا يَبُثُّونَ العلـم الصحيح، ولكـنْ في القـرن الثـاني بعـد انقـراض عهـد الصحابـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، دخـل في الإسـلام بعـضٌ مـن لا يرغبـون فيـه، فـكان مـن آثـار دخولهـم في الإسـلام مـن غير صدق وغيـر يقيـن: أنْ أثـاروا كثيـرًا مـن الشـبه، وأوقعـوا كثيـرًا مـن النـاس في الحَيْـرة، وشـكَّكوهم في عقائدهـم، وشـكَّكوهم في مبدأ أمرهـم ومنتهـاه، ونشَـرُوا بينهم شُـبُهات الفلاسـفة، وشُـبُهات المنجِّميـن، وشُـبُهات الزنادقـة والملاحـدة، ونحوهـم، وأثـاروا تلـك الشـبهات فيمـا بينهـم، فانخـدع بهـا كثيـر.

---

(١) معبـد بـن خالـد الجُهَنـي، القـدري البصـري، ويقـال: ابـن عبـدالله بـن عُكَيْـم، مبتـدع، أول مـن تكلَّـم في القـدر بالبصـرة، تـوفي سـنة: ٧٢ هـ. ينظـر: تهذيـب الكمـال (٢٨/ ٢٤٤).

(٢) غَيْلان بـن مسـلم، أبو مروان الدمشـقي، القَـدَري، وإليـه تنسـب فرقـة الغَيْلانيـة، ثـاني مـن تكلَّـم في القـدر بعـد معبـد الجُهَنـي، صَلَبَـهُ هشـام بن عبدالملـك ببـاب دمشـق، تـوفي تقريبًـا سـنة ١٠٥ هـ. ينظر: تاريـخ دمشـق لابـن عسـاكر (٤٨/ ١٨٦)، والفـرق بيـن الفـرق (ص ١٩٤).

(٣) عمرو بـن عُبَيْد بـن باب، أبو عثمـان البصـري القـدري، كبيـر القدريـة والمعتزلـة وأولهـم، وكان زاهـدًا عابـدًا، كان جـده مـن سـبي فـارس، تـوفي سـنة: ١٤٣ هـ أو قبلهـا. ينظـر: تهذيـب الكمـال (٢٢/ ١٢٣)، وسـير أعـلام النبـلاء (٦/ ١٠٤).

(٤) جزء من حديث أبي الدرداء المتقدِّم.

فلما رأىٰ السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من تلامذة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وتلامذة التابعين هذه الآثار في هؤلاء المنحرفين، لم يجدوا بُدًّا من أن يصدعوا بالسُّنَّة، وأن يظهروا أمر العقيدة، وأن يصرِّحوا للناس بما هم عليه؛ حتىٰ يعرف عموم الناس العقيدة السليمة، فيتمسَّكوا بها، ويعرفوا أن ما خالفها بِدْعة باطلة، ونِحْلة سيئة.

ومن أشهر هؤلاء: أبو عمرو عبدالرحمن الأَوْزَاعِيّ، من كبار تابعي التابعين، بل إمام المسلمين في عهده في الشام، توفي سنة سبع وخمسين ومائة، أي: في وسط القرن الثاني[1]؛ يقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**كُنَّا -والتابعون مُتوافرون- نقولُ: إن الله تعالىٰ ذِكْرُهُ فوق عرشه، ونؤمِنُ بما ورَدَت السنة به من صفاته جَلَّ وَعَلَا**»[2].

والذي حمله علىٰ أن يَصْدَعَ بهذا الإيمانِ، وأن الله فوق عرشه، والإيمانِ بما جاءت به النصوصُ والآيات: ما فشا في زمانه من البدع التي خَشِيَ منها.

ومثله: الإمام مالك بن أنس، عالم المدينة؛ فقد اشتهَرَ عنه من الإيمان بالصفات الشيء الكثير؛ مثل: تفسيره للاستواء بقوله: «**الاسْتِوَاءُ معلومٌ، والكَيْفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدْعَةٌ**»[3].

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ١٣١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، (٢/ ٣٠٣)، حديث رقم (٨٦٥)، قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤٠٦): «سنده جيد».

(٣) أخرجه الدارمي في الرد علىٰ الجهمية (ص ٦٦)، حديث رقم (١٠٤)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١)، حديث رقم (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤)، حديث رقم (٨٦٦).

ومثل ما صرَّح به من قوله: «**نقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء وعلمه في كلِّ مكان، لا يخلو منه شيء**»[١].

فإنه لم يصرِّح بذلك إلا لمَّا اشتَهَرَتِ البدع في ذلك الزمان، وكَثُرَ الذين يتحدَّثون بها؛ فكان ذلك سببًا في أن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أوضحوا ما يعتقدونه؛ ليكون تلامذتهم علىٰ بصيرة؛ وذلك لأن المبتدعة ما سكتوا، بل أخذوا ينشُرُونَ عقيدتهم؛ فالجهمية مثلًا صرَّحوا بأن القرآن مخلوق، وأن الله تعالىٰ لا يتكلَّم، وأن الله لا يحب ولا يبغض، وأن الله ليس علىٰ عرشه، وليس فوق السماء، وليس فوق العرش إلهٌ يُعْبَدُ، إلىٰ آخر ذلك من تصريحاتهم التي تقشعِرُّ منها الجلود.

ولما رأىٰ السَّلَف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ذلك، أفصحوا بما أفصحوا به؛ فذكر أن بعض السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ حبَسَ رجلًا في التجهُّم، فتاب، فجيء به إلىٰ هشام ليمتحنه - فقال له: «أَتَشْهَدُ أنَّ الله علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه؟»، قال: «لا أدري ما بائنٌ من خلقه»، فقال: «**رُدَّه؛ فإنه لم يتُبْ بعدُ**»[٢]؛ وذلك لأنه لابدَّ من الإيمان بهذا الاعتقاد كلِّه؛ من أن الله تعالىٰ علىٰ عرشه، وأنه بائن من خلقه، يعني: أنه ليس مختلِطًا بهم؛ كما يقول كثير من الجهمية والحلولية ونحوهم؛ تعالىٰ الله عما يقولون.

نقل شيخ الإسلام في «الحمويَّة»[٣]، رسالة نحو ثلاث صفحات

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١٠٦)، حديث رقم (١١)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٧/ ١٥٣)، حديث رقم (١١٠)، والآجري في الشريعة (٣/ ١٠٧٦)، حديث رقم (٦٥٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في الرد علىٰ الجهمية؛ كما في العرش للذهبي (٢/ ٣٠٧).

(٣) ينظر: الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ (ص ٣٠٧- ٣١٨).

أو أربع، عن عبدالعزيز بن المَاجِشّون[١]، وهو أحد علماء المدينة في زمن الإمام مالك، وإذا قرأتَ هذه الرسالة، عرَفْتَ بذلك أن السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ يحبُّون العمل بالدليل، ويتقيَّدون به، ويصرِّحون بما يعتقدونه، ويردون على كلِّ المبتدعة، ويضلِّلونهم ويسفِّهون أحلامهم، وينكرون إنكارًا بليغًا على من ردَّ شيئًا من أمر الله تعالى، أو أمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو خالف المعتقد السليم.

وابنُ الماجشون متقدِّمٌ في القرن الثاني، في زمن الإمام مالك؛ وذلك دليل على أن البدع قد بدأت تظهر أعناقها، وبدأ أهلها يتمكَّنون، ولكن الحق وأهله أكثر وأقوى حجة.

وفي **آخر القرن الثاني**: قويت بدعة الجهمية؛ وذلك لأنهم صاروا يقتنصون الجهلة وضعاف الإيمان؛ فيُلْقُونَ عليهم الشبهات، ويلبِّسون عليهم دينهم؛ فيشكِّكونهم في أمور المعتقد، فظهر في ذلك الوقت كثير من الزنادقة والمنافقين وإيمانهم متزعزع؛ ولكنِ انتبه لهم الولاة والأئمة، وصاروا يحذرون منهم، فيقولون: فلان متهَمٌ، فلان زنديق.

ذكروا في التاريخ: أن الخليفة المَهْدِيَّ أقرَّ عنده أحدهم بالزندقة، وقال: لقد وضَعْتُ فيكم أربعةَ آلافِ حديثٍ أحرِّم فيها الحلال، وأحلِّل الحرام[٢]، فأمر بقتله.

إن الله تعالى وفَّق هذه الأمة بأن جعل فيهم علماء يميزون الأحاديث،

(١) عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، الإمام، المفتي الكبير، صاحب الإمام مالك، توفي سنة: ١٦٤ هـ. ينظر: طبقات الفقهاء (ص ٦٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٩).

(٢) هو: عبدالكريم بن أبي العَوْجَاء، زنديق، ينظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٤)، ولسان الميزان (٥/ ٢٤١).

ويعرفون الصحيح من السقيم، ويميِّزون الكذب من الصدق؛ وذلك لمعرفتهم بكلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمعرفتهم بشريعته، وبما كان يدعو إليه.

وهذا يدُلُّ علىٰ أن هناك من استفحَلَ منه الشر، وشكَّك الناس في العقيدة وبالأخص في الإيمان بالله، وكان قد كَثُرَ في ذلك الزمان الزنادقة الذين ينكرون وجود الله تعالىٰ، أو يُنْكِرونَ البعث وحشر الأجساد؛ كالفلاسفة، وغيرهم.

فاهتم السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالىٰ بهؤلاء، وبالغوا في الرد عليهم، إلىٰ أن انقمعوا[1]، وظهر أمر الله تعالىٰ وهم كارهون، وكذلك أيضًا من بعدهم إلىٰ أن اتضح الحق وبان؛ والحمد لله.

فهذه المقدمة نستدِلُّ بها علىٰ آثار العقيدة، ونستدِلُّ بها علىٰ أن **العقيدة الصحيحة**: هي التي تلقَّاها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتلقاها تلامذتهم عنهم، وتلقاها تابعو التابعين عن التابعين، وبقيت إلىٰ يومنا هذا.

وأن العقائدَ المنحرِفةَ الزائغة لم تؤخذ من كتاب الله حقًّا، ولو استدلُّوا ببعض الآيات علىٰ غير مدلولها، ولم تؤخذ من السُّنَّة، ولا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا من تلامذة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا من تلامذة تلامذتهم، وإنما أُخِذَتْ من أفكار وقلوب زائغة منحرِفة.

فالعقيدة الصحيحةُ: ما كان عليه السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهم في الحقيقة أئمة الحديث؛ كما هو عنوان هذه الرسالة: «**اعتقادُ أئمة الحديث**»؛ وذلك

---

(١) يقال: قمعتُ فلانًا فانقمَعَ، أي: ذَلَّلْتُهُ فذَلَّ واختبأ فَرَقًا. ينظر: العين (١/ ١٨٨)

لأن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تلقَّوْها، ونقلوها، وكذلك التابعون وتابعوهم تلقَّوْها ونقلوها وحدَّثوا بها؛ فكانوا ينقلونها كالأحاديث؛ فيقولُ أحدهم مثلًا: حدثنا محمد بن رافع، قال: حدثنا عبدالرزَّاق، قال: حدَّثنا مَعْمَرٌ، قال: حدثنا ابن شِهَاب، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي هريرة، ويذكر حديثًا، كحديث النزول، وحديث الرؤية.

فأصبحت عقيدة أهل الحديث، وأصبح أهل الحديث قدوةً يقتدىٰ بهم؛ وذلك لأن المبتدعة لم يكونوا من أهل الحديث، فإذا نظرنا مثلًا في سيرة عمرو بن عُبَيْد، وبِشْر بن غياث المَرِيسي[1]، والجَهْم بن صَفْوان، وابن أبي دُؤَاد[2]، ونحوهم من الجهمية، أو المعتزلة لم نَجِدْ لهم حديثًا، ولم نجدهم ممن روىٰ الأحاديث، بل لا يروون إلا ما يوافق أهواءهم، أو ما يناسب بدعتهم، ولأجل ذلك لا تُقْبَلُ أحاديثهم.

والغالب أن الأحاديث التي يروونها لا تثبُتُ، بل هي إما مكذوبة أو موضوعة أو ضعيفة لأجل من فيها من المبتدعة.

فأصبح أهل الحديث هم أهل العقيدة السلفية، وهم الفرقة الناجية المنصورة.

---

(١) بِشْر بن غِيَاث بن أبي كَرِيمة، أبو عبدالرحمن المَرِيسي، مولىٰ زيد بن الخطاب، مبتدع ضال، رأس الجهمية، جرَّد القول بخلق القرآن، حُكِيَ عنه أقوال شنيعة مستنكرة، كفَّره أكثر العلماء لأجلها، توفي سنة: ٢١١هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٧/ ٥٣١)، ولسان الميزان (٢/ ٣٠٦).

(٢) أبو عبدالله، أحمد بن فرج بن حريز الإيادي، القاضي الجهمي، كان داعية إلىٰ القول بخلق القرآن، حمل السلطان علىٰ امتحان الناس بخلق القرآن، توفي سنة: ٢٤٠هـ، ينظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٣)، وتاريخ دمشق (٧١/ ١٠٨).

وقد ثبَتَ أن النبيّ ﷺ قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَة، حَتَّىٰ يَأْتِي أَمْرُ اللهِ**»[1].

وسُئِلَ الإمام أحمد: مَنْ هم هذه الطائفة؟ قال: «إنْ لم يكونوا أهلَ الحديث، فلا أدري من هم!»[2].

فيعد أهل الحديث كأنهم صحابة؛ لأنهم صحبوا أنفاسه ﷺ؛ فالكلام الذي يروونه ويتناقلونه هو الكلام الذي نطَقَ به، وفيما بين كلماته أنفاسه التي تنفَّس بها وهو يتكلَّم؛ فيعتبرون كأنهم الصحابة رضي الله عنهم؛ على حد قول الشاعر[3]:

أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمُ أَهْلُ النَّبِيِّ وَإِنْ ... لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا

فبذلك يعرف أن أهل الحديث حقًّا هم الذين انتحَلُوا هذه النِّحْلة، واعتقدوا هذه العقيدة.

ويراد بأهل الحديثِ: أهلُ السُّنَّة؛ وذلك لأنهم الذين اشتغلوا بالحديثِ النبويّ رِوَايَة ودِرَايَة؛ فكانوا أولىٰ بأن تكون عقيدتهم هي السليمة، وهي التي يلزم اتباعها والسير علىٰ نهجها، وما ذاك إلا أن

(١) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٠)، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وأصله عن البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ، وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ**»، حديث رقم (٧٣١١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ**»، حديث رقم (١٩٢١)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص ٢).

(٣) قاله: أبو عامر الحسن النَّسَوي. ينظر: اللطائف من دقائق المعارف، لأبي موسىٰ المَدِيني (ص ٤٤).

الحديث الذي يروونه لابدَّ أن يؤثِّر فيهم؛ فإنهم دائمًا يشتغلون بالحديث، ويسمعون الحديث، والحديثُ معروفٌ أنه المرجع بعد كتاب الله تعالىٰ، وأنه الذي يجب أن يقدَّم علىٰ قول كل أحد؛ فأهل الحديث لا شك أنهم يعتقدون عقيدةً منبعها من الأحاديث النبوية، وكَفَىٰ بها مرجعًا.

ومعلوم أن أخَفَّ البدع التي خرَجَتْ هي بدعة الخوارج، وهي أوَّلُ البدع ظهورًا؛ وذلك في سنة ست وثلاثين من الهجرة[1].

وقد أخبر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخروجهم، وأخبر أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَحْقِرُونَ صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وأنهم يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يمرُقُ السهم من الرَّمِيَّة، وأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوِزُ حناجرهم، وقال: «**لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ، لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[2]، وأمر بقتالهم، فقال: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ**»[3]، وقاتلهم عليٌّ ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد ذكرنا أن عقيدتهم إنما هي في التكفير فقطْ، وهو أنهم بالغوا في أخذ آيات الوعيد، وتمسَّكوا بها، فصاروا يطبِّقونها علىٰ كل من فعل ذنبًا، فيُخْرِجونه من الإسلام، ولم يذكروا خلافًا عنهم في الأسماء والصفات، ولا في البعث والنشور.

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ص (٤)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، حديث رقم (٣٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، حديث رقم (٦٩٣٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض علىٰ قتل الخوارج، حديث رقم (١٠٦٦)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن جملة من كفَّروه: أصحابُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وادَّعَوْا أنه بالتحكيم ارتدَّ عن الإسلام! فهذه أول بِدْعة، ولا شكَّ أنهم بعد ذلك تغيَّرت عقائدهم، وأخذوا من عقائد المبتدعة الآخرين.

ثم حدَثَتْ بعد ذلك بدعة القَدَرِيَّة، وهم الذين ينكرون العِلْمَ السابقَ لله تعالىٰ.

ثم حدَثَتْ بعدهم بدعة التعطيل، أو بدعة الاعتزال، وهي بدعة إنكار الصفات، كان حدوثها في أول القرن الثاني، ولمَّا انتشرت هذه البدعة، وانتشر أهلها الذين يعطِّلون صفات الكمال عن الله تعالىٰ، وينكرون أن يُوصَفَ الله بما وصف به نفسه، ويبالغون في إنكار الصفات؛ فأنكر عليهم السلف إنكارًا بليغًا، وبدَّعوهم وشنَّعوا عليهم، وحذَّروا منهم، وصار أكثر كلام التابعين وتابعي التابعين في التحذير من هذه البدعة، التي سَمَّوْا أهلها: جهمية؛ وذلك لأن أول من انتشرت عنه الجَهْم بن صَفْوَان، وهو الذي نشر هذه العقيدة.

وكتُبُ السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالج هذه البدع كلَّها، فقد تنوَّعت كتاباتهم في ذلك:

فمنهم: من يذكر العقيدة مجرَّدة، يقول: «نعتقد كذا وكذا»، ولا يذكر مناقشة، ولا أقوالًا مبتدعَة.

ومنهم: من يذكر البدع، ويذكر الرد عليها؛ سواءٌ كانت تلك البدع شبهاتٍ أو نحلًا؛ فيناقشونها ويبالغون في الرد علىٰ أهلها.

ومنهم: من يقتصر علىٰ الأدلَّة والآثار المنقولة عن السلف، والأحاديث

المأثورة المرفوعة أو الموقوفة؛ فباقتصارهم عليها يظهر الحق، ويُعْرَفُ الباطل ويستبين.

وَنَذِيمُهُم وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ[(١)]

ولا شك أن كلامهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كله في نصر الحق وإظهاره.

وقد تمكَّنت بدعة الجهميَّة في أول القرن الثالث؛ حيث اتصلت الجهمية ببعض الخلفاء، كالخليفة المأمون بن الرشيد، فأحسَنَ الظنَّ بهم، ورأىٰ فيهم بلاغةً وفصاحةً وقوةَ أسلوب، وحُسْنَ تعبير؛ فظن أنهم علىٰ خير، وقرَّبهم.

ومن أشهر الذين قرَّبهم الخليفةُ المأمونُ: أحمدُ بنُ أبي دُؤَادٍ، المبتدعُ الضالُّ، الذي أفسد عقيدة المسلمين في زمانه، ومال إليه الخليفة المأمون، ثم بالغ المأمون في امتحان أهل السنة في مسألة خلق القرآن، وكذلك تبعه أخوه المعتصم.

ومشهورٌ أنهم امتحَنُوا العلماء، وضرَبُوهم، وحُبِسَ من حُبِسَ، وأوذي من أوذي من أهل السنة، ورجَعَ كثير منهم وأجابوا إلىٰ ما طلَبَ منهم؛ لأنهم كانوا مكرَهين، وتمسَّك من تمسَّك منهم، ومن الذين تمسَّكوا: الإمام أحمد بن حنبل؛ ولهذا يُسمَّىٰ: ناصرَ السنة، وإمامَ أهلِ السنة.

والقصة طويلة؛ وهي مذكورة في ترجمته؛ ذكرها ابن كَثِيرٍ في «البداية والنهاية»[(٢)]، وذكر قصة ضربه بين يَدَيَ المعتصِمِ وصَبْرِهِ علىٰ ذلك،

(١) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ص (٤١١)، بتحقيق عبدالوهاب عزام.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢٠٧ - ٢١٣، ٣٨٠ - ٤٠٥).

وكذلك ذكرها ابن الجوزي في ترجمته؛ فإن ابن الجوزي ألف كتابًا كبيرًا كله في ترجمة الإمام أحمد[١].

وكذلك الذهبي في كتاب «تاريخ الإسلام»[٢]، ونقل ترجمته أحمد محمد شاكر في أول «تحقيق المسند»[٣]، من «تاريخ الذهبي»، وفيها قصة تعذيبه، وأشار إلىٰ ذلك كثير من الذين ترجموا له[٤]، ومنهم صاحب المنظومة[٥] الذي يمدحه، يقول فيها:

وَاقْصِدْ لِمَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ... أَعْنِي: ابْنَ حَنْبَلٍ الْفَتَىٰ الشَّيْبَانِي

ثم يقول:

وَيَقُولُ عِنْدَ الضَّرْبِ: لَسْتُ بِتَابِعٍ ... يَا وَيْحَكُمْ لَكُمْ بِلَا بُرْهَانِ
مَاذَا أَقُولُ غَدًا لِرَبِّي إِذْ أَنَا ... وَافَقْتُكُمْ فِي الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ؟!
وَعَدَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ ... وَجَمِيعِ مَنْ تَبِعُوهُ بِالْإِحْسَانِ
أَتَرَوْنَ أَنِّي خَائِفٌ مِنْ ضَرْبِكُمْ؟ ... لَا وَالْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

---

(١) اسمه: «مناقب الإمام أحمد» حققه الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر: دار هجر، مصر، ينظر (ص٤١٦).

(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ١٠٣٦)

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق «مسند أحمد» للشيخ أحمد شاكر (١/ ٦٦)، وصدرت هذه الترجمة مع جزئين عن المسند بمكتبة السنة بالقاهرة، بعناية الشيخ شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١١/ ١٨)، وكتاب محنة الإمام أحمد لعبدالغني المقدسي.

(٥) هو: محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي، والأبيات ذكرها ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ١٨).

كُـنْ حَنْبَلِيًّـا مَـا حَيِيـتَ فَإِنَّنِـي ... أُوصِيـكَ خَيْـرَ وَصِيَّـةِ الْإِخْـوَانِ
وَلَقَـدْ نَصَحْتُـكَ إِنْ قَبِلْـتَ فَأَحْمَـدٌ ... زَيْـنُ الثِّقَـاتِ وَسَـيِّدُ الْفِتْيَـانِ
مَـنْ ذَا أَقَـامَ كَمَـا أَقَـامَ إِمَامُنَـا ... مُتَجَـرِّدًا مِـنْ غَيْـرِ مَـا أَعْـوَانِ
مُسْـتَعْذِبًا لِلْمُـرِّ مِـنْ نَصْـرِ الْهُـدَىٰ ... مُتَجَرِّعًـا لِغَضَاضَـةِ السُّـلْطَانِ

إلىٰ أن قال:

حَمْـدًا لِرَبِّـي إِذْ هَدَانِـي دِينَـهُ ... وَعَلَـىٰ شَـرِيعَةِ أَحْمَـدٍ أَنْشَـانِي
وَاخْتَـارَ مَذْهَـبَ أَحْمَـدٍ لِـي مَذْهَبًـا ... وَمِـنَ الْهَـوَىٰ وَالْغَـيِّ قَـدْ أَنْجَانِـي

فالحاصل: أنه من الذين صبَرُوا علىٰ هذه الفتنة، وصابروا فيها إلىٰ أن أظهره الله تعالىٰ.

وفي عهد المعتصِمِ: أُوذِيَ وعُذِّبَ، وضُرِبَ وحُبِسَ وبَقِيَ في الحبس مدة طويلة، وكان يتورَّع أن يأكل شيئًا من طعامهم، ويبقىٰ يومين وثلاثة أيام لا يَطْعَمُ، حتىٰ يأتيه أحد أولاده بشيء مِن الخُبز مِنْ بيته، والذي عرَفَ مَدْخَلَه.

ولما مات المعتصِمُ بعد ثماني سنين، وانتقَلَتِ الخلافة إلىٰ ابنه الواثق، خفَّف الفتنة والابتلاء، ولكنْ لم يَزَلْ أهل السنة يخافون من إظهارها، ويستَخْفُونَ في معتقدهم.

ثم بعد موته تولَّىٰ ولده المتوكِّل، فنصر السنة، وقرَّب الإمام أحمد، وأَذِنَ له أن يَصْدَعَ بمذهبه، وأفصح بما كان يعتقده أهل السنة؛ من أن القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق.

وبقي الحال كذلك إلىٰ أن توفي الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين، وظل الأمر هادئًا بقية ذلك القَرْن، والسُّنَّةُ ظاهرة، لكنْ تمكَّن أهل البدع، وخاصَّةً المعتزلة، وكانوا من أقوىٰ الفرق حججًا عقلية، يأتون بالشبهات العقلية، ويشوِّشون بها علىٰ الناس، وقد ملؤوا عقول كثير من عوامِّ المسلمين بتلك البدع، وخاصَّةً: بدعةَ إنكار الصفات؛ الذاتية والفعلية.

وانتشرت في آخر القرن الثالث وفي القرن الرابع وما بعده: اصطلاحات مبتدَعة، يردِّدها المبتدعة في إنكار الصفات؛ كنفي التجسيم، ونفي الحيِّز، ونفي الجهة، ونفي الأعراض والأبعاض والأجزاء، والتركيب والحوادث ونفي حلولها، وما أشبه ذلك.

وصاروا يلقِّنونها تلامذتهم، ويذكُرُونَ أن نفيها من باب التنزيه لله تعالىٰ! فتمكَّنت هذه الكلمات في أهل ذلك الزمان، واعتقدوا صِحَّتَها وسلامتها، وهي في الحقيقة: أمورٌ لم يَرِدْ بها دليلٌ، والمسلمون من أهل السُّنَّةِ لم يستعملوها لا نفيًا ولا إثباتًا.

وبعد انقضاء القرن الثالث كادت السنة أن تضيع، وكاد المحدِّثون ألا يَبْقَوْا علىٰ معتقد، وتمكَّن مذهب النفاة والمعطِّلة، وكاد أن يضمحِلَّ مذهب الإمام أحمد، ولم يَبْقَ عليه إلا أفراد يتستَّرون، لا يُعْرَفُونَ إلا أنهم من أتباعه، يستَخْفُونَ بما هم عليه، وبَقُوا طَوَالَ هذه القرون، لا يُعْرَفُ من ينصر السنة إلا قلة.

وممن كان علىٰ مذهب الإمام أحمد في العقيدة: عالمٌ في أول القرن الرابع، وهو: الإمامُ البَرْبَهَاريُّ(١)، لمَّا أظهر عقيدة أهل السنة، وأظهر القول بأن القرآن كلام الله -حروفه ومعانيه- وأظهر القول بأن الله مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه، وأن الله تعالىٰ موصوف بصفات الكمال، وأخذ يفصِّلها -: حاربوه وبدَّعوه وضلَّلوه، وهدَّدوه بالقتل والسجن، واستخفىٰ منهم استخفاءً شديدًا، وصار مهدَّدًا؛ لأنه فرد واحد بين أهل زمانه، وهم أمم كثيرة، ولكنْ نصَرَهُ الله، كما نصر إمامه أحمد بن حنبل، وله كتاب مطبوع في العقيدة اسمه: «شرحُ السُّنَّة»، ظهر فيه تأثُّره بالسنة، وأنه علىٰ العقيدة الراسخة، وهي عقيدة أهل السنة.

أما بقية أهل زمانهم، فمَنْ كان منهم من أهل السنة، فإنه مستَخْفٍ، وكثيرٌ منهم مَالُوا عن السنة الصحيحة.

وظهر مذهب الاعتزال في القرن الرابع وتمكَّن، وظهَرَ مذهب الكُلَّابية؛ حيثُ ظهَرَ في القرن الثالث عبدالله بن سعيد بن كُلَّابٍ(٢)، وكان شديدَ الجدَلِ، قويَّ الحجة؛ حتىٰ شبَّهوه بالكُلَّاب؛ لأنه كان يجتذب الناس إلىٰ معتقده؛ فوافقه أبو الحسن الأشعري علىٰ معتقده.

(١) الحسن بن عليّ بن خلف، أبو محمد البَرْبَهَاري، شيخ الحنابلة القدوة الإمام، كان قوَّالاً بالحق، داعية إلىٰ الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي سنة: ٣٢٩ هـ. ينظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠).

(٢) أبو محمد، عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب المتكلِّم البصري، كان يرُدُّ علىٰ المعتزلة، وربما وافقهم. توفي سنة: ٢٤٠هـ. ينظر: الفهرست (ص ٢٢٤)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٩٨١).

وكان أبو الحسن الأشعري في أول أمره معتزليًّا، تتلمذ علىٰ أبي عليّ الجُبَّائيِّ[١]، رأسِ المعتزلة، وأخذ من كلام أبي الهُذَيْلِ العَلَّافِ[٢]، وهو من المعتزلة، ومن كلام الجَاحِظ، وهو معتزلي، فانتحل نحلتهم -وهي الاعتزال- في أوّل عمره، وبَقِيَ علىٰ ذلك نحو أربعين سنة، ثم وافق مذهبَ ابن كُلَّاب في العقيدة، وسار علىٰ عقيدته، وألَّف كتبًا كثيرة علىٰ هذه العقيدة، ونُسِبَتْ بعد ذلك للأشعريِّ، وصار أتباعه عليها يُسَمَّوْنَ: الأشاعرة، أو الأشعرية.

ثم إن الأشعري في آخر حياته قرَأَ كتب أهل السنة، وكتب أهل الحديث، فاهتدىٰ، ورجَعَ إلىٰ عقيدة أهل الحديث، وألَّف رسالته: «الإبانة في أصول الديانة»[٣].

وألف أيضًا كتاب «مقالات الإسلاميين»؛ ذكر فيه مقالات المعتزلة والكُلَّابية، والوعيديَّة، والجبريَّة، والمرجئة، ونحوهم، وبالغ في ذكر مقالات الجهمية والمعتزلة، وما يُنتقَدُ عليهم، ثم بعد ما انتهىٰ من هذه المقالات ذكَرَ مقالة أهل السنة، وسرَدَ عقيدتهم سَرْدًا محكَمًا، وبيَّنها بيانًا وافيًا كافيًا، ولما انتهىٰ منها، قال:«وبكل ما قالوه نقول، وبكل ما ذهبوا إليه نذهب»[٤]؛ فعُرِفَ بذلك أنه أصبَحَ من أهل السنة.

وقد ذكَرَ هذا ابنُ القيِّم في أول كتابه «حادي الأرواح»[٥]، وفي آخر

---

(١) محمد بن عبدالوهاب بن سَلَام، أبو علي الجُبَّائي البصري، كان رأس المعتزلة في زمانه، وزوج أم أبي الحسن الأشعري، ولد سنة:٢٣٥هـ وتوفي سنة: ٣٠٣هـ. ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣).

(٢) محمد بن محمد بن الهُذَيْل بن عبدالله بن مكحول العبدي، أبو الهذيل العلَّاف، مولىٰ عبدالقيس، من أئمة المعتزلة. ولد سنة: ١٣٥هـ، وتوفي سنة: ٢٣٥هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٤/ ٥٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢).

(٣) ينظر: الابانة (ص٢٠).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص ٢٩٧).

(٥) ينظر: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (ص ١١).

الكتاب نفسه أيضًا[١]، ونقل منه شيئًا كثيرًا في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطِّلة والجهمية»[٢]، ونقل منه أيضًا شيخُهُ ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحَمَويَّة»[٣]، وكذلك الإمام الذهبيّ في كتابه «العلو»[٤]؛ مما يدُلُّ علىٰ أنهم تيقَّنوا أن الأشعريّ رَحِمَهُ اللَّهُ كان علىٰ عقيدة السلف الصالح.

ولكنْ بعضُ أهل زمانه ومَنْ بعدهم وإلىٰ يومنا هذا، تمسَّكوا بعقيدته التي كان عليها في وسط حياته، والتي ألَّف عليها كُتُبَهُ علىٰ عقيدة ابن كُلَّاب، تمسَّكوا بها، وسَمَّوْا أنفسهم: أشعريَّةً وأشاعرة، وافتخروا بهذه النسبة، ولم يزالوا علىٰ ذلك.

فيقول الشافعية مثلًا: «نحن في المذهب: شوافع، وفي المعتقَدِ: أشاعرة»! فيقال لهم: لماذا لا تتَّبعون الشافعيَّ في الأمرَيْنِ: في العقيدة، وفي المذهب؟!

وكذلك يقول الحنفية: «نحن حنفيَّة في الفروع، وأشعريَّة في الأصول»!

فمذهب الأشاعرة هو الذي انتشَرَ انتشارًا كثيرًا، ولا يزال ينتحله كثيرون، ويفضِّلونه علىٰ غيره، ويناضلون ويجادلون في نصره بكل ما يستطيعونه، وفيه ألَّفوا كتبًا كثيرةً.

فمِن كُتُبِ المتقدِّمين: كتابُ «**الإرشاد**» لإمام الحرمَيْنِ الجُوَيْني، وهو مطبوع مشهور، شحنه بأصول المتكلِّمين، الذين يتكلَّمون في العقائد، ويجعلون تلك القواعد التي يقعِّدونها براهين وأدلة علىٰ ما يذهبون إليه.

---

(١) ينظر: حادي الأرواح (ص ٤٠٩).
(٢) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٨٦).
(٣) ينظر: الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ (ص ٤٩٢).
(٤) ينظر: العلو للعلي الغفار (ص ٢١٧).

ومنهم: الفخر الرازي، أبو عبدالله، محمد بن عمر، صاحب «التفسير الكبير»، ألَّف كتابًا سماه: «تأسيس التقديس»، وجعله في عقيدة الأشاعرة، وأهداه إلىٰ سلطان ذلك الزمان[1]، وانتشر هذا الكتاب؛ وهو مطبوع.

وفي القرن السابع أخرَجَ الله عالمًا من أهل السنة، وهو: ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لم يُبَالِ بمخالفة أهل زمانه، بل تعلَّق بالحق واعتقده، وأحيا مذهب السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وناقش أهل زمانه في العقيدة، وصدَعَ بالحق، فثاروا عليه في بلاده دمشق.

ولما اشتهَرَتْ عنه هذه العقيدة، وسَمِعَ به علماء مصر من الحنفية والشافعية الذين علىٰ المذهب الأشعري، رفعوا أمرَهُ إلىٰ السلطان في مصر، وقالوا: نريد أن يأتينا لنناظِرَهُ؛ حتىٰ لا يُفسِدَ علينا عقيدتنا، ولا يُفْسِدَ علينا جماهير الأمة؛ فإنهم علىٰ هذا المعتقد.

فكتب إليه السلطان أن يأتي إليهم؛ فذهب إليهم؛ وأقام سبع سنين أو ست سنين في مصر، كلُّها في جدالٍ ومناقشات.

فاجتمعوا، وتصدَّىٰ لمناظَرته أو لمجادَلته عالمٌ شافعيٌّ يقال له: ابنُ عَدْلَانَ[2]، ونصبوا لهم قاضيًا مالكيًّا يقال له: ابنُ مخلوفٍ[3]، فحضروا

(١) قال في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٤٧٠): «ألَّفه للسلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فبعَثَ له عنه ألف دينار». وينظر: تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٥٤).

(٢) الشيخ القاضي شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عَدْلان، أبو عبدالله الكناني المصري الشافعي، توفي سنة ٧٤٩هـ في طاعون القاهرة. ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر (٤/ ٢٩٨)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٩/ ٩٧).

(٣) أبو الحسن، زين الدين، علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النُّوَيْري، المالكي، قضىٰ بالديار المصرية نيِّفًا وثلاثين سنة، وتوفي سنة ٧١٨هـ. ينظر: أعيان العصر (٣/ ٥٤٢)، والدرر الكامنة (٤/ ١٥٢)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٣٢٥).

عنده، فقال ابنُ عَدْلَانَ: إنَّ هذا يقولُ: إن الله تكلَّم بالقرآنِ بحرفٍ وصوت، وإنه تعالىٰ علىٰ العرش بذاتِهِ، وإن اللهَ يشارُ إليه الإشارةَ الحسيَّة.

ونحن نقول: «إن كلام الله معنًىٰ قائم بذاته، والقرآن ليس هو كلام الله، وإنما هو حكاية أو عبارة، ولا نقولُ: إن الله علىٰ عرشه، بل نُنْكِرُ أن يكون الله علىٰ العرش، وأن يكون في السماء»! وأخذ يُدْلِي عليه بالحجج، فقال ابنُ مخلوف: «ما تقولُ يا فقيه؟».

فابتدأ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بمقدِّمة في الحمد والثناء علىٰ الله تعالىٰ، فقطعوا عليه حمده، وقالوا: ما جِئْنا بك لتخطُبَ؛ إنما جِئْنا بك لتحتج، فقال: مَنِ الحَكَمُ فِيَّ؟ فأشار له إلىٰ القاضي ابنِ مخلوفٍ، فقال: كيف تحكُمُ عليَّ، وأنت خَصْمي؟! فغَضِبَ القاضي، ولم يَجِدْ بُدًّا من أن كتب بسجن ابن تيميَّة[١]؛ فوافق علىٰ أن يُسجَنَ، وسجن سنتين أو أكثر، ولكن لم يتوقَّف عن الكتابة، بل كان يأتيه تلامذة له، ويلقون عليه أسئلة ويملي عليهم أجوبتها؛ فكتب في تلك المدَّة كتبًا كثيرة، حتىٰ جمع منها أكثر من عَشَرة مجلدات، تسمَّىٰ: «**الفتاوىٰ المصرية**»[٢].

وبعد أن أُخْرِجَ، حصَلَتْ مناظرةٌ بينه وبين المتصوِّفة؛ كأتباع عَدِيِّ بنِ مُسَافِرٍ[٣]، وغيرهم، فأنكروا عليه تشدُّده عليهم؛ وذلك لأنه ينكر علىٰ الصوفية أحوالهم الباطنة، فأعيد إلىٰ السجن مرَّة ثانية[٤]، ومكث فيه سنة

(١) ينظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة (ص ٢١٢و ٢٦٦)، والسلوك لمعرفة دول الملوك (٢/ ٣٩٢).

(٢) ينظر: العقود الدرية (ص ٥٤).

(٣) عديّ بن مسافر بن إسماعيل بن موسىٰ، الزاهد الشامي، ثم الهكَّاري سكنًا، تنسب إليه الطائفة العدوية، تبعه خلق كثير، وجاوزوا حتىٰ جعلوه قبلتهم التي يصلُّون إليها، توفي سنة: ٥٥٧هـ. ينظر: تاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٨)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥٤).

(٤) ينظر: العقود الدرية (ص ٢١٣).

أو سنتين أو ثلاثًا، وبقي هناك إلىٰ أن تخلَّص بعد ستِّ سنين من قدومه لمصر، فرجَعَ إلىٰ دمشق سنة إحدىٰ عشرة وسبعمائة.

وقد كان هناك علماء أجلَّاء؛ مثلُ: ابن الزَّمْلَكَانِيّ[1]، والسُّبْكي[2]، قد تمكَّن مذهب الأشعرية منهم، وتلقَّوْهُ عن مشايخهم، فصار مذهبًا راسخًا عندهم، فجاء شيخ الإسلام فصرَّح بمذهب أهل السنة، في صفة الاستواء، وصفة العلو، وبالصفات الفعلية والذاتية؛ فكان هذا مما كدَّر صَفْوَهم، ولسانُ حالهم يقولُ: «هذا سوف يُفْسِدُ علينا عقائدنا»، فرفعوا أمره إلىٰ نائب السلطان، فجمعهم، وقال لهم: ناظروه، فناظروه، وأحضر لهم «**العقيدة الواسطية**»، وقال: كتبتُها من نحو سبع سِنِينَ قبل مجيءِ التتار إلىٰ الشام، فقرئت في المجلس، وبُحِثَ فيها، فإذا هي آيات وأحاديث وأدلة وأقوال موافقة للحق، ولكنهم مع ذلك أخذوا يُنكِرونَ عليه الأمور التي صرَّح بها[3]، وقد ظهَرَتْ حجَّته عليهم، ولم يقدروا علىٰ مقاومته، لكنْ لم يرجعْ منهم إلا من قلَّ، بل بَقُوا علىٰ معتقدهم.

أخذ يدِّرس الناس ويعلِّمهم، وتتلمذ عليه: ابن القيِّم، وابن كَثِير، والذهبي، وابن عبدالهادي، وغيرهم، وقبلوا منه، وظهر تأثرهم بعقيدته السلفية، وظلوا علىٰ مذاهبهم في الفروع؛ فالشافعيّ منهم بقي علىٰ مذهبه الشافعي، ولكنه انتحَلَ مذهب أهل السنة؛ فابنُ كَثِير، والذهبي،

---

(١) محمد بن علي بن عبدالواحد بن عبدالكريم، كمال الدين بن الزَّمْلَكاني، الإمام القاضي، توفي سنة: ٧٢٧هـ. ينظر: فوات الوفيات (٤/ ٧)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٩/ ١٩٠).

(٢) تقي الدين، عليّ بن عبدالكافي بن علي السبكي، الشافعي والد بهاء الدين، وعبدالوهاب السبكي، فقيه أصولي مفسِّر، حافظ نحوي، مقرئ جدلي. ولد سنة ٦٨٣هـ بسُبْكٍ من قرىٰ محافظة المنوفية بمصر. من مصنفاته: «إبراز الحِكَم من حديث رفع القَلَم»، «وفتاوىٰ السبكي»، توفي سنة: ٧٥٦هـ. ينظر: أعيان العصر (٣/ ٤١٦)، والوافي بالوفيات (٢١/ ١٦٦).

(٣) ينظر: العقود الدرية (ص ٢١٩)، وذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥١١)، والدرر الكامنة (١/ ١٦٨).

ونحوهما شافعية، ومع ذلك أخذوا مذهب أهل السنة مع بقائهم علىٰ مذهب الشافعي، وابنُ عبدالهادي، وابن القيِّم حنابلة، وكلٌّ منهما بقي علىٰ مذهبه في الفروع، ولكنْ تغيَّروا عما كانوا عليه في باب العقيدة، وعما تَلَقَّوْهُ من قبلُ.

وقد أشار ابنُ القيِّم في «نونيته» إلىٰ أنه قبل أن يأتيه ابن تيميَّة قرأ علىٰ بعض المتكلِّمين، وتلقَّىٰ منهم بعض عقائد الأشعرية أو نحوها، ولكنْ أنقذه الله بابن تيمية[1].

فالحاصلُ: أن هؤلاء هم الذين جدَّدوا مذهب أهل السنة في هذا القرن، فتجدون كتب ابن القيِّم تعالج وتجادل في إحياء مذهب أهل السنة، ومنها: كتابه «**الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطِّلة**»، وأكثره مطبوع، وبعضه مفقود، وقد طبع مختصره كاملًا، وكتابه «**اجتماعُ الجيوش الإسلامية**»، وكلها تتعلق بالعقيدة.

وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتبٌ موسَّعة، أوضح فيها مذهب أهل السنة، منها:

«**نقض التأسيس**»، ردَّ فيه علىٰ الرازي في كتابه «**تأسيس التقديس**»، وهذا النقضُ موسَّعٌ أتىٰ عليه من الأساس، وفنَّد حججه بما يدل علىٰ أنها -وإن كانت مشتهرة- لكنها كبيت العنكبوت؛ لا تقوم عند مَن كان ذا بصيرة.

(١) قال ابن القيم في النونية (ص ١٤٣):

يَا قَوْمِ وَاللهِ العَظِيمِ نَصِيحَةٌ ... مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانِ
جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي ... تِلْكَ الشِّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيَرَانِ
حَتَّىٰ أَتَاحَ لِيَ الإِلَهُ بِفَضْلِهِ ... مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي
حَبْرٌ أَتَىٰ مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا ... أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانِ

و«**منهاج السنة النبوية**» ردَّ فيه علىٰ ابن المطهَّر الرافضي[١]، وقد بذل جهدًا في نصر السنة، ونقَدَ كتابه «**منهاج الكرامة في منصب الإمامة**»، ونقضه نقضًا كاملًا، وردَّ عليه ردًّا وافيًا فيما يتعلَّق بالصفات، وفيما يتعلق بالمذهب الرافضي في حججهم وشبهاتهم، وهو مطبوعٌ لمن أراد الاطلاع عليه.

وكذلك كتابه الثالث: «**العقلُ والنقل**»، ويعرف بهذا الاسم، وطُبِعَ في طبعته الأولىٰ باسم: «**مُوافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**»، ثم طُبِعَ طبعة أخيرة باسم: «**دَرْء تعارض العقل والنقل**»؛ وذلك لأن أكثر ما يحتج به الأشاعرة والفلاسفة هو العقل، فيقولون: «العقل ينكِرُ كذا، العقل لا يُقِرُّ بكذا وكذا».

فـ**أولًا**: أقنعهم بأن العقل ليس مرجعًا؛ بل المرجع الأساسي هو: الشرع، والسمع، والنقل.

وثانيًا: بيَّن لهم أن العقول الصريحة توافق المنقولات الصحيحة، ولا يحصل بينها أيّ تفاوت؛ فارجعوا إلىٰ عقولكم وحقِّقوها.

وثالثًا: بيَّن لهم أيضًا تناقضهم؛ فأحَدُهم يُثْبِتُ صفةً مثلًا ثم ينفيها! ففي نفيه يقول: «نفاها العقل»، وفي إثباتها يقول: «أثبتها العقل»! فيقالُ: كيف تغيَّر عقلك بين عشية وضحاها؟! عقلٌ واحدٌ ينفي ثم يُثْبِت؟!

ويأتيك عاقلان كلٌّ منهما يدَّعي أنه كامل العقل؛ فهذا يثبت هذه الصفات، وهذا ينفيها! فهذا دليل علىٰ أن العقول ليست مرجِعًا؛ فكيف يحكِّمونها ويجعلونها المرجع في السنة أو في المعتقد؟!

---

(١) الحسين بن يوسف بن علي بن المطهَّر الحِلِّيّ، جمال الدين، معتزلي، من كبار علماء الرافضة، توفي سنة: ٧٢٦ هـ. ينظر: الوافي بالوفيات (١٣/ ٥٤)، والدرر الكامنة (٢/ ١٨٨).

ولما جادلهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمثل هذه المجادَلاتِ، انقطَعَتْ شبهاتهم؛ فأحيا الله به السنة بعدما كادت أن تضمحِلَّ.

والعلماء الذين عاشوا في هذه الفترة وما قبلها لم يسكُتُوا، بل كانوا يكتبون، ولكنهم لا يَقْدِرونَ علىٰ التصريح، فكانوا يكتبون كتابات يعطونها لتلامذتهم:

ففي القرن الخامس: ظهر عالمٌ حنبليٌّ يقال له: القاضي أبو يَعْلَىٰ ابن الفرَّاء، كان قد قرأ في علم الكلام علىٰ المتكلِّمين، وعَلِقَ بذهنه شيء من علم الكلام، ولكنْ لما كان منتحِلًا لمذهب أحمد، لم يَجِدْ بدًّا من أن يقتني كتب أحمد، وكتب الحنابلة، ومن جملتها ما يتعلَّق بالعقيدة؛ فلأجل ذلك صار علىٰ العقيدة السليمة، وقد ألَّف رسالة صغيرة تتعلَّق بالاعتقاد، فأنكروا عليه وشنَّعوا، ووصفوه بأنه مجسِّمٌ ومشبِّهٌ، مع أنه قاضٍ معترَفٌ به، وعالم جليل، وله أيضًا كتاب مطبوع اسمه: «**إبطال التأويلات**»؛ يدُلُّ علىٰ أنه مُظهِرٌ للحق، وأنه علىٰ العقيدة السليمة، ولكنه لم يجرُؤْ مثلما تجرَّأ ابن تيميَّةَ علىٰ مناظرة أهل زمانه بالإنكار عليهم إنكارًا بليغًا.

ومثله: الإمام ابن قدامة الحنبلي، له مؤلَّفات في العقيدة، منها رسالة شرَحْناها مرارًا، هي: «لُمْعة الاعتقاد»، ومنها كتبٌ في إبطال التأويل، وفي صفة العلو[1]، ونحو ذلك، ولكنْ لم يكن جريئًا علىٰ أن يُظْهِرَ ويجادِلَ، ويخاصِمَ ويناضِلَ؛ وذلك لأن جلَّ اهتمامه بتلامذته، ولم يَرَ أن يجادِلَ أهل زمانه.

---

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩٢)، ومعجم الكتب (ص ٩٤). والكتابان: ذم التأويل جزء واحد، ومسألة العلو جزءان.

ولا شك أن هناك أئمَّةً وعلماءَ قد خالفوا عقيدة السلف في الأسماء والصفات، وذهبوا إلىٰ كثير من التأويلات، منهم: الإمام النَوَويُّ صاحب «رياض الصالحين»، و«شرح مسلم»، و«الأذكار»، و«المجموع شرح المهذَّب»، وله كتب كثيرة، ولكنَّ مشايخه الذين قرأ وتتلمذ عليهم في باب العقيدة أشاعرة؛ لأن المذهب الأشعري هو الذي عَمَّ في تلك البلاد، فلم يَجِدْ من يلقِّنه مذهب أهل السنة، وكأنه لم يشتغِلْ إلا بمذهب الشافعي، وكتب مشايخه القريبين، فتأثَّر بأهل زمانه، واعتقد ما هم عليه، فذهب إلىٰ تأويل آيات الصفات وأحاديثها، كما في كتاب **«رياض الصالحين»**، و**«شرح صحيح مسلم»**؛ فإذا مرَّت به أحاديث فيها صفاتٌ فعليَّةٌ يتأوَّلها؛ كحديث النزول، أخذ يتأوَّله تأويلات بعيدة، وينكر أن يكون النزول الحقيقي يليق بالله[1].

ومنهم: الحافظ ابن حَجَر، وهو شافعيُّ المذهب، شرَحَ **«صحيح البخاري»**؛ مرَّت به الأحاديث في أوَّل «كتاب الإيمان»، وآخِرِ «كتاب التوحيد»، من **«صحيح البخاري»**، فكان كثيرًا ما يسلِّطُ عليها التأويلات، وينقُلُ تأويلات مشايخه والعلماء الذين قرأ عليهم[2]، مع أنه أيضًا قرأ لابن تيميَّة، ولابن القيِّم، ونقل عنهما، ولكنْ تأثَّر بمشايخه من الشافعية، حتىٰ إنه لما ترجم لابن تيميَّة في بعض كتبه، جمَعَ المثالبَ التي أُنْكِرَتْ

(١) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ٣٦).
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٣٠)، (١٣/ ٣٩٠).

عليه، وقال: «إنه يقالُ عنه كذا وكذا»، ولو كان قد أجاب عنها، ولو أنه مدحه بما مدحه به[١]، لكنْ أخطأ في مثل هذا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا بسبب تأثُّرهم بعلماء زمانهم، ولا شكَّ أن أهل الزمان لهم تأثيرٌ علىٰ غيرهم؛ فلذلك علىٰ الإنسان أن يختار مِن مشايخه أهلَ الثقةِ الذين يَثِقُ بعقيدتهم حتىٰ يكونوا قُدْوةً له، فإذا أخذ من علماء المبتدِعةِ، تأثَّر بهم.

وكثيرٌ ممَّن تمذهب بالمذهب الشافعي، لا يوجد فيهم من تمسَّك بعقيدة السلف إلا نادرًا، وممَّن تمسَّك بذلك: الإمامُ أبو بكرٍ الإسماعيليُّ، وهو شافعي المذهب، قرأ علىٰ المحدِّثين، وأخذ العقيدة الصحيحة من كتب الحديث، ولكنْ ورد في عقيدته بعض الكلمات التي أخذها من مشايخَ انتحَلُوا عقائد مخالفة، وهي: إنكارُ الأعراض، وإنكارُ الأجزاء، وما أشبه ذلك، وعلَّق علىٰ ذلك محقِّق الكتاب[٢]، جزاه الله خيرًا.

وسبب ذلك: أن هؤلاء غالبًا مَّا يأخذون من مشايخهم، ويُحْسِنونَ بهم الظن، وقع ذلك حتىٰ مِن بعضِ علماء المذهب الحنبلي.

(١) ترجم الحافظ ابن حجر لشيخ الإسلام ابن تيمية في الدرر الكامنة (١/ ١٦٨)، كما أثنىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ شيخ الإسلام وابن القيم في تقريظه علىٰ الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص٢٤٦-٢٤٨)؛ فقال: «الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باقٍ إلىٰ الآن علىٰ الألسنة الزكية، ويستمر غدًا كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره أو تجنب الإنصاف... ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية، صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف، لكان غاية في الدلالة علىٰ عظم منزلته...».

(٢) هو الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.

فمن الحنابلةِ المتأخِّرينَ: السَّفَّارِينِيُّ[(١)]، وهو عالم جليل في القرن الحاديَ عشَرَ، وله الرسالة المنظومة في العقيدة، شرحها شرحًا واسعًا في كتابه الذي سماه: «**لوامع الأنوار البهيَّة**»، وفي بعض الطبعات: «**لوائح الأنوار البهيَّة**»، وتوسَّع في شرحه، ومع ذلك وقع في شيء من المخالفات؛ كما في قوله:

وَلَيْسَ رَبُّنَا بِجَوْهَرٍ وَلَا عَرَضْ وَلَا جِسْمٍ تَعَالَىٰ ذُو الْعُلَا[(٢)]

وناقشه مشايخنا ومشايخ مشايخنا، وبيَّنوا أن هذا من الخطأ.

فنَعْرِفُ بذلك: أن البيئة لها تأثير، وأن المجتمع له أثره، وأن المشايخ الذين يدرُسُ عليهم العالمُ يكون لهم تأثير فيه؛ فلأجل ذلك يظهر أثرهم على هؤلاء، **ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ**.

فهذه مقدِّمة لبيانِ مراحلِ العقيدة، وكيف وصَلَتْ، وكيف اتسَعَتْ.

(١) محمد بن أحمد بن سالم، أبو العون، شمس الدين، السفَّاريني الشهرة والمولد، النابلسي الحنبلي الإمام، صاحب التآليف الكثيرة، منها: شرح ثلاثيات مسند أحمد، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، توفي سنة: ١١٨٨هـ. ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٤/ ٣١)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٤).

(٢) ينظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ١٨١).

بداية شرح الكتاب

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن مذهبَ أهلِ الحديثِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: الإقرارُ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ، وقَبُولُ ما نطَقَ به كتابُ الله تعالىٰ، وما صَحَّتْ به الروايةُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا مَعْدِلَ عمَّا ورَدَ به، ولا سبيلَ إلىٰ ردِّه؛ إذْ كانوا مأمورين باتِّباعِ الكتاب والسنة، مضمونًا لهم الهُدَىٰ فيهما، مشهودًا لهم بأنَّ نبيَّهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِي إلىٰ صراطٍ مستقيم، محذّرين في مخالفتِهِ الفتنةَ والعذابَ الأليم].

الشَّرح

قال سماحة الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن الجِبْرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا ابتدَأَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكأنَّ الراوي حذف المقدِّمةَ؛ لأن عادة المؤلِّفين: أن يبدؤوا بمقدمة فيها حمد الله والثناء عليه، والدوافع للكتابة في الموضوع، ولم يُذكَرْ في هذه الرسالة، فإما أن يكون المؤلِّفُ اقتصر علىٰ العقيدة، ولم يذكر المقدِّمة، وإما أن يكون بعضهم اختصر المقدِّمة، وترك ما لا ضرورة إليه، وذكَرَ ما به حاجة ماسَّة.

قوله: **(اعلموا)**:

الخطابُ عامٌّ للمسلمين الذين يَقْبَلُونَ الإرشادات، والتعليمات، ويتقبَّلون النصائح التي تُوجَّهُ إليهم؛ فإنهم الذين ينتفعون بما أمروا به.

فالأمرُ بقولـه: (**اعلمـوا**)، أمـرُ إرشـادٍ وتوجيـهٍ ونصيحـة، ومعنـاه: أنـه يأمُرُ المخاطبين، فـإن أرادوا الخير وامتثلوا، فإنهم مفلحون، ومن خالـف ذلـك وصـدَّ عنـه، اعتُبِـرَ مخالفًـا للنصيحـة ورادًّا لهـا.

وقوله: (**رحمنا الله وإياكم**):

دعـا في أول الرسـالة للمخاطبيـن بالرحمـة، فبدأ بنفسِـهِ فدعـا لهـا، ثـم للمخاطبيـن.

وفيـه: دليـلٌ علـىٰ أنـه يُثبِـتُ صفـة الرحمـة، وأن الله تعالـىٰ واسـع الرحمـة، وأنـه رحيـمٌ بعباده، والرحمـة صفـة فعليَّـة يَرْحَـمُ الله بهـا مـن يشـاء مـن خلقـه، وقـد اشـتُقَّتْ مـن اسـمين رقيقَيْـنِ لله تعالـىٰ، أحدهمـا أَرَقُّ مـن الآخـر[1]: الرحمـن، والرحيـم؛ فالرحمـة: صفـة لله تعالـىٰ ثابتـة؛ فهـو يرحـم مـن يشـاء مـن خلقـه، وقـد وضـع الله الرحمـة في قلـوب عبـاده، فأخـبر النبـيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ اللهَ جَعَـلَ الرَّحْمَـةَ مِائَـةَ جُـزْءٍ؛ فَأَمْسَـكَ عِنْـدَهُ تِسْـعَةً وَتِسْـعِينَ جُـزْءًا، وَأَنْـزَلَ فِـي الأَرْضِ جُـزْءًا وَاحِـدًا؛ فَمِـنْ ذَلِـكَ الجُـزْءِ يَتَرَاحَـمُ الْخَلْـقُ، حَتَّـىٰ تَرْفَـعَ الْفَـرَسُ حَافِرَهَـا عَـنْ وَلَدِهَـا؛ خَشْـيَةَ أَنْ تُصِيبَـهُ**»[2]، وتلـك رحمـةٌ وضَعَهـا الله تعالـىٰ في قلـوب الأبوَيْـنِ وغيرهمـا.

والرحمـةُ في حـقِّ المخلـوق: رِقَّـةٌ وشـفقةٌ علـىٰ مـن يرحمـه، يَـرِقُّ قلبـه للـذي أشـفق عليـه حتـىٰ يَحْـرِصَ علـىٰ إيصـال الخيـر إليـه، ودفـع الشـر عنـه.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥).

(٢) أخرجـه البخـاري، كتـاب الأدب، بـاب جعـل الله الرحمـة مائـة جـزء، حديـث رقـم (٦٠٠٠)، ومسـلم، كتـاب التوبـة، بـاب سَـعَة رحمـة الله تعالـىٰ وأنهـا سـبَقَتْ غضبـه، حديـث رقـم (٢٧٥٢)، مـن حديـث أبـي هريـرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وثبت أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ**»(١)، وقال لمن رأىٰ قلبه قاسيًا: «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!**»(٢)؛ فأفاد أن الله تعالىٰ يضعُ الرحمةَ في القلوب.

والكلامُ هنا في رحمة الله تعالىٰ، وأنَّ اللهَ رحيمٌ يرحم من يشاء من عباده؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت: ٢١]، وأن مَنْ رَحِمَهُ، فقد سَعِدَ؛ كما في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقوله: (**أنَّ مذهبَ أهلِ الحديثِ**):

المَذْهَبُ: هو المَسْلَكُ؛ يقالُ: هذا مذهبُ فلانٍ، يعني: طريقه الذي ذهب منه وسلكه، ولكنِ اصطُلِحَ علىٰ أن المراد بالمذهب: القولُ الذي يُقتدىٰ به بعده، أو الذي يختاره ويرجِّحه، ويسمَّىٰ مذهبًا له، يعني: مسلكًا سلكه، وقولًا اختاره ورجَّحه علىٰ غيره بدليل اقترن به؛ فالمذاهبُ: يرادُ بها: الأقوال التي تنسب إلىٰ أربابها.

ويُطلَقُ المذهب علىٰ قول قاله إمام مجتهد ومات وهو متمسِّكٌ بهِ؛ سواءٌ اقتُدِيَ به فيه، أو لم يُقتَدَ به.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم (٥٩٩٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم (٢٣١٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم (٥٩٩٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم (٢٣١٧)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وهنا أضاف المَذْهَبَ إلىٰ أهل الحديث، فقال: (**مذهبُ أهلِ الحديث**)؛ اختارهم وخصَّهم؛ لأنهم أقرب إلىٰ الصواب، والنجاة، والفلاح، وهم القدوة، فمن يريد أن يقتدي بهم، ويسير علىٰ نهجهم، فليسلك هذا الطريق، وليتمسَّك بهذا المذهب.

ومعلوم: أن أهل الحديث هم الذين تمسَّكوا به؛ لأنهم رووا الأحاديث وحفظوها ودوَّنوها، واشتغلوا بها، وفتَّشوا في صحيحها وضعيفها، ونقَّبوا فيما يصلُحُ أن يُقبَلَ، وما لا يصلُحُ أن يُقبَلَ، فصار ديدنهم وشغلهم الشاغل هو: الاشتغال بالحديث.

والمرادُ بالحديث: **حديثُ النبيِّ** ﷺ، يعني: الأحاديث التي ينقلونها.

وكان الصحابة رضي الله عنهم في أوَّل أمرهم يقبلون الحديث ممَّن رواه وممن نقله، ولكنْ بعدما دخل في الإسلام من ليس بمسلم صحيح الإسلام، وأخذوا يختلقون أحاديثَ وأقوالًا، وينسُبُونها إلىٰ النبيِّ ﷺ -: اهتمَّ المسلمون، واهتمَّ الصحابة رضي الله عنهم والعلماء بالأحاديث، فألزموا كلَّ من روىٰ حديثًا أن يذكُرَ من حدَّثه به.

قال الإمام مسلم في مقدِّمة كتابه: «**كانوا لا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعبَ والذَّلُولَ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ...**»[(١)].

فصاروا لا يَرْوُونَ الحديثَ ولا يقبلونه إلا إذا عرَفُوا سنده، وبحثوا في رجاله الذين نقَلُوهُ وترجموهم، وذكَرُوا ما يقال فيهم، ومن هو أهلٌ أن يكون محدِّثًا حافظًا، ومن ليس كذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٣)، عن ابن سيرين.

واشتغَلَ به علماء مثلُ الإمام البخاري؛ فكان شغله في الحديث طول حياته، ومثلُ الإمام أحمد، وصاحبه يحيىٰ بن مَعِين، وله تاريخ وتراجم مطبوعة، ومثلُ عليّ بن المَدِينيِّ، وله كتب مطبوعة، ومثلُ الإمام مسلمٍ، وأصحابِ السننِ الأربعة، وغيرهم، وكذلك من قبلهم اشتغلوا بالأحاديث، بنقلها وبتتبُّعها وردِّ ما ليس بثابت ولا صحيح، وتثبيتِ الثابتِ الصحيح، وقَبُولِ رواية هذا، وردِّ رواية هذا؛ فكان شغلهم الدائم في الأحاديث، فإذا جلسوا في مجلس، فليس لهم إلا مدارسة الحديث فيما بينهم، في حفظ الروايات وطرقها، واختلافها، وتراجِمِ الرواة جرحًا وتعديلًا.

فدائمًا شغلهم في التنقيب عن الأحاديث؛ فلذلك سُمُّوا: أهل الحديث، وكفىٰ بهذا الاسم شرفًا؛ وذلك لأنه حديث النبي ﷺ، الذي أضيف إليه.

وقوله: **(أهل السُّنَّةِ والجماعةِ):**

أي: أهل السنة، وأهل الجماعة، وكلمةُ «السنة»: اسمٌ للطريقةِ التي يُسار عليها؛ كما روي عن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه قال: **«سَنَّ رسولُ اللهِ ﷺ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ...»**[1].

فالسُّنَنُ: هي الطرق، والسَّنَنُ: الطريقةُ[2]، وقد قال النبيُّ ﷺ: **«لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ»**[3]، يعني: طُرُقَهم، أو: طريقتهم.

---

(١) أخرجه أبو بكر الخلال في السنة (٤/ ١٢٧)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٠٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (١/ ٣٥٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٦).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٢٢٦): (س ن ن).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٦)، ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارىٰ، حديث رقم (٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولما قال له بعض أصحابه: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ أَكْبَرُ؛ إِنَّهَا السُّنَنُ**»[1]، يعني: الطرُقَ المسلوكة قبلكم تسيرون عليها.

فالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرع لأمته هذه الطرق، وسُمِّيَتْ: سُنَّةً؛ لأنه بيَّنها ووضَّحها ليسيروا عليها، وهي الأوامر والنواهي، والأقوال والإرشادات.

وتُطلَقُ السُّنَّةُ علىٰ أحاديث النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتُقابِلُ القرآن؛ كقولك: «أعطني دليلًا من الكتاب والسنة»، ومرادُكَ بالسنة: الأحاديث، فجعلت الأحاديث هي السُّنَّةَ؛ لأنها الطريقة التي بيَّنها النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أطلقت السُّنَّةُ علىٰ العقيدة السليمة، وكثيرٌ من العلماء سَمَّوْا كتبًا لهم بالسُّنَّة؛ كالإمام أحمد، وولده عبدالله، وتلميذه أبي بكر الخَلَّال[2]، وابن أبي عاصم[3].

ويراد بالسنة هنا: ما يُعتقَدُ، ولا تدخُلُ فيه سُنَنُ الأفعال.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢١٨٩٧)، والترمذي، أبواب الفتن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء لَتَرْكَبُنَّ سنن من كان قبلكم، حديث رقم (٢١٨٠)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عن اتباع هذه الأمة سنن من قبلهم من الأمم، حديث رقم (٦٧٠٢)، واللفظ له، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلَّال الحنبلي، الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، سافر لجمع علوم الإمام أحمد، وصنَّفها كتبًا، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أجمع منه لذلك، توفي سنة: ٣١١ هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧).

(٣) أحمد بن عمرو بن الضحَّاك بن مَخْلَد الشيباني، إمام حافظ بارع، متبع للآثار، كثير التصانيف، قَدِمَ أصبهان علىٰ قضائها، ونشر بها علمه، توفي سنة: ٢٨٧ هـ. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٦٧)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ١٠٤)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٠).

أما كتاب «**السنة**» لمحمد بن نصر المَرْوَزي[(١)]، فيتعلَّق بالأحاديث والذبِّ عنها وتصحيحها وما يقال فيها، ولا يتعلَّق بالعقيدة.

ولبعض المتأخِّرين -وهو ابنُ الوزيرِ، وهو عالم يماني[(٢)]-: كتابٌ مطبوع اسمه: «**الروض الباسم في الذبِّ عن سنة أبي القاسم**»، ويراد بالسنة هنا: الأحاديث، وكذلك أيضًا: الأعمال.

والحاصلُ: أن أهل العقيدة السلفية يُسَمَّوْنَ: أهلَ الحديث، ويُسَمَّوْنَ: أهلَ السنة، ويُسَمَّوْنَ: أهلَ الجماعة.

ويراد بـ «الجماعة»: المجتمِعونَ علىٰ الحق والخير؛ فتجمعهم عقيدة سليمة، ولو كان غيرهم أكثر منهم.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تحُثُّ علىٰ لزوم الجماعة؛ كما في حديثِ حُذَيْفةَ رَضِيَالله عَنْهُ المشهور، قال: قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»[(٣)]، وحديثِ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ**»[(٤)]، وحديثِ: «**وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[(٥)].

---

(١) أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجَّاج المروزي، إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، قَدِمَ بغداد، وحدَّث بها عن ابن المبارك، وغيره، روىٰ عنه: عبدالله بن أحمد بن حنبل، توفي سنة: ٢٩٤هـ. ينظر: تلخيص تاريخ نيسابور (ص ٥٨)، وتاريخ بغداد (٤/ ٥٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣).

(٢) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضىٰ بن المفضَّل الحَسَني اليماني الصنعاني، المعروف بابن الوزير، إمام كبير مجتهد، صنف في الرد علىٰ الزيدية: «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم»، وكثرت تصانيفه، توفي سنة: ٨٤٠هـ. ينظر: الضوء اللامع (٦/ ٢٧٢)، والبدر الطالع (٢/ ٨١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦٠٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، حديث رقم (١٨٤٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١١٤)، والترمذي، أبواب الفتن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم (٢١٦٥)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب عشرة النساء، باب خَلْوة الرجل بالمرأة، حديث رقم (٩١٨١)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَالله عَنْهُ، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٦٧٣٨)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، حديث رقم (٣٠٥٦)، من حديث جبير بن مطعم رَضِيَالله عَنْهُ.

أُطْلِقَتِ الجماعةُ علىٰ أهل العقيدة السليمة، ولو قلُّوا في بعض الأزمنة؛ فالأصل أنهم السوادُ الأعظم، وأنهم الأكثرية، ولكنْ قد يقلُّون في بعض الأزمنة.

ولابن الجَوْزيِّ كتاب اسمه: «**تلبيس إبليس**»، وفي بعض الطبعات: «**نقد العلم والعلماء**»، بدأه بمقدِّمة في الحثِّ علىٰ لزوم الجماعة[1]، وكأنه يشير إلىٰ أن الأكثرين غالبًا أقرب إلىٰ الصواب، ولكنْ لو قُدِّرَ أن الصواب صار مع غيرهم، فإنا نأخذ بمن معه الصواب، ولو كانوا قليلًا؛ فالحقُّ حقٌّ وإن قلَّ أهله، والباطلُ باطلٌ وإن كَثُرَ أهله.

وقد يراد بـ «الجماعة»: أهلُ القرون المفضَّلة، وقد تقدَّم أن القرن الأول -وبالأخص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- كلهم علىٰ الحق، لم يُذْكَرْ فيهم مبتدع، وأن القرن الثاني -وهم التابعون- الأصل فيهم: أنهم علىٰ الحقِّ، سيما الذين أخَذُوا العلم عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن تلامذتهم -تابعي التابعين- الأصل فيهم أنهم علىٰ الصواب، وعلىٰ الحق، وأن القرن الرابع وما بعده هو الذي كَثُرَتْ فيه البدع، وكادت السنة أن تختفي.

فقد يقال: إن الجماعة هم السلَفُ الصالح، أهل القرون المفضَّلة، القرون الثلاثة الذين زكَّاهم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: (**الإقرارُ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ**):

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان عقيدتهم، وأوَّلُها: الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس، الباب الأول: في الأمر بلزوم السنة والجماعة (ص ٨ ومابعدها).

عبَّر بالإقرار، وهو: الاعتراف، أَقَرَّ بالشيء، يعني: اعترَفَ به[١].

وقد يقال: لماذا لم يُعَبِّرْ بالإيمان؛ كما ورَدَ في حديثِ جبريل: أن النبيّ ﷺ قال له: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٢]، قال: تُؤْمِن، ولم يقُلْ: تُقِرّ، وكأن المؤلف اختار الإقرار؛ لأنه يريدُ به: الاعترافَ الظاهر الذي يسمع من المعترف، علىٰ رؤوس الأشهاد، وكأنَّ الإيمانَ خَفِيٌّ؛ لأنه تصديق القلب ويقينه وعقيدته، والإقرارُ: إظهارٌ للشيء الذي أقرَّ به، وإعلانٌ له وتمسُّكٌ به.

ولا شكَّ أن مَنْ أظهر هذا، فإننا نشهد له بالإيمان، فمن أظهر الاعتراف، وقال: أنا أُقِرُّ وأعترِفُ بأن الله تعالىٰ هو إلهنا، وأنه أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الخلق، وأن له ملائكة كرامًا كاتبين، فإن ذلك يُقْبَلُ منه.

والمؤلِّف هنا لم يذكُرْ إلا أربعة أركان: (**الإقرارُ بالله، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسله**)، فلم يذكُرِ اليوم الآخر، ولم يذكُرِ القدَرَ، ولكنه سيذكر ذلك فيما بعد، وإنْ لم يفصِّل فيهما تفصيلًا.

ولا شك أن الإقرار بهذه الأربعة يستلزِمُ الإقرار بغيرها؛ فمَنْ أَقَرَّ بالله، لزمه أن يقرَّ بوجوده، وقدرته، وتصرُّفه، وتدبيره، وخلقه، وعلمه، وسائر صفاته التي وصَفَ بها نفسه، يُقِرُّ بذلك ويعترف به، فهذا هو الأصل.

ولأجل ذلك نجدُ كثيرًا من الأحاديث ذكَرَ فيها الإيمانَ بالله واليوم الآخر، دون بقية أركان الإيمان؛ مثل قوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ**

---

(١) ينظر: العين (٥/ ٢٢): (ق ر ر)، ولسان العرب (٥/ ٨٨): (ق ر ر).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقَدَر وعلامة الساعة، حديث رقم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[١]، وقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَىٰ مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَىٰ زَوْجٍ»[٢]؛ فاقتصر علىٰ الإيمان بالله واليوم الآخر.

فالإيمان بالله هو الأصل، يدخُلُ فيه التوحيد بأنواعه، وتدخُلُ فيه أخبار الله تعالىٰ، والإيمانُ برسله؛ لأنهم جاؤوا بما أرسلهم به، والإيمانُ بكتبه؛ لأنها اشتمَلَتْ علىٰ كلامه، وعلىٰ وَحْيِهِ، وعلىٰ إرشاده، ويدخُلُ فيه الإيمانُ بوعده وبوعيده ونحو ذلك، فمَنْ آمن بالله، أتبَعَ إيمانه كل ما أخبر الله به، وكل ما جاء عن الله تعالىٰ.

ومعلوم أن الإنسان إذا آمن بالله:

فإنه: يؤمن بوجود الله تعالىٰ؛ ويُرَدُّ بذلك علىٰ الشيوعيين والدهريِّين، والفلاسفة والطبائعيِّين[٣]؛ لأنهم لا يعترِفُونَ بخالق، بل الأمر عندهم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الوَصَاة بالنساء، حديث رقم (٥١٨٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، حديث رقم (٤٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إحداد المرأة علىٰ غير زوجها، حديث رقم (١٢٨٠)، ومسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، حديث رقم (١٤٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «الدَّهْري» - بالفتح - هو: الملحِدُ الذي يقول بقِدَم الدهر وإسنادِ الحوادثِ إليه. و«الفلاسفة الإلهيون»، وهم أتباع أرسطو، يثبتون إلهًا خالقًا، ولكنهم يقولون: إن هذا الخلق قديم، ليس له بدء، وينكرون بعث الأجساد، ويدَّعون أن هذا الخلق لا يَفْنَىٰ بل هو باقٍ، وقد يُسَمَّوْنَ بالدهريين، و«الفلاسفة الطبائعيون» ينكرون الخالق، فيجعلون الأمر مسندًا للطبائع، وزعموا أن النفس تموت ولا تعود، وجحدوا الآخرة والجنة والنار، وقد ردَّ عليهم العلماء، ومنهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كما في مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١١٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٦٨)، وغيرها من كتبه. وينظر: الملل والنحل (٢/ ١١٦، ٦٢، ٦١)، وغاية المرام في علم الكلام (١/ ٢٩٣)، وتلبيس إبليس (ص٤٩)، والكليات (ص ٤٤٦)، وتحرير ألفاظ التنبيه (ص ٢٥٠).

مسند إلىٰ الطبائع، وهي التي تؤثِّر في الكون، ويقول بعض المتأخرين في منظومة[1]:

وَلا نُصِيخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوهُ بِمَا ... يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أَوْ إِيَّاهُ يَعْتَقِدُ
يَرَىٰ الطَّبِيعَةَ فِي الْأَشْيَا مُؤَثِّرَةً ... أَيْنَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُولُ إِذْ وُجِدُوا؟!

يعني: أين الطبيعةُ إذْ وُجِدتَّ قبل أن يوجدوا؟! وأين الطبيعة بعدما وُجِدُوا؟!

فهؤلاءِ الطبائعيُّونَ لا يؤمنون بوجود الله تعالىٰ، والمسلِمُ يعتقِدُ بوجود الله تعالىٰ ويعترفُ بذلك.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**ثلاثة الأصول**»: «إذا قيل لك: بِمَ عرَفْتَ ربَّك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته»[2]. يعني: عرفته بآياته، ومنها: الليلُ والنهار، والشمسُ والقمر، وبمخلوقاته، ومنها: السموات والأرض وسائر المخلوقات؛ فهذه دالَّة علىٰ أن لها خالقًا.

ولمَّا تكلَّم ابن كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»، عن أول آية فيها أمرٌ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، قال: «هذه سِتُّ دلالاتٍ نصبها الربُّ تعالىٰ؛ لِيَعْرِفَهُ بها العباد، ويعترفوا بأنه ربهم»[3].

---

(١) القائل هو الشيخ حافظ الحَكَمي في منظومته «الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة» (ص٣٤).
(٢) ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع (ص ٩).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٤).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾، أي: الذي خلَقكم وأوجَدكم وقد كنتم معدومين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، هم: الآباءُ والأجدادُ والأسلاف؛ فإنَّ النعمة علىٰ الوالدين نعمة علىٰ الأولاد.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، أي: وِطَاءً وبساطًا ليِّنًا تجلسون عليه، وتتقلَّبون عليه كما تشاؤون، وفيها آيات عظيمة.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: رفَعَ السماء، وجعَلَها سقفًا محفوظًا وبناءً فوقكم.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: لا يَقْدِرُ الخلقُ أن يُنزِلوه.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: جعَلَ الأرض لينة تقبل أن تُنبِتَ النباتَ الذي فيه غذاؤكم، وبه تتم حياتكم.

فهذه آيات بينات، ثم ذكر ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا ونقولًا عن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، يستدلُّون بها علىٰ وجود الخالق؛ فذكر عن أبي حنيفة: أن بعض الزَّنَادِقَة سألوه عن وجود الباري تعالىٰ؟ فقال لهم: دعوني؛ فإني مفكِّرٌ في أمرٍ قد أُخْبِرْتُ عنه، ذكروا لي: أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحدٌ يحرُسُها ولا يسوقها، وهي تذهب وتجيء، وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتىٰ تتخلَّص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها مِنْ غير أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيءٌ لا يقوله عاقلٌ، فقال: ويحكم! هذه الموجوداتُ بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياءِ المحكَمةِ ليس لها صانع؟!

فبُهِتَ القوم، ورجعوا إلىٰ الحق، وأسلَمُوا علىٰ يديه[١].

وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا السؤال؟ فقال: هاهنا حصنٌ حصينٌ أملس، ليس له باب ولا مَنْفَذ، ظاهرُهُ كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدَعَ جداره، فخرج منه حيوانٌ سميع بصير ذو شكل حسَنٍ وصوتٍ مليح. يعني بذلك: البيضةَ إذا خرجت منها الدجاجةُ[٢].

يشير بذلك إلىٰ بَيْض الطير؛ فالطير تخرُجُ منه البيضة ميتة ليس فيها أدنىٰ علامة، ومع ذلك يتكوَّن فيها الفرخ، ويتغذىٰ من وسطها، ثم بعد ذلك يخرُجُ بإذن الله؛ فالله تعالىٰ هو الذي كوَّنه حيوانًا صغيرًا، ثم بعد ذلك أكل وتنامىٰ إلىٰ أن خرج حيوانًا كبيرًا يستطيع أن يطير ويتقلَّب.

أليست عناية الله تعالىٰ بهذا الطائر في هذه البَيْضةِ تدُلُّ علىٰ أنه كوَّنه وقدَّره كما يشاء؟! والآيات والعلامات كثيرة.

وقد تكلَّم ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوَّل كتابه «**مفتاح دار السعادة**»[٣] في نحو أكثر من ستين صفحة، كلُّها في التفكُّر والتأمُّل في المخلوقات، والاستدلال بها علىٰ قدرة الخالق.

فجعَلَ ذلك في فصول، فهو يقول مثلًا: فصلٌ: تأمَّل خلق الإنسان كيف خُلِقَ من كذا؟! وكيف ركَّب فيه كذا وكذا؟! ثم تأمَّل خلق

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).

(٢) ذكرها ابن كثير في التفسير (١/ ١٩٧).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢١٤).

الحيـوان، وأخـذ يفصِّـل الحيوانـات، ثـم تأمَّـل خلـق الأرض، ومـا فيهـا مـن كـذا وكـذا، وتأمـل خلـق كـذا وكـذا.

وفي أثناء كلامه يقول:

فسَـلِ المعطِّـلَ: مَـنِ الـذي جعـل النـور في العينيـن، يمتـد ويبصـر القريـب والبعيـد؟!

سـل المعطِّـلَ: مَـنِ الـذي فتَـحَ الآذان، وجعَلَهـا مدخـلًا للصـوت؛ بحيـث إن الصـوت يصـل إلـىٰ الدمـاغ، ويتصـوَّرُ السـامعُ مـا يقولـه إنسـان وحيـوان وطيـر ونحـو ذلـك؟!

سـل المعطِّـلَ: مَـنِ الـذي ركَّـب الفـؤاد، وجعـل فيـه العقـل الـذي يميِّـز بيـن الأشـياء، وفـرَّق بـه بيـن الإنسـان وبيـن غيـره مـن الـدوابِّ؟!

سـل المعطِّـلَ: مـن الـذي ركَّـب للطيـرِ الأجنحـةَ يطيـر بهـا، ويتصـرَّف بهـا كمـا يريـد؟! ونحـو هـذه الأشـياء.

وتكلَّم أيضًا في كتابه: «**التبيان في أقسـام القرآن**»[١]، عند تفسير سـورة الذاريات، في قولـه تعالـىٰ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]، فأطـال في ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾، فشـرح مـا في الإنسـان مـن العجائـب، كأنـه أعلـم مـن المشـرِّحين الذيـن يُشـرِّحون المخلوقـات، فوصـف كل عضـوٍ في الإنسـان مـن رأسـه إلـىٰ إبهامـه، فـلا شـك أن هـذه آيـاتٌ بينـات عظيمـة.

وكلُّ هذا يدخل في الإيمان بالله.

---

(١) التبيان (ص٣٠٣).

فمن الإيمانِ بالله: الإيمانُ بأنَّ الله تعالىٰ موجود، وأنه الخالقُ المتفرِّدُ بالخلق فلا خالق غيره؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، فهو الذي انفرَدَ بخلق المخلوقات، ولا يكونُ في الوجود إلا ما يُريدُ؛ قال تعالىٰ: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١].

ولا شك أن الاعتراف لله تعالىٰ بأنه الخالق يزيدُ الإنسان تعظيمًا للرب تعالىٰ؛ وذلك إن اعترَفَ بأن الخلق كلَّه خلق الله، وأن ما في الوجود كله بإيجاده، وليس فيها ذَرَّةٌ من خلق أحد، وأن الإنسان مهما اخترع لا يَقْدِرُ أن يخلق مثل خلق الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

فلو حاول الإنسان مثلًا أن يخلُقَ ذبابًا أو ذَرَّةً يجعلها متحرِّكة بطبعها، فيركِّب فيها عينيها، وأذنيها، وأقدامها ومفاصلها، ونحو ذلك، لو اجتمع الخلق كلهم علىٰ أن يخلقوا ذَرَّةً، أو بعوضةً فيها نَفْسٌ، وروح، وحركة طبيعية اختيارية، فلن يقدروا علىٰ ذلك. أما التصوير، فإنه يسمَّىٰ تصويرًا، وقد توعَّد الله الذين يصوِّرون -كما في الحديث القدسي-: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»**[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور، حديث رقم (٥٩٥٣)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة، حديث رقم (٢١١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قد يقال: إنَّهم الآنَ يخلُقُونَ حبًّا كالأُرْزِ الصناعيِّ وما أشبهه، لكنْ ليس مثل خلق الله، فإذا صنَعُوا مثلًا البُرَّ، فإنه ليس مثل البُرِّ الذي خلقه الله تعالىٰ ينبُتُ إذا بُذِرَ؛ البُرُّ الطبيعيُّ أو نحوه إذا دُفِنَ في الأرض وسقي، نبت فوق الأرض وأزهر وسنبل، أما هذا، فإنهم يأخذون شيئًا من الأرز مثلًا ثم يطبخونه ثم يدخلونه في ماكينات ويقسِّمونه إلىٰ حبَّات يسيرة، ثم يجعلونه طعامًا، ما أخذوا إلا مِنْ خلق الله تعالىٰ.

أما خلق الله، فلا يستطيعون أن يخلُقُوا ذَرَّةً كما هي، ولا أن يخلُقُوا بُرَّةً أو شعيرةً طبيعية بطعمها وبطبعها.

وإذا عرفنا أن الله تعالىٰ هو الخالِقُ، فإننا نؤمن بأنه المعبود؛ ولذلك قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، كأنه قال: أذكِّركم بأني خلَقْتُكم، وإذا كنتم خلقي، فأنتم عبيدي وملكي، والعبيدُ يطيعون خالقهم ومالكهم، لا يخرُجُونَ عن طواعيته ولا يتعبَّدون لغيره.

ويدخل في الإيمان بالله: جميع ما يأتي من الإيمانِ بالصفاتِ ونحوها.

أما الإيمانُ بالملائكة: فهو ركنٌ من أركان الإيمان الستة؛ فنؤمِنُ بأن الله تعالىٰ خلق الملائكة، وأنهم كما وصفهم الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، أي: لا يَتْعَبُونَ، وقال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، أي: لا يُصِيبُهُم الفتور، وقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨]، وقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال: ﴿يُسَبِّحُونَ

لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [فصلت: ٣٨]، وقال: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، والآيات في صفاتهم كثيرة.

فنُؤْمِنُ بأن الملائكة خَلْقٌ لله تعالىٰ، وذكر العلماء أنهم أرواحٌ مستغنيةٌ عن أجساد تقوم بها؛ كما ذكر ذلك ابن القيِّم في كتابه "**الروح**"[1]، ولأجل ذلك لا نراهم؛ يَنزِلُ الملَكُ علىٰ النبيّ ﷺ ولا يراه من حوله، وذلك لأنهم أرواح لا يَخرِقُها البصر، ولكنْ لهم قدرة علىٰ التشكُّلِ والظهورِ بصور مختلفة.

وقد ورد عن النبيّ ﷺ كثرتهم؛ ففي الحديث أنه قال: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ**»[2].

وأخبر النبيُّ ﷺ أنهم دائمًا يسجُدُونَ لله ويعبُدُونه؛ ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه ﷺ قال: «**إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ؛ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**»[3]، خضوعُهُم لله تعالىٰ: تواضُعُهم له.

---

(١) ينظر: الروح (ص ١٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢١٥١٦)، والترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب في قول النبي ﷺ: لو تعلمون ما أَعْلَمُ لضحكتم قليلًا، حديث رقم (٢٣١٢)، وابن ماجه، أبواب الزهد، باب الحزن والبكاء، حديث رقم (٤١٩٠)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾، حديث رقم (٤٧٠١).

وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ»[١].

كلُّ ذلك دليلٌ على أنهم خُلِقُوا للعبادة؛ ولهذا يقولون كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠].

وقد ذُكِرَ أنَّ منهم: خزَنةَ النار، وخزَنةَ الجنة؛ كما في قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزمر: ٧١]، أي: الذين يحمُونَها، أو الذين يَحْفَظُونها، أو نحو ذلك.

والموكَّلون بالإنسان؛ قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، وفي قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»[٢]، وغيرهم.

وأما الإيمان بكتبه: فهو أن نؤمِنَ بأن لله تعالى كتبًا أنزَلَها على أنبيائه.

والكُتُبُ: هي التي تُكْتَبُ في صحف؛ سواءٌ أنزلها مكتوبة أو أنزلها مقروءةً ثم كانت نهايتها أن كُتِبَتْ وضبطت، ورَدَ في بعض الأحاديث: أن الله أنزَلَ مائةَ كتابٍ وأربعةَ كتب، ثم إنه ضمَّن المائةَ والأربعةَ في هذه الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن[٣]، ومعاني هذه الأربعة

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القرآن، حديث رقم (٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الوحي، ذكر وصف أهل السموات عند نزول الوحي، حديث رقم (٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات، حديث رقم (٤٣٤)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم (٥٥٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتَي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم (٦٣٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ... حديث رقم (٣٦١)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تضمَّنها القرآن، فأصبح القرآن متضمِّنًا لمائة كتاب وأربعة كتب؛ ولهذا وصفه الله تعالىٰ بقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، يعني: محتويًا علىٰ الكتبِ التي قبله؛ علىٰ معانيها وعلىٰ مُفَادِها ومدلولها.

فالقرآنُ كتابٌ أنزله الله، هو خاتِمةُ كُتُبِهِ التي أنزلها علىٰ أنبيائه؛ وهو أفضلها، وقد وصفه بقوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]؛ وسيأتي الكلام عن الكُتُبِ مفصَّلًا.

أمَّا الإيمانُ بالرسل، أو الإقرار بهم: فهو اعتقادُ أن الله تعالىٰ أرسل رسلًا من البشر، ورسلًا من الملائكة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [فاطر: ١]؛ فالملائكة رسُلٌ إلىٰ الأنبياء، يُرسِلُ الله الرسول الملكيّ إلىٰ الرسول البشريّ بالوحي، ويأمره أن يبلِّغه؛ فمن الملائكةِ رسُلٌ، ومِن البشرِ رسُلٌ.

فالرسل من البشر: واسطةٌ بين الله تعالىٰ وبين البشر؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وفي حديث أبي ذَرٍّ الطويل الذي ذكره ابنُ كَثِيرٍ عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤][(١)]؛ قال أبو ذَرٍّ: قلتُ: يا نبيَّ الله، كم الأنبياءُ؟ قال: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ**

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٠).

وَعِشْرُونَ أَلْفًا»، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: **«ثَلاثُمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ، جَمٌّ غَفِيرٌ»**(١).

الرسلُ: ثلاثُمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ، وإذا لم يصحَّ هذا الحديث، فإن الآية صريحة في كثرتهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وإيماننا بالرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إيمانٌ مجمَلٌ؛ نصدِّقُ بأنهم مَصْدُوقونَ صادقون مصدَّقون، وأنهم لا يقولون إلا بما أُوحي إليهم، ولا يبلِّغون إلا ما أُرسلوا به، ولا يقولون شيئًا من قِبَلِ أنفسهم؛ نصدِّقُ بذلك ونؤمن به.

وقوله: **(وقبُولُ ما نطَقَ به كتابُ الله تعالىٰ)**:

اعلم: أن كتاب الله تعالىٰ هو حُجَّتنا، وهو دليلنا الذي أورَثَناهُ الله تعالىٰ؛ حيث قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، فالذين ورثوه هم المصطَفَوْنَ، وهم خِيرَةُ الله من خلقه، وهم صفوته.

فمن عقيدتهم: أنهم يَقْبَلُونَ كلَّ ما نطق به القرآن، ولا يرُدُّون شيئًا منه؛ سواءٌ كان ردًّا صريحًا بالتكذيب به أو بغيره؛ بأن يقولوا: «هذه السورة ليست من القرآن، وهذه لم يتكلَّم بها الله»، أو: «هذه مكذوبة»، أو: «هذه زائدة ليست من القرآن، بل أضافها إليه الكُتَّاب»، أو نحو ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٢٢٨٨)، وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ...، حديث رقم (٣٦١)، والحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدِّمين من الأنبياء والمرسلين (٢/ ٦٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٣١)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٩): «مداره علىٰ علي بن يزيد؛ وهو ضعيف».

فإنَّ من كذَّب بكلمةٍ مِن القرآن، فقد كذَّب به كلِّه، أي: حُكْمُهُ حُكْمُ من كذَّب به؛ لأن كلَّ كلمة فيه متحقِّقة الثبوت؛ فالقرآنُ كلُّه نُقِلَ نقلًا متواترًا؛ فلا يحقُّ لأحدٍ أن يرُدَّ منه كلمة، كما لا يَحِقُّ لأحد أن يزيد فيه حرفًا أو يضيف إليه كلمة، وقد تكفَّل الله تعالىٰ بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فمن عقيدة أهل السنة: الإقرارُ والاعترافُ والقَبُولُ بكلِّ ما جاء في كتاب الله تعالىٰ.

وعبَّر بالنطقِ كأن القرآن يَنْطِقُ؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، فهم يقولون: «إنَّ كتابَ اللهِ يَنْطِقُ بكذا وكذا».

قد تقول: «إننا نُمْسِكُ المصحف، ومع ذلك لا يتكلَّم»، ولكنَّ الموجود في داخله مكتوب بالحروف العربية الواضحة، إذا قرأتها، فكأن القرآن نطَقَ لك وأوضح لك، فيقال: نطَقَ القرآنُ بكذا، يعني: احتوىٰ علىٰ كذا، واشتمَلَ علىٰ كذا وكذا.

فذكر في القرآن مثلًا: أركان الإسلام، والحدود، والبعث والنشور، والأسماء والصفات؛ فهذا كلُّه مما نطَقَ به القرآن، فوظيفتنا أن نقبل ذلك.

قوله: **(وما صحَّتْ به الروايةُ عن رسول الله ﷺ)**:

يريد: قَبُولَ ما صحَّت به الرواية عن رسول الله ﷺ، خَصَّ ما صحَّت به؛ لأن هناك أحاديثَ لم تَصِحَّ ولا رُوِيَتْ بأسانيد، وبعضها فيه ضعفٌ؛ فلا نُدْخِلُها في العقيدة، ولا ندخلها في الشريعة، إذا كانت غير صحيحة أو غير مقبولة، فإنما نَقْبَلُ ما صحَّت به الرواية عن رسول الله ﷺ.

ولـم يشـترطِ الإسـماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن تكـون متواتِـرةً، بـل أجمـل ذلـك، وإن لـم تبلُـغْ حـدَّ التواتـر، فـإذا صحَّـت وثبَتَـتْ عن رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ولو كانت من الآحاد- فإنها مقبولة.

قوله: (**لا مَعدِلَ عمَّا ورَدَ به، ولا سبيلَ إلىٰ ردِّه**):

يعني: لا عدولَ؛ فلا يجوز لـك أن تَعْدِلَ عمَّا ورد في القرآن، ولا عمَّا ورَدَ في السـنة، ولا يحـق لـك أن تتركـه جانبًـا، بـل إذا عرَفْـتَ أنـه ثابـت في كتـاب الله تعالىٰ، وصحيـح في سـنة رسـوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فـإن عليـك أن تقـول بـه، وتنطق بـه وتعتقـده، ولـو خالَفَـكَ مَـنْ خالَفَـك، ولـو كَثُـرَ الذيـن ينكـرون عليـك؛ فـإن دليلـك قـويٌّ.

فدليلـك: كتـاب الله الـذي هـو أصـحُّ مـا جـاء عـن الله تعالـىٰ فيمـا بيـن أيدينـا، ودليلـك: سنة رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابتـة القويَّـة؛ فـلا تعـدل عمَّـا وردا بهمـا.

وقولـه: (**لا سـبيلَ إلـىٰ ردِّه**)، أي: ليس لأحـد مسـلك أو سـبيل إلىٰ أن يَـرُدَّ شـيئًا ممـا جـاء في السـنة، أو في الآيـات، بـل مَـنْ ردَّ شـيئًا مـن هـذا، فكأنـه ردَّ الجميـع.

قولـه: (**إذْ كانـوا مأموريـن باتِّبـاعِ الكتـابِ والسـنة، مضمونًـا لهـم الهُـدَىٰ فيهمـا**):

كانـوا مأموريـن باتبـاع الكتـاب والسـنة؛ كمـا في قولـه تعالـىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعـراف: ٣]، والسُّـنَّةُ منزَّلـةٌ، كمـا أن

القرآن منزَّل؛ قال ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[1]، يعني: السُّنَّة؛ فهم مأمورون باتباع الدليلين الكتاب والسنة، والأمر هنا من الله؛ فيجب امتثاله.

إن الله تعالىٰ يأمُرُنا باتباع كتابه، ويحُثُّنا علىٰ اتباع نبيِّه، ويذكُرُ حُسْنَ عاقبة مَن اتَّبعه، كما ذكرنا في قول الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

والاتِّباعُ: هو السير، أي: سيروا علىٰ منهجه، وطبِّقوه واعملوا به، والأصلُ في الاتباع: أنه اتباع الآثار؛ تقولُ: اتَّبَعْتُ أثَرَ فلان، واتَّبَعْتُ فلانًا في مذهبه، أي: ذهَبْتُ إلىٰ ما ذهب إليه، ثم أُطلِقَ الاتباع علىٰ تطبيق الأعمال.

فاللهُ تعالىٰ أمرنا باتِّباع الكتاب، وأمَرَنا باتباع الرسول ﷺ، ولا شك أن الاتِّباعَ هنا: هو الاتِّباعُ في الأعمال الصالحة، بمعنىٰ: السيرُ علىٰ نهجه، وتطبيقُ سنته، والعمل بما أمر به، وهو معنىٰ قوله: (إذْ كانوا مأمورين باتِّباعِ الكتابِ والسنة).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٧١٧٤)، وأبو داود، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٣٨٠٤)، والترمذي، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، حديث رقم (٢٦٦٤)، وابن ماجه، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ علىٰ من عارضه، حديث رقم (١٢)، من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

والاتِّباعُ يأتي بمعنىٰ الاقتداء، وهو التأسي؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد وردت الأدلة في الأمر باتباع الكتاب والسنة في آيات كثيرة؛ مثل قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ «اتبعوني»، يعني: أطيعوني، وقال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فرتَّب الاهتداء علىٰ اتِّباعه، ويفهم منه: أن ترك اتباعه ضلال؛ فالاهتداءُ ضِدُّهُ: الضلال؛ فمن اتبع الرسول ﷺ، اهتدىٰ، ومن ترك اتباعه واتبع هواه، ضلَّ.

وكثيرًا ما يذكر الله تعالىٰ ضلال من اتبع هواه؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ١٤، ١٦]، يعني: اتَّبعوا ما تهواه أنفسهم، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، يعني: لا يهوىٰ شيئًا إلا ركبه.

فالذين يتَّبعون أهواءهم هم الضالُّون، والذين يتَّبعون الكتاب والسنة هم المهتدون.

وهذا معنىٰ قوله: (**مضمونًا لهم الهُدَىٰ فيهما**)، يعني: ضَمِنَ الله تعالىٰ الهدىٰ لمن اتَّبع كتابه وسنة نبيه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، يعني: اتبعوه تهتدوا؛ والأدلة في ذلك كثيرة.

قوله: (**مشهودًا لهم بأنَّ نبيَّهم ﷺ يَهْدِي إلىٰ صراطٍ مستقيم**):

(**يَهْدِي إلىٰ صراطٍ مستقيم**)، يعني: يدُلُّ علىٰ الصراط، ويحُثُّ علىٰ سلوكه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٥٢-٥٣].

صراطُ الله الذي أمر بسلوكه، هو الذي بيَّنه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهدىٰ إليه؛ فمن سار عليه، فإنه من المهتدين، ومن أخطأه، فإنه من الضالِّين.

فالأصلُ أن الصراط: هو الطريق الواسع الذي يسلُكُهُ الناس، ولا يضيق بهم، ومنه سُمِّيَتِ السبُلُ طرُقًا، يعني: يُسارُ عليها(١).

فسبيلُ الله تعالىٰ واحد، وهو الذي بيَّنته الرسل، وهو الذي بلَّغه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وفي الحديثِ الصحيح: أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَّ خَطًّا، وخَطَّ عن يمين الخَطِّ وعن شمالِهِ خططًا، ثم قال: «**هَذَا صِرَاطُ اللهِ مُسْتَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ علىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا صِرَاطُ اللهِ**»، يعني: الصراطَ المستقيم، الذي يهدي إليه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو دِينُ الله الذي جاء به وبلَّغه، فمَنْ سار عليه، فإنه علىٰ الهدىٰ المستقيم، ومن ركب بُنيَّاتِ الطريق، هلَكَ وضلَّ.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذِهِ السُّبُلُ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ**»؛ هذه السُّبُلُ هي: البدعُ والمحدَثاتُ التي أُحدِثَتْ بعد النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن الذين يَدْعُونَ إليها شياطين؛ إمَّا شياطين الجن، وإمَّا شياطين الإنس؛ فهناك شياطينُ يدعون إلىٰ طريق الروافض، وشياطينُ يدعون إلىٰ طريق

(١) ينظر: الصحاح (٣/ ١١٣٩)، ولسان العرب (٧/ ٣١٤)، (ص ر ط).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٤١٤٢)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب التفسير، باب قوله تعالىٰ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾، حديث رقم (١١١٠٩)، وابن حبان في صحيحه، المقدمة، ذكر الإخبار عما يجب علىٰ المرء من لزوم سنن المصطفىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٦)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، (٢/ ٣١٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

المعطِّلـة، وشـياطينُ يدعـون إلـىٰ طريـق الجبريَّـة، وشـياطينُ يدعـون إلـىٰ طريـق الخـوارج، وشـياطينُ يدعـون إلـىٰ طريـق المرجئـة،،، وهكـذا.

وكذلـك أيضًـا الطـرقُ والمناهـجُ المُحْدَثـةُ؛ فهـؤلاء يَدْعُـونَ إلىٰ الكفـر، وهـؤلاء يدعـون إلـىٰ النفـاق، وهـؤلاء يدعون إلىٰ الشـيوعية، وهـؤلاء يدعون إلـىٰ البَعْثيَّـة، وهـؤلاء يدعـون إلـىٰ العَلْمانيـة،،، وهكـذا.

قوله: (**محذِّرين في مخالفتِهِ الفتنةَ والعذابَ الأليم**):

أخـذ المؤلِّـفُ هـذا مـن الآيـة في آخِـرِ سـورةِ النـور، وهـي قـول الله تعالـىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

بعدمـا أمـر الله تعالـىٰ بطاعـة نبيِّـه ﷺ، وبعـدم الخـروج إلـىٰ شـيء إلا بإذنـه، في قولـه تعالـىٰ: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النـور: ٦٢]، قـال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النـور: ٦٣].

وقـد يكـون سـبب النـزول خاصًّـا؛ مثـلُ أن يأمرهـم ويقـول: «اجلسـوا هنـا»؛ فيخالفـوه ويجلسـوا في غيـره، أو يقـولَ: «الزمـوا هـذا الثغـر، أو هـذا المـكان، أو احفِـرُوا هـذا الخنـدق مثـلًا»؛ فيتركـوا أمـرَهُ، ويخالفـوه؛ ولكـنَّ الآيـة عامَّـةٌ يدخـل فيهـا كل مـن خالـف سـنةً جـاءت عـن النبـي ﷺ.

ومشـهورٌ عـن الإمـام أحمد بـن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «عَجَبًـا لِقَـوْمٍ عَرَفُـوا الْإِسْـنَادَ وَصِحَّتَـهُ، يَدْعُونَـهُ ويَذْهَبُـونَ إِلَـىٰ رَأْيِ سُـفْيَانَ وغَيْـرِهِ، واللهُ تعالـىٰ

يقـولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، الفِتْنَـةُ: الكُفْـرُ»[١]، وقـال أيضًـا: «وَمَـا الْفِتْنَـةُ؟: الشِّـرْكُ؛ لَعَلَّـهُ أَنْ يَقَـعَ فِـي قَلْبِـهِ شَـيْءٌ مِـنَ الزَّيْـغِ؛ فَيَزِيـغَ فَيُهْلِكَـهُ»، وَجَعَـلَ يَتْلُـو هَـذِهِ الْآيَـةَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] [٢]؛ هكـذا يمثِّـلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زمانـه أناسًـا يقلِّـدون سـفيان الثـوري، ويتَّبعـون رأيـه، مـع أنـه مجتهِـدٌ ومحـدِّث، فيقلِّدونـه وهـم يعرفـون الأحاديـث.

فيتعجَّـب الإمـام أحمـد منهـم؛ كيـف تعرفـون الأحاديـثَ وتقلِّـدون الرجـال؟! ألسـتم في ذلـك مخالِفِيـنَ للنبـيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! تعرفـون أمـره ثـم تترُكُونَـهُ وتتَّبعـون رأي فـلان وفـلان؟! هـذه هـي المخالفـة، إذا خالفتمـوه، فـلا تأمنـوا أن تصيبكـم فتنـة، أو يصيبكـم عـذاب أليـم.

---

(١) نقله ابن مُفْلِح عنه في الفروع (١١/ ١٠٧).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (١/ ٢٦٠).

القولُ في الأسماءِ والصفات

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويعتقِدونَ أن الله تعالىٰ مدعُوٌّ بأسمائه الحسنىٰ، موصوفٌ بصفاتِهِ التي سمَّىٰ ووصَفَ بها نفسَهُ، ووصَفَهُ بها نبيُّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خلَقَ آدَمَ بيده، ويداه مبسوطتان يُنْفِقُ كيف يشاء، بلا اعتقادِ كَيْف، وأنه عَزَّ وَجَلَّ استوىٰ علىٰ العرش، بلا كَيْفٍ؛ فإن الله تعالىٰ انتهىٰ من ذلك إلىٰ أنه استوىٰ علىٰ العرش، ولم يذكُرْ كيف كان استواؤه].

الشَّرح

قوله: (**ويعتقِدونَ أنَّ الله تعالىٰ مدعُوٌّ بأسمائه الحسنىٰ**):

(**يعتقدون**)، يعني: أهلَ السنة، وأهل الحديث؛ وهذه الجملة كرَّرها؛ كما سيأتي.

فعقيدة أهل السنة: إثبات أسماء الله تعالىٰ، وكذلك دعاؤه بها؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والأسماء الحسنىٰ هي التي سمَّىٰ بها نفسه، وهي التي بلَغَتِ النهايةَ في الحُسْنِ؛ فهي حسنة كلُّها، ليس فيها غير حسن، ولا ما هو موصوف بالقبح.

وقد ورَدَتْ أحاديث كثيرة في ذكر بعض الأسماء الحسنىٰ؛ مثلُ: التسعة والتسعين التي ذُكِرَتْ في بعض الأحاديث؛ فقد روىٰ أبو هريرة

أن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

فلما روى هذا الحديث، عمَدَ بعض الرواة، وجمَعُوها من القرآن، فبلغت تسعةً وتسعين اسمًا(٢).

فأخذوا الأسماء التي في آخر سورة الحشر: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]، ثم جمعوا أسماء من مواضع عديدة من القرآن؛ كالغفَّار، والقهَّار، والوهَّاب، والرزَّاق، والفتَّاح، والعليم، والقابض، والباسط، إلى آخرها.

ولكنَّ الصحيح: أن أسماء الله لا تحصر في هذه التسعة والتسعين؛ بل أسماء الله كثيرة ليست بهذا العدد؛ والدليلُ: الحديثُ الذي رواه أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وفيه قول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيا في الإقرار، حديث رقم (٢٧٣٦)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالىٰ وفضل من أحصاها، حديث رقم (٢٦٧٧).

(٢) وقد أخرج الحديث مع سرد الأسماء: التِّرْمذيُّ، أبواب الدعوات عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابٌ، حديث رقم (٣٥٠٧)، وابن ماجه، أبواب الدعاء، باب أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم (٣٨٦١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «حديث غريب».
والصواب -كما ذكر الشيخ هنا- أنه مدرَجٌ من الرواة، وقد اعتنىٰ بتحرير ذلك ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ٤٢٥)؛ فراجعه فإنه نفيس.

فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»[(١)].

ذُكِرَ في هذا الحديث قوله: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»، وهو يدُلُّ علىٰ أن لله أسماءً استأثر بها في علم الغيب عنده، ولم يُطْلِعْ عليها أحدًا؛ فما سمَّىٰ بها نفسه، أو علَّمه أحدًا من خلقه، أو أنزله في كتبه، أو استأثر بها، كلُّها من أسماء الله الحسنىٰ.

والدعاءُ بها: هو سؤال الله تعالىٰ بأسمائه، وجَعْلُ الأسماء وسيلةً، فإذا أردت أن تدعو الله، فإنك تقدِّم بين يدي الدعاء ذكرًا للأسماء، فتقول: «يا رحيم يا رحمن، ارحمنا برحمتك»، «يا عزيز يا غفور، اغفر لنا بواسع مغفرتك»؛ تدعوه بأسمائه، فتقولُ في كل اسم: «يا عزيز، يا رحمن، يا ملك، يا قدُّوس»، وهكذا؛ هذا معنىٰ: «ادعوه بها».

ويمكن أن يكون الدعاء بأن يقدِّم بين يديه الثناء علىٰ الله تعالىٰ، وأفضلُ ما يُثْنَىٰ عليه: ذكرُهُ بأسمائه الحسنىٰ.

وقد أكثر العلماء من الكلام في أسماء الله، فتكلَّم عنها الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**الأسماء والصفات**»، وقد طبع الكتاب قديمًا بتحقيق زاهد الكَوْثَرِي[(٢)]، ولكنه أفسده وحرَّفه وحَمَّلَهُ محامل بعيدة،

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٣٧١٢)، من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) محمَّد زاهد بن الحسَن الكَوْثَري، فقيه حنفي، جركسي الأصل، ولد ونشأ في قرية شرقي الآستانة، وتنقَّل زمنًا بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة، موظَّفًا في دار المحفوظات لترجمة الوثائق التركية إلىٰ العربية، اشتغل بالأدب والسير، وكان ناصرًا للماتريدية، شديدًا علىٰ من تمسَّك بمذهب السلف، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ. له تآليف، منها: «تأنيب الخطيب»، و«النكت الطريفة». ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٩)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٤)، وزاهد الكوثري وآراؤه الاعتقادية (ص ٨٢).

ثم أعيد طبعه بتحقيق بعض العلماء المخلصين من أهل السنة، وسَلِمَ من تلك التعليقات التي أفسدته، ونبَّه المعلِّق المحقِّق علىٰ الأخطاء والتأويلات التي وقع فيها البيهقي، وعلىٰ تحريف الكوثري. وقد سَرَدَ الأسماءَ الحسنىٰ في أوله، وتكلَّم عن معانيها[1]، وكذلك سردها ابنُ القيِّم في كتابه «**الصواعق**»[2]، ومن المتأخِّرين الحافظ الحَكَمي في «**معارج القَبُول شرح سلم الأصول**»[3]، وغيرهم ممن تكلَّم عن أسماء الله تعالىٰ، وسردوا ما وَقَفُوا عليه منها.

وكذلك نظمها كثيرٌ من العلماء؛ كالنظم الذي أوله[4]:

أَيَا طَيِّبَ الْأَسْمَاءِ يَا مَنْ هُوَ اللهُ وَمَنْ لا يُسَمَّىٰ ذَلِكَ الإِسْمَ إِلَّا هُو

نظم التسعة والتسعين في أبياتٍ علىٰ هذا النمط.

وبعضهم أخذ أسماء وَرَدَتْ في بعض الأحاديث، وإن لم يصدُقْ أنه يسمَّىٰ بها، كابن حزم في «**المحلَّىٰ**»؛ فإنه تتبَّع الأسماء التي وردت في الأحاديث، وذكر فيها أسماء لا يليق أن يتسمَّىٰ الله تعالىٰ بها؛ مثل قوله

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٥).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (١/ ٢٢٠).

(٣) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ١١٣).

(٤) هذه الأبيات نسبت في مواقع الإنترنت للشاعر: سعد المقحطر، وقيل: البغدادي، ينظر: مثلاً موقع البراري:

http://www.albrari.com/vb/showthread.php?t=40961

وفي موقع المخطوطات الموريتانية التابع للمعهد الموريتاني للبحث العلمي، أورد مخطوطة في ثلاث ورقات، بعنوان: «الوسلية» لأبي محمد عبد الله اليافعي توفي: ٧٦٨هـ، بدأت بهذا البيت وقد صحَّحناه منها.

http://makrim.org/manuscrits.cfm?PN=188&tr=&aut=&bib=0&suj=0&nbr_man=0&order=77

في الحديث القدسي: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ»[١]، فجعل «الدَّهْرَ» من أسماء الله[٢]! مع أن الدهر هو: الزمان؛ فالله تعالىٰ قال: «وَأَنَا الدَّهْرُ»، بمعنىٰ: وأنا المتصرِّفُ في الدهر.

ومثلُ ذلك: الصفاتُ التي ذكَرَها الله تعالىٰ، ووصف بها نفسه علىٰ وجه المقابلة؛ فلا يجوزُ أن يُشتَقَّ لله منها اسمٌ؛ كما اعتقد ذلك بعضهم؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ فلا يقال: من أسمائه: المخادِعُ! وقولِهِ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]؛ فلا يقال: من أسمائه: المستهزِئ! وقولِهِ تعالىٰ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦]؛ فلا يجعل من أسمائه: الكائدِ!

وكذلك الأفعال التي ذكرها عن نفسه؛ مثلُ قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ فلا يقال: من أسمائه: الجائي! أو قولِهِ: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ فلا يقال: مِن أسمائه: الآتي! أو قولِهِ: ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣]؛ فلا يقال: من أسمائه: المعذِّب! وما أشبه ذلك.

ثم من أسمائه ما لا يجوزُ ذكرُهُ مفرَدًا إلا مع المقابل له، وهي الأسماء المزدوجة؛ مثل: الخافض الرافع، فلا يقتصر علىٰ واحد، وكذلك: المُذِلُّ المُعِزُ، لا يقتصر علىٰ واحد؛ لأنهما متقابلان، والمانع المعطي، وأشباه ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: «وما يهلكنا إلا الدهر...» الآية، حديث رقم (٤٨٢٦)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، حديث رقم (٢٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: المحلىٰ لابن حزم (٨/ ٣١).

وقد نبَّه علىٰ هذا كثير من العلماء، منهم: الشيخ عبدالعزيز بن سَلْمان[(١)] في كتابه: «الكواشف الجلية شرح العقيدة الواسطية»[(٢)].

قوله: (موصوفٌ بصفاتِهِ التي سمَّىٰ ووصَفَ بها نفسَهُ، ووصَفَهُ بها نبيُّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

هذه العبارة يذكرها جميع أهل السنة في مؤلَّفاتهم، فيقولون: لا يُوصَفُ الله إلا بما وصَفَ به نفسه، أو وصفه به نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)]، ويعلِّلون بقولهم: «إنه تعالىٰ أعلَمُ بنفسه، وأعلَمُ بغيره»، فإذا كان هو أعلَمَ بنفسه، فأثبَتَ لنفسه صفاتٍ، فإنَّا نثبتها ولا نتحاشىٰ إثباتها، بل نؤمِنُ بها حقًّا، ونعتقد صحتها وموافقتها لعقيدة المسلمين، مهما شنَّع المشنِّعون، وأنكر المنكِرون، وستأتينا أمثلةٌ لها.

وكذلك ما وصفه به النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك لأنه أعلم بربِّه الذي أرسله؛ فالله تعالىٰ خصَّه بالرسالة، وأطلَعَهُ علىٰ ما أطلعه عليه من العلم، وكلَّفه بالبيان وبالبلاغ؛ فهو عالمٌ بربِّه، وعالمٌ بما يجوز علىٰ الله تعالىٰ، فإذا أثبت لله تعالىٰ صفةً أو صفاتٍ، فإنا نقبلها ولا نرُدُّها؛ لأنا إذا رددناها فقد رددنا ما بلَّغه أو ما جاء به؛ فنكون من الذين لم يتَّبعوه ولم يقبلوا سنته؛ فلا يتحقَّق لنا الاتباع الذي في قوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والصفات التي وصف الله بها نفسه كثيرة، وقد سرد شيخ الإسلام ابن

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن السلمان، ولد في عنيزة سنة ١٣٣٧هـ، وتوفي سنة ١٤٢٢هـ، تتلمذ علىٰ الشيخ عبد الرحمن السعدي وغيره، ودرس في المعاهد العلمية، وكان زاهدًا ورعًا، مكبًا علىٰ التأليف، من مؤلفاته: موارد الظمآن، ومحاسن الدين الإسلامي، وغيرها. ينظر: فتح المنان بترجمة الشيخ عبد العزيز السلمان لنجله عبد الحميد، وذيل الأعلام للعلاونة (٣/ ١١٥).

(٢) ينظر: الكواشف الجلية (ص ٤٢٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٦)، و(١٦/ ٤٧٢).

تيميَّة في رسالته «العقيدة الواسطية»[١] في ثلاث ورقات آياتٍ فيها الصفات، وفيها الأسماء، يسرُدُها متتابعة، فيسرُدُ مثلًا آياتِ العِزَّة، ثم يأتي بآياتِ الحِكْمة، ثم يسرُدُ آيات الرحمة، ثم يأتي بآيات الأفعال؛ كآياتِ المكر، وآيات الكيد، وآيات الأسف، وكذلك آيات الكلام، وآيات المجيء، وآيات الاستواء، وآيات العُلُوِّ، وآيات المعيَّة، وما أشبهها.

وكذلك أيضًا الأحاديث التي ورد فيها شيء من الصفات؛ مثل: أحاديثِ النزول[٢]، وأحاديثِ الضَّحِك[٣]، وأحاديثِ العجب[٤]، وأحاديث الفَرَح[٥]، وأحاديث الرؤية[٦]، وأحاديث الأسماء والأفعال، وما أشبهها؛ كلُّها نقبلها؛

(١) ينظر: العقيدة الواسطية (ص ٦٠).

(٢) كحديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا...»؛ أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، حديث رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، حديث رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كحديث: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ...»؛ أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتُلُ المسلمَ، ثم يُسلِمُ فيسدِّدُ بعدُ ويُقْتَلُ، حديث رقم (٢٨٢٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، حديث رقم (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كحديث: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا...»، أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، حديث رقم (٤٨٨٩)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم (٢٠٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) كحديث: «اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ...»؛ أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، حديث رقم (٦٣٠٩)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) كحديث: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ...»؛ أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم (٥٥٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لأن الـذي بلَّغها هـو الـذي بلَّـغ الرسـالة كلَّهـا، فـإذا قبلنـا الأحـكام؛ كالصـلاة، والصيـام، والحـج، والجهـاد، ونحوهـا، فإننـا نَقْبَـلُ العقيـدة التـي هـي أسـاس الأعمـال، والتـي صِحَّتُهـا شـرطٌ لقبـول الأعمـال؛ فنَقْبَـلُ مـا جاءنـا مـن الآيـات والأحاديـث في أمـر العقيـدة، أمـرِ صفـاتِ الله تعالـىٰ حتـىٰ تصـحَّ عقيدتنـا، ثـم تصـحَّ أعمالنـا وتُتقبَّـلَ.

قولـه: (**خلَـقَ آدمَ بيـده، ويـداه مبسـوطتان يُنْفِـقُ كيـف يشـاء، بـلا اعتقـادِ كَيْـف**):

قـال الله تعالـىٰ مخاطبًا إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]؛ أثبـتَ الله تعالـىٰ لنفسـه اليدَيْـن، وكذلـك قـال تعالـىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

اسـتُدِلَّ بهـذه الآيـات علـىٰ إثبـات اليدَيْـنِ؛ ذكرهمـا الله تعالـىٰ بلفـظ التثنيـة: «يَـدَيَّ»، وكذلـك: ﴿يَدَاهُ﴾ .

وقـد ورد ذكـر اليـد بلفـظ المفـرَدِ في قولـه تعالـىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقولـه: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، والمـرادُ بالإفـراد هنـا: الجِنْسُ، يعنـي: جنـسَ اليـد، فنُثْبِـتُ لله تعالـىٰ اليـد.

وذكـرت أيضًـا بلفـظ الجمـع، وهـو للتعظيـم؛ كمـا في قولـه: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١]

وقوله: (**بلا اعتقادِ كَيْف**)، يعني: لا نكيِّفها.

ذكـر ابـنُ كَثِيـرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسـير قولـه تعالـىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، الأحاديـثَ التـي فيهـا ذكـر اليـد، والتـي فيهـا قَبْـضُ المخلوقـات، وقبـل أن

يسـرُدَها قـال: «وقـد ورَدَتْ أحاديـث كثيـرة متعلِّقـة بهـذه الآيـة الكريمـة، والطريـق فيهـا وفي أمثالهـا: مذهَـبُ السـلف، وهـو: إمرارُهَـا كمـا جـاءت مِـنْ غيـر تكييـف ولا تحريـف»(١).

يعني: أنهم يُقِرُّونها، ويُمِرُّونها كما جاءت، ولا يكيِّفون؛ فلا يقولـون: «كيفيـة اليـد كـذا وكـذا»، ولا يقولـون: «إنهـا مركبـة كيـد الإنسـان المركبـة مـن عظام وعصب وجلد، وفيهـا أنامـل ومفاصـل وأظفار، وسـاعد وعَضُـدٌ ومرفـق، وكتـف، وكُـوع، وكُرْسُـوع، ونحـو ذلـك»، بـل يقولـون: «**أثبـتَ اللهُ تعالىٰ لنفسه اليد، ونعلم أنها يد حقيقة، ولكنْ لا ندري ما كيفيتها**»؛ هذه طريقتهـم بـلا كيـف.

ومعلـوم: أن المـراد بالبسـط هنـا: البسـطُ بالعطـاء؛ فقولـه: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، أي: بالعطـاء.

﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾؛ وذلـك لأن اليهـود وصفـوا الله بالبُخْـل، فقالـوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾! يعني: عـن النفقـة والعطـاء والكـرم؛ فزعمـوا أنـه بخيـل؛ فـرد الله عليهـم وكذَّبهـم، وأخبر أنـه واسـع العطـاء، و﴿يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ بالعطـاء، يعطـي كمـا يشـاء.

فيُطلَـقُ غُـلُّ اليـد: علـىٰ البخـل، ويطلـق بَسْـطُها: علـىٰ النفقـة، وعلـىٰ كثـرة العطـاء(٢).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١١٣).

(٢) ينظـر: الفائـق في غريـب الحديـث (١/ ١٠٨)، والمِصْبـاح المنيـر (١/ ٢٩٨): (س و ي)، وتـاج العـروس (٢٥/ ٤٧٢).

قال الله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ليس معناه: أنه يَرْبِطُ يده إلىٰ عنقه، بل المراد: أنه يمتنِعُ عن العطاء؛ فالذي يدُهُ مغلولةٌ: هو البخيل الذي لا ينفق شيئًا، والذي يبسُطُ يده كلَّ البسط: هو الذي يُبذِّر، ويفسِدُ المال، ويُكثِرُ من إعطائه فوق الحاجة، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾، يعني: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ بالإعطاء ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾؛ بل الوسَطُ خيرٌ.

هكذا فُسِّرَ البسط بأنه النفقة(١).

فالحاصلُ: أن الله تعالىٰ أخبر أن له يدين، وأنهما مبسوطَتَانِ؛ ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف.

قوله: (**وأنه عَزَّوَجَلَّ استوىٰ علىٰ العرش بلا كَيْفٍ؛ فإن الله تعالىٰ انتهىٰ من ذلك إلىٰ أنه استوىٰ علىٰ العرش، ولم يذكُرْ كيف كان استواؤه**):

هذه صفة أيضًا، **والصحيح**: أن الاستواء صفة فعلية؛ **لأننا نعتقد**: أن العرش مخلوق، وإذا كان العرش مخلوقًا؛ فإن الله تعالىٰ استوىٰ عليه بعد ما خلقه.

ونعتقد: أن العرشَ سريرٌ لا يعلم قدرَهُ إلا الله؛ كما ورد في حديث رواه ابن جَرِير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال ابنُ زَيْد: فحدَّثني أبي، قال: قال رسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**»، قال: وقال أبو ذرٍّ: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ**»(٢).

فالسموات مع عظمها، والأرضون مع عظمها: كدراهم، والدراهمُ:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٣)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٣٩).

قطعٌ صغيرة من الفضة، ألقيت في تُرْس، وهو المِجَنُّ الذي يلبس على الرأس[١]؛ فماذا تشغل الدراهم من هذا الترس؟!

والحَلْقةُ: هي القطعة من الحديد المتلاقية في الطرفين[٢]، إذا ألقيت في أرض فلاة، فماذا تَشْغَلُ من الأرض؟!

فإذا كان هذا مقدارَ الكُرْسيِّ بالنسبة إلى العرش؛ فماذا يكون مقدار العرش؟!

ثم إن الله تعالى الذي استوى على العرش أعظَمُ من أن يوصف، وأن يُحَدَّ بوصفٍ يكيِّفه أو نحو ذلك.

فنحن نقول: استوى على العرش؛ كما أخبر، ولا نكيِّفُ الاستواء، ولا نكيِّفُ سائر الصفات، كاليد ونحوها.

وقد اشتهَرَ عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ رجلًا جاءه، فقال: يَا أَبَا عبدِالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]؛ كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ قَالَ[٣]: فَمَا رَأَيْتُ مَالِكًا وَجَدَ مِنْ شَيْءٍ كَمَوْجِدَتِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَعَلَاهُ الرُّحَضَاءُ- يَعْنِي: الْعَرَقَ - قَالَ: وَأَطْرَقَ الْقَوْمُ، وَجَعَلُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَأْتِي مِنْهُ فِيهِ، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْ مَالِكٍ، فَقَالَ: **«الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا»**، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ[٤].

---

(١) ذكر ذلك أبو عُبَيْد في كتاب السلاح (ص ٣٠)، وهو من الأسلحة الدفاعية التي تُحمَلُ باليد بواسطة مقبض ليقي المقاتل من ضربات السيف والرمح والسهم والحجارة وغيرها، ويصنع من الحديد وغيره، وله عدة أنواع وأسماء.

(٢) ينظر: لسان العرب (١٠/ ٦١).

(٣) أي: الراوي.

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، حديث رقم (١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، حديث رقم (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات، حديث رقم (٨٦٦)، وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٠٦): «إسناده جيد».

ورُوِيَ أيضًا عن شيخِهِ ربيعةَ أنه قال: «**الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللهِ تَعَالَىٰ الرِّسَالَةُ، وَعَلَىٰ النَّبِيِّ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ**»[١].

فكأنَّ مالكًا أخذ هذا الأثر من شيخه الذي تعلَّم منه كثيرًا من العلوم، وشيخُهُ ربيعةُ بنُ أبي عبدالرحمن من كبار التابعين[٢].

كذلك رُوِيَ هذا الأثر عن أُمّ سَلَمَة، **والصحيحُ**: أنه موقوف عليها، وإن رُوِيَ مرفوعًا[٣].

ومعناه: أنا نعلم أن الاستواء معلومٌ، ومعناه ظاهر؛ ولأجل ذلك فسَّره العلماء، فهو يفسَّر، ويوضَّح، ويُتَرْجَمُ من لغة إلىٰ لغة؛ فهو معلوم لا خفاء فيه، ولكن للاستواء كيفية، والذي نقوله: إنها مجهولة، فنتوقَّفُ عن الكلام في الكيفية، ونفسِّرُ اللفظ بما يليق بالله تعالىٰ.

وبعضهم يقول: «استوىٰ استواءً يليق به»، ويتركُونَ الإيضاحات.

وأكثرهم: يفسِّرونه؛ فابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ كلَّما مرَّ بآية من آيات

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، حديث رقم (٦٦٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات، حديث رقم (٨٦٨)، وينظر: الأثر المشهور عن الإمام مالك، للشيخ عبد الرزاق البدر.

(٢) ربيعة بن أبي عبدالرحمن، واسم أبي عبدالرحمن: فروخ، مولىٰ آل المنكدر التيميين، المعروف بربيعة الرأي، كان من فقهاء المدينة، ومن أئمة الاجتهاد، سمع أنسًا والسائب بن يزيد، وروىٰ عنه الثوري، وعنه أخذ مالك الفقه، مات سنة ١٣٣هـ. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٨٦)، وتهذيب الكمال (٩/ ١٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٧/ ١٦٣)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، حديث رقم (٦٦٣)، وينظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٥/ ٣٦٥).

الاستواء يفسِّرها بالعلوِّ والارتفاع: «﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، أي: علا وارتفعَ عن العرش»؛ وذلك استنادًا منه إلىٰ معنىٰ الكلمة في اللغة، وأن هذا هو الذي تدُلُّ عليه هذه اللفظة[(١)].

وكذلك فسِّر بالاستقرار: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، يعني: استقرَّ عليه[(٢)].

وقد تكلَّم المبتدعة في هذه الآية: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وبالغوا في إيراداتٍ وشبهاتٍ يموِّهون بها علىٰ من يفسِّرُ الاستواءَ بالاستقرارِ والعلوِّ، وممن بالغ في سردها: الفَخْر الرَّازِي صاحب «**التفسير الكبير**»، ويقال له: ابنُ خطيبِ الرَّيِّ؛ فإنه لما تكلَّم عنها في سورة الأعراف، أورد عليها شبهاتٍ يموِّه بها، ولما انتهىٰ من تلك الوجوه التي أوردها علىٰ تفسير الاستواء بالاستقرار، ذكَرَ التفسير الذي يختاره؛ فذكَرَ أن السلف كانوا يفوِّضونها ويسكُتُونَ ولا يتكلَّمون[(٣)]؛ **وهذا ليس بصحيح**.

ثم ذكر أن الخلَفَ كانوا يفسِّرونها، وتفسيرُهُمْ في الحقيقة تأويلٌ، أي: صرفٌ لها عن ظاهرها[(٤)]؛ فذكر أن بعضهم فسَّر الاستواء: بالاستيلاء؛ «اسْتَوَىٰ»، يعني: استَوْلَىٰ، وبعضهم فسَّر العرش بالمُلْكِ، وأطالوا في ذلك، ولا حاجة بنا إلىٰ مناقشتهم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٥٧)، و(١٦/ ١١).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٣٥)، وأقاويل الثقات لمرعي الحنبلي (ص ١٢٣).

(٣) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٤/ ٢٥٨، ٢٦٩).

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٤/ ٢٦٩).

وقد ردَّ عليهم العلماء، وبيَّنوا شبههم؛ كشيخ الإسلام ابن تيميَّة[١]، وابنِ القيِّم في «**الصواعق**»[٢]، وابنِ أبي العِزِّ[٣] في «**شرح الطحاوية**»[٤].

والحاصلُ: أن الله تعالىٰ ذكر الاستواء، وانتهىٰ من ذلك إلىٰ أنه استوىٰ علىٰ العرش، ولم يذكُرْ لنا كيفيَّةَ الاستواء؛ فنتوقَّف، ولا نقول: إن الاستواء هو التربُّعُ مثلًا! أو هو الجلوس بصفة كذا وكذا! **ولكنْ نقول: استوىٰ علىٰ العرش، يعني: ارتفَعَ عليه، والله أعلم بكيفيَّةِ ذلك.**

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٤٣)

(٢) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة، (ص٣٧١).

(٣) محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي، صدر الدين الصالحي، ولد سنة: ٧٣١هـ، درَسَ قديمًا وتمهَّر، وأفتىٰ وخطَبَ بحسبان مدة، ثم ولي قضاء دمشق، توفي سنة:٧٩٢هـ. ينظر: إنباء الغمر (١/ ٤٠٨)، وشذرات الذهب، (٨/ ٥٥٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٦٤).

ذِكْرُ بعضِ خصائصِ الربوبيَّة

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وأنه مالكُ خَلْقه، وأنشأهم لا عن حاجةٍ إلىٰ ما خَلَق، ولا لمعنًىٰ دعاه إلىٰ أنْ خَلَقَهم، لكنَّه فعَّالٌ لما يشاء، ويحكُمُ ما يريد، لا يُسأَلُ عما يَفْعَلُ، والخلقُ مسؤولون عمَّا يفعلون].

الشَّرح

نعتقِدُ أن الله تعالىٰ هو الذي خلَقَ الخَلْقَ، وما في الوجود مخلوقٌ إلا والله خالقه، ولو اجتمع الخلق كلهم علىٰ أن يخلُقُوا بعوضة؛ فيركِّبوا فيها أجنحتها، وأيديها، ومفاصلها، وما أشبه ذلك، وينفخوا فيها الروح حتىٰ تطير، لم يَقْدِروا، إلا ما ذُكِرَ عن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد قال الله تعالىٰ مخاطبًا له: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

فهذا إذنٌ من الله تعالىٰ، أنْ أقدَرَ عيسىٰ علىٰ أن يصوِّرَ صُورَةَ طيرٍ من الطين، ثم ينفُخَ فيها فتطير، وقد ذكروا أنه كان يطيرُ حتىٰ إذا اختفىٰ، سقط ميِّتًا؛ ليعرف بذلك الفرق بين ما خلقه الله، وما خلقه عيسىٰ بإذن الله(١).

أما بقية الخلق، فلن يستطيعوا أن يخلُقُوا أصغَرَ مخلوق؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج: ٧٣].

(١) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٩)، وتفسير القرطبي (٤/ ٩٤).

فالذباب من أحقر المخلوقات، لو اجتمَعُوا علىٰ أن يخلقوه، وأن يركِّبوا فيه مفاصله، وأوصاله، وسمعه، وبصره، وشمَّه، وأسنانه، وأمعاءه، وأجنحته، لن يستطيعوا، بل الخلقُ خَلْقُ الله.

وإذا قيل: أليس الإنسانُ يتسبَّبُ في خلق الولد؟

نقولُ: الله تعالىٰ هو الذي يخلق الأولاد، وقدَّر أن الاتصال بين الذكر والأنثىٰ يسبِّبُ خَلْقَ المولود وتولُّدَهُ بين اثنين؛ فهو الذي قدَّره، وهو الذي خلقه؛ فليس الإنسان هو الذي يخلُقُ أولاده، ولو كان كذلك، لاختار مثلًا أن يكون أولاده ذكورًا، ولاختار أن يكون خلقهم حسنًا، ولاختار أن يكون خلقهم تامًّا؛ فلا يكونُ هناك معضوب، ولا معاق، ولا يكون هناك ناقص الخلق، وسيِّئُ الخِلْقة، وما أشبه ذلك؛ فدلَّ علىٰ أن الله تعالىٰ هو الذي يخلُقُهم، وهو الذي فاوت بينهم.

فمالكُهم هو الذي يَمْلِكُهم: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ فالخلقُ كلُّهم ملكُهُ وتحت تصرُّفه وتقديره؛ خلَقَهم وأنشأهم، ليس لحاجةٍ خلقهم وأوجدهم وأنشأهم، بل هو الغنيُّ عنهم وهم الفقراء إليه، وفي الحديثِ القدسيِّ في «صحيح مسلم»؛ يقول الله تعالىٰ: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ**

وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»، إلىٰ آخر الحديث(١).

فيخبر أنه غنيٌّ عنهم، وأنهم لو اجتمعوا كلهم علىٰ أتقىٰ قلب رجل، ما زاد ذلك في ملكه، أو اجتمعوا علىٰ أشقىٰ قلب رجل وأفجر قلب رجل، ما نقص ذلك في ملكه، وأنهم لا يبلُغُونَ نفعه، ولا ضره.

فقولُ المؤلِّف: (**لا عن حاجةٍ**)، يعني: لم يكن بحاجة إليهم، ولكنْ خلق الخلق وأوجده للابتلاء والامتحان؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]؛ خلَقَ الموت والحياة، وخلق هؤلاء المخلوقين وأوجَدَهم، يعني: قدَّر أنهم يَحْيَوْنَ الحياة التي يعيشونها، وقدَّر أرزاقهم، وأمَرَهم ونهاهم؛ فكلُّ ذلك بقضاء الله تعالىٰ وقدَرِه، لا عن حاجةٍ إلىٰ ما خلق.

وقوله: (**ولا لِمَعْنًىٰ دعاه إلىٰ أن خَلَقَهم**):

أي: ليس هناك دافعٌ دفَعَهُ إلىٰ خلقهم.

وقد ذكرنا قوله ﷺ: «**لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**»، فهو ليس بحاجة إليهم، لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضرُّه معصية العاصي، بل هو النافع الضار: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

يفعل ما يشاء، ويحكُمُ ما يريد، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، أوجد جميع المخلوقات: الحيواناتِ؛ صغيرَهَا وكبيرها، والدوابَّ والحشرات، والطيورَ والوحوش، والسباعَ والهوامَّ، وغيرها، هو الذي أوجدها، وجعلها آية علىٰ قدرته؛ فحيثُ خلَقَ هذه المتضادَّات، أنشأها مع اختلافها، وحيثُ خلَقَ هذه المخلوقات وجعلها تتوالد كما يشاء، أليس ذلك دليلًا علىٰ كمال قدرته؟!

فمن المشاهد -وهو من آيات الله تعالىٰ- أن كل مخلوق إنما يلد من جنسه، فمثلًا: السبع يلد سبعًا مهما كانت أحواله، وقد ذكر بعض أهل القصص أن امرأة أخَذَتْ جَرْوَ ذئبٍ؛ فربَّته في بيتها وأرضعته من شاتها، ولما كَبِرَ، عقر شاتها، مع أنه أليف لهم، فأنشأت تقول[(١)]:

بَقَرْتَ شُوَيْهَتِيَ وَفَجَعْتَ قَلْبِي ... وَأَنْتَ لِشَاتِنَا وَلَدٌ رَبِيبُ
غُذِيتَ بِدَرِّهَا وَنَشَأْتَ فِينَا ... فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذِيبُ
إِذَا كَانَ الطِّبَاعُ طِبَاعَ سَوْءٍ ... فَلَيْسَ بِنَافِعٍ فِيهَا الأَدِيبُ

لو غيَّرْتَ طباعَهُ، لم تتغيَّر، هكذا طُبِع؛ فولَدُ السبع يكون سبعًا، وولد بهيمة الأنعام يكون تابعًا لها، وأولاد الطيور، فلو جمَعْتَ بيضًا: بيضة حمامة، وبيضة دجاجة، وبيضة عصفور، وبيضة حُبَارىٰ[(٢)]، وبيضة نعامة، وجعلتها في مكان، لَفَقَسَتْ، وصارت كل واحدة مثل أمها التي باضتها، لا يمكن أن

(١) حكاها البيهقي في شعب الإيمان رقم (١٠٤٦٨)، والدَّميري في حياة الحيوان الكبرىٰ (١/ ٥٠٠)، عن الأصمعي. وينظر: الحيوان للجاحظ (٤/ ٢٨٤).

(٢) الحُبَارَىٰ: طائر علىٰ شكل الإوزة، برأسه وبطنه غبرة، ولون ظهره وجناحيه كلون السماني غالبًا، جمع: حَبَابِير، وحُبَارَيَات، والحُبْرُور -كعصفور-: فرخ الحُبارىٰ، ينظر: الحيوان للجاحظ (٥/ ٢٤١)، والمصباح المنير (١/ ١١٨)، وتاج العروس (١٠/ ٥٠٩).

تتغيَّر، هكذا خلق الله، كل شيء يكون ولده مثله، ولا شك أن هذا دليلٌ على قدرة الله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان: ١١].

وقوله: (**لا يُسأَلُ عمَّا يَفْعَلُ، والخلقُ مسؤولون عمَّا يفعلون**):

أخذ ذلك من الآية في سورة الأنبياء: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أي: أنه يفعل ما يشاء، ولا يجوز أن يقال: لماذا فعل الله كذا؟ فاللهُ تعالىٰ حكيمٌ في أفعاله؛ فلا يجوز أن تسأل وتقول: لماذا خلق الله هذه الحشرة؟ وما فائدة خلق السباع؟ وما فائدة خلق الدوابِّ؛ فبعضها ضارٌّ مؤذٍ؟ وما فائدة خلق الذباب؟ وما أشبه ذلك.

فنقولُ: إن الله حكيم في أمره، ويجوز أن يُسأَلَ عن الحكمة في خلقه؛ لأنه ما خلق شيئًا عبثًا، بل لكل مخلوق حكمة، وإن لم نعلمها؛ لأن الله حكيم، يفعل ما يشاء، ويحكُمُ ما يريد.

إثباتُ أسماءِ اللهِ الحسنى، وصفاتِهِ العلا

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وأنه مدعُوٌّ بأسمائِهِ الحسنىٰ، وموصوفٌ بصفاتِهِ التي سَمَّىٰ ووصَفَ بها نفسه، وسمَّاه ووصَفَهُ بها نبيُّهُ عليه الصلاة والسلام، لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ولا يوصفُ بما فيه نقصٌ أو عيبٌ أو آفة؛ فإنه عَزَّوَجَلَّ تعالىٰ عن ذلك، وخلَقَ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيده، ويداه مبسوطتان يُنْفِقُ كيف يشاء، بلا اعتقادِ كيف يداه؛ إذْ لم يَنطِقْ كتابُ الله تعالىٰ فيه بِكَيْفٍ].

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مدعُوٌّ بأسمائِهِ)**، تقدَّم قريبًا أنه أمرنا أن ندعوه بأسمائه، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله: **(موصوفٌ بصفاتِهِ)**، تقدَّم قريبًا أيضًا أنه موصوف بصفاته التي سَمَّىٰ ووصَفَ بها نفسه، وسمَّاه ووصَفَهُ بها نبيُّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: **(لا يُعْجِزُهُ شيءٌ)**، هذه من الصفات السلبية؛ أخبر تعالىٰ أنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء في عدة آيات[١]، وذلك دليلٌ علىٰ كمال قدرته؛ لأن الصفات السلبية إنما يوصف بها إذا كانت تدلُّ علىٰ إثبات كمال الضد.

وقوله: **(ولا يوصف الله تعالىٰ بما فيه نقص أو عيب)**؛ فالصفات التي

---

(١) مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[فاطر: ٤٤]. وغيرها من الآيات.

فيها نقصٌ أو عيبٌ نزَّه الله تعالىٰ نفسه عنها، في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وأشباه ذلك.

وقوله: (**موصوفٌ بصفاته التي سَمىٰ وَوَصَف بها نفسه، وسماه ووصَفَه بها نبيُّهُ** ﷺ)؛ هذه العبارة يكرِّرها أهل السنة في عقائدهم، ثم بعد ذلك يفصِّلون.

فهنا ذكر المؤلِّف بعض الصفات الفعلية والصفات الذاتية؛ فذكر: صفة اليد -وهي من الصفات الذاتية- وصفة الاستواء -وهي من الصفات الفعلية-.

كذلك أيضًا ذكَرَ بعض الصفات السلبية؛ مثلُ قوله: (**لا يعجزه شيء**)، وهي من صفات النفي؛ فلا يوصف سبحانه بما فيه نقص أو عيب أو آفة.

وقد ذكر العلماء: أن الله تعالىٰ بعَثَ رسله بإثباتٍ مفصَّل، ونفيٍ مجمل؛ وذلك لأن الإثبات مقصود لذاته؛ فلأجل ذلك فُصِّلَ في الإثبات.

فأثبت الله تعالىٰ لنفسه النَّفْسَ في قوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وأثبت صفة اليد في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وصفةَ الوجه في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وأثبت العِزَّة، والحكمة، والرحمة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر.

وأثبت الصفات الفعلية؛ كالمجيء، والإتيان، والمَكْر، والكيد، والعَجَب، وما أشبهها مما ورد في القرآن، وكذلك في الأحاديث.

ويُسمَّىٰ هذا: **تفصيلًا**، يعني: أن الله تعالىٰ فصَّل في الإثبات؛ بحيث ذكر الصفات المثبتة كلَّها علىٰ وجه التفصيل.

أما صفاتُ السلب، فإنه ذكرها علىٰ وجه الإجمال؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وأشباه ذلك من الصفات السلبية؛ فقد نفىٰ الله تعالىٰ عن نفسه هذه النقائص.

وذكر شيخ الإسلام أن الله تعالىٰ لا يوصف بالصفات السلبية إلا إذا تضمَّنت إثباتًا[1]؛ فإن الله نفىٰ عن نفسه الكُفُوَ، والنِّدَّ، والمِثْلَ، والسَّمِيَّ؛ وذلك دليل إثبات الأحديَّة وإثبات التفرُّد، يعني: إذا نفينا هذه الأشياء، أثبتنا أنه واحد أحد، وفرد صمد، وكذلك إذا نفينا العجز: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]، كان ذلك دليلًا علىٰ إثبات كمال القدرة، وكذلك بقية الصفات السلبية.

ثم نقولُ: إن المبتدعة كالمعتزلة والفلاسفة عكسوا الأمر؛ فهم يفصِّلون في النفي والصفات السلبية، ويُجْمِلونَ في الإثبات؛ كما ذُكِرَ ذلك في معتقداتهم[2]؛ فهم يفصِّلون في صفات السلب، وفي زعمهم أنهم بذلك ينزِّهون الله، فيقولون: ننزِّهُ اللهَ أن يكون فوق أو تحت، أو يمين أو يسار، أو أمام أو خلف، وننزِّهه عن الحدود والأعراض، والأبعاض والأجسام، والحيِّز والجهة، وننزِّهه عن كذا وكذا.

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ١٨٣)، ومجموع الفتاوىٰ (١٤/ ١٨١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٦٦)

ولا يُثْبِتونَ إلا إثباتًا مجمَلًا مطلقًا؛ فيثبتون الوجود فقط وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق[١]، ولا شكَّ أن هذا التفصيل لا دليل لهم عليه؛ فلذلك كان ذلك من جملة ما ابتدعه المبتدعون؛ كما سيأتي قريبًا.

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢١٦).

حكمُ نَفْيِ الصفاتِ التي لم تَرِدْ في النصوص

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ولا يُعْتَقَدُ فيه الأعضاءُ، والجوارحُ، ولا الطُّولُ، والعَرْضُ، والغِلَظُ، والدِّقَّةُ، ونحوُ هذا، مما يكون مثلُهُ في الخلق؛ فإنه ليس كمثله شيء؛ تبارك وجهُ ربِّنا ذو الجلالِ والإكرام].

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولا يُعْتَقَدُ فيه الأعضاءُ، والجوارحُ...**)؛ هذه الصفاتُ والكلماتُ مبتدَعةٌ لم يتكلَّم بها السلف لا إثباتًا ولانفيًا، وقد علَّق محقِّق الكتاب -جزاه الله خيرًا- عليها تعليقًا وافيًا(١).

وفي القرن الرابع تمكَّنت مذاهب المعتزلة وأقوالهم، وكذلك من قاربهم من الكُلابيَّة والأشعريَّة ونحوهم، وصار الذين يتتلمذون عليهم يولِّدون مثل هذه العبارات؛ فيَرَوْنَ أننا إذا أثبتنا الصفات، استلزم من

(١) قال الدكتور محمد الخميِّس: «هذه الكلمات ليست من الألفاظ المعروفة عند أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة، بل هي من الكلمات المخترعة المبتدعة، والتعبيرُ عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة؛ فلا ينبغي لطالب الحق الالتفاتُ إلىٰ مثل هذه الألفاظ، ولا التعويلُ عليها، وما كان أغنىٰ الإمام المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ عن مثل هذه الكلمات المبتدعة؛

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موصوفٌ بصفات الكمال، منعوتٌ بنعوت العظمة والجلال، وعلىٰ كل حال: فالباطل مردود علىٰ قائله كائنًا من كان، والقاعدة السلفية في مثل هذه الكلمات: أنه لا يجوز نفيها ولا إثباتها، إلا بعد التفصيل، وتبين مراد قائلها. وكان علىٰ المؤلِّف أن يجمل في النفي، غير أنه أراد بهذا النفي أن يسُدَّ الطريق علىٰ المعطلة؛ لئلا يكون لهم مدخل في رمي أهل الحديث بالتشبيه، ولكنه بهذه العبارات فتح الباب لهم ليلزموا من أطلقها بموافقتهم علىٰ نفي بعض الصفات الذاتية؛ كالوجه واليدين، فلو أمسك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه العبارات، لكان أجدىٰ».

إثباتها هذه الأشياء؛ فلذلك قالوا: لا بُدَّ أن نصرِّح بنفيها، وأن نتبرَّأ ممن لا ينفيها؛ حتىٰ لا يرمينا النفاة أو المعتزلة ونحوهم بأننا مجسِّمة أو مشبِّهة أو نحو ذلك! فالتزموا بنفي هذه الأشياء؛ وإلا فهي عبارات لم يَرِدْ عليها دليل، ولم يستعملها السلف لا نفيًا ولا إثباتًا.

فالسلف لم يخوضوا في هذه الأمور؛ فلا يقولون: «ننزِّه الله تعالىٰ عن الحدود، وعن الأعراض، وعن الأبعاض، وعن الأجزاء، وعن الجهات، وعن الجسم، وعن الحيِّز»، بل يقتصرون علىٰ الوارد نفيًا وأثباتًا؛ يقولون: الصفات التي ورد دليلها نقول بها، ونثبتها لفظًا ومعنًىٰ، ونتوقَّف عن الكيفية التي هي عليها، وكذلك نتوقف عن التعليل الذي تُعلَّلُ به أفعال الله تعالىٰ، فنثبت الأفعال والأحكام، ونتوقَّف عن تعليلها، فلا نقول: لماذا وُصِفَ بكذا دون كذا؟! ولا لماذا فعل كذا دون كذا؟! فالتعليلات مرجعها إلىٰ الله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وكذلك الصفاتُ والكلماتُ التي لم يتكلَّم بها السلف، نقولُ: إنها بدعة إثباتًا ونفيًا، فمن قال: إن الله جسم، قلنا: أنت مبتدع، ومن قال: إن الله ليس بجسم، قلنا: أنت مبتدع، ومن قال: لله أجزاء وأعضاء وأبعاض، قلنا: هذا بدعة، ومن قال: ليس لله أجزاء ولا أعضاء ولا أبعاض، قلنا: هذا بدعة، لا تقل هذا ولا تتكلَّم فيه؛ لأن هذا لم يَرِدْ لا نفيًا ولا إثباتًا؛ فما دليلك علىٰ النفي؟! وما دليلك علىٰ الإثبات؟!

قِفْ حيث وقف القوم، وتوقَّف عن التكلُّفاتِ؛ قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]؛ فالتكلُّفُ: أن يكلِّف الإنسان نفسه؛ فيقولُ بلا علم، ويتخرَّصُ في الاعتقاد، وفي الأسماء والصفات، ويقول شيئًا من قِبَلِ نفسه.

ولكنَّ بعض أهل الحديث وأهل العقيدة، لمَّا ظنوا أن إثبات هذه الأشياء يستلزِمُ أن المعتزلة يعيبون من أثبت الصفات بكذا وكذا، صرَّحوا بمثل هذا النفي.

وكأن المعتزلة يقولون: «إذا أثبتم لله تعالىٰ الاستواء، وأثبتم له المجيء والنزول، فإن هذا إثبات أجسام؛ لأنا لا نَعْرِفُ من ينزل من فوق إلىٰ تحت، أو من يجيء، أو من يستوي ويرتفع إلا الأجسام والأعراض؛ فقد أثبتم جسمًا أو عَرَضًا، أو أجزاءً وأبعاضًا أو نحو ذلك! فإذا قيل لهم: إن الله تعالىٰ مستوٍ علىٰ عرشه، قالوا: هذا يستلزم أن يكون جسمًا؛ لأن الاستواء الذي هو الاستقرار علىٰ العرش، لا بد أن يكون لجسم؛ فقد جسَّمتم وأثبتم لله تعالىٰ جسمًا! فنقول: لا ترمونا بإثبات شيء لم نقله، نحن لا نقول: إن الله جسمٌ، ولا غيرُ جسم؛ فالله تعالىٰ وصف نفسه بهذه الصفات، فنثبتها ونتوقَّف فيما زاد عنها.

وكذلك: إذا قدَّروا التقديرات، وقالوا: إذا استوىٰ علىٰ العرش، فإما أن يكون مثل العرش، أو دون العرش، أو أكبر من العرش!

نقول: هذا هو التكلُّف؛ فلا تخوضوا في هذا، أثبتوا ما أثبته الله، وتوقَّفوا في كيفيتها -كيفية الاستواء- كما قال السلف: «**الكيف مجهول**»، وكِلُوها إلىٰ الله سبحانه.

وإذا قالوا مثلًا: إن مجيئه ونزوله من شأن المحدَثاتِ، ومن شأن المركَّبات، فيلزم أن يكون الله حادثًا، وأن يكون مركَّبًا من أعضاء وأجزاء! وما أشبه ذلك؛ تعالىٰ الله عما يقولون.

قلنا: هذا أيضًا من التكلُّف، ولا حاجة بنا إلىٰ الخوض في مثل هذا؛ فالله تعالىٰ ربُّنا، نؤمن به، وهو خالق الخلق، وهو مدبِّرهم، وأما

الخوض في تكييف صفاته، وفي تنزيهه عن أشياء قد سكَتَ عنها، وسكَتَ عنها السلف والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأئمة التابعين لهم بإحسان، فهو تكلُّف.

وقد جاء في مناظرةٍ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في دمشق[١] -ناظرهم في الصفات وأثبتها- أنه كان يقول: لله تعالىٰ وجهٌ، ولا يشبه خلقه، ولله يد من غير تشبيه، ليست كيد المخلوق، والله تعالىٰ يَضْحَكُ ويَعْجَبُ لا كضحك المخلوق أو عجبه، والله تعالىٰ يرحم لا كرحمة المخلوق، فقال بعض الحاضرين: إذن نقول: إن الله تعالىٰ جسم لا كأجسام المخلوقين، فقال شيخ الإسلام: كلا، لا نقولُ هذا؛ لأن هذا لم يَرِدْ، ونحن إنما نقول بما ورَدَ، أنتم توافقون علىٰ أن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأين في الصفات إثباتُ الجسم أو نفيه؟! وأين في صفات الله أو في الآيات والأحاديث إثبات العَرَضِ أو نفيه؟! أو إثباتُ الأبعاض والأجزاء أو نفيها؟! أو إثباتُ التركيب وحلول الحوادث أو نفيها؟! أو إثبات المقدار أو الغِلَظِ والدِّقَّةِ وما أشبه ذلك أو نفيها؟!

لمَّا لم تَرِدْ مثل هذه، لم يَجُزْ استعمالها، لا نفيًا ولا إثباتًا؛ فهذا هو حقًّا القول الصحيحُ الثابت: أن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأن مثل هذه الألفاظ والكلمات التي توسَّع فيها هؤلاء، إنما هي مبتدعة.

وقد ذكر المعلِّق عُذْرَ المؤلِّف في مثل هذه الكلمات، فقال: «لا شكَّ أنه أراد بهذا النفيِ أن يَسُدَّ الطريق علىٰ المعطِّلة؛ لئلا يكون لهم مَدْخَلٌ في رمي أهل السنة بالتشبيه».

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٦٨).

استعمل المؤلِّفُ هذه الكلمات حتىٰ يسُدَّ الباب علىٰ المعطلة والمعتزلة؛ فإنهم إذا قلنا: إن لله وجهًا، قالوا: الوجهُ موجودٌ في المخلوقين، فقد شبَّهتم! وإذا قلنا: إن لله يَدًا، قالوا: قد شبَّهتم، وإذا أثبتنا هذه الصفات، قالوا: قد جعَلْتُم لله تعالىٰ أعراضًا، وجعلتم له أبعاضًا، وجعلتم له أجزاء.... إلخ!

فلأجل ذلك رأىٰ بعض أهل السنة من المتأخِّرين من القرن الرابع وما بعده استعمالَ هذه الكلمات؛ مثلُ: المؤلِّف، والطحاوي في «عقيدته»؛ فإنه استعمل مثل هذه الكلمات، وناقشه الشارح، وبيَّن أنها مما لم يَرِدْ[1]؛ **فكان عذره: أن يسُدَّ الباب علىٰ المعطِّلة والمعتزلة ونحوهم.**

لكنْ بيَّن المعلِّق أنه بذلك فتح البابَ لهم ليُلْزِموا من أطلقها بموافقتهم علىٰ نفي بعض الصفات الذاتية؛ كأنهم يقولون: ما دام أنكم تنفونها، وتقولون: ليس لله أعراضٌ، وليس لله أجزاء، فعليكم أن تنفوا صفةَ الوجه، وصفةَ الرِّجْل، وصفةَ اليدَيْن، وما أشبه ذلك مما ورَدَ دليله!

فاستعمال هذه الكلمات فَتْحٌ لهذا الباب، وكان الأولىٰ: الإمساك عنها، والاقتصار علىٰ الوارد.

فنحن نعتقد النفي المجمل؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ: ١١]، يكفينا فيها النفي، ويكون هذا عامًّا في الذات، وفي الفعل:

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٦٩).

فإذا أثبتنا لله الصفات الذاتية؛ كالوجه واليدَيْن والعينَيْن، وما أشبهها، قلنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، في ذاته، ولا في صفاته.

وإذا أثبتنا له الأفعال: أنه يشاءُ، ويريدُ، ويحكُمُ، ويَرْحَمُ، ويحبُّ، ويَكْرَهُ، ويُبْغِضُ، قلنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، في هذه الأفعال.

هذه طريقة أهل السنة في ذلك.

ردُّ القول بأنَّ أسماءَ اللهِ غيرُ الله

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ولا يقولـون: إنَّ أسـماءَ الله عَزَّوَجَلَّ - كمـا تقولـه المعتزِلـةُ والخـوارجُ وطوائـفُ مـن أهـلِ الأهـواء - مخلوقـةٌ]:

الشَّرح

جـاء في هـذه النسـخة: (**ولا يقولـون: إن أسـماء الله** عَزَّوَجَلَّ - **كمـا تقولـه المعتزلـة والخـوارج وطوائـف مـن أهـل الأهـواء - مخلوقـةٌ**)، وفي نسـخة أخرىٰ[1]: (**ولا يقولـون: إن أسماء الله غيرُ الله**)؛ ولعلَّ الثانيـة هـي الصـواب.

فبعـضُ المبتدعـة زعمـوا أن أسـماء الله غيـرُهُ، ولا شـكَّ أن الاسـم يـدُلُّ علىٰ المسمَّىٰ؛ ولأجـل ذلـك يأمر الله تعالىٰ بذكـره بأسمائه؛ كقوله تعالـىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلىٰ: ١]، والمعنـىٰ: سَـبِّحْ رَبَّـكَ؛ فالاسـم دليـلٌ علـىٰ المسـمىٰ، وليـس زائـدًا عليـه.

ويمكـن أن يقـال: إن الاسـم عبـارة أو كلمـة تـدُلُّ علـىٰ المسـمَّىٰ؛ وذلـك في حـقِّ المخلـوق، فيمكـن أن يتسـمَّىٰ الإنسـان مثـلًا باسـم، ثـم يتسـمَّىٰ باسـم آخـر، ثـم أيضًـا في حـق المخلوقيـن: لا يكـون أثـر اسـمه ظاهـرًا فيـه؛ فليس كل مـن سُـمِّيَ مثـلًا: صالحًـا، يكـون مـن أهـل الصـلاح، ولا مـن سُـمِّيَ: صادقًـا، يكـون مـن أهـل الصـدق دائمًـا، ولا مـن سُـمِّيَ: طاهـرًا، يكـون مطهَّـرًا، ولا مـن سُـمِّيَ: راشـدًا، يكـون مـن أهـل الرشـد؛ فـدلَّ ذلـك علـىٰ أن الاسـم ليـس هـو عيـن المسـمَّىٰ في حـقِّ المخلـوق.

---

(١) ينظر: نسخة جمال عزُّون (ص ٣٨).

وهـذه الجملـةُ قـد توسَّـع العلمـاء فيهـا، واختلفـوا: فمنهـم مـن يقـول: الاسـم عَيْنُ المسـمىٰ، ومنهـم مـن يقـول: الاسـم غَيْرُ المسـمىٰ، ومنهـم مـن يتوقَّـف ويقـول: لا نقـول: الاسـم عيـن المسـمىٰ، ولا الاسـم غيـر المسـمىٰ.

والصحيـح مـن حيـث الواقـعُ: أن الاسـم دليـلٌ علـىٰ المسـمىٰ، وليس هـو عَيْنَ المسـمىٰ؛ ولأجـل ذلـك: فقـد يسـمَّىٰ الإنسـان باسـم ثـم يغيِّر اسـمه. وكثير مـن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مضـىٰ عليهـم قبل أن يسـلموا أربعون أو خمسـون سـنة، ثـم غُيِّـرَتْ أسـماؤهم بعدمـا أسـلموا، فعبدالرحمن بـن عَـوْف كان اسـمه: عبـد عَمْـرو، ولمـا أسـلم، تسـمَّىٰ بعبدالرحمـن[١]، وأبو هريـرة كان اسـمه: عبـد شَـمْس علـىٰ الصحيـح، ولمـا أسـلم، تسـمَّىٰ بعبدالرحمـن[٢]، وكـذا كثيـر مـن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غيَّـر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسـماءهم؛ فذلـك دليـلٌ علـىٰ أن الاسـم ليس هـو عيـن المسـمىٰ.

أمـا أسـماء الله تعالـىٰ: فإنهـا دالَّـةٌ عليـه، ولا نقـولُ: إن أسـماء الله غَيْرُ الله، ثـم أيضًـا أسـماؤه دالَّـة علـىٰ صفاتـه؛ فاسـمه الرحمـن دليـل علـىٰ الرحمـة، واسـمه العزيـز دليـل علـىٰ العـزَّة، وهكـذا بقيـة الأسـماء.

يقـول العلمـاء: إن كل اسـم مـن أسـماء الله تعالـىٰ لـه ثـلاث دلالات: دلالـةٌ علـىٰ الـذات والصفـة جميعًـا، ودلالـةٌ علـىٰ الـذات وحدهـا، أو الصفـة المشـتقَّة مـن ذلـك الاسـم وحدهـا، ودلالـةٌ علـىٰ بقيـة الصفـات.

فدلالتـه علـىٰ الـذات والصفـة جميعًـا، تُسـمَّىٰ: دلالـةَ المطابقـة، ودلالتُـهُ علـىٰ الـذات وحدهـا، أو علـىٰ الصفـة المشـتقَّة مـن ذلـك الاسـم وحدهـا،

(١) ينظر: أسد الغابة (٣/ ٣٧٦)، والإصابة (٤/ ٢٩١).

(٢) ينظر: أسد الغابة (٥/ ٣١٩)، والإصابة (٧/ ٣٤٩).

تسمَّىٰ: دلالةَ تضمُّن، ودلالته علىٰ بقية الصفات تسمَّىٰ: دلالةَ التزام[1]، فإذا ذكر اسم الرحمن، قلنا: هذا الاسم ينطبق علىٰ الله تعالىٰ، ولا يسمَّىٰ به إلا الله علىٰ الإطلاق؛ فهو يدُلُّ لكل من سمعه علىٰ ذات الله تعالىٰ وصفة الرحمة له، فهذه دلالة المطابقة.

ثم نقول: هذا الاسم يدلُّ علىٰ إثبات الذات بالتضمُّن، ويدل علىٰ إثبات الرحمة؛ أيضًا بالتضمُّن، فهو يتضمَّن إثبات الرحمة؛ لأنه مشتقٌّ منها؛ فهو دليل علىٰ إثبات الرحمة؛ وهذه دلالة تضمُّن.

كذلك إذا أثبتنا الرحمن، وأثبتنا الرحمة، قلنا: إثبات الرحمة يستلزم بقية الصفات؛ فيستلزم إثبات المحبَّة، وإثبات القوَّة والقدرة، وإثبات السمع والبصر، وإثبات العلم والإرادة، وإثبات الغنىٰ وكمال التصرُّف؛ لأن الرحمن واسعُ الرحمة؛ فلا بُدَّ أن يكون غنيًّا، وأن يكون قادرًا، وأن يكون قويًّا، وأن يكون سميعًا بصيرًا، وأن يكون متكلِّمًا، وأن يكون مريدًا، ونحو ذلك، فنسمِّي دلالته علىٰ بقية الصفات: دلالةَ استلزام، أو: التزام، أي: يلزم من إثبات هذه الصفة إثباتُ بقية صفات الكمال.

ثم إن هناك من يقول: إن أسماء الله غيرُ الله، أي: أن أسماء الله مخلوقة!

ولعلَّ هؤلاء ما حملهم علىٰ ذلك إلا اعتقاد أن الأسماء إذا تعدَّدت، تعدَّدت الموجودات كما يعبِّرون بذلك، وهذا قول خاطئ؛ فلا يلزم إثبات التعدُّد، ولا يلزم - كما يقولون - تعدُّد القدماء.

وأخصُّ صفات الله عند المعتزلة هي: صفةُ القِدَمِ، بمعنىٰ: أن الله

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٩/ ٢٥٧)، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٩/ ١٧٤).

قديم لم يُسْبَقْ بعدَم؛ فهم يقولون: إن أسماء الله حادثة، وإذا كانت حادثة، فإنها ليست قديمة، ويقولون: لو أثبتنا أنه موصوف بها أزلًا، لأثبتنا تعدُّد القدماء، فيلزم بذلك إثبات التعدُّد للقديم!

وهذا تعليل ضعيف؛ فإنا إذا قلنا: إن الله تعالىٰ قديمٌ بصفاته، لم يلزم تعدُّد؛ لأن الصفات تابعة للذات، ولا يلزم من إثبات الصفات في الذات أن يكون هناك تعدُّد؛ كما في المخلوق أيضًا:

فالمخلوق إذا قلتَ: جاءنا زيد، فلا حاجة إلىٰ أن تقول: جاءنا زيد، وسمعه، وبصره، وأُذُناه، ويداه، ورجلاه، وبطنه، وظهره، ورأسه، ولسانه، وشفتاه، يكفي أن تقول: جاء زيدٌ؛ فهو شيء واحد؛ فإثبات المسمَّىٰ يتبعه إثبات الصفات.

فإذا قلنا: إن الله تعالىٰ قديم، فلا حاجة إلىٰ أن نقول: اللهُ قديم، وعلمه قديم، وقدرته قديمة، ويداه قديمتان، ووجهه قديم، وإرادته قديمة، بل الله قديم بصفاته؛ فلا يحتاج إلىٰ تعدُّد القدماء كما يقولون.

ومعروف أن المعتزلة ينكرون الصفات، وكان أول خروجهم في عهد الحسَن البصري؛ حيث جاءه رجلٌ يسأله عن رجلٍ عَمِلَ ذنوبًا، وارتكَبَ خطايا، فهل نكفِّره أو نفسِّقه؟ وهل نسمِّيه مؤمنًا أو نسمِّيه كافرًا؟

وكان في مجلس الحسن رجل من تلامذته - وهو وَاصِل بن عَطَاء[1] - وكان لَسِنًا جريئًا، بليغًا فصيحًا، فنطق وقال: أنا أقول: إن العاصي ليس

---

(١) واصلُ بنُ عَطَاءٍ، أبو حُذَيْفةَ الغزَّال، مولىٰ بني ضَبَّةَ، ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ، كان يجلس إلىٰ الحسن البصري، فلما ظهر الاختلاف في مرتكب الكبيرة، قال بالمنزلة بين المنزلتَيْن، فطرَدَهُ الحسَنُ من مجلسه، فاعتزَلَ عنه وتبعه عمرو بن عُبَيْد وجماعة، فسُمُّوا: المعتزلة. من مصنفاته: كتاب المنزلة بين المنزلتَيْن، وغير ذلك. توفي سنة ١٣١هـ. ينظر: وَفَيَات الأعيان (٦/ ٧)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٧٤٩).

بمؤمن ولا كافر، بل هو بمنزلة بين المنزلتَيْن؛ فلا نُخْرِجُهُ من الإسلام، ولا نُدْخِلُهُ في الكفر، بل هو بينهما!

فأراد أن يقنعه الحسن، فأصرَّ علىٰ كلامه، ولما أصرَّ علىٰ ذلك، اعتزل مجلس الحسن، وانفرَدَ في حلقة من زاوية المسجد، وصار يقرِّر علىٰ تلامذةٍ له -أُعْجِبوا بفصاحته- هذه العقيدةَ، فقال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اعتزَلَنا واصل**».

ثم كان بعد ذلك كلَّما أحَسَّ الحسن من إنسان شيئًا من البدعة، قال: هذا قولُ أولئك المعتزلة، إنْ كنتَ كذلك، فاذهب إلىٰ أولئك المعتزلة؛ فلُقِّبوا بالمعتزلة.

واستمروا علىٰ هذا اللقَب، وصاروا يعرفون بهذا الاسم، ويفتخرون به، ويدَّعون أنهم علىٰ حقٍّ وصواب.

ومبنىٰ مذهبهم علىٰ خمسة أصول، يسمُّونها بأسماء حسنة! وهي:

١ - العدل

٢ - التوحيد

٣ - إنفاذ الوعيد

٤ - المنزلة بين المنزلتَيْن

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه أصولهم الخمسة، أسماء حَسَنة! ولكنْ إذا قرأتَ شرحها، وَجَدتَّ فيها مخالفات كبيرة:

فمرادُهم بالعَدْل: عدَمُ قدرة الله علىٰ خَلْق أفعال العباد!

فهـم ينكـرون أن الله تعالـىٰ خلـق أفعـال العبـاد، ويقولـون: إذا خلَـقَ الله المعصيـة في العاصـي، وعذَّبـه عليهـا، فهـذا جـور وظلـم، وليـس عـدلًا؛ فيجعلـون العبـاد هـم الذيـن يخلقـون أفعالهـم مسـتقلِّين بهـا.

وينكـرون أن الله قـادر علىٰ أن يهـدي أو يضـلَّ، ويقـرِّرون أنـه: لـو أراد العبـد أمرًا، وأراد الله غيره، لغَلَبَتْ قـدرةُ العبـد قـدرةَ الخالـق! وهذا بلا شـك تنقُّصٌ لله؛ هـذا مرادهـم بالعـدل، وسـيأتي بيانـه.

وأما مرادهم بالتوحيد: فهو نفيُ الصفات!

فهـم يقولـون: إن الله تعالـىٰ واحـد، وينكـرون أن يكـون لـه صفـات؛ فيقولـون: إذا أثبتنـا الـذات، والعلـم، والقـدرة، والرحمـة، والـكلام، والوجـه، واليـد، والمشيئة، فمـا أثبتنا واحدًا؛ وإنمـا أثبتنا عددًا، فلا نكـون موحِّدين، إلا إذا أثبتنـا ذاتًـا مجـرَّدةً عـن جميـع الصفات! هـذا مذهبهم، ومرادهـم بالتوحيد.

أمـا المنزلـةُ بيـن المنزلتَيْـن: فمرادهـم: أن العاصـي ليـس بمؤمـن، ولا كافـر؛ بـل بينهمـا!

فهـم لا يقاتلـون العصـاة في الدنيـا كالخـوارج، ولا يعاملونهـم معاملـة المسـلمين.

ومرادهـم بإنفـاذ الوعيـد: أن آيـات وأحاديـث الوعيـد التـي ورَدَتْ في حق العصـاة لابـدَّ مـن إنفاذها!

فلأجـل ذلـك يخلِّـدون العصـاة، فيحكُمُـونَ بخلودهـم في النـار، وينكـرون شـفاعة الشـافعين، وينكـرون أن يخرُجَ أحـد ممَّـن يدخُـلُ النار!

ومرادهــم بالأمـرِ والنهـيِ: جـواز الخـروج علـىٰ الأئمـة إذا أظهـروا معصيـة! فيسـتبيحون الخـروج علـىٰ الأئمـة.

فهذه معتقداتهم.

وِمِـنْ أشـهر رجالهـم: واصل بـن عطـاء، وهـو أول مـن اعتـزل مجلـس الحسـن، وقـد تقـدَّم ذكـره، وعمرو بـن عُبَيْـد، وأبو الهُذَيْـل العـلَّاف.

وواصلُ بـنُ عطـاء: عالـمٌ وفصيـح؛ ذكـروا أنـه كان يَلْثَغُ بالـراء، يقلبهـا غينًـا، ففـي «الصـراط» مثـلًا يقـول: الصِّغـاط، وهـي لُكْنـةٌ تكـون في بعـض النـاس، وكان إذا خطـب، يتجنَّـب أن يكـون في خُطَبِـهِ حـرف الـراء؛ حتـىٰ لا يعاب.

أمَّـا عَمْرُو بـنُ عُبَيْـدٍ[١]: فـكان عالمًـا، ولكنـه مبتـدعٌ ضـالٌّ، ومـع ذلـك فقـد انخـدَعَ بـه بعـض الـولاة؛ مثـل: الخليفـة المنصـور، فـكان يقرِّبـه؛ لأنـه رأىٰ أنـه زاهـد في العطـاء، لا يطلُـبُ شـيئًا مـن المـال، ولا يرغـب في شـيء لنفسـه، وكان يقـول للذيـن يأتـون إليـه:

كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدْ كُلُّكُمْ يَطْلُبُ صَيْدْ غَيْرَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدْ!

يريد: أنهم كلهم يطلُبُونَ المال إلا عمرو بن عبيد[٢].

وقـد بيَّـن ابـنُ كَثِيـرٍ في ترجمتـه في «البدايـة والنهايـة» أنـه -وإن اشـتهَرَ بالزهـد- فإنـه مبتـدِعٌ[٣].

وأما أبو الهُذَيْـلِ العـلَّافُ[٤]: فهـو أيضًـا مشـهورٌ بأنـه مـن جهابذتهـم ومـن أكابرهـم، ولكنـه مـن المنهمِكِيـنَ في هـذه العقيـدة الفاسـدة، ومِـن الغـلاةِ فيهـا.

---

(١) ينظر: طبقات المعتزلة (ص٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٤).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٥).

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٣٤٣).

(٤) ينظر: طبقات المعتزلة (ص٤٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢).

ومنهـم: إبراهيـمُ النَّظَّـام(١)، والجَاحِـظ(٢)، وبِشْـرُ بنُ المعتمِـر(٣)، والمُـرْدَار(٤)، وثُمَامةُ بـنُ أشـرَسَ(٥)، وابـنُ أبـي دُؤَادٍ.

والحاصلُ: أن هؤلاء من مشاهيرهم، ولهم مخالفاتٌ عجيبة.

أما الخوارجُ: فهم الذين خرجوا علىٰ عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووردَتْ فيهم الأحاديث، ثم يُطلَقونَ علىٰ كل فرقة تخرُجُ بقوة علىٰ الأمير أو الخليفة، ولها شُبَهُ تأويل، ويكونُ عندهم نفوذٌ، ولهم قوَّة، ويُسَمَّوْنَ خوارجَ؛ لخروجهم عن وِلاية الولاة.

---

(١) إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق النظَّام، ورد بغداد، كان أحد فرسان أهل النظر والكلام علىٰ مذهب المعتزلة، وكان متأدِّبًا، وله شعر دقيق المعاني علىٰ طريقة المتكلِّمين، وكان معاصرًا لأبي الهُذَيْلِ العلَّاف، له تصانيف، ومقالات خبيثة، وقد كفَّره غير واحد. توفي سنة: ٢٣١هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ٦٢٣)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٧٣٥)، والوافي بالوفيات (٦/ ١٢).

(٢) عمرو بن بَحْر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، كان حسَنَ الكلام، بديعَ التصانيف، من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق النظَّام، توفي سنة: ٢٥٥هـ. ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٢٤)، وتاريخ دمشق (٤٥/ ٤٣١)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٤٧).

(٣) بِشْر بن المعتمر، أبو سهل، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، من القَرَامي الكبار، انتهت إليه رياسة الاعتزال في وقته، وكان راويةً للشعر والأخبار، شاعرًا، توفي سنة ٢١٠ هـ. ينظر: تاريخ الإسلام (٥/ ٤٠)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٩٦)، ولسان الميزان (٢/ ٣١٤).

(٤) عيسىٰ بن صُبَيْح، وكان يعرف بأبي موسىٰ بن المُرْدار، وكان من الزهاد، بصري، من كبار المعتزلة أربابِ التصانيف الغزيرة، أخذ عن: بِشْر بن المعتمِر، وتزهَّد، وتعبَّد، وتفرَّد بمسائل ممقوتة، مات سنة ٢٢٦هـ. ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٥٣)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٨)، ولسان الميزان (٦/ ٢٦٨).

(٥) ثمامة بن أشرس، أبو مَعْن النُّمَيْرِيُّ، من كبار المعتزلة البصريين، ومن رؤوس الضلالة، ورد بغداد، واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، توفي سنة: ٢١٣ هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢٠)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٨٦)، والوافي بالوفيات (١١/ ١٦).

وأول ما خرجوا كانوا في عهد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم استمَرَّ خروجهم في عهد بني أُميَّة، ولما استخلَفَ عمرُ بن عبدالعزيز، وسار سِيرةً حسنةً، أرادوا أن يدخلوا في ولايته، فجاؤوا إليه وبحثوا معه، فلم يجدوا عنده شيئًا من المخالفات، فقالوا: ما نَنْقِمُ عليك إلا واحدةً، وهي: أنك استخلَفْتَ بعدك أحد بني أميَّة، وهو لم يستخلِفْهُ، ولكنِ استخلفه غيره، وهو يزيدُ بنُ عبدالملك؛ فعند ذلك أراد أن يَعْزِله، ولما خاف بنو أميَّة أن يعزله من الولاية، قيل: إنه أُرسِلَ إليه مَنْ سقاه سمًّا حتىٰ مات.

والحاصلُ: أن الخوارجَ: كلُّ من خرَجَ عن طاعة الولاة.

ولا شك أن القولَ بأن أسماءَ الله تعالىٰ مخلوقةٌ قولٌ مبتدَعٌ؛ لأن الله تعالىٰ بذاته وأسمائه وصفاته، ليس منه شيءٌ مخلوق، وقد تكلَّفوا في تصوير هذا الذي ادَّعَوْا أنه مخلوقٌ، وأطالوا في ذلك، ولكنْ لم يأتوا بشيء، فعباراتهم التي ولَّدوها لم تدلَّ علىٰ شيء.

إثبات صفة الوجه والسمع والبصر والعلم والقوَّة والقدرة والكلام والعِزَّة

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويثبتون أنَّ له وجهًا، وسمعًا، وبَصَرًا، وعلمًا، وقدرةً، وقوَّةً، وعزَّةً، وكلامًا، لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم؛ ولكنْ كما قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

فهو تعالىٰ ذو العِلْم، والقُوَّة، والقُدْرة، والسمع، والبصر، والكلام.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]].

الشَّرح

ذكر المؤلِّف هنا الصفاتِ الذاتيَّةَ: الوجه، والعلم، والقدرة، والقوَّة، والعزَّة، والصفات الذاتية الفعلية: الكلام، والسمع، والبصر، ولا شكَّ أن أهل السنة يُثْبِتونَ كلَّ ما أثبتَهُ الله تعالىٰ لنفسه.

ولكنَّ هذه الأشياء ذُكِرَتْ علىٰ وجه التمثيل، ولعلَّه خصَّصها للردِّ علىٰ أهل الزيغ من المعتزلة ونحوهم؛ فإن المعتزلة ينكرون مثل هذه الصفات: الوجه، والسمع، والبصر.

وقد ذكر المؤلِّف الأدلَّةَ علىٰ إثبات الوجه من القرآن؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، والآياتُ كثيرة في إثبات الوجه.

وكذلك من السنة؛ مثلُ قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حِجَابُهُ النُّورُ؛ لَوْ كَشَفَهُ، لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[(١)]، ومثل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[(٢)]، ومثلُ قوله في الدعاء المشهور: «**أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ؛ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ**»[(٣)]، وغير ذلك من الأحاديث، وهي واضحة الدَّلَالة في إثبات صفة الوجه؛ فيُثبِتُ ذلك أهل السنة الذين تمسَّكوا بالسنة؛ متقدِّمين ومتأخِّرين.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ**»، وفي قوله: «**حجابُهُ النُّور**»، حديث رقم (١٧٩)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، حديث رقم (٤٨٧٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حديث رقم (١٨٠)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٨٣٢٥)، والنسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، حديث رقم (١٣٠٥) واللفظ له، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير، (١/ ٧٠٥)؛ من حديث عمَّار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب التوحيد»[١]: «باب: لا يُسْأَلُ بوجه الله إلا الجنة، فيه مسائل:

المسألة الأولىٰ: النهي عن أن يُسْأَلَ بوجه الله إلا غايةُ المطالب.

المسألة الثانية: إثبات صفة الوجه».

يعني: نثبتها لله تعالىٰ، وإذا أثبتناه، فإننا ننزِّه الله تعالىٰ أن يكون كوجه المخلوق.

أما الذين نفوا هذه الصفات، فموقفهم عند هذه الآيات والأحاديث: التأويلُ؛ فيقولون: المراد بالوجه ما يقابِلُ النظَرَ أو نحوه!

ويقولون: إنه يُطلَقُ الوجهُ علىٰ ما لا وجهَ له، فيقولون مثلًا: إن العالِمَ إذا أشكَلَتْ عليه مسألة، قال: وجهُ هذه المسألة كذا وكذا، ووجهها يعني: ما يُنْظَرُ فيه إليها؛ فيصرفون هذه الأدلَّةَ مصارف بعيدة.

كذلك صفة السمع والبصر، فأهلُ السنة يثبتون السمع والبصر، ويفسِّرونهما، يعرفون باللغة: أن السمع هو إدراك الأصوات، وأن البصر هو إدراك المرئيَّات.

ويقولون: نُثبِتُ لله تعالىٰ سمعًا، وأنه يسمع كل شيءٍ؛ جَهْرَ القول، وخفيَّ الخطاب، لا تشتبه عليه اللغات، ولا تغلِّطه كثرة المسائل، مع اختلاف اللغات، وتفنُّن المسؤولات، فلا يَشْغَلُهُ سمع عن سمع كالمخلوق؛ فالمخلوق إذا تكلَّم عنده اثنان، اشتبه عليه كلام هذا بهذا، فلا يزال يُسكِتُ أحدهما حتىٰ يسمع الآخر، أما الربُّ تعالىٰ، فيسأله

(١) كتاب التوحيد (ص ٩٣).

الخلق كلهم والملائكة والمخلوقات كلها في آن واحد، ومع ذلك يسمع أصواتهم جميعًا، ويجيبُ مَنْ يستحقُّ الإجابة.

أما البصر: فورَدَ إثباته في آيات كثيرة، منها: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

والبصرُ هو: إدراكُ المبصَرات، ويُطلَقُ عليه الرؤيةُ؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]؛ فأخبَرَ عن نفسه أنه يَرَىٰ، وفيه: إثبات الرؤية.

وقد وصف الله نَفْسَهُ بالسمع والبصر في مثل قوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وجمَعَ بين السمع والبصر في عدَّة آيات.

ونحن نصف الله تعالىٰ بأنه يُبْصِر، وأنه لا يستُرُ بصَرَهُ حجابٌ، ولا يَحجِزُهُ مخلوق عن أن يبصر ما وراءه، فينفُذُ بصره في جميع المبصَرات، وقد ورد في تفسير قوله تعالىٰ في سورة فصلت: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]: أنَّ ثلاثة من المشركين اجتمعوا، فقالوا: أتظُنُّون أن الله يسمع كلامنا ويرانا؟ فقال بعضهم: يَسْمَعُ إذا جهَرْنا، ولا يَسْمَعُ إنْ أَخْفَيْنا، وقال الآخرُ: إنْ كانَ يَسْمَعُ إذا جهَرْنا، فإنَّهُ يَسْمَعُ إذا أَخْفَيْنا، فنزلَتِ الآية: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢][(١)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم، حديث رقم (٤٨١٦)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم (٢٧٧٥)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وصفة العلم: أثبتها الله تعالىٰ بقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، يعني: أثبت لنفسه أنه أنزَلَ القرآن بعِلْمه؛ وذلك بلا شكٍّ دليلٌ علىٰ إثبات صفة العِلْمِ لله تعالىٰ.

والمعتزلة ونحوهم لا يصفون الله بالصفات الثبوتية؛ إنما يصفونه بالصفات السلبية، فإذا جادَلْتَ أحدهم، قال: نحن نقول: إن الله لا يَجْهَلُ! فإذا قلتَ: أثْبِتْ أن الله يعلم، قال: ما أُثْبِتُ أن الله يعلم، ولكنْ أقول: لا يجهل.

وهذا لا يكفي؛ فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فأثبت لنفسه العلم، وأنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

وكذلك العِزَّةُ في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]؛ أثبَتَ لنفسه صفة العزَّة؛ وهو دليلٌ علىٰ إثبات صفة القوَّة.

كذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]؛ فُسِّرَ «الأَيْدُ» بأنه: القوَّة، وليس هو جمعَ يَدٍ؛ قال تعالىٰ عن داود: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]، أي: صاحبَ الأَيْدِ، أي: القوَّة، فكذلك: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾، أي: بقُوَّة.

وأثبَتَ الله أيضًا صفة القوَّة في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، والقوَّة: هي القدرة التامَّة علىٰ كل شيء، وأثبتها أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، أي: القوَّة التامَّة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

فهو تعالىٰ موصوفٌ بالعلم، والقوَّة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام؛ فكلُّ هذه صفات ثابتة لله تعالىٰ.

وأثبت لنفسه صفةَ العَيْنِ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، ولا شكَّ أن هذا أيضًا دليلٌ علىٰ أنه موصوف بهذه الصفات.

وصفةُ العين أثبتها بلفظ المُفْرَد، وأثبتها بلفظ الجمع، فيرادُ بالمفرد: الجنس؛ كما يقال في صفة اليد، ويقال في الجمع -﴿بِأَعْيُنِنَا﴾-: إنه يراد به: التعظيم؛ كما قلنا في: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]: إن المراد: التعظيم.

ووصف نفسه بالكلام، فقال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

ووصف نفسه بالقول، فقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والقول هو: الكلام.

فهذه صفاتٌ أثبتها الله تعالىٰ؛ فنثبتها له كما أثبتها لنفسه، ونتوقَّف عن تكييفها، ونعلم: **أنها صفات حقيقية**.

وليعلم أن أهم أمور العقيدة: معرفةُ الله تعالىٰ والإيمانُ به؛ وذلك يستدعي: الإيمان بوجود الله، والإيمان بكمال قدرته، وكمال تصرُّفه في خلقه، وكذلك: الإيمان بأسمائه الحُسنىٰ وصفاته العُلا، وهي صفات كمال، ونعوت جلال، وما سوىٰ ذلك، فإنه يعتبر تابعًا لهذا الركن، فبقية أركان الإيمان، وكذلك بقية أمور العقيدة تابعةٌ للإيمان بالله؛ وذلك لأن مَنْ آمن بالله تعالىٰ وصفاته ووحدانِيَّته وكماله، استدعىٰ ذلك:

عبادته وطاعته وحده، وتصديق رُسُله الذين بلَّغوا عنه.

وما يتفرَّع عن ذلك من الأعمال تابعٌ لهذا الاعتقاد.

وقد مرَّ بنا: أن صفاتِ الله تعالىٰ تنقسم إلىٰ قسمَيْن:

١ - صفات ذاتيَّة.

٢- وصفات فعليَّة.

فصفة الوجه في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، ونحوه، هذه صفةُ ذات؛ فالوجهُ من الذات.

وصفة السمع والبصر في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]، هاتان صفتان ذاتيتان.

وصفة العلم والقدرة صفات ذاتية أيضًا؛ فلا شك أنه دائمًا متَّصف بالعلم وبالقدرة، وما ذاك إلا أنها صفات كمال، وإذا فُقِدَت، حلَّ بدلها نقصٌ، فلذلك نقول: إنها صفات ذاتية.

وكذلك صفة القوَّة والعزَّة صفاتٌ ذاتيَّةٌ أيضًا؛ وذلك لأنها ملازمة للموصوف، فهو تعالىٰ قويٌّ، لا يكون في وقت من الأوقات مخالفًا للقوة، وكذلك عزيزٌ، لا تنتفي عنه العزة في وقت من الأوقات؛ لذلك يُثبِتُ أهل السنة هذه الصفات، ويجعلونها صفاتٍ ذاتيَّةً.

ويوافقهم الأشاعرة علىٰ إثبات السمع والبصر، والقدرة والإرادة،

والحياة والعلم، والكلام؛ وذلك لأنهم - علىٰ زعمهم - أثبتوها بالعقل! ولم يستندوا في إثباتها إلىٰ النقل، فلمَّا رأَوْا أن العقل يثبتها، أثبتوها، وإذا كان الأمر كذلك، فيُلْزَمُونَ بإثبات البقيَّة؛ كالقوَّة، والعزة، والحكمة، وبإثبات صفات الذات كلها؛ كالوجه، واليد، وما أشبهها؛ فيلزمهم إثبات ذلك.

وقد ذكرنا أن الله تعالىٰ وصف نفسه بأنه بصير في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٦١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، والبصر هو: إدراك المبصَرات.

ويقول العلماء: إن الله تعالىٰ سمَّىٰ نفسه بَصِيرًا؛ فيلزم إثبات كمال البصر، ويقولون أيضًا: إنه سبحانه كما أثبت اسم البصير، فقد أثبت الفعل؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، أَسْمَعُ وَأَرَىٰ: هذان فعلان.

وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]، يَرَاكَ: فعلٌ مضارع، يدُلُّ علىٰ إثبات أن الله تعالىٰ يَرَىٰ العباد، وأنه لا تَخْفَىٰ عليه منهم خافية.

وكذلك أثبت لنفسه صفة العين في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وأثبت الأعيُنَ في قوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

والعين هي: آلة البصر؛ فأثبت لنفسه هذه الصفات: البصر، والعين، والرؤية، أي: أنه يَرَىٰ، وكل ذلك أدلة واضحة في إثبات هذه الصفة؛ فيثبتها أهل السنة كما جاءت.

وقد ورَدَ في آية في سورة طه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، إثبات العين مفردة، ويراد بها: الجنس، لا أنَّ له عينًا واحدة؛ كما في اليد في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، أي: جنس اليد.

وورَدَ في آية القمر: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]، بِأَعْيُنِنَا: ورد بلفظ الجمع مضافًا إلىٰ ضمير الجمع، وقد ذكرنا أن هذا الجمع لأجل التعظيم؛ فالله تعالىٰ يذكُرُ نفسه بلفظ الجمع؛ كما في قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، والجمع يذكُرُهُ من يعظِّم نفسه عن نفسه.

فقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، ذكَرَ الجمع لمناسبة ضمير الجمع؛ فهذا دليل إثبات هذه الصفات كما ذكرها المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إثباتُ المشيئةِ للهِ عَزَّوَجَلَّ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون ما يقوله المسلِمونَ بأَسْرِهم: ما شاء اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لا يكون؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]].

الشَّرح

يتكرَّر إسناد المشيئة إلىٰ الله تعالىٰ في الآيات والأحاديث؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦]، وثبَتَ عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال في الدعاء: «**مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**»(١).

ولا شك أن الله تعالىٰ قد أعطىٰ العباد مشيئة، لكنْ مشيئةً تناسبهم، ومرتبطةً بمشيئة الله؛ فلا يشاؤون إلا ما شاءه الله؛ فأثبَتَ لهم المشيئة في قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، ثم ربط مشيئتهم بمشيئته فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ومن هنا نعرف: أن مشيئة الله تعالىٰ غالبةٌ لمشيئة العبد، وأن العبد له مشيئة تناسبه؛ وذلك أن الله أعطاه قوة يزاول بها الأعمال، وتُنسَبُ إليه، سواءٌ كانت أعمالًا بدنيَّة، أو أعمالًا قلبيَّة، أو أعمالًا قوليَّة؛ فإنها تنسب

---

(١) أخرجه أبو داود، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبَحَ، حديث رقم (٥٠٧٥)، والنسائي في الكبرىٰ، كتاب عمل اليوم والليلة، باب نوع آخر، حديث رقم (٩٧٥٦)، من حديث أم عبدالحميد مولىٰ بني هاشم، عن بنتٍ من بنات النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/ ٣٩٦): «حديث غريب».

إليه؛ كما نسب الله تعالىٰ بعض الأقوال إلىٰ أصحابها؛ فنسب الله لفرعون قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ولو شاء الله تعالىٰ، لأخرَسَ لسانه، فلم يَنْطِقْ بهذه الكلمة الكفريَّة.

وكذلك النّمْرُودُ الذي قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، لو شاء الله، لأعجمه، وحال بينه وبين أن يَنْطِقَ بها، ولكنَّ الله تعالىٰ مكَّنه؛ فالكلمة تنسب إلىٰ النمرود، ويعاقب عليها، ويحاسب عليها، وهي داخلة تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ فهو الذي مكَّنه من ذلك، وتنسب الأفعال إلىٰ العباد؛ لأنهم الذين فعلوها.

وكذلك الأعمال الصالحة تنسب إليهم؛ لأنهم الذين باشروها، مع كون وجودها متوقِّفًا علىٰ إرادة الله تعالىٰ وقدرته ومشيئته؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، يعني: لو شاء مشيئةً قدريَّةً، لآمنوا، ولو شاء الله لهدىٰ الناس جميعًا، لو شاء لاهتدَوْا كلهم، ولكنَّ حكمته اقتضت أن يكون منهم برٌّ وفاجر، ومؤمن وكافر، وذلك كلُّه خاضع لحكمة الله تعالىٰ وعلمه ومشيئته، حيث خلق دارَيْن: الجنة والنار، وجعل لكل منهما أهلًا، فلو أنه سبحانه أعطىٰ كل نفس هداها، وهدىٰ الناس جميعًا.

لما كان هناك فرقٌ بين المؤمن والكافر، ولما كان هناك جنة ونار، لكنْ مِن حكمتِهِ: أنه جعل هذا ميله إلىٰ الكفر، وهذا ميله إلىٰ الإسلام، فمكَّن لهؤلاء، ومكَّن لهؤلاء؛ وإلا فإنه سبحانه قادر علىٰ أن يُقْبِلَ بقلوبهم عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا

خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤]، أي: إذا شاء الله تعالىٰ، خضعوا وأقبلوا كلهم، وأنابوا إلىٰ ربهم، ولكنَّ حكمة الله تعالىٰ اقتضت أن يكونوا قسمَيْن، وفي الآخرة فريقَيْن: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧]، مع أن الحُجة لله عليهم.

فإذا قالوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]؟!

قلنا: إن الله أعطاكم قدرة ومشيئة تناسبكم، تَقْدِرون بها أن تطعموا من تريدون إطعامه.

وإذا قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [النحل: ٣٥]!

قلنا: إن مشيئة الله نافذة، ولكنه سبحانه قد مكَّنكم وأعطاكم المشيئة التي تناسبكم، وتستطيعون بها مزاولة الأعمال؛ فلا تقعوا في حيرة، ولا تحتجُّوا بها علىٰ ممارسة الأعمال السيئة، وعلىٰ البقاء عليها؛ فأنتم قد مكنكم الله، وأعطاكم السمع والبصر والأفئدة، وفتح لكم المعرفة، وأقام عليكم الحجة، وأزال عنكم الأعذار، وبيَّن لكم طرق الخير وطرق الشر، وهدىٰ من شاء فضلًا منه، وأضلَّ من شاء عدلًا منه، وجعل هناك وسائل تجذب هؤلاء إلىٰ الخير، ووسائل تصُدُّ هؤلاء عن الخير، فسلَّط علىٰ الإنسان أعداءه، وهم الشياطين؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]؛ فهم فتنةٌ وابتلاءٌ من الله، خَصَّ الكفار بالشياطين، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]، يعني: الكفار الذين هم به مشركون؛ ولهذا يعترف الشيطان؛ فيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فعلىٰ هـذا نقـول: إن الله سـبحانه قـد أقـام الحجـج، وقطَـعَ الأعـذار، وبيَّـن الخيـرَ والشـرّ، وهـدىٰ مـن هـدىٰ فضـلًا منـه، وأعطـىٰ الجميـع قـدرةً تناسـبهم، ومكَّنهـم، وأعطاهـم السـمع والبصـر والفـؤاد والقـوَّة والأيـدي والأرجـل، فأمَرَهـم أن يعملـوا؛ فمنهـم مـن عمـل، ومنهـم مـن لـم يعمـل.

هـذا فيمـا يتعلَّـق بالأعمـال الصالحـة والطالحـة، وهـو أيضًـا ينطبـق علىٰ الأعمـال الدنيويـة؛ لأن الله تعالـىٰ أعطـىٰ الإنسـان القـدرة علىٰ مزاولـة الأعمال، وعلىٰ التكسُّـب وتحصيـل الأرزاق؛ فقُوتُ الإنسـان لا يَنْزِلُ عليـه مـن السـماء، ولكـنْ يؤمـرُ بـأن يتكسَّـب ويتسـبَّب، ويحـترفَ ويحـرُثَ، ويسـتعمل مـا أعطـاه الله مـن القـوة، فهـو بهـذا يسـتطيع مزاولـة الأعمـال الدنيويـة.

هـذه القـدرة التـي مكَّنـه الله تعالـىٰ منهـا، خاضعـةٌ لقـدرة الله، ولـو شـاء لأقعـده، فـلا يسـتطع الحركـة، ولا النطـق، ولأعمـىٰ بصـره، وأصَـمَّ سـمعه، كمـا فعـل ذلـك بمَـنْ شـاء مـن خلقـه، ولكـنْ أعطـاه هـذه الأعضـاء حتـىٰ يعمـل لدنيـاه ولآخرتـه.

ومِـنْ طبـع الإنسـان: أنـه يسـعىٰ لطلـب الـرزق والمكاسـب؛ كمـا أن ذلـك مـن طبـع الحيـوان والبهائـم؛ أنهـا تنتشِـرُ في الأرض، وتطلُـبُ الـرزق، ولا تجلـس في أوكارهـا ولا في بيوتهـا؛ فأخـبر النبـيُّ ﷺ أن الطيـور: «**تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[1]، والبهائـم إذا أُطْلِقَـتْ، فإنهـا تنتشـر وترعـىٰ في الأرض.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٠٥)، والترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب في التوكُّل علىٰ الله، حديث رقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكُّل واليقين، حديث رقم (٤١٦٤)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب الرقائق، حديث رقم (١١٨٠٥)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وكذلك الإنسان ينتشر في الأرض، ويطلب الرزق؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]، يمشي في مناكبها، ويتكسَّب بأنواع المكاسب، فيتعاطىٰ حِرْفة، أو صناعة، أو ما أشبه ذلك؛ ليحصُلَ منها علىٰ قوته الذي يتقوَّت به، فيحرُثُ إذا كان يستطيع، أو يَحْفِرُ، أو يبني.

فكما أنه لا يجلس في منزله، ويطلب أن يَنْزِلَ عليه الرزق من السماء، نقولُ له: كذلك اعمَلْ للآخرة؛ كما تعمل للدنيا، ولا تعتمد علىٰ القضاءِ والقدَرِ، تقول: لم يَهْدِني الله، لو هداني لفعَلْتُ كذا وكذا، فعاب الله تعالىٰ علىٰ الذين قالوا هذا؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٦، ٥٧]، كأنهم يحتجُّون بالقدر، ويقولون: إن الله ما هدانا.

فإذا رأيتَ الذين يقولون هذا، فقل: أعطاك الله ما تَقْدِرُ به، وكثيرًا ما ننصحهم ونقول لهم: استقيموا علىٰ طاعة الله، وأقيموا عبادة الله، وأَنْقِذوا أنفسكم من عذاب الله؛ فيحتجُّون بالقدر، ويقول أحدهم: ﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]! يحتج بهذه الآية، وما علم أن الله تعالىٰ قد أعطاه أسباب الهداية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

والكلامُ علىٰ مسألة الاحتجاج بالقَدَرِ طويل، وكثيرًا ما نلقىٰ من المحتجِّين بالأقدار عنتًا وتعنُّتًا وصعوبةَ ردٍّ؛ حيث إن العصاة يتمادَوْنَ في معصيتهم، ولا يرجعون إلىٰ رشدهم، ولا إلىٰ الحق.

وسيأتي زيادةُ بحثٍ في هذا.

عِلْمُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: لا سبيلَ لأحدٍ أن يخرُجَ عن عِلْمِ الله، ولا أن يَغْلِبَ فعلُهُ وإرادتُهُ مشيئةَ الله، ولا أن يُبَدِّلَ عِلْمَ الله؛ فإنه العالمُ لا يَجْهَلُ ولا يسهو، والقادِرُ لا يُغْلَبُ].

الشَّرح

قوله: **(لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله)** فالله تعالىٰ عالم بنا وبأحوالنا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، فإذا كان يعلم وساوس النَّفْس وخَطَرات القلب، فإنه لا يخفىٰ عليه شيء من أعمال العباد كلهم؛ قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٧]؛ فيعلم ما كان، وما سوف يكون، وما لم يكن -لو كان- كيف سيكون؛ فلا يخرُجُ عن علم الله تعالىٰ شيء.

وكذلك أفعال العباد وقدرتهم: لا تخرج عن مشيئة الله، لا يَقْدِرون علىٰ أن يخالفوا مشيئته؛ فمشيئة الله غالبة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر:٥٦]، وقال في موضعَيْنِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، والتكوير: ٢٩]، وكثيرًا ما يذكر أن مشيئة الله تعالىٰ غالبة علىٰ كل شيء، ولكنَّ المشيئة والقدرة التي منحها الله للعباد تناسبهم.

وليس لأحدٍ أن يبدِّلَ علم الله تعالىٰ؛ فالله تعالىٰ هو العالم؛ فمتىٰ علم في الإنسان شيئًا، فلا بدَّ أن يحصُلَ ما علمه الله فيه قريبًا أو بعيدًا.

فإذا عَلِمَ الله تعالىٰ في الإنسان أنه يموتُ سعيدًا، فلو حاول الناسُ كلُّهم أن يرُدُّوهُ عن أسباب السعادة، لم يستطيعوا، ولو شَقِيَ وعصىٰ في وقت من الأوقات لردَّه الله إلىٰ رشده ليموت وهو علىٰ السعادة، وكذلك بالعكس إذا عَلِمَ الله شقاوة عبد، فلو حاول الناس كلُّهم أن يَهْدوه، لم يستطيعوا، ولو اهتدىٰ في زمان من الأزمنة، فإن الله تعالىٰ إذا قدَّر أنه يموت علىٰ الشقاوة، فلا بدَّ أن يموت عليها مهما كانت الحال.

القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: القُرْآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق، وإنه كيفما تصرَّفَ بقراءةِ القارئِ له، وبلَفْظِهِ، ومحفوظًا في الصدور، متلُوًّا بالألسُن، مكتوبًا في المصاحف، غيرُ مخلوق، ومَنْ قال بخَلْقِ اللفظِ بالقرآنِ يريدُ به القرآنَ، فقد قال بخَلْقِ القرآن].

الشَّرح

مسألةُ خَلْقِ القرآن من أقدم المسائل خلافًا بين أهل السنة والمعتزلة، وما ذاك إلا أن المعتزلة أنكروا صفة الكلام؛ فينكرون أن الله تعالىٰ متكلِّم، ويرمون مَنْ أثبت الكلام بأنه مشبِّهٌ وممثِّل؛ لاعتقادهم أن الكلام لا يخرُجُ إلا من بين الشفتَيْن، ومن اللسان واللَّهَوات، ومن الحَنْجَرةِ التي تدفعه بالنَّفَس وبالهواء؛ وهذه إنما هي في المخلوق.

فإذا قلنا: إن الله متكلِّم، قالوا: لا بدَّ أن يكون كلامُ الله مثلَ ما نعقله، أي: أنه يخرج من هذه المخارج التي يخرُجُ منها كلام البشر؛ فيكون ذلك تشبيهًا!

هذا هو الذي دفعهم إلىٰ إنكار صفة الكلام؛ فأنكروا ما أخبَرَ الله تعالىٰ عنه من أنه كلَّم موسىٰ، وقد مرَّت بنا الآيات التي في الكلام مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وما أشبه ذلك.

فكثيـرًا مـا يذكـر الله تعالـىٰ أنـه يتكلَّـم؛ قـال تعالـىٰ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، يعني: موسىٰ، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ولا شكَّ أن هـذا دليـل صريـح علىٰ أنـه كلَّـم موسىٰ.

وقـد ذكـروا أن بعـض المعتزلـة جـاء إلىٰ أبي عمـرٍو القـارئ[1] -أحـد القـراء السبعة- وطلـب منـه أن يقـرأ هـذه الآية بنصب الاسـم الشريـف، قـال اقرأهـا: «وَكَلَّـمَ اللهَ مُوسَـىٰ تَكْلِيمًـا»، وقصـدُهُ بذلـك: أن يكـون موسـىٰ هـو المتكلِّـم الـذي كلَّـم الله، وألَّا يكـون اللهُ مكلِّمًـا لموسـىٰ!

ولكنْ أبو عمرٍو بـنُ العَـلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ كان ذا فِطْنـةٍ وفَهْـم، فقـال: هَـبْ أني قـرأتُ هـذه الآيـة أو أنـتَ قرأتهـا كذلـك، كيـف تصنـع بقـول الله تعالـىٰ في سـورة الأعـراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟!

فبُهِـتَ المعتزلـي، وعـرف أن هـذه الآيـة لا حيلـة لـه في تحريفهـا أو تغييرهـا[2].

ذكـر شـيخ الإسـلام[3] أن المعتزلـة حرَّفـوا قولـه تعالـىٰ: ﴿كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقـرة: ٢٥٣]، و﴿وَكَلَّمَهُۥ﴾ [الأعـراف: ١٤٣]، تحريفًـا معنويًّـا، وقالـوا: التكليـمُ هـو التجريـح، فـ «كَلَّمَـهُ» عندهـم: يعنـي: جرَّحـه بأظافر الحكمة! ويريـدون بذلـك: نَفْـيُ أن يكـون الله كلَّمـه بـكلام سـمعه.

وأصـلُ التكليـمِ: المخاطَبـةُ، والعـرب إذا أرادوا التجريـح، فلا بـدَّ

(١) أبو عمرو بـن العلاء بـن عمَّار بـن العُرْيـان، التميميُّ المـازنيُّ البصـريُّ، أحـد القـراء السـبعة، كان أعلـم النـاس بالقـرآن الكريـم والعربيـة والشـعر، تـوفي سـنة: ١٥٤هـ. ينظـر: تهذيـب الكمـال (٣٤/ ١٢٠)، ووَفَيَـات الأعيـان (٣/ ٤٦٦)، وسـير أعـلام النبـلاء (٦/ ٤٠٧).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٧)، وشرح الطحاوية (١/ ١٧٢).

(٣) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٣/ ١٦٥).

من قرينة تدل عليه، وليس في القرآن هذا المعنى، وإن كان مستعملًا في اللغة[1]، وفي الحديث: «**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى؛ اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**»[2].

فتأويلُ التكليمِ بالتجريحِ بعيدٌ جدًّا؛ لأن المتبادر إلى الذهن أنه الكلام.

وينتقِضُ تأويلهم بأدلة أخرى:

منها: التصريحُ بالكلام؛ قال الله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، فصرَّح بالكلام، ولم يقل: بتجريحي، ولا بتكليمي؛ فلا حيلة لهم في أن يرُدُّوا هذه اللفظة.

ومنها: آيات النداء؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦]،وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، ولا شك أن النداء لا يكونُ إلا بكلام مسموع، فهو يرُدُّ تأويلهم للتكليم بأنه التجريح.

والنداءُ: كلامٌ مسموعٌ، بصوت يُسمَعُ، ويظهر.

كذلك الكلام الذي حكاه الله تعالى عن نفسه لموسى، وخاطبه به: كلامٌ صريح في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦]؛ وهذا الكلام الذي ناداه به، هو قوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧].

كذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ وهذا أيضًا كلام صريح.

---

(١) ينظر: القاموس المحيط (ص ١١٥٥)، ولسان العرب (١٢/ ٥٢٤): (ك ل م).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، حديث رقم (٥٥٣٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم (١٨٧٦)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ٩ - ١٣]، إلىٰ آخر الكلام.

هذا هو الذي سمعه من ربِّه أنه ناداه بهذا الكلام: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

وكذلك قوله تعالىٰ لما ذكَر أنه نُودِيَ بالوادي المقدَّس: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص: ٣٠-٣١]، لا شك أن هذا هو الكلام.

فهل يقال: إن هذا تجريحٌ؟!

لا شك أن المعتزلة في تأويلهم وتكلُّفهم قد وقعوا في تحريف للكلم؛ أشبهوا فيه اليهود الذين يحرِّفون الكلم عن مواضعه.

ومشهور أن أول مَنْ أظهر ذلك هو: الجعْد بن دِرْهَم، لمَّا قرأ في القرآن أن الله كلَّم موسىٰ، وأن الله اتَّخَذَ إبراهيم خليلًا، والخليل هو الحبيب -: أنكر ذلك، وقال: ما كلَّم الله موسىٰ، ولم يتَّخِذْ أحدًا خليلًا، ولم يكن الله يحبُّ أحدًا، فاشتهَرَتْ هذه المقالة عنه، فقتل في القصة المشهورة التي ذكرها البخاري بسنده في «**خلق أفعال العباد**»[1]، وهي أن أمير الكُوْفَة خالدًا القَسْريّ، لما خطَبَ الناس في يوم العيد وانتهىٰ من خطبته، قال: أيها الناس، ضَحُّوا، تقبَّل الله منكم؛ فإني مُضَحٍّ بالجَعْد بن

(١) ينظر: خلق أفعال العباد (ص ٢٩).

درهـم؛ زعَـمَ أن الله لـم يتَّخِـذْ إبراهيـم خليـلًا، ولـم يكلِّـم موسـىٰ تكليمًـا، تعالـىٰ الله عمَّـا يقـول الجعـد، ثـم نـزَلَ فقتَلَـهُ، وجعلـه بمنزلـة الأضحيـة التـي تُذْبَـحُ في يـوم العيـد، أي: تقـرَّب بـه إلـىٰ الله تعالـىٰ.

وقد ذكر ذلك ابن القيِّم في أول "النونية" في قوله[1]:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّىٰ بِجَعْدٍ خَالِدُ الْـ ـقَسْرِيُّ يَـوْمَ ذَبَائِـحِ القُرْبَـانِ
إِذْ قَـالَ: إِبْرَاهِيـمُ لَيْـسَ خَلِيلَـهُ كَلَّا وَلَا مُوسَـىٰ الْكَلِيـمَ الدَّانِي!
شَـكَرَ الضَّحِيَّـةَ كُلُّ صَاحِـبِ سُنَّـةٍ لِلَّـهِ دَرُّكَ مِـنْ أَخِـي قُرْبَـانِ

فذكـر أن السـبب أنـه قـال: ليس إبراهيـمُ خليـلَ الرحمـن، وليس موسـىٰ كليـمَ الرحمـن، ولـم يكلِّـم الله أحـدًا مـن خلقـه.

والأدلـة علـىٰ أن الله يتكلَّـم كثيرةٌ؛ فمـن القـرآن: يذكُـرُ الله تعالـىٰ كلماتـه؛ كمـا في قولـه تعالـىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[هـود: ١١٩]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، تَمَّـتْ، أي: وصفـت بالتمـام والكمـال، وكذلـك قولـه تعالـىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهـف: ١٠٩]، وكذلـك قولـه تعالـىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمـان: ٢٧]، وقـد تكلَّـم العلمـاء عـن مثـل هـذه الآيـات، وقالـوا: كيـف تَنْفَـدُ كلمـات الله، وليسـت لهـا نهايـةٌ ولا بدايـة؟! والمخلـوقُ لـه بدايـة ونهايـة؛ وذلـك لأن الله تعالـىٰ أخبَـرَ بـأن بحـار الدنيـا لو صـارت مـدادًا -يعنـي: حِبْرًا- وأن أشـجار الدنيـا جميعهـا صـارت أقلامًـا،

(١) نونية ابن القيم (ص٧).

فكتب بتلك الأقلام، وكتب بذلك المداد، وجُعِلَ مع البحار مثلُها سبع مرَّات، لَنَفِدَ البحر، وتكسَّرت الأقلام، دون أن يَنْفَدَ كلامُ الله.

فهذه أدلة واضحة في إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ.

وهناك أدلة من السنة واضحة أيضًا:

منها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَىٰ بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ...**»(١)؛ ففيه: أنه يُنَادِي بصوت.

وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**»(٢)، يكلِّمه ربُّه بدون مترجِمٍ، يسمع كلام الله ويكلِّمه، ولا شك أن هذه أدلة واضحة.

نقولُ: لما أنكرت المعتزلة صفةَ الكلام، وقالوا: إن ذلك يلزم منه التشبيه، بيَّن لهم أهل السنة أنه لا يلزم منه التشبيه؛ فالله تعالىٰ يتكلَّم كما يشاء، ولا يلزم أن يخرُجَ كلامه من المخارج التي يخرُجُ منها كلام الآدمي - كالقَصَبة الهوائية، أو الشفتَيْن، أو اللسان، أو نحو ذلك -؛ فالله تعالىٰ قادرٌ علىٰ أن يتكلَّم كما يشاء.

ونحن نشاهد بعض الجمادات يخرُجُ منها الكلام، وليست لها هذه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾، حديث رقم (٤٧٤١)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النارِ من كلِّ ألفٍ تِسْعَمِائةٍ وتسعةً وتسعين، حديث رقم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حديث رقم (٧٤٤٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشِقِّ تَمْرة، حديث رقم (١٠١٦)، من حديث عَدِيِّ بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الأعضاء؛ **فمثلًا**: هذه الأشرطة هي جماد، ومع ذلك تسجِّل الكلام وتحفظه، وبعد ذلك يخرُجُ كما هو، ولا نقول: إن هذا الحديد أو إن هذه الأشرطة لها ألسنة، ولها قَصَبات، ولها شِفَاهٌ، وما أشبه ذلك، بل يخرُجُ منها الكلام كما دخَلَ، فلا يلزم أن يكون هناك ما التزموه.

إذن: فالله تعالىٰ قادر أن يتكلَّم كما يشاء، وأن يُسْمِعَ كلامه من شاء من عباده، كما أسمعه موسىٰ، وكما كلَّم نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء.

وبعد أن أنكر المعتزلة هذه الصفة، احْتُجَّ عليهم بالقرآن، وقيل: إذا قلتم: إن الله تعالىٰ لا يتكلَّم، نخاصمكم بالقرآن؛ لأن القرآن من الله تعالىٰ، وهو كلامه، فعند ذلك انتقلوا إلىٰ حجة أخرىٰ هي: أنه مخلوق! فقيل لهم: أليس الكلامُ من الأَعْراض؟ كيف يكون العرَضُ مخلوقًا؟! فقالوا: مخلوقٌ خلَقَهُ كما خلق الأرض، والشجر، والبشر، وكما خلق الأعراض والجواهر وما أشبهها.

فإذا سئلوا: كيف خلقه؟ قالوا: مخلوقٌ فقطْ، ويحاول خصومهم أن يجدوا جوابًا واضحًا منهم: كيف هو مخلوق؟! فلا يجدون منهم ردًّا.

فلما تمكَّنت هذه الشبهة، أوضح العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ ما عندهم من العلم، وما يعتقدونه، فأوضحوا: **أن القرآن كلام الله**، تكلَّم به كما شاء، وأن كلام الله تعالىٰ ليس بمحصور، بل لا يمكن حَصْره.

كذلك أيضًا الكتب التي أنزَلَها علىٰ الأنبياء: التوراة، والإنجيل، والزَّبور، والصُّحُف التي أنزلها علىٰ موسىٰ وعلىٰ إبراهيم كلُّها كلامه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٦-٣٧]، والألواحُ

التي أعطاها موسىٰ كلامُ الله؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، لا شكَّ أن هذه كلها كلام الله، تكلَّم بها كما يشاء.

وإذا اعتقدنا أنها كلام الله، فإننا نعتقد أنه تكلَّم بها حقيقة، وأنه أوحاها إلىٰ أنبيائه من البشر بواسطة رُسُله من الملائكة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، يعني: جعله الله تعالىٰ بهذا اللسان العربي الواضح الذي يكون مفهومًا للمخاطبين.

فالقرآن كيفما تُلِيَ، وكيفما قُرِئَ، فهو كلام الله، لا يخرُجُ عن كلامه، إذا كُتِبَ في المصاحف، فهو كلام الله، وإذا سمعنا القارئ يقرؤه، فهو كلام الله تعالىٰ، وإذا حفظه الحافظ في صدره، قلنا: هذا يَحْفَظُ كلامَ الله تعالىٰ، وإذا رتَّله، قلنا: هذا يرتِّلُ كلام الله، وإذا لحَّنه، فإنا نقول: هذا يلحِّنُ كلام الله.

الكلام في الأصل هو الكلام الذي تكلَّم به الله تعالىٰ، كيفما قرئ، وكيفما تلي، وكيفما تصرَّف من قراءة القارئ وبألفاظ القراء، فهو كلام الله، يحفظونه في صدورهم وهو كلام الله، يتلونه بألسنتهم وهو كلام الله، يكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله تعالىٰ، ليس شيء منه مخلوقًا.

ومنه بدَأَ، أي: ابتدأ الله تعالىٰ كلامه.

وإليـه يعـود: كمـا ورد في الأحاديـث أنـه في آخـر الزمـان يُمْحَـىٰ مـن المصاحـف، وينسـخ مـن الصـدور، عندمـا لا يعمـل بـه[١].

فهـو كلامُ الله تعالىٰ، منزَّلٌ، ليس منه شيء مخلوق، وإذا قرأه القارئ، فإننا نقول: حَركاتُ القارئ مخلوقة، وأما نَفْسُ الحروف التي يقرؤها، ونَفْسُ الكلامِ الذي ينطق به، فإنه غير مخلوق، بل هو كلامُ الله، وكلامُ الله تعالىٰ مِنْ علمه، وعلمه ليس بمخلوق، لكونه صفة من صفاته، ومن ادَّعىٰ أن علم الله تعالىٰ أو شيئًا من صفاته مخلوق، فقد كفر؛ حيث جعل ربَّه الذي هو خالق كل شيء محلًّا للمخلوقات.

وفتنة القول بخلق القرآن، تمكَّنت في آخر القرن الثاني، ولكنْ ما اشتهر الإلزام بها إلا في أول القرن الثالث؛ وذلك لأن الخليفة المأمون انخدَعَ ببعض المعتزلة، فقرَّبهم، ومن أشهر من قرَّبه: أحمد بن أبي دُؤَادٍ، وكان لَسِنًا جريئًا في الكلام قويَّ الحجة، عنده من الجُرْأةِ ومن الفصاحة والبلاغة ما جعله محلًّا للثقة به؛ فَوثِقَ به الخليفة المأمون، وقرَّبه، وولَّاه القضاء، وصار وزيرًا وجليسًا له، فكان من جملة ما دعا الخليفة إليه: أن يبيِّن أن هذا من واجب المسلمين ومن عقيدتهم، وأن الذي يقول: إن الله متكلِّم، وإنه يتكلَّم، فقد شبَّه الله تعالىٰ بالمُحْدَثات، ويكون بذلك كافرًا! حتىٰ أدَّىٰ الأمر إلىٰ قتلِ كثيرٍ من أهل السنة؛ بسبب تمسُّكهم بهذا الأمر، وامتناعهم من القول بخَلْقِ القرآن.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ذَهَاب القرآن والعلم، حديث رقم (٤٠٤٩)، والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٨٧٠)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، ولفظه «...وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ؛ فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ».

وكان مـن الذيـن تحمَّلـوا وصـبروا: إمـامُ أهـلِ السُّـنَّة الإمـام أحمد بـن محمد بـن حَنْبَـلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقـد أَصَـرَّ علـىٰ أن يصبِـرَ علـىٰ الحبـس، وعلـىٰ الضـرب، فضُـرِبَ وجُلِـدَ مـرَّات.

ولمَّـا استدعاه المأمـون، دعـا الله ألَّا يُرِيَـهُ وجهـه، فمـات المأمـون قبـل أن يَصِـلَ إليـه[١]، ولكنـه أوصـىٰ أخـاه المعتصِـمَ بـأن يستمِرَّ في هـذه الفتنـة، فاسـتمرَّ فيهـا، وحبَـسَ الإمـام أحمـد، وبقـي سـجينًا مـدة طويلـة، وجُلِـدَ مـرات كثيـرة، ولكنـه تحمَّـل وصـبر.

جـاءه ابـن أبـي دؤاد، وقـال: يـا أحمـدُ، قُـلْ في أذني: إن القـرآن مخلـوق؛ حتـىٰ أخلِّصـك مـن يـد الخليفـة، فقـال لـه أحمـد: يـا ابـنَ أبـي دؤادٍ، قـل في أذني: إنَّ القـرآن كلامُ اللهِ غيـرُ مخلـوقٍ؛ حتـىٰ أخلِّصـك مـن عـذاب الله عَزَّوَجَلَّ[٢].

وفي بعـض التراجـم أنـه قـال: قمـتُ في نصـفِ الليـل، فتوضَّـأت للصـلاة، وصلَّيـتُ ركعتَيْـنِ، فقـرأت في ركعـة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وفي الثانيـة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ثـم جلَسْـتُ وتشـهَّدتُّ وسـلَّمت، ثـم قمـتُ فكبَّـرت، وقـرأت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وأردت أن أقـرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلـم أَقـدِرْ، ثـم اجتهـدتُّ أن أقـرأ غيـر ذلـك مـن القـرآن، فلـم أقـدر، فمـدَدتُّ عينـي في زاويـة السـجن، فـإذا القـرآن مسـجًّىٰ ميـت، فغسَّـلته وكفَّنتـه وصلَّيـتُ عليـه ودفنتـه، فقـال لـه: ويلـك يـا أَحْمَـدُ، والقـرآن يمـوت؟! فقـال لـه أَحْمَـدُ: فأنـتَ كـذا تقـول: إنـه مخلـوق، وكل مخلـوق يمـوت، فقـال المعتصـم: قَهَرَنـا أَحْمَـد، قَهَرَنـا أحمـد[٣]!

(١) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢١٣).

(٢) ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٦٥).

(٣) ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٦٤)، والمقصد الأرشد (١/ ٤٢٠).

فانتبهوا أن هذه حجة عليهم، فلو أن القرآن مخلوق، فإن المخلوق يموت، ويأتي عليه الفناء.

فالحاصل: أن القرآن - حروفه ومعانيه - كلام الله غير مخلوق.

ومسألة الكلام من أقدم المسائل الخلافية بين أهل السنة والمبتدعة، حيث أنكر المبتدعة أن الله تعالىٰ متكلِّم، ثم احتُجَّ عليهم بالقرآن، فادَّعَوْا أنه مخلوق، فطال الخصام والنزاع بينهم وبين أهل السنة في تفنيد شبهاتهم وفي الردِّ عليها، **واتفقت كلمة المسلمين من أهل السنة والجماعة علىٰ أن القرآن كلام الله غير مخلوق**:

بَلْ إِنَّهُ عَيْنُ الْكَلَامِ أَتَىٰ بِهِ ... جِبْرِيلُ يَنْسَخُ حُكْمَ كُلِّ كِتَابِ[(١)]

فالقرآن: عَيْنُ كلام الله الذي تكلَّم به وحيًا، وسمعه منه رسوله المَلَكي، وبلَّغه إلىٰ رسوله البَشَري، وفيه حِكَمٌ وأحكام، وأوامرُ ونواهٍ، وقصصٌ وأمثال، وعِبَرٌ ومواعظ، ووعدٌ ووعيد، ومحُكَمٌ ومتشابه، ومُطلَقٌ ومقيَّد، وكل ذلك كلام الله تعالىٰ.

وقد تكفَّل الله تعالىٰ بحفظه، وتولَّىٰ ذلك، حتىٰ وصل إلينا كما هو، نحفظه في الصدور، ونكتبه في السطور، ونتلوه بالألسن، ونسمعه بالآذان؛ ولا يخرج بذلك عن كونه كلام الله، حروفه ومعانيه.

فنرُدُّ علىٰ الذين قالوا: إنه مخلوقٌ كالمعتزلة؛ بأن الله تعالىٰ سمَّاه كلامه في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥]، ومعلوم أنهم

(١) البيت للمُلاَّ عِمْران بن رضوان الشافعي المتوفىٰ سنة: ١٢٨٠هـ وهو في قصيدته: أنا المقر بأنني وهابي (ص ٣١).

يسمعونه من قراءة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن قراءة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ومع ذلك لم يخرُجْ عن كونه كلام الله.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ومعلومٌ أنه لا يسمعه إلا من القُرَّاء، ولا يسمعه من الربِّ تعالىٰ، بل يسمعه بواسطةِ القُرَّاء.

كذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ١٥].

وقد أثبتَ اللهُ تعالىٰ لنفسه القَوْلَ في عدة آيات؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]؛ ولا شك أن القول هو الكلام.

كذلك يُرَدُّ علىٰ الأشاعرة الذين يدَّعون أن هذا القرآنَ عبارةٌ أو حكايةٌ عن كلام الله، وأنه ليس هو كلام الله عَيْنًا، وذلك أنهم اعتقدوا أن الله تعالىٰ لا يتكلَّم بمِثْلِ هذه الحروف، وقالوا: كلامُ الله هو المعاني، دون الألفاظ، وشبهتهم بيتٌ يُنْشِدونه كثيرًا:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَىٰ الْفُؤَادِ دَلِيلَا

يردِّدون هذا الكلام، ويقولون: هذا قولٌ لشاعرٍ عربيٍّ يَجْعَلُ الكلامَ هو المعنىٰ، لا اللفظ[1].

(١) ذكر هذا غير واحد من الأشاعرة، منهم: البَاقِلَّانيّ في تمهيد الأوائل (ص٢٨٤)، والجُوَيْني في لمع الأدلة (ص ١٠٤)، والغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد (ص٦٨).

بحثنا وبحث العلماء عن هذا الشاعر، فقيل: هو الأَخْطَلُ[(١)]، ولم نجد هذا البيت في ديوانه المشهور[(٢)]، وقد رواه بعضهم بلفظ: «إنَّ البيانَ لفي الفؤادِ...»، وهذا أقرب على تقدير ثبوته عن الأخطل.

ثم إن هذا الشاعر نصرانيٌّ تمسَّك بنصرانيته، ولم يدخل في الإسلام، وكان من العرب من بني تَغْلِب، والنصارى قد ضلُّوا في معنى الكلام، واعتقدوا أن عيسى هو نَفْسُ الكلمة؛ فعلى هذا يكون هذا الشاعر تكلَّم به على معتقده الباطل؛ فلا يكون حجة.

هذا من أدلة الأشاعرة؛ حيث يَقْبَلُونَ هذا البيت، ويعتمدونه في الكلام الذي هو أوضح شيء؛ فيقولون: إن الكلام هو المعاني، وأما الحروفُ التي تسمع، فليست كلامًا! وهذا مخالفٌ للحِسِّ، ومخالف للظاهر.

والعرب لا يسمُّونَ الساكت متكلِّمًا، فمعلوم أنه ما دام ساكتًا، فلا ينسب إليه كلام، ولو حدَّثَ نفسه، ولو تصوَّر في قلبه أشياء، فليس متكلِّمًا، بل هو ساكتٌ صامت، إذن: فالكلام هو ما يُنْطَقُ به؛ وهذا هو الصحيح.

---

(١) غِيَاث بن غَوْث بن الصَّلْت بن طارقة التَّغْلَبِيُّ، ويكنى: أبا مالك، ويلقَّب: دَوْبَلَ بنَ حمار، وإنما سمي الأخطَلَ؛ لسفهه، أو ببيت قاله، وقيل: لخَطَلِ لسانه، وكان نصرانيًّا، ومقدَّمًا عند خلفاء بني أمية وولاتهم وعمَّالهم؛ لمدحه لهم وانقطاعه إليهم، وعُمِّر طويلًا، توفي بعد سنة ٩١ هـ. ينظر: تاريخ دمشق (٤٨/ ١٠٤)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٥١)، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص ٢٤).

(٢) هذا البيت ليس في ديوان الأخطل المطبوع، بل أنكَرَ بعضهم أن يكون مِنْ شعره، وقال بعضهم: إنه فتَّش ديوان الأخطل، ولم يجده، قال ابن تيمية: «وهذا يُرْوى عن أبي محمد الخشَّاب»، ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ١٣٨)، وشرح الطحاوية (١/ ١٩٩).

فالقرآن: كلامُ الله، وهو عَيْنُ الحروف، والكلمات، والآياتِ والسُّوَر الموجودة، التي ذكَرَها الله تعالىٰ للمشركين، وتحدَّاهم بها في قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]، والمراد: بمثل هذا الكلام الذي هو حروفٌ ومعانٍ، وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ليس المراد المعاني دون الحروف، ولا الحروف دون المعاني؛ بل المراد: الألفاظ والحروف والمعاني جميعًا، وهو الذي قال المشركون فيه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، يريدون به: حروفَ وكلماتِ ومعاني هذا القرآن؛ فبطَلَتْ بذلك دعوىٰ الذين يقولون: إن الكلام هو المعنىٰ دون اللفظ.

وذكَرْنا أن السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ بدَّعوا وشنَّعوا علىٰ من يقول: إنه مخلوقٌ، وجعلوهم جهمية، معتزلة، مبتدعة، منكِرينَ لصفةٍ من صفات الله تعالىٰ.

وقد ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ عبارة قد تَرِدُ في بعض كلامهم، وهي قولهم: «لفظي بالقرآن مخلوق»؛ فهذه العبارة محتملة، فلأجل ذلك نهىٰ عنها السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وشدَّدوا في النهي عن استعمالها، وبدَّعوا من يقول: «لفظي بالقرآن مخلوق»؛ لأنه قد يكون مرادهم باللفظ: الملفوظَ الذي هو كلام الله، فإذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فإنه يحتمل المعنيَيْن: يحتمل أن يريد باللفظ: الملفوظ، ويحتمل أن يريد باللفظ: حركات القارئ.

ومعلوم أن حرَكاتِ الإنسان مخلوقة؛ حَرَكاتُ فمه، وشفتيه، ولسانه، وقصبته الهوائية، ونَفَسه؛ فالإنسانُ بحركاته وبأفعاله مخلوق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فإذا قصد الإنسان: أن حركاته مخلوقة، فإنه صحيح، وعلىٰ هذا بيَّن العلماء أن أفعال العباد مخلوقة.

أما إذا كان يريد باللفظ: الملفوظ، فإن القرآن كلام الله، ولو تلفَّظ به من تلفَّظ، فهو كلام الله كيفما قُرِئَ، وكيفما تُلِيَ، وكيفما نُسِخَ، وكيفما سُمِعَ.

وقد عبَّر شيخ الإسلام ابن تيميّة في «الواسطية» بعبارة واضحة، فقال: فإن الكلام إنما يضاف إلىٰ من قاله مبتدئًا، لا إلىٰ من قاله مبلِّغًا مؤديًا[(١)].

ولأجل ذلك نقول: إذا سمعنا من يقول مثلًا: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(٢)]، أو يتكلَّم بقوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»[(٣)]، قلنا: هذا كلام النبيّ ﷺ؛ لأنه الذي ابتدأه.

فكذلك إذا سمعنا من يقول مثلًا: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]، قلنا: هذا كلام الله؛ هو الذي تكلَّم به ابتداءً.

وإذا جاء في القرآن حكايةٌ لكلامِ غير الله، فإننا نقول: إنه كلام الله، فنقول مثلًا: قال الله تعالىٰ عن فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤]، وقال الله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، وقال الله عن نوح: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [نوح: ٢١]،

---

(١) ينظر: العقيدة الواسطية (ص ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله، حديث رقم (١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، حديث رقم (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث رقم (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحُم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

وقال الله عن موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، يعني: حكىٰ الله تعالىٰ قول موسىٰ؛ فيكون القول لموسىٰ، ولكن بعدما حكاه الله تعالىٰ في القرآن أصبح من كلام الله.

فعبارة السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ إذا أرادوا التعبير الواضح يقولون: القولُ قولُ الباري، والصوتُ صوتُ القاري[١].

والمعنىٰ: القول الذي نسمعه، والذي هو كلامٌ: قولُ الباري سبحانه، والصوتُ الذي يقرع الآذان: صوت القاري.

فيقال: استمعوا للقرآن بصوت القارئ فلان بن فلان؛ فصوتُ القارئ وحركاته لا شك أنه مخلوقة، وأما نَفْسُ المقروء الذي هو كلامُ الله، فإنه ليس بمخلوق؛ بل هو كلام الله، وكلُّ شيء يضاف إلىٰ الله صفةً، فليس بمخلوق.

(١) ينظر: معارج القبول (١/ ٢٨٤).

أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ للّهِ تعالى

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وإنَّ أكسابَ العبادِ كلَّها مخلوقة لله، وإنَّ الله يَهْدِي من يشاء، ويُضِلُّ من يشاء، لا حُجَّةَ لمن أضلَّه الله عَزَّوَجَلَّ ولا عُذْرَ؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩ - ٣٠]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، ومعنى «نَبْرَأَهَا»؛ أي: نَخْلُقَها، وبلا خلاف في اللغة، وقال مخبرًا عن أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال: ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].]

الشَّرح

أورد المؤلِّف في هذه الفِقْرةِ ما يتعلَّق بخلق أفعال العباد، وبكمال وعموم قدرة الله تعالى، وبعلمه السابق، وإرادته ومشيئته؛ وكل ذلك موضح في كتب العقائد.

فنعتقد أولًا: أن الله تعالى بكل شيء عليم، وأنه علم الأشياء قبل أن توجد، وقبل أن تتحقَّق، وقبل أن تظهر؛ علم ذلك بعلمه الأزلي القديم؛

فهو سبحانه يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن -لو كان- كيف يكون؛ هذه عقيدة أهل السنة.

وأنكروا بذلك على غلاة القدريَّة الذين يدَّعون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها؛ فلا يعلم الأشياء حتى تَظْهَرَ وتقَعَ.

وقد ذكرنا أن الله تعالى أنكر على سلَفِ هؤلاء، في القصة التي رواها عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ ثَلَاثَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ كَثِيرَةً شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةً فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، اجْتَمَعُوا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هَلْ تُرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا؟ فقَالَ أَحَدُهُمْ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا»، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]؛ هذا ظنُّهم.

وغلاةُ القدرية -كمَعْبَد الجُهَني، وغَيْلَان القدري- بالغوا، وقالوا: إن الأمر أُنُفٌ، وإنَّ الله لا يعلم الأشياء حتى تحدُثَ!

فردَّ عليهم الأئمة ردًّا واضحًا، ولا شك أن القرآن فيه الرد الواضح عليهم؛ مثل قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

فمعرفة الأمور المستقبلة يسيرٌ على الله تعالى؛ فلا يصابُ أحدٌ بمصيبة إلا وهي مكتوبةٌ قبل أن يُخلَقَ، بل قبل أن تُخلَقَ المخلوقات كلها؛ كما جاء في الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم، فقَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ فِي

تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١]، وكتب الله في الذِّكْرِ -وهو اللوح المحفوظ- كلَّ شيء؛ كما في حديث عِمْرَان بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»**[٢].

كتَبَ الله كلَّ شيءٍ كائنٍ إلىٰ يوم القيامة؛ فما مِنْ شيء كائن إلا وهو مكتوب؛ قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، فكلُّ ما هو كائن إلىٰ قيام الساعة، فإنه في اللوح المحفوظ لا يتغيَّرُ عما هو عليه.

كذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، أي: مكتوبٌ قبل أن توجد هذه المخلوقات كلها.

يُسمَّىٰ هذا بـ: العِلْمِ السابق، يعني: علم الله بالأشياء قبل حدوثها، وهذا الذي أنكره غلاة القدريَّة، فقال في حقِّهم بعض السلف: «ناظروهم بالعِلْم؛ فإنْ أقرُّوا به، خُصِموا، وإنْ جحدوه، كفروا»[٣]، أي: سلوهم: هل الله بكل شيء عليم؟ فإذا اعترفوا بأن الله بكل شيء عليم كما جاء في القرآن، فقل: ما الفرق بين الماضي والمستقبل؟ إذا كان بكل شيء

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٢٧٠٥)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٧٠٠)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة ن، حديث رقم (٣٣١٩)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، حديث رقم (٣١٩١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٢٣/ ٣٤٩).

عليمًا، فإنه عليم بالأشياء التي قد حدَثَتْ، والتي ستحدُثُ؛ فكلها شيء، وكل شيء حادث، فلا بدَّ أنه معلوم لله، فإذا حدث شيء، فقل: هذا مكتوب قبل أن يحدُثَ، وهذا لا ينافي أنك مأمور بأن تعمل؛ ولهذا لما ذكر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتاب السابق، وقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»، فقالوا: أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»، وقرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾، إلىٰ قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1]، فجعل أسبابًا للتيسير؛ وهو هذا العمل.

وجملةُ القول: أن الإيمان بالقدر السابق، وبعِلْمِ الله القديمِ واجبٌ علىٰ كل مسلم، وهو**علىٰ أربعة أقسام**:

١- التقديرُ العامّ.

٢- والتقدير العُمْري.

٣- والتقديرُ السنوي.

٤- والتقديرُ اليومي.

فالتقديرُ العامّ: هو الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ لكلِّ ما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة.

وأما التقديرُ العُمْري: فهو الذي يكتب للإنسان في رحم أمه: «... **ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ،**

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: فأما من اعطىٰ واتقىٰ حديث رقم (٤٩٤٥)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ...»، يكتب ذلك في الرحم مع أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وهذا لكل إنسان؛ ولهذا جاء بعده في هذا الحديث: «...إن أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ ما يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلها، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»(١).

وهكذا أخبر النبيّ ﷺ أن الله تعالىٰ كتب علىٰ الإنسان كل شيء، وأخبر أنه لا يتغيَّر بقوله: «...وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(٢).

هذا علم الله تعالىٰ السابق؛ وقد استُدِلَّ عليه بهذه الآية من سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، أي: مِنْ قبلِ أن نخلُقَها.

أما القَدَرُ الذي أنكرته المعتزلة، فهو قدرةُ الله تعالىٰ علىٰ كلِّ شيء؛ حيث إن المعتزلة يجعلون قدرةَ العبدِ ومشيئته أقوىٰ من قدرة الربِّ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالىٰ: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، حديث رقم (٧٤٥٤)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم (٢٦٤٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٦٦٩)، والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، حديث رقم (٢٥١٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

ومشيئته؛ فيقولون: إن العباد مستقلُّونَ بأفعالهم، وليس لله قدرةٌ علىٰ هدايةٍ أو علىٰ إضلال، بل العباد هم الذين يَهْدُونَ أو يُضِلُّونَ أنفسهم، ويقولون: لو شاء العبد أن يفعل شيئًا، وشاء الله ألَّا يفعله، غلَبَتْ مشيئة العبد وقدرته مشيئة الرب وقدرته! فالعبد عندهم هو الذي يهدي نفسه أو يضلُّها؛ فأنكروا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، وأنكروا قول الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وهي صريحة في أن مَنْ يُضِلُّهُ الله، فلن يَهْدِيَه أحد، وقد تكاثر في القرآن إسناد الإضلال والهداية إلىٰ الله، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، ويضلُّ من يشاء.

ويؤمن أهل السنة بأن مشيئة الله تعالىٰ وقدرته عامَّةٌ لكل شيء؛ لعموم قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ويدخُلُ في ذلك: أفعال العباد وحركاتهم، فهي لا تحصُلُ إلا إذا شاءها الله تعالىٰ وأرادها؛ قال تعالىٰ: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

فمشيئةُ الله تعالىٰ وقدرته داخلٌ فيها كلُّ أفعال العباد، لا يكون في الوجود إلا ما يريد؛ فلا خالق علىٰ الحقيقة إلا الله تعالىٰ.

وقول المؤلِّف: (**وإن أكسابَ العباد كلَّها مخلوقة لله**)، يعني: أعمالهم.

الأشاعرة يقولون: إن أفعال العباد: خَلْقُ اللهِ وكَسْبُ العبادِ؛ فيثبتون للعبد كسبًا، وكأنهم يبالغون في إثبات خلق الله تعالىٰ للأفعال، ولا يثبتون للعبد إلا كسبًا. وذلك الكسب قد لا يكون له حقيقة؛ فمن الأشياء التي لا حقيقة لها: الكسب عند الأشعري؛ ولهذا يقول بعض الشعراء:

مِمَّـا يُقَـالُ وَلَا حَقِيقَـةَ تَحْتَـهُ مَعْقُولَـةً تَدْنُـو إِلَـىٰ الْأَفْهَـامِ
أَلْكَسْبُ عِنْدَ الْأَشْعَرِيْ وَالْحَالُ عِنْـ ـدَ الْبَهْشَمِيِّ وَطَفْـرَةُ النَّظَّـامِ(١)

يعني: أنها تقال، وليس لها حقيقةٌ، ومع ذلك: فكسب العبد، وعملُ العبد نفسُهُ مخلوقٌ لله تعالىٰ، وهذه المسألة هي التي ألَّف فيها البخاري كتابه «**خَلْق أفعال العباد**».

أورد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة علىٰ أن أفعال العباد كلَّها خلق الله، حركاتهم لا تكون إلا بإرادة الله تعالىٰ وبمشيئته، وأن الله يهدي من يشاء فضلًا منه، ويُضِلُّ من يشاء عدلًا منه.

ومع أن الله هو الذي يهدي ويضل، فلا حجة لمن أضلَّه الله عَزَّوَجَلَّ، ولا عُذْرَ له في ارتكاب المعاصي؛ لأن الله تعالىٰ مكَّنه وأعطاه قوة يزاول بها الأعمال وإن حكم عليه بالحِرْمان، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]؛ أخبَرَ أن حجة الله أقوىٰ من حجتهم، وذلك أن الله حكىٰ عن المشركين احتجاجهم بمشيئة الله بقوله عنهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ثم قال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾

---

(١) ذكره ابن تيمية في النبوات (١/ ٥٨١)، ومنهاج السنة النبوية (١/ ٤٥٩).
والبهشمي: كلمة مأخوذة من «أبو هاشم»، وهو عبدالسلام بن أبي علي محمد الجبائي، هو وأبوه من كبار معتزلة البصرة، تنسب إليه هي فرقة البهشمية، توفي سنة ٣٢١هـ. ينظر: الملل والنحل (١/ ٧٨)، والفرق بين الفرق (ص ١٦٩).

[الأعراف: ٢٩-٣٠]، فالذين هداهم الله مَنَّ عليهم بالهداية ووفَّقهم وأعانهم حتىٰ صاروا مهتدين، والذين حقَّت عليهم الضلالة هم الأشقياء، والكَفَرة المحرومون، حقَّت عليهم الضلالة؛ فالله تعالىٰ هو الذي أضلَّهم، وصرَفَ قلوبهم، وحال بينهم وبين الهداية عدلًا منه وحِكْمةً.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]؛ أخبَرَ أنه خلقهم لها.

وورَدَ أيضًا في حديث النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**»[١].

وفي الحديثِ القُدْسيِّ: «**إِنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَةً، فَقَالَ: إِلَىٰ الْجَنَّةِ بِرَحْمَتِي، وَقَبَضَ قَبْضَةً، فَقَالَ: إِلَىٰ النَّارِ وَلَا أُبَالِي**»[٢]، وهذه حكمة من الله تعالىٰ أنه قسَّم خلقه إلىٰ قسمين.

فالحاصل: أن هداية الله تعالىٰ فضلٌ منه، وإضلاله عدلٌ منه؛ ولهذا حكىٰ الله تعالىٰ عن أهل الجنة: أنهم يقولون بعدما يدخلون الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ يعترفون بفضل الله تعالىٰ عليهم، بأنه هو الذي وفَّقهم، وسدَّدهم وأعانهم، وأعطاهم ما يتميَّزون به عن أهل النار فضلًا منه، وقد أخبر تعالىٰ أن المصائب في

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنىٰ: كلُّ مولودٍ يولد علىٰ الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم (٢٦٦٢)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٢٤٨)، وأبو يعلىٰ في مسنده، حديث رقم (٢٤٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٨٦)، والبيهقي في القضاء والقدر، حديث رقم (٦٣)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١١٣): «حديث صحيح».

الأرض وفي الأنفس معلومةٌ ومكتوبةٌ قبل خلقها، وهو يسيرٌ على الله؛ فهو بكل شيء عليم.

وكذلك عموم مشيئة الله؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩]، وقول الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٧-٨]، يعني: جعلهم كلَّهم مهتدين؛ لكنَّه صرَفَ قلوب هؤلاء عدلًا منه، وهدىٰ قلوب هؤلاء فضلًا منه.

الخيرُ والشرُّ بقضاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: إنَّ الخيرَ والشرَّ، والحُلْوَ والمُرَّ، بقضاءٍ من الله عَزَّوَجَلَّ، أمضاه وقدَّره، لا يَمْلِكون لأنفسهم ضَرًّا ولا نَفْعًا إلا ما شاء الله، وإنَّهم فقراءُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لا غِنَىٰ لهم عنه في كلِّ وقت].

الشَّرح

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويقولون: إنَّ الخيرَ والشرَّ، والحُلْوَ والمُرَّ، بقضاءٍ من الله عَزَّوَجَلَّ، أمضاه وقدَّره**):

ورد هذا في الحديث: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ**»[(١)]، أي: تؤمنَ بأن ما يحدُثُ في الكون كلُّه مكتوب عند الله تعالىٰ، ومقدَّرٌ خيرُهُ وشرُّه، حُلْوه ومُرُّه، ما يلائمك وما لا يلائمك.

الخير: النِّعَمُ والخيرات التي تحصل لك؛ فإذا حصل لك رزق، ونعمة، وصحة، ورفاهية، وراحة، وسَعَة بال، فاعلم أنها بقَدَرٍ من الله.

وإذا أُصِبْتَ بِهَمٍّ، أو غمٍّ، أو حزن، أو فقر، أو مرض، أو مصيبة في

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب العلم، باب توقير العلماء، حديث رقم (٥٨٥٢)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الإيمان، ذكر الإخبار عن وصف الإسلام والإيمان بذكر جوامع شعبهما، حديث رقم (١/ ٣٩٠)، وأصله في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الايمان والاسلام والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم (٨)، من حديث ابن عمر عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

مـال، أو في بـدن، أو في ولـد، أو في أمـر مـن الأمـور التـي تَجْلِـبُ لـك السـوء وتحزنـك، فاعلـم أنهـا مكتوبـةٌ، ومقـدَّرة.

واعلـم: أن كل مـا يحلـو لـك أو لا يحلـو، فهـو مـن الله تعالـىٰ ومقـدَّرٌ بقضـاء منـه؛ قـدَّره وأمضـاه.

واعلـم: أن الخلـق لا يَمْلِكُـونَ لأنفسـهم نفعًـا ولا ضـرًّا إلا مـا شـاء الله تعالـىٰ.

فـالله تعالـىٰ هـو الـذي يُعْطِـي هـؤلاء النفـعَ، وهـؤلاء الضـرَّ، ويقـدِّر عليهـم مـا قـدَّره، وهـم فقـراء إلـىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، لا غنـىٰ لهـم عنـه في أي وقـت مـن الأوقـات؛ قـال الله تعالـىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقـال تعالـىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وفقـرُ الإنسـان فقـرٌ لازم ذاتيٌّ، لا يمكِـنُ أن يتغيَّـر، ولا أن يتحـوَّل؛ كمـا قـال شـيخ الإسـلام:

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَىٰ أَبَدًا وَصْـفٌ لَهُ ذَاتِي[1]

فالفقرُ للإنسانِ وصفٌ ذاتيٌّ، والغنىٰ للربِّ تعالىٰ وصفٌ ذاتي.

وكلامُ المؤلِّـف يتعلَّـق بالقضـاء والقـدر، وقـد ذكـر العلمـاء أن القـدر علـىٰ درجتَيْـن:

الدرجـة الأولـىٰ: أن الله تعالـىٰ عَلِـمَ الأشـياء قبـل وجودهـا، ثـم كَتَبَهـا في اللـوح المحفـوظ.

---

(١) ذكرها ابن القيم عنه في طريق الهجرتين (ص ٨).

والدرجة الثانية: أن الله تعالىٰ أراد الأشياء الموجودة، ثم خلَقَها[١].

فالدرجة الأولىٰ تتضمَّن: العلم، والكتابة، والدرجة الثانية تتضمَّن: الإرادة، والخَلْق، أرادها وخلقها.

ولهذا يقولون: «لا يكون في الوجود إلا ما يريد»، أي: لا يُمْكِنُ أن يحدث شيء في الوجود إلا بعد إرادة الله تعالىٰ.

ثم إن هذه الدرجة انقسَمَ الناس فيها إلىٰ ثلاثة أقسام:

قومٌ أنكروها، وقالوا: ليس لله قدرة علىٰ أفعال العباد! وهؤلاء هم المعتزلة؛ ولهذا يُسمَّوْنَ: مجوسَ هذه الأمة؛ حيث جعلوا مع الله خالقًا، فقالوا: كلُّ أحدٍ يخلُقُ أفعاله؛ فجعلوا قدرة العباد أقوىٰ من قدرة الله!

وطائفة غلت في هذه الدرجة، وبالغت فيها، وهم الجَبْرية، الذين جعلوا العبد كالأداة ليس له أيّ اختيار، وليس له أيّ عمل، ولا يُنْسَبُ إليه أيّ حركة، وجعلوا حركة العباد كحركة المرتعش، وهو الذي ترتعش يداه، ولا يَقْدِرُ علىٰ إمساكهما، وجعلوا حركاته كحركات الشجر تحرِّكه الرياح بغير اختياره!

وهؤلاء يُسمَّوْنَ: الجَبْريَّة، يدَّعون أن العبد مجبور علىٰ أفعاله! وقد ردَّ عليهم أهل السنة، وقالوا: إن في هذا القول إبطالًا للشريعة، وسلبًا للحكمة؛ وذلك لأن الله تعالىٰ يوجِّه الأوامر إلىٰ الناس ويأمر وينهىٰ، ولولا أن للعباد قدرةً علىٰ أفعالهم، لَمَا أمرهم بها.

كيف يقولُ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ [الحج: ٧٧]،

(١) ينظر: العقيدة الواسطية (ص ١٠٥).

ويقولُ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، ويقولُ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وهم لا يَقْدِرُونَ علىٰ شيء من هذا؟!

وأيضًا: فإن في الغلوِّ في هذه الدرَجةِ مخالفةً للعقل؛ فالذين يدَّعون أنهم مجبورون علىٰ هذه الأفعال مضطربون في ذلك، ومخالفون لعقولهم، ولواقعهم.

والحاصلُ: أن هؤلاء يحتجُّون بالقدر علىٰ المعاصي، ولكن عندما يعاقِبُونَ غيرهم، لا يحتجُّون به.

يقول ابن القيم في «**الميميَّة**»(١):

وَعِنْدَ مُرَادِ الْحَقِّ تَفْنَىٰ كَمَيِّتٍ وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسْدِي وَتُلْحِمُ
وَعِنْدَ خِلَافِ الْأَمْرِ تَحْتَجُّ بِالْقَضَا ظَهِيرًا عَلَىٰ الرَّحْمَنِ لِلْجَبْرِ تَزْعُمُ

فجعلهم إذا جاء للنَّفسِ حظٌّ، اهتموا بالأمر، وعملوا لأجل حظِّ النفس، وإذا جاء أمر الله، يَفْنَىٰ أحدهم كأنه ميتٌ، وإذا وقع في معصية، احتج بالقضاء والقدر.

ومشهور أن بعض الذِّمِّيِّينَ دخَلَ علىٰ شيخ الإسلام ابن تيميَّة، فأنشده أبياتًا يحتجُّ فيها بالقَدَرِ، أوَّلها(٢):

أَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ ذِمِّيُّ دِينِكُمْ تَحَيَّرَ دُلُّوهُ بِأَوْضَحِ حُجَّةِ
إِذَا مَا قَضَىٰ رَبِّي بِكُفْرِي بِزَعْمِكُمْ وَلَمْ يَرْضَهُ مِنِّي فَمَا وَجْهُ حِيلَتِي؟!

---

(١) القصيدة الميمية بتعليق ابن عثيمين (ص٤٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٤٥).

دَعَانِي وَسَدَّ الْبَابَ عَنِّي فَهَلْ إِلَىٰ ... دُخُولِي سَـبِيلٌ بَيِّنُوا لِي قَضِيَّتِي
قَضَىٰ بِضَلَالِي ثُمَّ قَالَ ارْضَ بِالْقَضَا ... فَمَا أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي فِيهِ شِـقْوَتِي

لما قرأها شيخ الإسلام وهو جالس، وعنده بعض تلامذته، أَخَذَ يكتب ردًّا عليه، وهم يحسبون أنه يَرُدُّ عليه نثرًا، وقد كان يَرُدُّ عليه نظمًا[1]، بأبيات زادت علىٰ المائة، أوَّلها:

سُؤَالُكَ يَا هَذَا سُؤَالُ مُعَانِدٍ ... مُخَاصِمِ رَبِّ الْعَرْشِ بَارِي الْبَرِيَّةِ
فَهَذَا سُؤَالٌ خَاصَمَ الْمَلَأُ الْعُلَا ... قَدِيمًا بِهِ إِبْلِيسُ أَصْلُ الْبَلِيَّةِ
وَمَنْ يَكُ خَصْمًا لِلْمُهَيْمِنِ يَرْجِعَنْ ... عَلَىٰ أُمِّ رَأْسٍ هَاوِيًا فِي الْحُفَيْرَةِ
وَيُدْعَىٰ خُصُومُ اللهِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ ... إِلَىٰ النَّارِ طُرًّا مَعْشَرُ الْقَدَرِيَّةِ

فنحن نقول لهؤلاء الذين يحتجُّون بالقدر: نعاملكم بما تحتجُّون به، ولكنهم لا يقنعون.

ذُكِرَ أنَّ رجلًا سرَقَ، فجيء به إلىٰ عمر، فقال: أتعاقِبُني علىٰ أَمْرٍ مقدَّرٍ عليَّ، مكتوبٍ عليَّ؟! فقال عمر: أنتَ سَرَقْتَ بقَدَرِ الله، وأنا أَقْطَعُ يَدَكَ بقَدَرِ الله[2].

ولما سافر إلىٰ الشام، وذُكِرَ له أن الوَبَاءَ قد وقَعَ في الشام، رجع بأصحابه إلىٰ المدينة، فقال أبو عُبَيْدَةَ: أفرارًا من قدر الله؟! فقال: نَفِرُّ

(١) قال ابن حجر رحمه الله: (فوقف عليها ابن تيمية فثنىٰ إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم...). ينظر: الدرر الكامنة (١/ ١٨٢).
(٢) ذكره ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٣٤)، ولم نجده مسندًا.

من قَدَر الله إلىٰ قَدَر الله[1]، يعني: أن الله تعالىٰ قدَّر لنا أن نذهب ونرجع؛ فهذا قدر الله، وهناك قصص في مثل هذا؛ فيقال لهم: نعاقبكم بذلك.

وذكروا أن بعض الخدَم كان يقود رجلًا أعمىٰ، فكان يتعثَّر به في الحُفَرِ، فلَامَه، فقال: هذا قدَرُ الله! فضربه بعصاه حتىٰ سقَطَ، فقال: كيف تضربني؟! فقال: هذا قدَرُ الله؛ تحتجُّ بالقدر، ونحن نحتجُّ بالقدر.

مع أنهم لا يحتجون به في مصالح أهوائهم؛ كما ذكر ذلك ابن القيِّم:

وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسْدِي وَتُلْحِمُ[2]

والحاصلُ: أن هاتين فرقتان متضادَّتان: فرقةُ المعتزلة الذين أنكروا قدرة الله، وفرقة الجبريَّة الذين أنكروا قدرة العبد.

وبقيت الفرقة الثالثة، وهم أهل السنة الذين أثبتوا لله تعالىٰ مشيئةً عامةً، وقدرةً عامَّةً، وأثبتوا للعبد مشيئةً وقدرةً تناسبه، وهي مشيئةٌ وقدرةٌ خاصَّة، وجعلوها مرتبطة بمشيئة الله تعالىٰ وقدرته؛ لا تحصُلُ إلا بعد قدرة الله ومشيئته.

واستدلُّوا عليها بالآيات؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، ومثل قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٥-٥٦]، ومثل قوله: ﴿فَمَن شَآءَ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم (٥٧٢٩)، ومسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطِّيَرة والكهانة ونحوها، حديث رقم (٢٢١٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) اللُّحمةُ: أعلىٰ الثوب، والسُّدَىٰ: أسفله. ينظر: لسان العرب (١٢/ ٥٣٨).

ﭐتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠]، وأشباه ذلك من الآيات حيثُ جعَلَ لهم مشيئةً، وجعل مشيئتهم مرتبطةً بمشيئة الله تعالىٰ.

فلذلك نقول: إنَّ مشيئةَ العباد يتمكَّنون بها من مزاولة الأعمال الدينية والدنيوية؛ فالله تعالىٰ أعطىٰ الإنسان هذه القدرة بحيث إنه يحمل الأثقال، ويحرُثُ، ويَحْفِرُ، ويَغْرِس، ويتمكَّن من الأشياء التي تناسبه.

هذه القدرة التي أعطاه الله إياها، هي التي كلَّفه لأجلها، ولو كانت قدرة الله محيطة به، فهو أعطاه وأمره أن يمتثل ما أُمِرَ به، ولم يأمره إلا وعنده استطاعة، ولهذا يذكُرُ أنه مكلَّف بقدر الاستطاعة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وكقول النبي ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُم بِأَمْرٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١).

فأوامرُ الله تعالىٰ ونواهيه لا بدَّ أن تكون مقدورةً للعبد، وأنه يستطيع أن يفعلها، وتنسب إليه؛ لأنه الذي باشرها.

فنقول: هذا مُصَلٍّ، وصائمٌ، وتقيٌّ، ونقيٌّ، وهذا بارٌّ بأبويه، ومحسنٌ إلىٰ إخوته، وهذا صدوق اللسان، وطاهر القلب والجَنَان.

وبضدِّ ذلك نقول: هذا فاجرٌ، وشقيٌّ، وبعيدٌ عن الخير، ومعاندٌ، وخارجٌ عن طاعة الله تعالىٰ، وكذَّاب، فننسُبُ إليه أفعاله التي فعلها، ولو كانت بمشيئة الله.

فالله تعالىٰ لو شاء، لردَّه عن هواه، ولكنْ لأن هواه وطبعه طبع

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سيِّئ، خلَّىٰ بينه وبين هواه، وبينه وبين شيطانه، ولو هداه لاهتدىٰ، ولكنْ لله الحكمة في أن هدىٰ قومًا، وأضلَّ آخرين؛ فالخلق نشاهدهم في المنزل الواحد ينقسمون إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ - **قسم مهتدون**: متمسِّكون غاية التمسُّك، صالحون في كل أعمالهم.

٢ - **وقسم منحرفون**: فَسَقة فَجَرة، ليس معهم من الخير شيء.

٣ - **وقسم متوسِّطون**: معهم خير، ومعهم شر.

فالله تعالىٰ أعطىٰ هذا، وحرَمَ هذا، ومنَّ علىٰ هذا، وخذَلَ هذا.

فنؤمن بهذا كله، ونعلم أن هذا كله قضاء الله تعالىٰ وقدره، لا رادَّ لما قضىٰ، ولا مغيِّر لما أمَرَ به.

فتبيَّن أن في أفعال العباد ثلاثةَ مذاهب:

١ - **مذهبُ المعتزلة**: الذين ينكرون قدرة الله علىٰ أفعال العباد.

٢ - **ومذهبُ الجبريَّة**: الذين ينكرون قدرة العبد علىٰ فعله، ويسلبونه أية حركة.

٣ - **ومذهبُ أهل السنة**: الذين يثبتون القوة والقدرة العامة لله تعالىٰ، ويثبتون للعبد قدرة تناسبه مسبوقةً بقدرة الله تعالىٰ.

وذكَرْنا أن قول المعتزلة يسمُّونه: عدلًا! وذلك لأنهم توهَّموا أن الله إذا خلق المعصية في العبد، ثم عاقبه عليها، صار ظلمًا؛ فلأجل ذلك قالوا: العبد هو الذي يَهْدِي نفسَه، أو يضلُّ نفسَه، والله لا يقدر أن يهدي أو يضل! فكانوا بذلك مفضِّلين قوة العبد علىٰ قوة الربِّ، وعندهم أن العبد يعصي ربَّه قسرًا عليه وقهرًا!

وذكرنا أن الجبرية هم الذين سلبوا العبد قدرته واستطاعته، ولم يثبتوا له أية قدرة.

وقول أهل السنة وسَطٌ بينهما: أن للعباد قدرةً علىٰ أفعالهم، ولهم إرادةً، والله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم، وبهذه القدرة التي أعطاهم الله كلَّفهم وأمرهم ونهاهم، وما كلَّفهم إلا وهم قادرون، وما أمرهم إلا وهم مستطيعون.

وفي المسألة -بلا شك- شيءٌ من الخفاء؛ ولأجل ذلك يقول الطَّحَاوِيّ في عقيدته: «القَدَرُ سِرُّ الله في خَلْقِهِ»[١]، أي: أن هذه القدرة التي مكَّن الله بها العبد وكلَّفه بها خفيَّة؛ فلأجل ذلك صار القَدَرُ سِرًّا لله في خلقه.

وقد تكلَّم العلماء علىٰ هذه المسألة، ولشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسائل في هذا الباب مطبوعة في الجزء الثامن من «**مجموع الفتاوىٰ**»، ومنها رسالة قيمة بعنوان: «**أقوم ما قِيلْ، في المشيئة والحكمة والقضاء والقدر والتعليلْ**»[٢].

ولتلميذِهِ ابن القيِّم كتابٌ كبيرٌ اسمه: «**شفاءُ العليلْ، في القضاءِ والقَدَرِ والحِكْمَةِ والتعليلْ**»؛ وهو أوسع من تكلَّم في هذه المسألة، وبيَّن القول الفصل فيها، وجمع بين الأدلة؛ وذلك لأنه قد يُتوهَّمُ من الأدلة شيءٌ من المخالفة؛ لأن المشركين يحتجُّون بالقدر علىٰ المعاصي؛ كما ذكر الله عنهم، فيقولون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ويقولون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [النحل: ٣٥]،

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٢٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٨١ - ١٥٨)، ومجموعة الرسائل والمسائل (٥/ ١١٣).

ويقولون: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ [يس: ٤٧]، فأنكَرَ الله تعالىٰ عليهم هذا الاحتجاجَ، فهو يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، ويقول: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، ويقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، فكل ذلك دليل علىٰ أنهم لا يخرُجُونَ عن مشيئته وإرادته، ولا عن قدرته.

ثم ذكر العلماء أن الإرادة في كتاب الله علىٰ نوعَيْن:

١- إرادةٌ قَدَرِيَّة.

٢- وإرادةٌ شرعيَّة.

وأن الإرادة القدريَّة الكونيَّة: هي التي يلزم وقوعُ المراد بها، ولكن قد يكونُ المراد منها محبوبًا، وقد يكون غيرَ محبوب.

فنقول: كلُّ ما يحصُلُ في الوجود فإنه مرادٌ لله كونًا وقدرًا؛ كالطاعات والمعاصي، والخلق والرزق، والتدبير والحوادث التي تحدُثُ في الدنيا، كلُّها قد أرادها الله كونًا وقدرًا، ولو شاء، لم تحصُلْ؛ ولهذا قال في عمل السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يعني: بإذنِ الله الكَوْنيِّ القَدَري، وليس الدينيَّ الشرعي؛ لأن الله تعالىٰ حرَّم عمل السحر، وتوعَّد عليه، ومع ذلك فالسحرة لا يفعلون شيئًا من قِبَلِ أنفسهم، ولو أضرُّوا من أضرُّوا بسِحْرهم؛ فإن ذلك مراد الله، ولا يخرُجُ عن إرادته.

فنقول: لا تحصُلُ في الدنيا معصيةٌ؛ إلا بإرادة الله الكونية؛ مِنْ قَتْلٍ، أو زنىً، أو سرقةٍ، أو أكلِ مال حرام، أو كسبٍ حرام، لا يحصل شيء إلَّا وقد أراد الله وجوده إرادة كونية قدرية، ولكنْ لا يلزم أن يكون محبوبًا لله تعالىٰ، وكذلك كلُّ ما يحصل في الوجود.

ومـن تعبيراتهـم أن يقولـوا: «**لا يكـونُ في الوجـودِ إلا مـا يريـدُ**»[١]، يعنـي: إرادة كونيـة قدريـة، أي: قـدَّر الله أنـه سـيحصُلُ كـذا وكـذا، وكل مـا قـدَّره كونًـا، فإنـه لابـدَّ أن يحصُـلَ، وهـو مـراد لله كونًـا وقـدرًا.

أمـا الإرادة الدينيـة الشـرعية: فهـي التـي تسـتلزِمُ محبَّةَ المراد، ولا تسـتلزم وقوعه.

فنقـول: الله أراد مـن الخَلْـق كلِّهـم أن يُسْـلِموا، فأسـلَمَ مـن هـداه الله وسـدَّده، ولـم يُسْـلِمْ مـن خذَلَـهُ وحرَمَـه.

فـالله تعالـىٰ أراد مـن الجميـع أن يدخُلـوا في الإسـلام، هـذه إرادة دينيَّـة شـرعيَّة، والمـراد دينًـا وشـرعًا محبـوب إلـىٰ الله؛ فنقـول: الله يريـد منـا الإسـلام ويحبُّـه، ويريـدُ منـا الصـلاة ويحبُّهـا، وأن نذكُـرَهُ ويحـبُّ ذلـك، وأن نتلُـوَ كتابـه ويحـبُّ ذلـك، وأن نطيعـه ونطيـع رسـله ونتَّبعهـم، ويريـد منـا أن نؤمـن بـه ونؤمـن برسـله، وأن نسـبِّحَهُ وندعُـوَهُ ونُخلِـصَ لـه الديـن وحـده، وأن نتصـدَّق، وأن نزكِّـي، وأن نصـوم، وأن نجاهـد، وأن نصـبر، ونحـو ذلـك، ويحـبُّ ذلـك منـا.

فهـو يريـد ذلـك منـا إرادة دينيـة شـرعية، يريدهـا مـن الجميـع، ولكـنْ قـد تحصُـلُ مـن هـذا، ولا تحصُـلُ مـن ذاك، مـع أنـه أراد مـن الجميـع أن يكونـوا صادقيـن، وأن يكونـوا صابريـن، وأن يكونـوا قانتيـن ومخبتيـن، ومنيبيـن وتائبيـن وعابديـن، يريـد منهـم كلِّهـم ذلـك.

ولكـنْ منهـم مـن تتحقَّـق منـه هـذه الإرادة؛ فتجتمـع فيـه الإرادتـان:

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٥٩)، والتحفة المهدية (٢/ ١٠٢).

الدينيَّـةُ الشـرعيَّة، والكونيَّـةُ القدريَّـة، فنقـول مثـلًا: إيمانـك - أيهـا العبـد الصالـح - وصلواتـك، وعبادتـك التـي حصَلَـت، اجتمَعَـتْ فيهـا الإرادتـان: الإرادة الدينيـة، والإرادة الكونيـة.

وكفـرُ الكافـر ومعصيتـه، انفـرَدَتْ فيـه الإرادة الكونيـة، وإيمـانُ الكافـر وطاعتـه، انفـرَدَتْ فيـه الإرادة الدينيـة، ولـم تحصُـلْ لـه الإرادة الكونيـة؛ لأنـه لـو أراد الله إيمـان الكافـر كونًـا وقـدرًا، لحصَـلَ، لكنـه أراده دينًـا وشـرعًا، ولـم يـرده كونًـا وقـدرًا.

فتفطَّن للفرق بين الإرادتين؛ هذا ما يتعلق بأفعال العباد.

إثباتُ صفةِ النزولِ لله عَزَّوَجَلَّ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وإنه عَزَّوَجَلَّ يَنْزِلُ إلىٰ السماء؛ علىٰ ما صحَّ به الخبرُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا اعتقادِ كيفيَّةٍ].

الشَّرح

صفةُ النزولِ من الصفات الفعليَّة التي يفعلها الله تعالىٰ إذا شاء، ومثلها: صفةُ المجيء والإتيان، وقد دلَّ القرآن عليهما؛ قال الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقال في سورة الأنعام: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ وهذا المجيء حُدِّدَ بأنه في يوم القيامة؛ لأنه قال قبل ذلك: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[الفجر:٢١]، وقال بعد ذلك: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾[الفجر:٢٣]، وكل هذا في يوم القيامة.

وقد وردت الأحاديث في مجيء الله تعالىٰ كما يشاء في يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، وتكاثَرتِ الأدلَّة، واتَّفق عليها سلف الأمة في إثبات هذه الصفة.

ولما كان هذا النزولُ والمجيءُ الذي أثبتَهُ الله في الآيات مخالفًا لما يعتقده المعتزلة ونحوهم، أنكروا هذه الصفات؛ ففي بعض التفاسير لأحد الأشاعرة - لمَّا أتىٰ عند الآية التي في سورة البقرة - قال: «وأما

إتيـان الله، فقـد أجمـع المفسِّـرون علـىٰ أن الله سـبحانه منـزَّهٌ عـن المجـيء والذَّهَـاب؛ لأن هـذا مـن شـأن المحدَثـات والمركَّبـات»[١]! ثـم ذكـر أن في هـذه الآيـة قولَيْـن:

القـول الأول: قـول السـلف، وهـو السـكوت في مثـل هـذه الألفـاظ عـن التأويـلِ، وتفويضُـهُ إلىٰ مـراد الله تعالىٰ! يزعـم أن هـذا قـول السـلف، مـع أن السـلف قـد صرَّحـوا بالإيمـان بمـا في هـذه الصفـات، والاعـتراف بمعانيهـا.

والقـول الثـاني -وهـو قـول جمهـور المتكلِّميـن-: أنـه لا بـدَّ مـن التأويـل علىٰ سبيل التفصيـل. يزعـم أنـه تأويـل؛ وهـو تحريـف.

وقـد تسـلَّطوا علىٰ هـذه الآيـات بالتأويـلات، وتكلَّفـوا في صرفهـا؛ فآيـةُ سـورة البقـرة: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [البقرة:٢١٠]، لا شـك أن هـذا عنـد قيـام السـاعة، يعنـي: أن يأتيهـم الله تعالـىٰ لفصـل القضـاء بينهـم، ولعقـاب مـن يُعاقَـب.

فالمتأوِّلـون قالـوا: المجـيءُ هنـا لأمـر الله، وليـس لله! فقولـه: ﴿أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنـي: أن يأتيهـم أمرُ الله، أو قالـوا: المـأتيُّ بـه محـذوف، تقديـره: هـل ينظـرون إلا أن يأتيهـم الله بعـذاب في ظُلَـلٍ مـن الغمـام، أو أن يأتيهـم عـذابُ اللهِ في ظلـل مـن الغمـام!

وفي كتـب التفاسـير -مثـل: «**تفسـير ابـن جريـر**»، وغيـره[٢]- عـن بعـض السـلف أنهـم قالـوا: تـأتي الملائكـةُ في ظُلَـلٍ مـن الغمـام، ويـأتي اللهُ فيمـا يشـاء، وهـذا اعـترافٌ بـأن الله تعالـىٰ يـأتي كمـا يشـاء.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنظام النيسابوري (١/ ٥٧٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٠٥)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٥).

وتأويلهم أيضًا لآية الأنعام: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فالإتيانُ هنا لثلاثة أشياء: الملائكة، والرب، وآيات الربِّ.

فتسلَّطوا على قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾، فقالوا: أو يأتي أمرُ ربِّك؛ ولا شك أن ذلك يتعارض مع الجملة التي بعدها: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؛ لأن هذه تغني عن قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾؛ إذا قالوا: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ بمعنى: أمره، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، بعض آياته: مِنْ أمره؛ فيكون هذا تكرارًا غير مستساغ، ينزَّه كلام الله تعالى أن يكون فيه هذا التكرار الذي لا فائدة فيه.

فلا بدَّ أن يكون أمرُ الله تعالى يأتي في كل حين، وهذه الآية فيها تخويف لهم: أن يأتيهم أمر الله تعالى، وأن يأتيهم الله، وأن تأتيهم بعض آياته، وأن تأتيهم الملائكة، ونحو ذلك.

وكذلك قوله في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وهذه أيضًا صريحة في إثبات مجيء الله كما يشاء، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾، يعني: وجاء جنس الملائكة، صفوفًا متتابعةً، صفًّا وراء صف؛ فهذه أدلة من القرآن.

وقد ذكرنا أن الأشاعرة والمعتزلة سلَّطوا عليها التأويلات؛ لأنهم ينكرون صفات الأفعال، ويقولون: إن هذا من شأن المحدَثاتِ والمركَّبات، يعني: المجيء والنزول وغيرهما من الصفات الفعلية.

ومعلوم أن إتيان كل شيء، ومجيء كل شيء، بحَسَبه؛ فلا يجوز أن نحكِّم فيها الآراء، وأن نسلِّط عليها التقديرات، وأن نتخرَّص فيها تخرُّصًا لا موقع له ولا مستند، بل نعترِفُ ونتحقَّق بأن كلَّ ما ذكره الله عن نفسه، فإنه حقٌّ ويقين.

فنقولُ: يأتي الله تعالىٰ لفصلِ القضاء بين عباده، ولكنْ لا ندري كيفية إتيانه؛ كما أننا لا نكيِّف ذاته.

أما النزولُ: فهو وارد في أحاديث مشهورة؛ ذكَرَ ابنُ كَثِيرٍ[١] وغيره: أنه مرويٌّ عن عَشَرةٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد يكونون أكثَرَ من العَشَرة.

وقد جاء حديث النزول بلفظ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»[٢]، وبلفظ: «**إِذَا مَضَىٰ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ أَوْ ثُلُثَاهُ، هَبَطَ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»[٣]، أو ما أشبه ذلك من العبارات والألفاظ.

وقد أورد ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ -كما في «**مختصر الصواعق المرسلة**»[٤]- الأحاديث، واستوفىٰ ما ورد فيها، مع الاقتصار علىٰ بعضها، وتبعه حافظ الحَكَمي في «**معارج القبول**»[٥]؛ فأورد الأحاديث التي ورَدَتْ في النزول في آخر الليل بلفظ: «**يَنْزِلُ**»، أو: «**نَزَلَ**»، أو: «**يَهْبِطُ**»، أو: «**هَبَطَ**»، أو ما أشبه ذلك.

فهي أحاديثُ كثيرةٌ يدُلُّ مجموعها علىٰ أنه مأثورٌ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه حقٌّ ويقين.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، حديث رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقَصْرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، حديث رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٦٢١٥)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، حديث رقم (١٣٦٧)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب عمل اليوم والليلة، باب الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار، حديث رقم (١٠٢٣٦)، من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص ٤٥١).

(٥) ينظر: معارج القبول (١/ ١٦٦).

ولما كان هذا مما يخالف معتقد المعتزلة والأشعرية ونحوهم الذين ينكرون صفات الأفعال، كَثُرَ خوضهم في ذلك، فقدَّروا فيه التقديرات.

فمنهم: من قال: يَنْزِلُ أمرُهُ! تفسيرًا بالتحريف.

ومنهم: من قال: نَرُدُّ هذه الأحاديث ولو كانت صحيحة؛ لأنها تخالف المعقول؛ فعقولُنا تنزِّهُ الله عن مثل هذه التقديرات!

فردُّوها وسلَّطوا عليها التأويلات، أو كذَّبوا بها.

ولما اشتهَرَ ذلك عندهم، صرَّح أهل السنة بمدلولها، وقالوا: نقولُ بها؛ لأنا إذا ردَدْناها، لزمنا أن نَرُدَّ شطر الدِّين، فمن جاء بهذه الأحاديث من الصحابة ومَنْ بعدهم، جاء بأحاديث الصلاة، والصوم، والصَّدَقات، والجهاد، وبأحاديث المحرَّمات، والمحلَّلات؛ فكيف نَرُدُّ أحاديثهم هذه ونَقْبَلُ أحاديثهم تلك؟! ولا شكَّ أن هذا طعن فيهم، وأنهم ليسوا بثقات، فإما أن نقبل أحاديثهم كلَّها، وإما أن نردَّها كلَّها.

ولهذا يقول الكَلْوَذَانِيُّ[١] في عقيدته[٢]:

قَالُوا: النُّزُولُ، فَقُلْتُ: نَاقِلُهُ لَنَا ... قَوْمٌ هُمُ نَقَلُوا شَرِيعَةَ أَحْمَدِ

قَالُوا: فَكَيْفَ نُزُولُهُ؟ فَأَجَبْتُهُمْ: ... لَمْ يُنْقَلِ التَّكْيِيفُ لِي فِي مُسْنَدِ

---

(١) محفوظ بن أحمد بن الحسَنَ بن أحمد الكَلْوَذاني، أبو الخطَّاب، فقيه حنبلي، درس الفقه علىٰ أبي يعلىٰ بن الفرَّاء، وصار إمام وقته وشيخ عصره، يدرِّس ويفتي، وصنَّف في المذهب والأصول، وكانت له يد حسنة في الأدب، ولد سنة: ٤٣٢هـ، وتوفي سنة: ٥١٠هـ، ببغداد، ودفن إلىٰ جانب الإمام أحمد. ينظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٢٥٨)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٤٨).

(٢) ينظر: شرح عقيدة الكَلْوَذاني لسماحة الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٨٢).

أخبَرَ أن الذين نقلوا الشريعة هم الذين نقلوا النزول، وأننا نَقْبَلُهُ، ولا نكيِّفه.

وهذا معنىٰ ما ذكره المؤلِّف: (**أنه ينزل إلىٰ السماء علىٰ ما صحَّ به الخبر عن رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بلا اعتقادِ كيفيَّة**)، يعني: لا نكيِّف النزول.

وذلك لأن الذين أنكروا ذلك، أخذوا يكيِّفون، كيف يَنْزِل؟ هل يخلو منه العرش؟ هل تكون السموات فوقه؟ هل تُقِلُّهُ السموات؟ هل يحصُلُ كذا وكذا؟

لا ندخُلُ في ذلك، ينزل كما يشاء، ونؤمن بذلك، ونعرف أن النزول حق.

استدلوا بالنزول علىٰ صفة العُلُوِّ، وذكر ذلك ابن عبدالبَرِّ في «**التمهيد**» وقال: «**هذا دليلٌ علىٰ إثبات صفة العلوِّ لله؛ لأن النزول لا يكون إلا من أعلىٰ**»[(١)].

ورُفِعَ إلىٰ شيخ الإسلام ابن تيميَّة سؤالٌ عن هذا النزول، فأنكره أحد الحاضرين، وادَّعىٰ أن الليل يختلِفُ باختلاف البلاد، فإذا كان الليل عندنا، كان النهار في البلاد الأخرىٰ، وإذا كان الليل في البلاد الأخرىٰ، كان الليل عندنا، فيقول: علىٰ هذا يستلزِمُ أن يكون النزولُ دائمًا؟

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٢٩).

أجاب عن هذا السؤال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رسالة بعنوان: «**شرح حديث النُّزُول**»[(١)].

فأوَّلًا: توسَّع في أحاديث النزول، وفي أدلَّته، وفي ألفاظه، ثم بيَّن حقيقة النزول، وتوقَّف عن الكيفيَّة، ثم أجاب عمَّا ذكره المعترض من أنَّ الليل يختلف باختلاف البلاد، واعترَفَ بذلك، وقال: نحن نقول: يَنْزِلَ، ولا يشغله شأنٌ عن شأن، فإذا نزَلَ علىٰ هؤلاء، فلا يشغله شأنه ألَّا يَنْزِلَ علىٰ الآخرين، ثم يَنْزِلُ علىٰ الآخرين كما يشاء؛ **فالحاصلُ**: أنه لا مانع من أن ينزل علىٰ كل قومٍ في ثلثِ لَيْلِهم الأخيرِ كما يشاء؛ هذا جواب[(٢)].

ونقول أيضًا: يمكن أن يُخَصَّ النزول بالجزيرة التي نزل فيها الوحي، والتي هي منبع الرسالة، أن يكون النزول خاصًّا بهم، فإذا نزَلَ في هذا الوقت، فعلىٰ أولئك أن يجتهدوا في ذلك الوقت، ولو كان عندهم نهارًا.

فهذا ونحوه قولُ أهل السُّنَّةِ في إثبات هذه الصفة، وأنها من صفات الأفعال.

---

(١) مطبوع؛ نشره المكتب الإسلامي ببيروت، لبنان سنة ١٣٩٧هـ، ثم صدر عن دار العاصمة بالرياض، بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميِّس.

(٢) ينظر: شرح حديث النزول (ص ٥٩).

رؤيةُ المؤمِنينَ ربَّهم في الآخِرة

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويعتقِدُونَ جوازَ الرؤيةِ مِن العبادِ المتَّقِينَ لله عَزَّوَجَلَّ في القيامةِ دون الدنيا، ووجوبَهَا لمن جعَلَ اللهُ ذلك ثوابًا له في الآخرة؛ كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال في الكفَّار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلو كان المؤمنون كلُّهم والكافرون كلُّهم لا يَرَوْنَهُ، كانوا بأجمعهم عنه محجوبينَ، وذلك مِن غيرِ اعتقادِ التجسيمِ في الله عَزَّوَجَلَّ، ولا التحديدِ له، ولكنْ يَرَوْنَهُ عَزَّوَجَلَّ بأعينهم علىٰ ما يشاء هو، بلا كيفٍ].

الشَّرح

عبَّر في أول الأمر بقوله: **(جواز الرؤية)**، ثم بعد ذلك قال: **(ووجوبها)**، يعتقِدونَ الجوازَ، ويعتقِدونَ الوجوب.

والوجوبُ: هو أنَّ الله تعالىٰ وعَدَ المتقين بأنهم يَلْقَوْنَ ربَّهم ويرونه، ويكون ذلك مِن ثوابهم، ولا بدَّ أن يحصُلَ ذلك كما أخبَرَ الله به، وكما أخبَرَ به النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومسألةُ رؤيةِ المؤمِنِينَ لربِّهم في القيامة وفي الجَنَّة من المسائل التي طال الجدالُ فيها والنزاعُ مع المعتزلة ومَنْ علىٰ طريقتهم؛ وذلك لأن سلف الأمة وأئمتها عَمِلُوا بالسنةِ، وعملوا بالأحاديثِ التي ثبَتَتْ عندهم في رؤية الله تعالىٰ في الدار الآخرة، واعتقدوا ذلك صحيحًا، واعتقدوه دِينًا.

وقد استدَلُّوا عليه بالآياتِ والأحاديثِ الصريحة، وبالنقولِ عن السلف الصالح، وذكروا ذلك في معتقداتهم.

فذكره الإمام الشافعيّ[(١)]؛ واستدَلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وذكره الإمام أحمد[(٢)]؛ واستدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، وبالأحاديث، وذكرها الطَّحَاوِيُّ في «عقيدته»[(٣)]، والإسماعيليُّ في هذه العقيدة، والدَّارِمِيُّ[(٤)] في «سننه»[(٥)]، والدارِميُّ -عثمان بن سعيد[(٦)]- في «ردِّه علىٰ الجهمية»[(٧)]، وفي «ردِّه علىٰ المَرِيسيّ»[(٨)]، وأكثر أئمة السلف الذين لهم مؤلَّفات نصوا علىٰ الرؤية، وأثبتوها، وخالفهم في ذلك المعتزلة ومَن علىٰ شاكلتهم، وأنكروها إنكارًا بليغًا، وشدَّدوا في إنكارها، وقالوا:

أولًا: أنها تستلزم المقابلة.

---

(١) ينظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣/ ٥٦٠).

(٢) ينظر: الرد علىٰ الجهمية والزنادقة (ص ١٢٩).

(٣) ينظر: العقيدة الطحاوية (١/ ٢٠٧).

(٤) عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهْرَام الدارمي، أبو محمد السمرقندي، الإمام، من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين، وصنَّف وأظهر السنة في بلده، ودعا الناس إليها، وذب عن حريمها، وقمع من خالفها، توفِّي: ٢٥٥هـ. ينظر: الثقات لابن حبان (٨/ ٣٦٤)، وتاريخ بغداد (١١/ ٢٠٩).

(٥) سنن الدارمي، باب: النظر إلىٰ الله تعالىٰ (٣/ ١٨٤٦).

(٦) عثمان بن سعيد بن خالد، أبو سعيد السِّجِسْتاني، الحافظ الإمام الحُجَّة، محدِّث هَرَاة، له سؤالات عن الرجال ليحيىٰ بن مَعِين، وله مسند كبير، وتصانيف في الرد علىٰ الجهمية، توفي سنة: ٢٨٠هـ. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ١٥٣)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩).

(٧) ينظر: الرد علىٰ الجهمية (ص ١٠٢).

(٨) ينظر: النقض علىٰ المريسي (١/ ٣٥٩).

وثانيًا: أنها تستلزم الجهة.

وثالثًا: أنها تستلزم التجسيم؛ علىٰ حدِّ تعبيرهم.

وغير ذلك من التقديرات؛ وهذا مبنيٌّ علىٰ معتقدهم الضالِّ الذي يَدِينُونَ به: أن الله تعالىٰ ليس في جهة: لا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا يسار، ولا أمام ولا خلف! ومعتقدهم أيضًا: أن الله ليس بعَرَضٍ ولا بجوهر!

وإذا نظرنا في معتقدهم في ذات الله تعالىٰ، وجَدْنا حقيقةَ قولهم: أنهم لا يُثْبِتونَ ذاتًا؛ فلا جرَمَ، كان قولهم في هذا الباب مبنيًّا علىٰ عقيدتهم، وهي: اعتقاد أن الله ليس في جهة!

قالوا: فإذا لم يكن الله تعالىٰ في جهة، فكيف يتمثَّل أمام الرائين؟ فالرؤيةُ لا بدَّ أن تكون لمن هو أمام الرائي، وأن تكون عن مقابلة مع نظَر، فأنكروها إنكارًا بليغًا.

وكان من جملة ما استدلُّوا به: قولُ الله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، يردِّدون هذه الآية دليلًا علىٰ أنه لا يُرَىٰ!

وقد استدَلَّ بها أهل السنة علىٰ أنه يُرَىٰ، حتىٰ الأشاعرة جعلوها دليلًا علىٰ إثبات الرؤية، وقالوا: إن الإدراكَ شيءٌ زائدٌ علىٰ الرؤية؛ لم يقُلْ: لا تراه الأبصار، بل قال: لا تُدْرِكُه، والإدراكُ: هو إدراك الماهيَّةِ، ليس مجرَّد الرؤية.

وذُكِرَ عن ابن عباس؛ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: ألستَ ترَىٰ القمر؟ قال: بلىٰ، قال: أكُلَّهُ؟ قال: لا، قال: فذلك الإدراك[1].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٥٩)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣١٠).

فنحن نرىٰ القمرَ، ولكنَّنا نرىٰ ما يقابِلُنا منه، ونراه صغيرًا مع أنه كبير، ومع ذلك لا نُدْرِكُ ماهيَّته، ولا ندرك مِن أيِّ شيء هو، هل من تراب أو حجارة؟ فذلك هو الإدراك.

والمعنىٰ: أن الأبصار إذا رأته، فإنها لا تُحِيطُ به.

فالحاصلُ: أن الآية دليلٌ علىٰ إثبات الرؤية؛ كأنه يقول: متىٰ رأته الأبصار، فإنها لا تُحِيطُ به؛ وذلك دليل علىٰ عظمته وكبريائه، فأصبَحَتِ الآية دليلًا لأهل السنة، لا دليلًا عليهم.

وأكثر ما يتمسَّك به المعتزلة ونحوهم: العقل؛ حيث جعلوا العقل دليلًا! وقالوا: إن إثبات الرؤية يستلزِمُ المقابلة، ويستلزِمُ تحديق الأبصار وتقليبها نحو الخالق؛ وذلك يستلزِمُ أن يكون في جهة، ومقابلًا للناظرين، وهذا -في زعمهم- من المحال!

وليس فيما أخبَرَ الله شيء تحيله العقول، بل كل ما أخبَرَ الله به، فإنه تُقِرُّهُ العقول السليمة.

ثم جاء الأشاعرة، وهم أكثَرُ وأشدُّ تكاثُرًا في البلاد، ومذهبهم هو المذهب المنتشِرُ والمتمكِّنُ في كثير من البلاد الإسلامية، ولما كان أكثرهم علىٰ مذهب الشافعي في الفقه والأحكام، وكان الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصرِّح بإثبات الرؤية لله تعالىٰ، ويستدِلُّ بقوله للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ويقول: «إن هذا من عقيدة المسلمين» -: لم يتجرؤوا علىٰ إنكار الرؤية إنكارًا واضحًا، بل أقرُّوا بها إقرارًا ظاهرًا، وهم في الحقيقة لا يُثْبِتونها، فيقولون: نُثْبِتُ رؤية الله، ولكنَّ الرؤية التي نُثْبِتها هي مكاشفاتٌ للقلوب، وتخيُّلاتٌ ليست حقيقة.

فينكرون أن تكون الأحداقُ تقابِلُ ذاتَ الربِّ تعالىٰ، ويقولون: ليس المراد من إثبات الرؤية تقليبَ الأحداق نحو ذات الربِّ تعالىٰ؛ فإن هذا محال في زعمهم؛ لأنه يستلزم إثبات الجهة؛ هذا معتقدهم!

ونحن نُثْبِتُ رؤية الله حقيقة، ونُثْبِتُ أن الله تعالىٰ في جهة العلوِّ فوق عباده، ونثبتُ أنه يتجلَّىٰ لعباده كما يشاء، كما أننا -وإياهم- نُثْبِتُ لله تعالىٰ ذاتًا حقيقيَّة.

وإذا كان كذلك، فلا بدَّ أن تكون الذات تُرَىٰ، يراها عباده كما يشاء، ويتجلَّىٰ لعباده، وكما أنه تعالىٰ يتكلَّم ويُسْمَعُ كلامه، فلا بدَّ أيضًا أن يكون يُرَىٰ كما يشاء، ويتجلَّىٰ لعباده؛ هذا هو القول الذي تؤيِّده الأدلة.

وقد استُدِلَّ علىٰ إثبات الرؤية: بأن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل الرؤية بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولا بدَّ أن موسىٰ عالم بأنه يُمكِنُ أن يَرَىٰ ربَّه، ولكنَّ الله تعالىٰ أخبَرَ موسىٰ بأنه لا يستطيع أن يثبُتَ أمام عظمة الربِّ تعالىٰ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

يقول أهل السنة: إن الله تعالىٰ علَّق رؤيته علىٰ ثبات الجبل واستقراره، ولا شكَّ أنه ممكِنٌ، والتعليق علىٰ الممكِنِ ممكِنٌ.

وأيضًا: فإن الله تجلَّىٰ للجبل، والجبَلُ جمادٌ، فإذا جاز أن يتجلَّىٰ للجبل، فكيف لا يتجلَّىٰ لعباده؟!

ولكنَّ عباده في الدنيا خِلْقتهم ضعيفة؛ لا يمثُلُونَ، ولا يثبُتُونَ أمام

رؤية الله تعالىٰ الذي هذه عَظَمَتُه؛ لأنه وَرَدَ في الحديث: «**حِجَابُهُ النُّورُ؛ لَوْ كَشَفَهُ، لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

فقد أخبَرَ في هذا الحديث: أنه احتجَبَ بالنور، وأن هذا النور لو كَشَفَهُ لاحترق ما انتهىٰ إليه من الخلق، من جماد، أو من حيوان، أو نحو ذلك، فإذا كان في يوم القيامة، أمَدَّ عباده المؤمنين في الجنة بقوَّة في أجسادهم وفي أبصارهم، يثبتون بها لرؤية الله إذا تجلَّىٰ لهم، ويكون ذلك من أعظم ثوابهم وأجرهم عند ربهم.

ونعتقدُ أنَّ رؤيةَ الله تعالىٰ في الآخرة مُمْكِنة، وأنها واقعةٌ في الجنة، وقد ورد في حديث الشفاعة: «**أنَّ اللهَ تعالىٰ يَنْزِلُ لِفَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ** -كَمَا يَشَاءُ- وأنه يقولُ: **مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا، فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا، عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١).

فالحاصلُ: أن في هذا دليلًا علىٰ أنه يتجلَّىٰ لعباده يوم القيامة، ويَرَوْنَهُ ويعرفونه، أما في الجنة، فالأحاديث صريحة في إثبات أن الله تعالىٰ يتجلَّىٰ لعباده، وأنهم يزورون ربَّهم؛ إما في كل أسبوع، أو في كل يوم مَرَّةً أو

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، حديث رقم (٨٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مرتَيْـن، وفُسِّـرَ قـول الله تعالـىٰ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريـم: ٦٢]، قالـوا: ليس في الجنـة شـمس، ولا ليـل، ولا نهـار، بـل كل وقتهـم نهـارٌ أو ضيـاء[١]؛ ولذلك فلا بدَّ أن يكون قولـه: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، لـه معنًىٰ؛ ففُسِّـرَ: بـأن ثوابهـم -الـذي منـه رؤيـة الله تعالـىٰ- يكـون بمقـدار الغُـدُوِّ في الدنيـا، والعَشِـيِّ فيهـا.

ويـدلُّ أيضًـا علىٰ ذلك: حديث جَرِيْرِ بـن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «الصحيحَيْن»، عـن إسـماعيل بـن أبـي خالـد، عـن قيـس بـن أبـي حـازم، عـن جريـر بـن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قـال: قـال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّكُـمْ سَـتَرَوْنَ رَبَّكُـمْ كَمَـا تَـرَوْنَ هَـذَا القَمَـرَ، لاَ تُضَامُـونَ فِـي رُؤْيَتِـهِ، فَـإِنِ اسْـتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُـوا عَلَـىٰ صَـلاَةٍ قَبْـلَ طُلُـوعِ الشَّـمْسِ، وَصَـلاَةٍ قَبْـلَ غُـرُوبِ الشَّـمْسِ، فَافْعَلُـوا**»[٢]، ويريـد بهاتَيْـنِ الصلاتَيْـنِ: العصـر والفجـر، قيـل: الحكمـةُ في ذلـك: أن الذيـن يواظبـون علـىٰ هـذه الصلـوات، يكـون مـن ثوابهـم: أنَّ الله تعالـىٰ يتجلَّـىٰ لهـم ويَرَوْنَـهُ ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، أي: في وقـت صـلاة العصـر، ووقـت صـلاة الفجـر؛ هـؤلاء هـم أعظـم أهـل الجنـة ثوابًـا، أمـا بقيَّـةُ أهـل الجنـة، فإنهـم يـرون ربهـم في مِقْـدار يـوم الجمعـة، ويُسـمَّىٰ: يـومَ المَزِيـدِ؛ وبذلـك فُسِّـرَ قولـه تعالـىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، بـأن المَزِيـدِ: هـو النظَـرُ إلـىٰ وجـه الله تعالـىٰ، وأن ذلـك يكـون بمقـدار يـوم الجُمُعـة[٣]، أي: بعدمـا يمضـي عليهـم قـدر سـبعة أيـام، ففـي يـوم الجمعـة يـزورون ربهـم؛ كمـا ورد في الحديـث: «**أَنَّ أَهْـلَ الجَنَّـةِ إِذَا دَخَلُوهَـا، نَزَلُـوا فِيهَـا بِفَضْـلِ أَعْمَالِهِـمْ، ثُـمَّ يُـؤْذَنُ فِـي مِقْـدَارِ يَـوْمِ الجُمُعَـةِ مِـنْ أَيَّـامِ الدُّنْيَـا**،

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٦).

(٢) أخرجـه البخـاري، كتـاب مواقيـت الصـلاة، بـاب فضـل صـلاة الفجـر، حديـث رقـم (٥٧٣)، ومسـلم، كتـاب المسـاجد ومواضـع الصـلاة، بـاب فضـل صـلاتي الصبـح والعصـر والمحافظـة عليهمـا، حديـث رقـم (٦٣٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٧).

فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّىٰ لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ - وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِيٍّ - عَلَىٰ كُثْبَانِ المِسْكِ وَالكَافُورِ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا»(١).

وفُسِّرَ بذلك قولُهُ تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فُسِّرَتِ الزيادة: بأنها النظَرُ إلىٰ الله تعالىٰ، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعني: الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، يعني: النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ، فسَّرها بذلك كثير من السلف، منهم: أبو بكر الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وغيره(٣)، ورُوِيَ ذلك مرفوعًا(٤)، ثم قال: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾، يعني: ومتىٰ نظروا إلىٰ ربهم، فلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُم ﴿قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، القَتَرُ: هو الغبَرَةُ التي تكون علىٰ الوجوه(٥)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠-٤١].

فالحاصلُ: أن هذا من أكمل وأشرفِ نَعِيمِ أهل الجنة، والذين أنكروا الرؤية قد حرَمُوا أنفسهم أعظمَ لذَّة، وأعظمَ نعيمٍ يتنعَّم به أهل الجنة، وادَّعَوْا أن ذلك تنقُّصٌ لله تعالىٰ، وأنه وصفٌ له بوصف الحوادث، أو بوصف المركَّبات، أو ما أشبه ذلك.

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة الجنة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في سُوق الجنة، حديث رقم (٢٥٤٩)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، حديث رقم (٤٣٣٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٥٧-١٥٩)، وتفسير البغوي (٤/ ١٣٠).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حديث رقم (١٨١)، من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ١٧٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٣).

فنؤمن بـ «جواز الرؤية» من العباد لله تعالىٰ يوم القيامة، يَرَوْنَهُ إذا نزَلَ لفصل القضاء.

ونؤمن بـ «وجوبِها»؛ لمن جعَلَ اللهُ ذلك لهم ثوابًا في الآخرة، أي: أن ذلك من نعيم أهل الجنة.

وممَّا استُدِلَّ به علىٰ ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، واللفظة الأولىٰ: بالضاد: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾؛ من النضارة، وهي: البهاء والسرور[1]؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١]، أي: بهاءً وزينةً وجمالًا؛ لأن تلك الوجوه نظَرَتْ إلىٰ ربها، فازدادت نضارةً وحُسْنًا؛ ولهذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي: تلك الوجوه تنظر إلىٰ ربها؛ فناظرةٌ الأخيرة: بالظاءِ أختِ الطاء، من النظر، وهو المعاينة، أي: تنظر إلىٰ ربها، والله تعالىٰ ذكر الوجوه؛ لأن أثر النضارة يظهر علىٰ الوجه، بإشراق الوجه وسروره، إذا لقي ما يسُرُّهُ، أشرق وأسفر، والأعيُنُ بلا شك أنها في الوجه؛ لهذا وصف الله تعالىٰ وجوههم بأنها ﴿نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وهذا دليلٌ واضح.

واستُدِلَّ أيضًا بالآية الأخرىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]؛ وهذا وعيد للكفار أنهم يوم القيامة في النار محجوبون عن ربهم، والحجابُ عذابٌ لهم، ولا شكَّ أن هذا دليل علىٰ أن المؤمنين ليسوا بمحجوبين، فلو كانوا لا يَرَوْنَ الله تعالىٰ، لكان كل الخلق محجوبين عن ربهم، فلما حجَبَ الكفار؛ لغضَبِهِ عليهم، دلَّ علىٰ أن المؤمنين لا يُحْجَبُونَ عنه؛ لرضاه عنهم.

---

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١ / ٤٢٧)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٩).

وقول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلو كان المؤمنون كلُّهم والكافرون كلُّهم لا يَرَوْنَهُ، كانوا بأجمعهم عنه محجوبين**)؛ هذا هو اعتقادُ أهل السنة.

وأول من استدَلَّ بهذه الآية: الإمام الشافعي؛ قال: «إذا حجَبَ الله تعالىٰ الكفار في حال السخط، دلَّ علىٰ أنه لا يحجب المؤمنين في حال الرضا»(١)، حجَبَ الكفار؛ لأنه سَخِطَ عليهم، فلا يحجب المؤمنين؛ لأنه رضي عنهم.

ثم يقول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وذلك مِنْ غيرِ اعتقادِ التجسيمِ في الله** عَزَّوَجَلَّ، **ولا التحديدِ له، ولكنْ يَرَوْنَهُ** جَلَّوَعَلَا **بأعينهم علىٰ ما يشاء هو، بلا كيفٍ**).

وكلمة «**التجسيم**» من الألفاظ المبتدعة التي لم تَرِدْ في الشرع، لا إثباتًا ولا نفيًا، وكان الأولىٰ بالمؤلِّف ألَّا يذكُرَها؛ لأنها من جملة ما يحتجُّون به علىٰ أهل السنة؛ حيث إنهم يقولون: «إن الله تعالىٰ ليس بجسم، وإذا لم يكن جسمًا، فكيف يُرَىٰ؟!».

ويقولون: «إن إثبات الرؤية يلزم منه أن يكون جسمًا»! ويقسِّمون الموجودات إلىٰ جواهر، وأعراض، والعرَضُ: هو ما ليس له جِرْم، والجسم والجوهر: ما له جِرْمٌ، ونحو ذلك.

والصحيحُ: أن كلمة التجسيم لا يجوز استعمالها؛ فمن قال: إن الله جسمٌ، فهو مبتدِعٌ، ومن قال: إن الله ليس بجسمٍ، فهو مبتدِعٌ.

وقد علَّق المحقق عليها في هذه النسخة بقوله: «التجسيمُ من الألفاظِ المجمَلةِ المحدَثةِ التي أحدَثَها أهل الكلام، لم تَرِدْ في الكتاب والسنة، ولم تُعْرَفْ عن أحد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأئمة الدين،

(١) ينظر: شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٦٠).

وما كان أغنىٰ الإمامَ المصنِّفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مثل هذه الكلمة المبتدَعة؛ لذلك لا يجوز إطلاقها لا نفيًا ولا إثباتًا»[(١)].

فإن الله لا يُوصَفُ إلا بما وصَفَ به نفسه، أو وصَفَهُ به رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفيًا أو إثباتًا، فيُنكَرُ علىٰ من استعمل لفظة التجسيم إثباتًا أو نفيًا، وقد تكلَّم عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «**المنهاج**»[(٢)]، وفي غير ذلك من كتبه، وأنكَرَ علىٰ من استعمل هذه الكلمات، ولما جادله بعض الأشاعرة، وصار يُثْبِتُ هذه الصفات، قالوا له: إذا قلتَ مثلًا: إن الله يسمع لا كسمع المخلوق، وإن لله حياة لا كحياة المخلوقين، وإن لله علمًا لا كعلم المخلوقين، وإن لله وجهًا لا كوجوه المخلوقين، فيلزمك أن تقول: إن لله جسمًا لا كأجسام المخلوقين؛ فاعترَضَ علىٰ ذلك، وقال: «لفظةُ التجسيم ليس عليها دليلٌ في الكتاب ولا في السنة؛ فلأجل ذلك نُنْكِرُها، ولا نقولُ: إن الله جسمٌ، ولا غيرُ جسم، كما لا نقولُ: عرَضٌ، ولا غيرُ عرَض، وكما لا نقولُ: جوهرٌ ولا غيرُ جوهر»[(٣)].

وكذلك كلمة «**التحديد**»، فالتحديدُ مِنَ العلماء مَنْ أطلقه، وقال: إن لله تعالىٰ حدًّا، ومنهم من قال: ليس لله حَدٌّ، والأَولىٰ: التوقُّفُ -نفيًا وإثباتًا- في الأشياء التي لم يَرِدْ عليها دليل.

والذين أثبتوا الحَدَّ لله من أهل السنة: أرادوا بذلك الرَّد علىٰ من ادَّعىٰ أن الله تعالىٰ في كل مكان، وقالوا: ليس لله حَدٌّ ولا منتهًىٰ؛ فمن أجل أن يبطلوا قول هؤلاء الملاحدة الذين يدَّعون أو يصفون الله تعالىٰ بأنه في

---

(١) تقدم تعليق المحقق (ص١١١).

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٣١)، و(٢/ ٥٤).

(٣) ينظر: جامع المسائل (٣/ ٢٠٦).

كل مكان، أو بأنه عَيْنُ وجود الموجودات، صرَّح أهل السنة أو بعضهم بأن الله تعالىٰ له حَدٌّ؛ يعني له منتهىً، **ولكن الكلمات التي لم يرد عليها دليل، الأولىٰ: عدم إطلاقها.**

وبكلِّ حال: فمسألة النزول، ومسألة الرؤية، من المسائل الاعتقادية التي يَدِينُ بها أهل السنة، ويعتقدون أنها حقٌّ علىٰ الحقيقة، وإن لم يُكيِّفوها، فيتوقَّفون عن التكييف، ويثبتون المعاني والدَّلَالات.

تعريفُ الإيمان، وبيانُ حقيقته

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعمَلٌ ومعرفة، يزيدُ بالطاعة، وينقُصُ بالمعصية؛ مَنْ كَثُرَتْ طاعته أزيَدُ إيمانًا ممَّن هو دونه في الطاعة].

الشَّرح

ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعريفَ الإيمان، وقد اختلَفَ الناس في تعريفه:

فذهَبَتِ المرجئة: إلىٰ أن الإيمان: هو التصديقُ بالقلب فقطْ.

وذهبت الجهمية: إلىٰ أن الإيمان: هو المعرفة.

وذهب أهل السنة: إلىٰ أن الإيمان: قولٌ وعمَلٌ ومعرفة، يزيدُ بالطاعة، وينقُصُ بالمعصية.

وهناك مذاهب أخرىٰ لا دليل عليها.

ولفظُ «**الإيمان**» من الألفاظ الشرعية التي استعمَلَها الشرع، ونقَلَها من معناها اللغويِّ إلىٰ معنًىٰ اصطلاحيٍّ شرعي؛ فأصبَحَتْ من الألفاظ الشرعية التي جاءت في لسان الشرعِ لمعنًىٰ زائدٍ عن المعنىٰ اللغوي.

صحيحٌ أن معناه في اللغة: التصديقُ[1]؛ مثلُ قوله تعالىٰ عن إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: بمصدِّقٍ لنا، ومنه أيضًا:

(١) ينظر: الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧١)، ولسان العرب (١٣/ ٢٣): (أ م ن).

تفسيرُ «الإيمانِ» في حديث جبريل المشهور: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»؛ فالإيمانُ هنا: هو التصديقُ بما ذُكِرَ.

إذن: فالإيمانُ في أصل اللغة: التصديقُ، ولكنَّ الشرع الشريف أضاف إليه الأعمال والأقوال، فجعلها إيمانًا؛ فأصبح الإيمانُ عامًّا؛ فالأعمال البدنية إيمان، والقولية إيمان، والعقلية القلبية إيمان، والمالية إيمان، كلها داخلة في مسمَّىٰ الإيمان شرعًا؛ هذا هو قول أهل السنة.

أما الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق، وهم يُسمَّوْنَ: «مرجئةَ الفقهاء»، وأكثرهم من الحنفيَّة، يذكُرُونَ أن «الإيمان» عندهم هو ما كان عليه في اللغة، أي: التصديق، ويقولون: إن اللسانَ العربيَّ يدُلُّ علىٰ أنه التصديق.

ولكنْ يلزم من هذا محاذيرُ، منها: تسويُة الناس في الإيمان، ما دام أنهم كلهم مؤمنون؛ فلا يكون بينهم فرق في الإيمان؛ فيكونُ إيمانُ أجلَّاء الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كإيمان أطرف الناس! وهذا فيه تسوية بين المتفاوتات.

فمعلومٌ أن إيمان الصديق والفاروق وعثمان وعلي وسائر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أقوىٰ من إيمان غيرهم ممن جاء بعدهم، ومن إيمان أهل هذا الزمان الذين في إيمانهم تزعزُعٌ وضعف؛ والدليل عليه: أن إيمانَهم الراسخَ حملهم علىٰ الأعمال؛ كالهجرة، والصبر علىٰ الأذىٰ في ذات الله، والجهاد في سبيل الله، والإنفاق في مرضاة الله تعالىٰ، والاجتهاد في سُبُلِ الخير، وفي الأعمال الخيرية؛ فذلك دليل علىٰ أنه أقوىٰ من إيمان غيرهم من سائر الناس؛ هذا من حيثُ الإيمان الذي في القلب.

وإذا نظَرْنـا أيضًـا في الأدلَّـة، وجَدْنـا أن الشـرع سـمَّىٰ الأعمـال: إيمانًـا؛ فسمَّىٰ الله تعالـىٰ كثيرًا مـن الأعمـال البدنيـة والماليـة: إيمانًـا؛ قـال الله تعالـىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]؛ فهـذه خمسُ خصـالٍ؛ منهـا: ثـلاثٌ مـن الأعمـال القلبيـة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ هـذه مـن أعمـال القلـب، وواحـدٌ مـن أعمـال البـدَن؛ وهـو: إقـام الصـلاة: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وواحـدٌ مـن العبـادات الماليَّـة؛ وهـي: النفقـة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ فهـذه كلُّهـا جعلهـا الله تعالـىٰ مـن الإيمـان.

ومثـل ذلـك: قولـه تعالـىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥- ١٦]؛ فهـذه كلهـا جعلهـا الله علامـةً علـىٰ الإيمـان.

يعني: إنمـا المؤمنـون حقًّـا الذيـن يفعلـون هـذه الأشـياء؛ فهـذا كلـه دليـل علـىٰ أن هـذه الأعمـال مـن الإيمـان.

ومثلهـا: قولـه تعالـىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجـرات: ١٥]؛ فجعَـلَ هـذه كلَّهـا مـن الإيمـان، وأشباه ذلـك مـن الآيـات.

ولا شكَّ أن هذه أدلة علىٰ أن الأعمال من مسمَّىٰ الإيمان.

وقد وردَتِ السنة بذلك أيضًا؛ ففي «الصحيحَيْن» قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً؛ أَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1].

انظر كيف ذكَرَ ثلاث خصال:

خَصْلةٌ قوليَّة: «**قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ فهي من الإيمان.

وخَصْلةٌ فعليَّة: «**إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ**»، وهي من الأفعال؛ جعلها إيمانًا.

وخَصْلةٌ قلبيَّة: **الحياءُ من الإيمان**.

هذه أدلة علىٰ أن الأعمال داخلةٌ في مسمَّىٰ الإيمان؛ ولذلك اتفق السلف من أهل السنة علىٰ تعريف الإيمان بمثل ما ذكَرَ الإسماعيليُّ، فقالوا: «الإيمانُ: قولٌ باللسانْ، واعتقادٌ بالجَنَانْ، وعمَلٌ بالأركانْ، يزيدُ بالطاعة، وينقُصُ بالعصيانْ»[2].

القولُ باللسان: يدخُلُ فيه: الذِّكْرُ، والدعاء، والقراءة، والدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ وكلُّ الأعمال القوليَّة التي باللسان، هي من الإيمان.

الاعتقادُ بالجَنَان: يدخُلُ فيه: الأعمالُ القلبيَّة؛ كالخوف، والرجاء، والتوكُّل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والحياء، وغيرها، وأعمال القلوب كثيرة؛ وكلُّها تدخل في الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، حديث رقم (٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: لمعة الاعتقاد (ص ٢٦)، وأصول الإيمان للشيخ محمد بن عبدالوهاب (ص ١٥).

الأعمال البدنية: يدخُلُ فيها: الركوع، والسجود، والقيام، والقعود، والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، وكذلك: الصيام، والطواف بالبيت، والوقوف بالمشاعر، وغيرها من الأعمال البدنية؛ وكلها داخلة في مسمَّىٰ الإيمان؛ لأنها من الأعمال المشروعة المأمور بها.

وكذلك أيضًا: الأعمال المالية -وإن لم يذكرها في التعريف؛ لدخولها في الأعمال البدنية؛ لأن المال يُكتسَبُ غالبًا بالبدن- فإذا أنفق في سبيل، الله، فإن ذلك عملُ برٍّ صالح؛ فالزَّكوات، والصَّدَقات، والتوسعةُ علىٰ ذوي الحاجات، وكفالة الأيتام، والنفقة في وجوه البر كعمارة المساجد، ونَشْر العلم، وكلُّ ما يُصْرَفُ فيه المال مما هو قربةٌ إلىٰ الله تعالىٰ، كلُّها من الإيمان؛ لكونها أعمالًا صالحةً يحبُّها الله تعالىٰ.

ولا شكَّ أن «الإيمان» أصبَحَ بذلك مسمًّىٰ شرعيًّا، نقله الشرع إلىٰ هذا المسمَّىٰ، كما نقل «الإسلام»؛ فالإسلامُ في اللغة: الإذعانُ والانقيادُ والاستسلام[1]، ونقله الشرع فأصبَحَ اسمًا لأركان الإسلام الظاهرة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وما يلحق بها[2].

وكذلك: «الإحسانُ»؛ فالإحسانُ في اللغة[3]: اسمٌ لإيصالِ الخيرِ إلىٰ الغير، ولكنْ نَقَلَهُ الشرع وجعله عبادةَ الله وحده وإخلاص العمل له، فقال في حديث جبريل: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...**»، إلىٰ آخره.

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٢٩٣)، و مقاييس اللغة (٣/ ٩٠): (س ل م).

(٢) يشير إلىٰ حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بُنِيَ الإسلامُ علىٰ خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضانَ»؛ أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قولَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الإسلامُ علىٰ خمسٍ، حديث رقم (٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الإسلامُ علىٰ خمسٍ، حديث رقم (١٦).

(٣) ينظر لسان العرب (١٣/ ١١٧)، والقاموس المحيط (ص ١١٨٩): (ح س ن).

فيقـالُ مثـلًا: هـذه الكلمـاتُ لهـا تعريـفٌ في اللغـة، وتعريـف في الشـرع، كمـا أن أضدادهـا أيضًـا لهـا تعريـفٌ في اللغـة، وتعريـفٌ في الشـرع.

فالشـركُ في اللغـة: الاشـتراكُ بيـن اثنَيْـن [١]، وتعريفـه في الشـرع: دعـوةُ غيـر الله مـع الله.

والتوحيـدُ تعريفه في اللغـة: الفـردُ الواحـد [٢]؛ يعنـي: ذِكْـرَ شـخص واحـد مفـرد، وتعريفـه في الشـرع: إفـرادُ الله تعالـىٰ بالعبـادة.

والفسـوقُ أصلـه في اللغـة: الخـروجُ [٣]، ويطلق في الشـرع علـىٰ: العصيان؛ يعنـي: الخـروجَ عن طاعـة الله تعالـىٰ.

والنفـاقُ تعريفـه في اللغـة: الإخفـاءُ [٤]، أو: الشـيءُ الخَفِـيُّ، وتعريفـه في الشـرع: إظهـارُ الإيمـانِ، وإخفـاءُ الكفـر.

فكذلك نقول: إن لفظة «**الإيمان**» نقَلَها الشرع، وسمَّاها بهذا الاسم.

فالذيـن قالـوا: إن الإيمـانَ هـو التصديـقُ يسـوُّون بيـن النـاس؛ فيقولـون: «إيمـانُ أفسـقِ النـاسِ مثـلُ إيمـانِ الملائكـة، وأكابِـرِ الصحابـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»! فعندهـم علـىٰ هـذا: لا فـرق في الإيمـان بيـن هـذا وبيـن هـذا؛ فالنـاسُ كلهـم سـواءٌ في الإيمـان!

ولا شـك أن في هـذا تسـهيلًا في المعاصـي؛ لأن العاصـي إذا عـرَفَ أن المعاصـي لا تضُـرُّهُ، وأن إيمانـه كامـل، فسـوف يتسـاهل بأمـر الله؛ فيفعـلُ

(١) ينظر: الصحاح للجوهري (٤/ ١٥٩٣)، ولسان العرب (١٠/ ٤٤٨): (ش ر ك).
(٢) ينظر: تاج العروس (٩/ ٢٦٦): (وح د).
(٣) ينظر: تهذيب اللغة (٨/ ٣١٥): (ف س ق).
(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٥٥): (ن ف ق).

ما يستطيعه من الذنوب؛ فيشرَبُ الخمور، ويسمع الأغاني، ويأكل الربا، ويقتُلُ، ويفسُقُ، ويزني، ويفجُرُ، ويكذب، ويفعل كل المعاصي، ويقول: ما دام أن هذه ليست من الإيمان، والإيمانُ موجودٌ في القلب، فإيماني كامل.

والذين يسمَّوْنَ المرجئةَ، يعتقدون أن إيمانه كامل؛ حيث اعتقدوا أن الإيمان شيء واحد، وأن أهله فيه سواءٌ؛ وهذا ما حمَلَ كثيرًا علىٰ الانهماك في المعاصي، وصاروا يعتمدون علىٰ واسعِ الرحمةِ وكَرَمِ الله؛ حتىٰ قال قائلهم[1]:

فَكَثِّرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَىٰ كَرِيمِ!

كأنه يُبِيحُ لهم المعاصي، ويأمرهم بتكثيرها!

هذه عقيدةُ المرجئة الذين تساهلوا في المعاصي؛ وقيل: إنهم سُمُّوا مرجئةً؛ لأنهم أرجؤوا الأعمال عن مسمَّىٰ الإيمان؛ يعني: أخَّروها، فالإرجاء: هو التأخيرُ؛ قال تعالىٰ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]، يعني: تؤخِّر، ولا شك أن هذا تهاوُنٌ بالأسماء الشرعية.

وقيل: سُمُّوا مرجئةً؛ لأنهم غلَّبوا جانب الرجاء، واعتمدوا علىٰ أحاديث الرجاء.

وقد جاءت في القرآن آياتٌ في تغليب الرجاء، وآياتٌ في تغليب الخوف، أو في الأمر بالخوف، وقد تكلَّم العلماء عن آيات الرجاء، وآيات الخوف، وقالوا: ينبغي للإنسان في حالة النشاط والقوَّة، أن يغلِّبَ جانب الخوف،

---

(١) ينظر: عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص٢٥).

وأن يُكْثِرَ من الأعمال الصالحة، ويهرُبَ من السيئات، ويخاف من التفريط والإهمال، ويكونَ دائمًا: خائفًا فزعًا، يَحْذَرُ عذاب الله، ويخشىٰ نِقْمته وعقوبته، أما إذا نزل به الأمر، وحضره الأجل، فيفضَّلُ أن يغلِّبَ جانب الرجاء، حتىٰ يَقْدَمَ علىٰ ربه تعالىٰ وهو يُحسِنُ الظنَّ به؛ كما ورَدَ في الحديث: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ**»(١).

وذهب بعضهم: إلىٰ أنك في حالة الصحة تَعْمَلُ بهما جميعًا، أي: تعمل بالخوف وبالرجاء؛ فلا تغلِّبُ الرجاء، فتكون من المرجئة، ولا تغلِّبُ الخوف، فتكون من الوعيدية؛ كالخوارج والمعتزلة، بل تتوسَّطُ، والتوسُّطُ بينهما: أن يكون دائمًا خائفًا راجيًا؛ واستدلُّوا علىٰ ذلك بالآيات التي فيها الجمع بينهما؛ كقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فجمع بينهما: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾، هذا في جانب الرجاء، ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، يعني: في جانب الخوف.

وهكذا أيضًا يذكُرُ الله آية الرجاء، ثم آية الخوف؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]؛ انظر كيف جمع بينهما.

وقال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]؛ جمَعَ بينهما، فأتبعَ العقاب المغفرة، وقال تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، فجمَعَ بينهما في آيتَين متتابعتَين.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحُسْن الظنِّ بالله تعالىٰ عند الموت، حديث رقم (٢٨٧٧)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحكمةُ في ذلك: أن يكون المؤمن في حياته جامعًا بينهما، فإذا تذكَّر عذاب الله تعالىٰ، خاف خوفًا شديدًا، وأكثَرَ من الأعمال الصالحة، وإذا تذكَّر سَعَةَ رحمة الله تعالىٰ، رجاها، وعَمِلَ الأعمال الصالحة التي تدفعه إلىٰ رضا الله تعالىٰ، وتؤهِّله لأن يكون من أوليائه.

فالأمنُ مِن مَكْرِ الله، والقنوطُ من رحمة الله، كلاهما مِنْ كبائر الذنوب، وكلٌّ ذلك مأخوذٌ من القرآن.

فالقنوطُ: هو قطعُ الرجاءِ بالكليَّةِ مِن رحمة الله تعالىٰ؛ قال الله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، واليأسُ: هو قطعُ الرجاء؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧].

فلو قُدِّرَ أن إنسانًا أكَبَّ علىٰ الذنوب وأكثر منها، وحمَّل نفسه مالا تُطِيق من السيئات، فإنه مع ذلك لا يَقْنَطُ، ولا يقولُ: أنا قد عَمِلْتُ سيئاتٍ كبيرةً لا يمكن أن تنالني الرحمة، أنا مُقْدِمٌ علىٰ النار؛ فإني عَمِلْتُ كذا وكذا من السيئات، فيقطع الرجاء! لا يجوزُ ذلك، بل عليه أن يستحضِرَ رحمة الله تعالىٰ، ويرجُوَهُ حتىٰ يرحمَهُ ربُّه.

وكذلك قِسْمٌ آخر، ذُكِروا في قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]؛ فالأمنُ من مكرِ الله: من كبائر الذنوب؛ وذلك لأن الذين ينهمكون في المعاصي، ويُكْثِرونَ منها، ولا يخافون نِقْمة الله، ولا يخافون بَطْشه ولا عذابه، وكأنهم آمنون من غضب الله تعالىٰ ونقمته؛ كأن عندهم صَكَّ أمان فلا يدخُلُونَ النار، أو أنهم لا يعذَّبون!

وذُكِرَ في تعريف الإيمان أنه: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وقد جاءت الأدلَّة علىٰ زيادة الإيمان؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، لا شكَّ أن هذا دليلٌ صريح علىٰ أن هذه المقالة زادت إيمانهم، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وكذلك قوله تعالىٰ في سورة المدَّثِّر: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المدثر: ٣١]، صريحٌ في أنه يزيد إيمانهم، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، صريحٌ في أن السكينة زادَتْ إيمانهم، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]؛ فالأدلة صريحة.

يقول العلماء: كلُّ شيء يقبلُ الزيادة، فإنه يقبل النقصان، فإذا كان الإيمان يزيد، فإنه ينقُصُ؛ فالطاعات تزيده، والمعاصي تنقُصُه.

فالركَعاتُ النوافل، والصدَقةُ ولو بقليل، والكلماتُ الطيبة، والدعَواتُ التي يدعو بها العبد ربه، والاعتكاف ولو ليلةً في مسجد، وكذلك الحجُّ أو العمرةُ، أو التقرُّب إلىٰ الله بطوافٍ، أو الجهادُ في سبيل الله، أو النفقةُ في وجوه الخير؛ كل هذا يزيدُ به الإيمان.

وبضدِّ ذلك ينقُصُ الإيمان؛ فالرجُلُ مثلًا إذا مشىٰ إلىٰ المساجد زاد إيمانه، وإذا مشىٰ إلىٰ أماكن الرقص وأماكن اللعب، نقص إيمانه، وإذا أنفَقَ في سبيل الله أو في وجوه الخير، زاد إيمانه، وإذا أنفَقَ في الباطل وفي الملاهي وفي الأغاني ونحوها، نقص إيمانه، وإذا تكلَّم بدعاء أو بدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، زاد إيمانه، وإذا تكلَّم مثلًا بسباب أو بلعن أو بشتم أو عيب

أو ثَلْب أو نحو ذلك، نقص إيمانه، وإذا نظَرَ في كتاب الله تعالىٰ للاعتبار، زاد إيمانه، وإذا نظَرَ في الأفلام وفي الصور الخليعة ونحوها، نقص إيمانه، وإذا استمع إلىٰ الذكر وخشَعَ قلبه، زاد إيمانه، وإذا استمع إلىٰ الغناء والملاهي وما أشبهها، نقص إيمانه؛ فالضِّدُّ بالضِّدِّ.

ولهذا ذكَرَ البخاريُّ في كتاب الإيمان من «صحيحه»، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»[1]، يعني: أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعَلَ ذِكْرَهُ وفِكْرَهُ وتعلُّمه إيمانًا؛ فدَلَّ علىٰ أن هذا يضاف إلىٰ الإيمان؛ فيزدادُ به الإيمان.

وقد أخذوا النقص من الحديث المشهور في «الصحيحَيْن»؛ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ**»[2]؛ فوصف النساء بنَقْصِ الدِّينِ، والدينُ: الإيمان.

فمَنْ كثُرَتْ طاعته، لا شكَّ أنه أزيدُ إيمانًا ممن نقَصَتْ طاعته؛ فالذي يصلِّي النوافل، ويحافظ علىٰ الرواتب، لا شك أنه أزيَدُ إيمانًا من الذي يقتصر علىٰ الفرائض، والذي يسبِّحُ الله تعالىٰ بعد كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، ويَحْمَدُ ثلاثًا وثلاثين، ويكبِّرُ ثلاثًا وثلاثين، أفضلُ وأكملُ إيمانًا من الذي يسبِّحُ عشرًا عشرًا، وأشباه ذلك، فكلما زادت الأعمال، زاد بها الإيمان.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الإسلامُ علىٰ خمسٍ، (١/ ١٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحَيْض، باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم (٣٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر علىٰ غير الكفر بالله...، حديث رقم (٧٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومسألةُ الإيمانِ مسألةٌ طويلة، وسيأتي فيها زيادةُ كلامٍ[1] عند قول المؤلِّف: «**إنَّ الإيمانَ قولٌ وعمَلٌ، والإسلامُ فعلٌ...**»، إلىٰ آخره.

(١) ينظر: (ص٢٢٨) من هذا الكتاب.

عقيدة أئمَّة الحديث في حُكْمِ مرتكِبِ الكبيرة

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: إنَّ أحدًا من أهل التوحيد ومَنْ يصلِّي إلىٰ قِبْلَةِ المسلِمِينَ، لو ارتكب ذنبًا أو ذنوبًا كثيرة، صغائرَ أو كبائرَ، مع الإقامة علىٰ التوحيد لله، والإقرار بما التزَمَهُ وقَبِلَهُ عن الله، فإنه لا يكفُرُ به، ويرجون له المغفرة؛ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦]].

الشَرح

ذكر المؤلِّف هنا قول أهل السُّنَّةِ في أصحاب الكبائر، ومذهبُ أهلِ السنَّةِ: عدمُ التكفير بالذنوب، ما لم تبلُغْ درَجةَ الكفر.

وأصحابُ الكبائر: هم أهلُ الذنوب، الذين عملوا سيئاتٍ وذنوبًا دون الكفر؛ كالذين يأكلون الربا، أو يَزْنون، أو يشربون الخمر، أو يقتلون النفس، أو يأكلون أموال اليتامىٰ، يعني: يفعلون شيئًا من المعاصي؛ فهؤلاء للناس فيهم ثلاثة مذاهب:

١- **مذهب الخوارج**: أنهم كفَّار.

٢- **ومذهب المعتزلة**: أنهم ليسوا مؤمنين ولا كفَّارًا، بل في منزلة بين الإيمان والكفر!

٣- **ومذهب أهل السنة**: أنهم مؤمنون إيمانًا ناقصًا؛ إذا كانوا من أهل التوحيد، ومن أهل القبلة، الذين يعترفون بقِبْلة المسلمين،

يستقبلونها، ويتوجَّهون إليها، وكلُّ من كان من الأمة المحمَّدية الذين استجابوا لله تعالىٰ، وللرسول ﷺ، يُسمَّوْنَ: أهلَ القِبْلة، يعني: يستقبلون القِبْلةَ في صلاتهم، وعند ذَبْحِ ذبائحهم، ويذهبون إليها حُجَّاجًا وعُمَّارًا.

إذا كانوا من أهل التوحيد، يعني: أنهم يؤمنون بالله تعالىٰ إلهًا وربًّا وخالقًا، ويعبُدُونَهُ ولا يعبُدُونَ غيره، ولا يصرفون شيئًا من عبادته ولا من حقِّه لأحدٍ سواه، هؤلاء هم أهل التوحيد؛ فهم يقولون: لا إله إلا الله، ويعملون بها؛ **فلا يدخل في ذلك**: الذين يعبدون القبور، ويُسمَّوْن: القبوريِّين؛ فإنهم ليسوا من أهل التوحيد؛ لأنهم شابهوا قوم نوح: الذين عبدوا وَدًّا، وسُوَاعًا، ويَغُوثَ، ويعوقَ، ونَسْرًا، وشابهوا قوم إبراهيم: الذين كانوا يعبدون التماثيل ويعكُفُونَ لها.

وكذلك لا يدخل في ذلك: الذين يعبدون الأشجار والأحجار، والقباب، أو ما أشبه ذلك، ويعتقدون أنها تنفع وتشفع وتدفع، وأنها تفيدهم؛ فلأجل ذلك يتمسَّحون بها، ويعكُفُونَ عندها، ويأخُذُونَ تُرْبَتَها، وربما دعَوْها كما دعا المشركون العُزَّىٰ.

فمثل هؤلاء ليسوا من أهل القِبْلة، ولا من أهل التوحيد؛ ولو صلَّوْا وصاموا، فلا يدخلون في هذا الباب.

إنما الكلام في مسلمين من أهل التوحيد، ومن أهل القِبْلة، ارتكبوا كبائر، يعني: فعلوا من الذنوب ما دون الشرك؛ فإننا لا نُخْرِجهم من الإسلام، ولا من الإيمان، بل نقول: إنهم مؤمنون، ولكن نقول: إن إيمانهم ناقص، فنقول: مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، يُسمَّىٰ: فاسقًا -يعني: عاصيًا-

لأجل الكبيرة التي اقترفها، ويُسمَّىٰ: ناقص الإيمان، هكذا عبَّر شيخ الإسلام ابن تيميّة في «العقيدة الواسطية»[(١)]: «أو مؤمنٌ ناقص الإيمان»؛ فنقصُ إيمانه حمله علىٰ أن يفعل المعاصي ويترك الطاعات؛ فلذلك نقول: إنه لا يخرُجُ بذلك من مسمَّىٰ الإيمان؛ هذا هو قول أهل السنة.

أمَّا الخوارج، فإنهم يكفِّرون العاصي أيًّا كانت معصيته؛ فمثلًا: يكفِّرون الذين يأكلون أموال اليتامىٰ، ويخلِّدونهم في النار، ويستبيحون قَتْلَهم، وسَفْكَ دمائهم، ونَهْبَ أموالهم، وسَبْيَ نسائهم، ويقولون: إن الله توعَّدهم بالنار؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠].

وكذلك أيضًا: قَذْفِ المحصَنات توعَّد الله عليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣-٢٥]؛ فيكفِّرونهم بهذه الكلمة؛ فإذا رمَىٰ محصَنًا أو محصَنةً، أخرجوه من الإيمان، وأدخلوه في الكفر، واستباحوا قتله!

يقول العلماء عن الخوارج: «إنهم يجعلون الذنب كُفْرًا، والعَفْوَ ذنبًا»؛ فمثل هؤلاء قاتلهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبدَّعوهم، وشنَّعوا عليهم.

جاء المعتزِلةُ، فوافقوا الخوارج في بعض الأشياء، منها: أنَّ أهلَ الذنوب الذين يموتون عليها يخلَّدون في النار، ولا يخرُجونَ منها، فإذا مات وهو يأكل الربا، أو وهو يزني، أو وهو يسرق، أو وهو يأكل مال اليتيم من غير توبة، أو وقد قذَفَ محصَنًا، أو وقد تولَّىٰ يوم الزحف،

(١) العقيدة الواسطية (ص ١١٤).

أو نحو ذلك من المعاصي، فعند المعتزلة: أنه خالدٌ في النار، لا يخرُجُ منها، ولكنهم في الدنيا لا يعاملونه معاملة الكافر، ولا معاملة المسلم، بل هو في منزلة بينهما؛ **هذا قول المعتزلة!**

ونحنُ نقول: إن من كان من أهل التوحيد، وممَّن يصلِّي إلىٰ القبلة، لو ارتكب ذنبًا أو ذنوبًا، كبيرة كانت أو صغيرة، مع الإقامة علىٰ التوحيد لله والإقرار بما التزَمَهُ وقَبِلَهُ عن الله، فإنه لا يكفُرُ، ولا نُخْرِجه من الإيمان، ولا نُدْخِله في الكفر، ولا نقولُ: إنه يخلَّدُ في النارإذا مات دون توبة، بل أَمْرُهم في الآخرة إلىٰ الله تعالىٰ؛ إن شاء غفر لهم، وأدخلهم الجنة، وإن شاء أدخلهم النار بحسَبِ سيِّئاتهم وذنوبهم، ثم مآلهم بعد تكفير الذنوب إلىٰ أن يُخْرَجوا؛ إما بشفاعة الشافعين، وإما برحمة الله تعالىٰ، فإذا عُذِّبُوا العذاب الذي يستحقُّونه بقَدْرِ ذنوبهم، أُخْرِجوا.

ومن الأدلَّة علىٰ ذلك: هذه الآيةُ التي ذكرها الإسماعيليُّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]؛ فقد جاءت هذه الآية في موضعَيْنِ من سورة النساء: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: ما دون الشرك؛ إنْ شاء، غفَرَ لهم؛ رحمةً منه وفضلًا، وأدخَلَهم الجنة من أول وَهْلة، وإنْ شاء، أدخلهم دار العذاب؛ للتطهير والتمحيص؛ كإدخال الحديد في كِيرِ الحدَّاد حتَّىٰ يصفِّيَهُ مما فيه من الكَدَر؛ فيُدْخِلُهم النارَ بقَدْرِ ذنوبهم، ثم يُخْرِجُهم منها.

حكمُ تارك الصلاةِ عَمْدًا

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[واختلَفُوا في متعمِّدي تركِ الصلاةِ المفروضةِ حتىٰ يَذْهَبَ وقتُها من غير عُذْرٍ، فكفَّره جماعةٌ؛ لمَا رُوِيَ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ»، وقولِهِ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ»، و«مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ»، وتأوَّل جماعةٌ منهم أنه يريدُ بذلك: مَنْ تركَها جاحدًا لها؛ كما قال يُوسُفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، تَرْكَ جحودٍ].

الشَّرح

اختلفوا في متعمِّدِ تركِ الصلاةِ المفروضةِ حتىٰ يَذْهَبَ وقتها من غير عذرٍ، فكفَّره جماعةٌ؛ منهم: عمر، ومعاذ، وابن مسعود، وابن عباس، وجابر، وأبو الدَّرْداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن التابعين ومن بعدهم: إبراهيمُ النَّخَعي، وابن المبارَك، وأيُّوب السَّخْتِيَاني[1]، وابن حَنْبَل، وابن أبي شَيْبَةَ[2]، وغيرهم.

(١) أبو بكر، أيوب بن أبي تميمة، كيسان السختياني، الإمام الحافظ، من صغار التابعين، سمع من سعيد بن جبير، وعبد الله بن شقيق وغيرهم، وحدث عنه محمد بن سيرين، والزهري وغيرهم، توفي سنة ١٣١هـ بالبصرة، زمن الطاعون. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥).

(٢) عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان، أبو بكر العبسي، المعروف بابن أبي شيبة، من أهل الكوفة، كان حافظًا متقنًا مكثرًا، من مصنفاته: المصنف، والمسند، والتفسير، توفي سنة ٢٣٥هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٩٨)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢).

وكذلك أيضًا مِنْ مشايخنا الذين أدركْناهم: شيخنا محمد بن إبراهيم، وعبدالله بن حُمَيْد، وعبدالعزيز بن باز، وابن عثيمين رَحِمَهُمُ اللَّهُ، يرون أنه يكفُرُ، وفتاواهم موجودة(١).

ولا شكَّ أن هذا القول هو الذي تؤيِّده الأدلَّة، وهي كثيرة؛ فمن القرآن: قول الله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قيل: إن غَيًّا وادٍ في النار(٢)، ما ذكَرَ من سيئاتهم إلا أنهم اتَّبعوا الشهوات، وأضاعوا الصلاة، فتوعَّدهم بغَيٍّ.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧]، قد ذكَرَ من أعمالهم أنهم يصلُّون، ولكنْ يؤخِّرون الصلاة عن وقتها، ويراؤون بها، فتوعَّدهم بوَيْل، وقيل: إنه شدَّة العذاب(٣).

ومن الأدلة أيضًا: أن الله حكىٰ عن أهل النار قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٦]، فبدؤوا أعمالهم بترك الصلاة.

ومن الأدلَّة أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، هذا في أهل النار: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾؛ يعني: في

---

(١) ينظر: المسائل والأجوبة لابن تيمية (ص ١٦٩)، والصلاة وحكم تاركها لابن القيم، ومجموع فتاوىٰ ابن باز (١٠/ ٢٣٨)، وحكم تارك الصلاة لابن عثيمين.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٧١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٩).

الدنيا، فيمتنعون منها مع قُدْرتهم؛ فهذا دليل علىٰ أنهم تُوُعِّدوا في الآخرة بالعذاب.

ومن السُّنَّةِ: قولُ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جابرٍ الصحيحِ المشهور: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(١).

وكذلك أيضًا حديثُ بُرَيْدةَ في السنن(٢): «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ: الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا، فَقَدْ كَفَرَ**»؛ وهذا أيضًا حديث صحيح.

وكذلك حديث: «**مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ**»(٣).

ووردَ في صحيح البخاري: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ**»(٤)؛ يعني: تَرْكًا كليًّا، وفي حديث آخر: «**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ العَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب إطلاق اسم الكفر علىٰ مَنْ ترك الصلاة، حديث رقم (٨٢)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٢٩٣٧)، والترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٦٢١)، والنسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، حديث رقم (٤٦٣)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، حديث رقم (١٠٧٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٧٣٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، كتاب القَسْم والنشوز، باب ما جاء في ضربها (٧/ ٣٠٤)، من حديث أم أيمن رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قال ابن عبدالهادي في تنقيح التحقيق (٢/ ٦١٥): «هذا منقطع؛ فإن مكحولًا لم يُدركْ أم أيمن».

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب التبكير بالصلاة في يوم غيم، حديث رقم (٥٩٤)، من حديث بُرَيْدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب إِثْم من فاتته العصر، حديث رقم (٥٥٢)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، حديث رقم (٦٢٦)، واللفظ له، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وثبت في سنن التِّرْمِذيِّ، عن عبدالله بن شَقِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «**كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا: الصَّلَاةَ**»[١].

ولا شكَّ أن هذه أدلَّة واضحة في أنَّ مَنْ تَرَكَ الصلاة متعمِّدًا، وهو موقنٌ بأنها فريضةُ الله، ومعترفٌ بذلك، فإنَّه يعامَلُ معامَلَةَ الكافر.

ثم ذكَرَ أنَّ قومًا آخرين لا يكفِّرون تارك الصلاة، علَّق المحقِّق بقوله: «كالشافعيِّ[٢]، وجماعةٍ من أصحابه»، لا يَرَوْنَ أنه كفر؛ يقولون: إن الترك الذي لا يكفُرُ به ليس هو الجَحْدَ، ولكنه التهاون؛ فهناك فرق بين الترك وبين الجحود.

قالوا: إنَّ مَن جحَدَ وجوبها، فإنه يكفُرُ ولو صلَّىٰ؛ فلو رأينا إنسانًا يصلِّي، ولكنه يطعُنُ في الصلاة، ويقولُ: هذه الصلاةُ عبَثٌ، ومَشْغَلَةٌ، ولا فائدةَ فيها ولا أهمِّيَّةَ لها، ولا حاجةَ إليها، يسُبُّ الصلاة، ويتمنَّىٰ أنها ما فُرِضَتْ، فنقول: إن هذا كافرٌ ولو صلَّىٰ؛ ما دام أنه يُنْكِرُ فرضيَّتها ووجوبها.

والحاصلُ: أنهم اختلفوا في ترك الصلاة: هل يكفُرُ به، أم لا يكفُرُ به؟ علىٰ قولَيْن:

قولٌ لأكثرِ العلماء المتقدِّمين والمتأخِّرين: أنَّ تَرْكَ الصلاة كفر.

وقولٌ آخر: إنه ليس بكُفْرٍ، ولكنه فسوق.

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٦٢٢)، قال النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٢٤٥): «إسناد صحيح».

(٢) ينظر: المجموع للنووي (٣/ ١٣)، وبداية المجتهد (١/ ٩٧-٩٨).

والقولُ الراجحُ: أنه إذا أصَرَّ علىٰ الترك، واستمَرَّ علىٰ ذلك، ثم صبَرَ علىٰ القتل حتىٰ قُتِلَ، فإنه يُحكَمُ بكفره، يُقتَلُ كافرًا، أمَّا إذا تاب وأناب، ودُعِيَ إلىٰ الصلاة، فاستجاب، ولو كان قد ترَكَها مدَّةً، فإنا لا نحكُمُ بكفره.

وقد تعرَّض الإسماعيليُّ للقولَيْنِ، فذكر قول الذين كفَّروه وأخرجوه من الإسلام، وذكر قول الذين لم يكفِّروه.

وحكىٰ أن الذين لم يكفِّروه حملوا قوله ﷺ: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**»، علىٰ أن المراد بالتركِ هنا: التبرِّي منها ومِنْ أهلها، وجَحْدُها.

واستدَلَّ بقوله تعالىٰ حكايةً عن يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]؛ فإنه هنا عبَّر بالترك، والمرادُ به: الجحودُ والإنكار.

ولكنَّ ظاهر الأحاديث: إطلاقُ الكفر علىٰ تارك الصلاة، وقد اتَّفقوا علىٰ أنه يُقتَلُ، ولكن اختلفوا: هل يُقْتَلُ حدًّا، أو يقتلُ رِدَّةً؟

فالذين قالوا: يُقْتَلُ حدًّا(١)، قالوا: يكون ذنبه كذنب الزاني الذي يُقتَلُ لأجل الزنىٰ، والقاتلِ الذي يُقتَلُ قصاصًا؛ فيعامَلُ بعد القتل معاملةَ المسلمين؛ يعني: يُصلَّىٰ عليه، ويُدفَنُ مع المسلمين.

والذين قالوا: يُقْتَلُ ردَّةً(٢)، قالوا: يُحكَمُ بكفره قبل قتله، ويُمنَعُ أن يَرِثَ أقاربَهُ المسلمين، وهم كذلك لا يرثونه، ويفرَّق بينه وبين امرأته إذا

(١) هذا قول مالك والشافعي، ورواية لأحمد وأصحابه. ينظر: المغني لابن قدامة (٢/ ٣٣١)، والمجموع للنووي (٣/ ١٦)، وبداية المجتهد لابن رشد (١/ ٩٧-٩٨).

(٢) هذا مذهب أحمد وجماعة من العلماء. ينظر: المغني لابن قدامة (٢/ ٣٣٠).

كانت تصلِّي، وإذا مات، فلا يغسَّل، ولا يكفَّن، ولا يصلَّىٰ عليه، ولا يُدفَنُ في مقابر المسلمين، بل يُوارَىٰ كما يُوارَىٰ الكفَّار.

هذا هو الذي يترتَّب علىٰ الخلاف.

وقد فرَضُوا في المسألة فرضًا شبه مستحيل؛ وهو أنهم يقولون: إننا إذا علمنا أنه تارك للصلاة، أحضرناه، ثم وعَظْناه وخوَّفناه، فإذا أصرَّ، وقال: لا أصلِّي، هدَّدناه بالقتل، فإذا امتنَعَ، وقال: لو قطَّعْتموني قطعةً قطعةً، فإني لا أصلِّي، وأَصَرَّ علىٰ ترك الصلاة حتىٰ قُتِلَ، فإنه يُقْتَلُ حَدًّا علىٰ هذا القول! **والحقُّ**: أن الذي يفعل هذا لا شكَّ أنه ليس مُقِرًّا بالصلاة، ولا يمكنُ أن يقولَ: أنا أُقِرُّ بالصلاة، وأشهدُ أنها فريضة الله، وأنها عمودُ الإسلام، وأنها ركنٌ من أركانه، وأن الله فرَضَها علىٰ نبيه ﷺ ليلةَ الإسراء فوق السماء السابعة، وأنه قال: «**أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي**»(١)، وأنه جعلها آخرَ ما يُفْقَدُ من الدين، وأوَّلَ ما يحاسَبُ عليه العباد، وأظهَرَ العبادات وأشهَرَها.

أُقِرُّ بذلك كله، ولكنِّي مع ذلك لا أصلِّي؛ فهل يمكن أن يكون صادقًا في أنه مُقِرٌّ بذلك؟!

يتَّضحُ أنه كاذبٌ في قوله: «إنه مُقِرٌّ بها، وإنها عبادة، وإنها فريضة الله»؛ يستحيلُ -أو يُستبعَدُ- أن يقرَّ بها ويعترفَ بها، ومع ذلك يُصِرُّ علىٰ تركها، ويصبر علىٰ القتل!

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٧)، من حديث مالك بن صَعْصَعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعُرِفَ بذلك: أن الذين لا يصلُّون، لو عُرِضوا على السيف، فإنهم لا يصبرون، بل يقولون: «لا تقتُلُونا، ونحن سنصلِّي»، ولا يمكنُ أن أحدًا منهم يُقِرُّ بالصلاة ويعترِفُ بها، ويصبر على القتل!

فالذي يصبِرُ على القتل، نقول له: أنتَ كاذبٌ في قولك: «إنك تُقِرُّ»، فإذن: نعاملك معاملة الكفار الكاذبين.

والمسألة قد بحثها ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ، وأطال فيها في كتاب «**الصلاة**»، فابتدأ الكتابَ بقولِ مَنْ يقول: «إنه يُقتَلُ»، ثم في أثناء الكتاب ذكر أدلَّة من يقول: «إنه كافرٌ وخارجٌ من الإسلام»، وأورَدَ على ذلك الأدلَّة من الكتاب والسنة، ثم ذكَرَ أدلَّة من لا يكفِّره، وبيَّن دلالتها، ثم حكَمَ بينهما، وبيَّن القول المختار، وبيَّن أنه لا يمكِنُ أن يصبر على القتل، وهو معترِفٌ بأنها فريضة الله.

ولا شك أنَّ التهاوُنَ بالصلاة فعلٌ مُستقبَحٌ؛ فتركُهُ للصلاة كسلًا مدَّة، ولو يومًا، فضلًا عن أسبوعٍ، فضلًا عن شهرٍ متوالٍ، بل ولو صلاةً واحدةً يتعمدُ تَرْكَها بدون عذرٍ، لا شكَّ أن هذا ذنبٌ كبير.

فعلى المفرِّط: أن يتوبَ ويَنْزِعَ عن هذا التَّرْك، وأن يواظِبَ على الصلاةِ ويحافظَ عليها، وإن استمَرَّ على ذلك بقية حياته، ومات وهو على التكاسُلِ والتضييعِ، وعدَمِ الانتباهِ لما مضى، خُشِيَ عليهِ من عذابِ الله، ومِن الخاتِمةِ السَّيئة

أقوالُ أهلِ العِلْمِ في الفرق بين الإسلامِ والإيمان

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وقال منهم: إنَّ الإيمانَ: قولٌ وعمَلٌ، والإسلامُ: فعلُ ما فُرِضَ علىٰ الإنسانِ أن يفعله، إذا ذُكِرَ كلُّ اسم علىٰ حِدَتِهِ مضمومًا إلىٰ الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا؛ أو مفردَيْن، أُرِيدَ بأحدهما معنًىٰ لم يُرَدْ بالآخر، وإنْ ذُكِرَ أحدُ الاسمَيْنِ شَملَ الكلَّ وعمَّهم.

وكثيرٌ منهم قالوا: الإسلامُ والإيمانُ واحدٌ؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ فلو أن الإيمان غَيْرُهُ، لم يُقْبَلْ، وقال: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦].

ومنهم مَن ذهب إلىٰ أنَّ الإسلامَ مختصٌّ بالاستسلام لله، والخضوعِ له، والانقيادِ لحُكمِهِ فيما هو مؤمنٌ به؛ كما قال: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وهذا أيضًا دليلٌ لمَنْ قال: هما واحدٌ].

الشَّرح

تكلَّم المؤلِّف هنا عن الفرق بين الإسلام والإيمان، وقد تقدَّم قولُ أهلِ السُّنَّة: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعمل؛ قولُ القلب واللسان، وعمَلُ القَلْب والجوارح، قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجَنان، وعمَلٌ بالأركان، وعلىٰ هذا اتَّفَقَ سلف الأمة.

ولمَّا ابتدأ البخاريُّ كتابه - بعد المقدِّمة - بالإيمان، قال: «وهو قولٌ وفعل»(١).

ويريدُ بالفعلِ: فعلَ القلبِ، وفعلَ الجوارحِ؛ جاء بهذه العبارةِ مِنْ نفسِهِ.

ونُقلَ عنه أنَّه لمَّا ذكر المشايخَ في صحيحه، قال: **إنِّي خَرَّجتُ هذه الأحاديثَ عن أكثر مِنْ ألفِ شيخٍ كلُّهم يقولون: «الإيمانُ: قولٌ وعملٌ»**(٢).

ولكنِ اختلَفُوا: هلِ الإسلامُ والإيمانُ بمعنًىٰ واحد، أو بينهما فرق؟ علىٰ أقوال:

فذهَبَ كثيرٌ من العلماء إلىٰ أنَّ الإسلامَ والإيمانَ شيءٌ واحد، وأنَّ مَنْ أُطلِقَ عليه مسلمٌ فإنَّه يصدُقُ عليه أنه مؤمن، وبالعكس؛ وإلىٰ هذا يميلُ ابن رجَبٍ في «**شرح الأربعين النوويَّة**»، في شرح حديثِ جبريلَ الذي فيه تفسير الإسلام والإيمان: أن أحدهما يفسَّرُ بما يفسَّرُ به الآخر؛ سواءٌ اجتمعا أو افترقا(٣).

وذهَبَ آخرون: إلىٰ أنهما إذا اجتَمَعَا افترَقَا، وإذا افترَقَا اجتَمَعَا(٤)، ومعنىٰ ذلك: أنهما إذا ذُكِرَا جميعًا فلكل واحدٍ منهما تفسير، وإذا ذُكِرَ أحدهما أغنىٰ عن الآخر.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٠).

(٢) ذكره اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٩٣)، (٥/ ٩٥٩).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٧).

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٢٦).

فيفسَّرُ الإيمان: بأنه الأعمالُ الباطنة، والإسلامُ: بأنه الأعمالُ الظاهرة؛ وذلك بناءً على الأصل:

فإن أصلَ الإيمانِ: هو التصديقُ بالقلب.

وأصلُ الإسلامِ: هو الإذعانُ والانقياد؛ يقال: استسلَمَ فلانٌ للأمير؛ بمعنى: انقاد له وأذعَنَ، ولم يَعْصِ، ولم يتخلَّفْ، ولم يتبرَّمْ.

فلذلك يقالُ: المسلِمُ هو الذي استسلَمَ لأمر الله، وانقاد له، وأذعَنَ، وخضع، وتواضع، وأطاعه طوعًا وكرهًا؛ أطاع اللهَ تعالى مختارًا، دون أن يتلعثم، أو دون أن يتردَّد في أمر من أمور الدين؛ إذا أُمِرَ بأمرٍ، بادر إليه، وإذا نُهِيَ عن شيء في الإسلام، تَرَكَهُ وابتعَدَ عنه، يعتقِدُ أن ما أمَرَ الله به، فإنه عَيْنُ المصلحة، وما نَهَى عنه، فإنه عَيْنُ المفسدة، ومتى سمع بأن لله طاعةً، سارع إليها، وأتاها محبًّا لها، ومندفعًا إليها اندفاعًا قويًّا، كأنه يقادُ باختياره دون أن يكون مكرَهًا؛ فمثلُ هذا يُسمَّى مسلِمًا.

ويقالُ مثلًا في الإبل: استسلَمَ البعيرُ لقائده؛ يعني: أذعَنَ وانقاد له، ويقالُ: هذا البعيرُ لا يستسلِمُ لمن يقوده.

فمثلًا: إذا رأيتَ اثنَيْنِ يقودان جملَيْنِ، وأحدُ الجملَيْنِ مطاوعٌ لمن يقوده عندما يميل ويتَّبع قائده، ولا يتردَّد، ولا يستعصي، ولا يعاند، بل هو مذعن منقاد، لا يلتوي ولا يمتنع؛ فيسمَّى هذا: مستسلِمًا، بينما الجمَلُ الثاني دائمًا يَنْفِرُ ممن يقوده، ويستعصي عليه؛ إذا قاده بخطامه، جرَّ رأسه، وربما استعصى ومشى بصاحبه قَهْرًا، وربما تفلَّت وشرَدَ وهرَبَ منه؛ فيقالُ: هذا الجمَلُ غيرُ مستسلِمٍ.

وورد في ذلك حديثٌ، ولو كان ضعيفًا، ولكنه يُستشهَدُ به: «**الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ؛ إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ سِيقَ انْسَاقَ، وَإِنِ اسْتُنِيخَ عَلَىٰ صَخْرَةٍ، اسْتَنَاخَ**»[(١)].

هكذا مثَّل المسلِمَ بأنه كالجمَلِ الأَنِفِ؛ أي: الجمَلِ المذلَّلِ[(٢)]، الذي يكونُ بيد من يقوده، فإنْ قاده إلىٰ مرتفع، أو إلىٰ منخفض، أو إلىٰ مكان مظلم، أو إلىٰ مكان فيه حجارة، أو نحو ذلك، فإنه ينقاد، ويستسلم، ولا يستعصي أبدًا؛ «**إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ سِيقَ انْسَاقَ، وَإِنِ اسْتُنِيخَ عَلَىٰ صَخْرَةٍ**»، أي: علىٰ رأس جبل، «**اسْتَنَاخَ**»، أي: برَكَ.

هذا تعريفُ الإسلام، وقد فسَّره الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[(٣)]: «**الإسلامُ: الاستسلامُ لله بالتوحيد، والانقيادُ له بالطاعة، والبراءةُ من الشِّرْكِ وأهله**».

فالاستسلامُ هو ما ذكَرْنا؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿**وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا**﴾ [آل عمران: ٨٣]؛ يعني: له أسلَمُوا واستسلموا، وأنابوا وأذعنوا؛ أي: جميعُ المخلوقات مستسلِمةٌ له، تحت تصرُّفه وتحت تقديره؛ فهذا حقيقة الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٧١٤٢)، وابن ماجه، أبواب المقدمة، باب اتِّباع سنة الخلفاء الراشدين، حديث رقم (٤٣)، والطبراني في مكارم الأخلاق، برقم (١٦) واللفظ له، والحاكم في المستدرك، كتاب العلم (١/ ١٧٥)، حديث رقم (٣٣١)، من حديث العِرْبَاضِ بن سَارِيَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ١١٠): «إسناد جيِّد متصل».

(٢) ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلَّام (٣/ ٢١).

(٣) ينظر: ثلاثة الأصول (ص ٨).

فعرَفْنا: أن كلًّا من الإسلام والإيمان له معنًىٰ في اللغة، وله معنًىٰ في الشرع، ولكنْ يظهر أن الشرع يَسْتعمِلُ الإسلام فيما يُسْتعمَلُ فيه الإيمان.

وفي حديثِ جبريلَ المشهورِ فرَّق بينهما، قال: يا رسولَ اللهِ، أخبِرْني عن الإسلام؟ قال: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، فسَّر الإسلامَ: بالأعمال الظاهرة؛ لأن الشهادة -ولو كانت قولية- لكنها ظاهرة، ويظهر أثَرُها: بأن يعبُدَ الله وحده ويطيعه، والصلاةُ أمرٌ ظاهرٌ مشاهَد، والصومُ كذلك أيضًا أمرٌ مشاهد، والزكاةُ إيتاؤها أيضًا أمر ظاهر، والحج أمر ظاهر؛ فهذه أركان الإسلام؛ أي: الأعمال الظاهرة.

وقال: أخبِرْني عن الإيمان؟ فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فسَّر الإيمانَ: بالأعمال الباطنة؛ وذلك دليلٌ علىٰ أنه في الأصل: اليقين، أو: عمل القلب.

لكنْ جاء في حديث ابن عبَّاس في وفدِ عبدِ القَيْسِ؛ أن النبيّ ﷺ قال: «**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَتُؤَدُّوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ**»(١)؛ فجعل هذا هو الإيمان، فذكَرَ فيه: الشهادتَيْنِ، والصلاة، والزكاة.

فدلَّ علىٰ أن الإيمان قد يفسَّر بما يفسَّر به الإسلام، وبالعكس، وأن كلًّا منهما يدخُلُ في الآخر.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، حديث رقم (٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، حديث رقم (١٧).

فـإذا ذُكِـرَا جميعًـا، فالإسـلامُ: هـو الأعمـالُ الظاهـرة، والإيمـانُ: هـو أعمـالُ القلـب، وإذا اقتُصِـرَ علـىٰ الإسـلام، فإنـه يسـتلزِمُ دخـولَ أعمـالِ القلـبِ فيـه، وإن اقتُصِرَ علىٰ الإيمـان، دخَلَـتْ فيـه الأعمـال الظاهـرة؛ لأنهـا مِن تعريفه.

وأوسـعُ مَـن كتَـبَ فيـه: شـيخُ الإسـلامِ أبو العبَّاسِ ابـنُ تيميَّـةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كتَـبَ فيـه: كتـاب «**الإيمـانِ الكبيـر**»، و«**الإيمـانِ الأوسـط**»، و«**الإيمـانِ الصغير**»، ولكـنَّ كتـابَ «**الإيمـانِ الصغيـرِ**» يظهـرُ أنـه ليس مـن كتابتـه؛ وإنمـا هـو مـن كتابـة بعـض أصحابـه اختصَـرَهُ مـن كتبـه.

وإذا تأمَّلنـا كتـاب «**الإيمـان الكبيـر**»، ظهَـرَ لنـا كأنـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يوافـق علـىٰ أن الإسـلام يدخُـلُ فيـه الإيمـان، بـل يـرىٰ: أن الإسـلام يختـصُّ بالأعمـال الظاهـرة، وأنَّ مَـن وُصِـفَ بأنـه مسلِمٌ، لا يوصـف بالإيمـان، هـذا هـو الـذي يميـلُ إليـه[1].

وقـد سـبقه إلـىٰ الكتابـة في الإيمـان علمـاءُ كُثُـرٌ، منهـم: ابـنُ أبـي شَـيْبَةَ، صاحـبُ كتـاب «**المُصنَّـف**»، لـه رسـالةٌ في «**الإيمـان**» مطبوعـة، ومنهـم: أبو عُبَيْـد القاسـم بن سـلَّام[2]، مـن علمـاء اللغـة والشـرع، لـه رسـالةٌ

(١) ينظر: الإيمان لابن تيمية (ص٥٦٣).

(٢) القاسـم بن سـلام، أبو عبيد الخزاعـي البغـدادي، مـن أهـل خراسـان، الفقيـه الأديـب، صاحـب التصانيـف المشـهورة، والعلوم المذكـورة. كان صاحـب نحـو وعربية، وطلَـبَ الحديـث والفقـه، وَولِـيَ قضـاء طَرَسُـوس، مـن مؤلفاتـه: الغريـب المصنَّـف، وتفسـير غريـب الحديـث، و كتـاب في الناسـخ والمنسـوخ، تـوفي سـنة: ٢٢٥ هـ. ينظـر: تاريـخ بغـداد (١٤/ ٣٩٢)، وسـير أعـلام النبـلاء (١٠/ ٤٩٠).

مطبوعةٌ في «**الإيمان**»، ومنهم: الإمام ابن مَنْدَه[1]، واسمه: محمد بن إسحاق، عالمٌ مشهور، له كتابٌ مطبوع في ثلاثة أجزاء، اسمه: «**كتاب الإيمان**»، مما يدُلُّ علىٰ أن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ اهتمُّوا بهذه المسألة، فكتبوا فيها وتوسَّعوا.

فالحاصلُ: أن الإسلام يُفسَّرُ عند الإطلاق بالأعمال الظاهرة، وهي: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وتدخُلُ فيه بقيَّةُ الأعمال الظاهرة، وتكون الأركان الخمسة بمنزِلةِ الدعائم التي يقوم عليها، ولا يَتِمُّ إلا بها.

كما إذا فرَضْنا أن بيتًا قائمًا علىٰ أربعة أركان، فإننا نسمِّي كلَّ ركن: دِعَامةً، وجمعها: دعائمُ، أي: أُسُسٌ يقوم عليها، ولا يتم إلا بها، فلو هُدِمَ جانب من جوانبه، أصبح مفتوحًا تدخُلُهُ السباع والدوابُّ واللصوص، ولا يصلُحُ أن يُسكَن.

فيقولون: كذلك الإسلام؛ إذا تُرِكَ ركنٌ من أركانه، فإنه لا يَتِمُّ، ولا يُنتفَعُ به، ولا ينفعُ صاحبه، وجعلوا الركنَ الأساسيَّ هو عمدتَهُ التي يعتمد عليها، فقالوا: الشهادتان بمنزِلةِ الأساس، أو بمنزلةِ الأرضِ التي يعتمد عليها، والسقفُ الذي يُظِلُّه، فإذا عُدِمَتِ الشهادتان -أو إحداهما- فإنه لا ينتفع به؛ فالإنسان لا يبني البيت في الهواء، لا بدَّ أن يكون البيت علىٰ قرار، ثم لو بناه ولم يسقفه، بل ترَكَهُ مفتوح السقف، لم يُنتفِعْ به،

(١) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ بن مَنْدَه الأصبهاني، أبو عبدالله، حافظٌ محدِّثٌ، كتَبَ بالشام، ومصر، وخراسان، من مصنفاته: الإيمان، والتوحيد، والرد علىٰ الجهمية، توفي سنة: ٣٩٥ هـ. ينظر: تاريخ أصبهان (٢/ ٢٧٨)، وطبقات الحنابلة (٢/ ١٦٧)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/ ٢٩).

فلا بدَّ أن يكون له أساسٌ، وهو: الأرض، وسقفٌ، وهو: أعلاه؛ فجُعِلَتِ الشهادتان بمنزلة الأساس وبمنزلة السقف، وجُعِلَتِ الأركانُ الأخرىٰ بمنزلةِ الدعائمِ، وهي: جوانبُ البيت، فيقال: الصلاةُ رُكْن، والزكاةُ ركن، والصومُ ركن، والحجُّ ركن، أما بقية تعاليم الإسلام، فإنها بمنزلة المكمِّلات.

فبقيَّةُ تعاليم الإسلام، مثل: الجهادِ، والبِرِّ والصلة، والإحسان إلىٰ الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصِّدْقِ في الحديث، وإكرامِ المسلمين، ومعاملتهم بالتي هي أحسن، وترك المحرَّمات وما أشبهها-: تُعْتَبَرُ مكمِّلاتٍ.

يقول الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال منهم)**، يعني: قال بعضُهم، ومثَّل المحقِّقُ هنا بالخطَّابيِّ شارحِ سنن أبي داود[(١)].

وقوله: **(إنَّ الإيمانَ: قولٌ وعمَلٌ، والإسلامُ: فعلُ ما فُرِضَ علىٰ الإنسانِ أن يفعله، إذا ذُكِرَ كلُّ اسم علىٰ حِدَتِهِ مضمومًا إلىٰ الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا)**.

فإذا ذُكِرَ المسلمون والمؤمنون معًا، **فالإسلام**: هو فعلُ ما فرَضَ الله علىٰ الإنسان أن يفعله، **والإيمانُ**: قول وعمل.

فعلىٰ هذا القول: يفرَّقُ بينهما، ولكنَّ تعريف المؤلِّف للإيمان بأنه قولٌ وعمل، يدخُلُ فيه تعريفه للإسلام؛ وذلك لأن الإسلام عمل، ففسَّر الإسلام بأنه: فعلُ ما فُرِضَ علىٰ الإنسان أن يفعله.

---

(١) ينظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٣١٥)، واعتقاد أئمة الحديث (ص٤٥).

نقولُ: الأعمالُ التي فرَضَها الله؛ كالصلوات، والصَّدَقات، والزَّكَوات، والكفَّارات، الإنسانُ مأمورٌ أن يفعلها؛ فهي من الإيمان، وكذلك هي من الإسلام.

فإذا ذُكِرَ كلٌّ واحد منهما مع الآخر، **فالصحيحُ**: أن الإسلام: هو الأعمالُ الظاهرة، والإيمانُ: هو أعمالُ القَلْب.

ومعلومٌ أنَّ الإيمانَ عند إطلاقِهِ: قولٌ، وعمل، واعتقادٌ؛ قولُ القلبِ واللسان، وعمَلُ القلبِ والجوارح؛ هكذا يفسِّره مشايخنا[١].

أمَّا القولُ باللسانِ: فيدخُلُ فيه الأذكار، والقراءة، والدعاء، والأمر بالخير والدعوة إليه، والنَّهْيُ عن الشرِّ والتحذيرُ منه، والتعليمُ والتفهيمُ وإرشاد الضالِّ، والسلامُ أو ردُّه، وما أشبه ذلك.

والعمَلُ: يدخُلُ فيه عمَلُ القلب، وعمَلُ الجوارح؛ فعمَلُ القلب؛ مثلُ: الحبَّ في الله، والبغضِ في الله، والرضا بقضائه، والصَّبْرِ علىٰ بَلْوائه، والخوفِ منه، ورجائِهِ، والتوكُّلِ عليه، والتوبةِ إليه، وما أشبه ذلك.

وعمَلُ الجوارح؛ مثلُ: الركوعِ والسجود، والقيامِ والقعود، والطوافِ والحج، والجهاد، وما أشبه ذلك.

فالإسلامُ: فعلُ ما فُرِضَ علىٰ الإنسان أن يفعله، يعني: فعلَ كلِّ شيء أُمِرَ به.

---

(١) ينظر: مجموع فتاوىٰ ومقالات ابن باز (٥/ ٣٥)، ومجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٩١).

وقد ورَدَ في الحديث: تفسيرُهُ بالتروك؛ ففي الصحيح: أنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الْمُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[1]، هنا فسَّره بالترك، ولا شكَّ أنه تفسيرٌ مشتقٌّ من قوله: «سَلِم»، ونقولُ: إن هذا أثَرٌ من آثار الإسلام، يعني: أن المسلِمَ حقًّا يترُكُ ضرر الناس، ولا يُؤْذِيهم، ولا يتعدَّىٰ عليهم؛ فيَسْلَمُ المسلمون من لسانه ومن يده.

قوله: (**إذا ذُكِرَ كلُّ اسم علىٰ حِدَتِهِ مضمومًا إلىٰ الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا، مفرَدَيْن، أريدَ بأحدهما معنًىٰ لم يُرَدْ بالآخر، وإنْ ذُكِرَ أحدُ الاسمَيْنِ، شَمِلَ الكلَّ وعمَّهم**).

ومقتضىٰ كلامه: أنه إذا اقتُصِرَ علىٰ واحد منهما، شَمِلَ معنىٰ الآخر؛ **فالإسلامُ**: يدخُلُ فيه الإيمانُ بالبعث، وبالملائكةِ، والكُتُبِ، والرسل، ويدخُلُ فيه التصديقُ بأسماء الله، وبصفاته، وبآياته.

والإيمانُ: تدخُلُ فيه الأعمال الظاهرة، إذا قيل: «هذا مؤمنٌ»، يدخُلُ فيه كونُهُ يصلِّي، ويزكِّي، ويتصدَّقُ، ويكفِّرُ عن ذنوبه، ويتوبُ إلىٰ ربه ويستغفره، ويدعوه، ويتلو كتابه، ويتدبَّر آياته.

وآخرون قالوا: الإسلامُ والإيمانُ واحد، يعني: إذا اقتُصِرَ علىٰ واحد منهما، أو ذُكِرَ كلُّ واحد منهما، فإنهما مترادفان؛ وهذا قولٌ آخر، ذكَرَ المحقِّقُ[2] منهم جماعةً، وهم: محمدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ، والثَّوْرِيُّ، والبخاريّ، والمُزَنيُّ، وابنُ عبدالبر، وذكَرَ أيضًا أنه مرويٌّ عن الشافعي.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، حدبث رقم (١٠) واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأيّ أموره أفضل، حديث رقم (٤٠)، من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) ينظر: تعليقه علىٰ المتن المحقق (ص٤٥).

أي: أنهما مترادِفان، أي: كلُّ واحدٍ منهما بمعنىٰ الآخر، لا فرق بينهما، فإذا قيل: هذا مسلم، يكفي عن قولك: مؤمن، مثلما إذا قيل: هذا مُقِرٌّ، وهذا مصدِّقٌ؛ معناهما واحد.

مُقِرٌّ، ومعترفٌ، ومصدِّقٌ، المعنىٰ واحد؛ فكذلك: مسلمٌ، ومؤمن؛ معناهما واحد؛ عند أصحاب هذا القول.

وقد استدَلَّ علىٰ ذلك بهذه الآية من سورة آل عمران: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ فلم يذكُرْ إلا الإسلام، لم يقل: ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام والإيمان.

فإذا كان الإيمانُ غيرَ الإسلام، فمعناه: أنه لا يُقْبَلُ إذا دان به أحد؛ فلذلك قال المؤلِّف: (**فلو أن الإيمان غيره، لم يُقبَلْ**)، يعني: لو أنَّ الإسلامَ غيرُ الإيمان، لم يُقبَلْ، فيستفادُ منه: أن الإسلام هو الإيمان، وأن الإيمان هو الإسلام؛ لأن الله لا يقبل إلا الإسلام، ومعلومٌ أنه يَقْبَلُ الإيمان؛ فيكون الإسلام والإيمان بمعنًىٰ واحد.

ثم استدَلَّ أيضًا بآية في سورة الذاريات، وهي قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

والمرادُ بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لُوطٌ وذرِّيته، أو: أهل بيته، وُصِفوا بأنهم مسلمون، وبأنهم مؤمنون.

والصحيحُ: أنهم جامعون بينهما؛ فإنه نبيٌّ من أنبياء الله تعالىٰ، لا بدَّ أنه مسلم ومؤمن، وأن أهل بيته كذلك مسلمون مؤمنون، إلا ما كان من امرأته؛ فإنها ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]، وبقيَّةُ أهل بيته الذين أنجاهم الله تعالىٰ جامعون بين الوصفَيْنِ: الإسلام والإيمان، وسواءٌ قلنا: إنهما متغايِران، أو مترادِفان.

قولـه: (**ومنهـم: مَـنْ ذهَـبَ إلـىٰ أنَّ الإسـلامَ مختـصٌّ بالاستسـلامِ لله، والخضـوعِ لـه، والانقيـادِ لحُكْمِـهِ بمـا هـو مؤمِـنٌ بـه**).

والدليـلُ عليـه: آيـة سـورة الحجـرات؛ فـإن الله تعالـىٰ فـرَّق فيهـا بيـن الإسـلام والإيمـان: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]؛ فـإن هـذه الآيـةَ لا شـكَّ أن فيهـا التفريـقَ بيـن الإسـلام والإيمـان، وقـد كذَّبهـم الله بقولهـم: آمنّـا، فقـال: لـم تؤمنـوا؛ وإنما أسلَمْتُم.

فـكأن إسـلامهم شـيء ظاهـر، وأن الإيمـان لـم يَصِـلْ إلـىٰ قلوبهـم: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، والإيمـان هـو: اليقيـن والتصديـق الجـازم، والتصديـقُ بالبعـث بعـد المـوت، وبالجزاء علىٰ الأعمـال الصالحة، والتصديـقُ بـكلِّ مـا جـاءت بـه الرسـل وتقبُّله والانقيـادُ لـه، والعمـلُ بـه عـن يقيـن.

فمثـلُ هـؤلاء كأنهـم دخلـوا في الإسـلام قريبًـا، ومـع ذلـك لـم يصـل الإيمـان الصحيـح إلـىٰ قلوبهـم، ولـم يَقِـرْ فيهـا، بـل لا يزالـون متردِّديـن، فهـؤلاء قـد يدخلـون في قـول الله تعالـىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١]، وهـم جماعـةٌ مـن الأعـراب لـم يكـن الإيمـان قـد وقَـرَ في قلوبهـم.

فاسـتدَلَّ بهـذه الآيـة علىٰ الفـرق بيـن الإسـلام والإيمـان، وأن الإسـلام هـو الاستسـلامُ الظاهـر، بمعنـىٰ: أنهـم دخلـوا في الإسـلام دخـولًا ظاهـرًا، ولـم تمتلـئ قلوبهـم بالإيمـان، ولـم تطمئِـنَّ بـه.

وفي الآيـة الأخـرىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ

﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، يعني: يمتنُّون به على النبيِّ ﷺ! وإنما المِنَّةُ لله تعالى عليكم؛ لأنه هو الذي أقبَلَ بقلوبكم إليه، وله المِنَّةُ على عباده؛ حيث هداكم للإيمان، إنْ كنتم صادقين في أنكم مؤمنون.

وقد استدلَّ المؤلِّف بآخرها: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾؛ على أنهما بمعنًى واحد: ﴿لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾؛ فجعله إسلامًا وإيمانًا، ولكنَّ آخر الآية يدُلُّ على أنهم لم يكونوا مؤمنين حقًّا؛ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم: آمنَّا، فهذه الآية فرَّقت بينهما.

ومثلها حديث في الصحيح، عن سعد بن أبي وقَّاص، قال: أَعْطَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَىٰ رسُولِ اللهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا»؛ كرَّر ذلك ثلاثَ مرَّات[(١)].

لم يُقِرَّهُ على «مؤمن»، بل قال: «أَوْ مُسْلِمًا»، كأنَّه يقول: لا تَشْهَدْ له بالإيمان؛ فإن الإيمان شيءٌ خفيٌّ، ولكنِ اشهَدْ له بالإسلام الذي تراه منه؛ أنتَ لا ترىٰ مثلًا إلا مشيَهُ مع المسلمين، وسيره معهم؛ فهذا الذي تشهد به.

والحاصلُ: أن في مسألةِ الجمعِ والتفريقِ بين معنى الإيمانِ والإسلامِ ثلاثةَ أقوال:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، حديث رقم (٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يُخَافُ على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، حديث رقم (١٥٠).

الأوَّل: أن الإسلام والإيمان مترادفان، يعني: هما شيء واحد.

الثاني: أن بينهما فَرْقًا، وأنه لا يمكِنُ أن يُفَسَّرَ أحدُهما بما يُفسَّرُ به الآخر.

الثالثُ -وهو أقربها-: أنهما إذا ذُكرا جميعًا؛ **فالإيمانُ**: أعمال القلب، **والإسلام**: أعمالُ البدن الظاهرة، وإن اقتُصِرَ علىٰ واحد منهما، دخَلَ فيه الآخر.

عقيدة أهل السنة
في الشفاعة والحَوْض والمعاد والحساب

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: إنَّ الله يُخْرِجُ مِن النار قومًا من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين، وإِنَّ الشفاعةَ حَقٌّ، وإِنَّ الحَوْضَ حقٌّ، والمَعَاد حقٌّ، والحِسَابَ حقٌّ].

الشَّرح

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويقولون: إنَّ الله يُخْرِجُ من النار قومًا من أهل التوحيد بشفاعةِ الشافعين، وإِنَّ الشفاعةَ حقٌّ، وإِنَّ الحَوْضَ حقٌّ، والمعادَ حقٌّ، والحسابَ حقٌّ)، وفي نسخة: (والميزانَ حَقٌّ والحسابَ حقٌّ)[١].

هذه الفقرة تتعلَّق بالإيمان بالآخرة، وبالإيمان بما بعد الموت، وبالإيمان بالبعث وما يكون فيه، وفيها ردٌّ علىٰ المعتزلة والخوارج؛ فإنهم ينكرون شفاعة الشافعين.

وقد ذكر العلماء أن الناس في الشفاعة علىٰ ثلاثة أقوال:

١-قومٌ نَفَوها مطلقًا، ٢-وقومٌ أثبتوها مطلقًا، ٣-وقومٌ أثبتوها بشروطٍ:

فالذين نَفَوْها هم: الخوارج والمعتزلة؛ لأنهم يكفِّرون بالذنوب، وعندهم: أن مَنْ دخَلَ النار من أصحاب الذنوب، فإنه يخلَّد فيها؛

(١) ينظر: طبعة جمال عزُّون (ص ٤٧)، وطبعة د محمد الخميِّس (ص ٤٥).

الخوارجُ يكفِّرونه في الدنيا والآخرة، والمعتزلةُ يفسِّقونه في الدنيا، ويخلِّدونه في الآخرة في النار، وينكرون علىٰ هذا شفاعةَ الشافعين، وينكرون أيضًا الأحاديثَ التي وردَتْ في الشفاعة مع كَثْرتها؛ ويستدلُّون بمثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ومثلُ هذه الآيات فيها نفيُ الشفاعة؛ فلذلك قالوا: «ليس في الآخِرةِ شفاعةٌ، بل مَنْ دخل النار، فلا شْفَعُ فيه أحدٌ، وهو مخلَّد في النار»!

وقد يستدلُّون بقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج:٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة:٣٧]، علىٰ أن مَنْ دخل النار، فإنه لا يخرُجُ منها!

ولا دَلَالةَ في الآيات التي استدلُّوا بها؛ بل الآياتُ فيها نفيُ الشفاعة بدون إذن الله، لا نَفْيُ الشفاعة مطلقًا؛ ولأجل ذلك أثبتَ الله تعالىٰ الشفاعة بشرطَيْن، وعليه قولُ أهل السنة:

الشرط الأول: الإذنُ للشافع.

والشرط الثاني: الرضا عن المشفوع له.

وقد ذكَرَ الله الشرطين في سورة طه؛ قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، وفي سورة النجم قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، أي: يأذن للشافع، ويرضىٰ عن المشفوع له.

وذكر الرضا في سورة الأنبياء؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وذكَرَ الإِذْنَ في آية الكرسي: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي آية سورة سبأ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

فكلُّ هذه أدلة علىٰ أن هناك شفاعةً، ولكنها لا تكونُ إلا بعد إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع فيهم.

وعلىٰ هذا: فإن العبد لا يطلُبُ الشفاعةَ إلا من الله؛ فيقول: يا ربِّ، اجعلني ممن تنفعه شفاعة الشافعين، أسألك أن تشفِّعَ فيَّ أنبياءك ورُسُلك وملائكتك، أسألك عملًا صالحًا أكون به أهلًا أن يَشْفَعَ فيَّ الشافعون، وما أشبه ذلك.

ولا تُطلَبُ من الإنسان؛ فلا يقال: يا رسولَ اللهِ، اشفَعْ لنا! فبعد الموت لا يطلب منه الشفاعة، فضلًا عن غيره من الملائكة ومن الخلق؛ فلا تطلب الشفاعة إلا من الله تعالىٰ؛ لأنه هو الذي يَمْلِكها؛ قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٤٤]، أي: هو الذي يملكها.

وأخبَرَ سبحانه بأن هناك من لا تنفعهم الشفاعة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٨].

فالحاصلُ: أن قول أهل السنة: أنَّ الله يُخرِجُ من النار قومًا من

أهل التوحيد بشفاعة الشافعين، وأن الشفاعة حقٌّ؛ ردًّا على المعتزلة الذين أنكروها.

ومما ذكره المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا: الاعترافُ بأن الحَوْضَ حقٌّ، وهو الذي ذُكِرَ في الأحاديث؛ فقد ورَدَ فيه أكثر من أربعين حديثًا.

ورد أنه حوضٌ يَرِدُهُ المؤمنون من هذه الأمة، طُولُهُ: مسيرةُ شهر، وعَرْضه: مسيرةُ شهر، آنيته: عدد نجوم السماء، ماؤُهُ: أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، مَنْ شرب منه، لم يظمأ بعده حتى يدخُلَ الجنة، يَرِدُهُ المؤمنون، ويُذادُ عنه الكافرون؛ نؤمن بذلك كما ورَدَ[1].

وذكَرَ المؤلِّفُ أيضًا المعاد، ويراد به: البعثُ بعد الموت، وسُمِّيَ معادًا؛ لأن الناس عادوا إليه؛ كأنهم كانوا في الدنيا، ثم عادوا من الدنيا إلى الدار الأخرى.

وذكَرَ أن الإيمان بالميزان حقٌّ، وهو الذي يُنصَبُ وتُوزَنُ فيه أعمال العباد؛ قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وذكَرَ الله تعالى أن الموازين تثقُلُ وتَخِفُّ؛ فقال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ

(١) أحاديثُ الحَوْضِ من المتواتِرِ المعنويِّ، وقد خرَّجَ كثيرًا منهما الشيخان -البخاري ومسلم- في أكثر من موضع، منها في: صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب مَنْ رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، حديث رقم (٢٣٦٧)، وفي كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٧٩)، وفي صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغُرَّة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم (٢٤٧)، وفي كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٢٩٢). وينظر: كتاب الحوض والكوثر للإمام بَقِيّ بن مَخْلَد.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، وقال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [القارعة: ٦ - ٩].

وورد في صفته: أنه ميزانٌ له كِفَّتانِ ولسان، وتوضع فيه الأعمال، ويثقُلُ أو يَخِفُّ بحسَبِ ما يوزن فيه[1].

وكذلك: الحسابُ حقٌّ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق: ٨]، ويقول تعالىٰ عن المؤمن: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]، ويقول عن الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤].

ويُخبِرُ الله عن سرعة الحساب، فيقول: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]؛ فالحسابُ عن الأعمالِ حقٌّ، وفي الحديث: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ»[2]؛ فكلُّ ذلك دليل علىٰ إثبات ما ذكره المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) قال أبو إسحاق الزجاج - كما في فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٣٨) - «أجمَعَ أهل السنة علىٰ الإيمان بالمِيزان، وأن أعمال العباد تُوزَنُ يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان»، وينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٦٩)، وشرح أصول الاعتقاد (١/ ١٩٨)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عُذِّبَ، حديث رقم (٦٥٣٦)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، حديث رقم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

عدم القطع لأحَدٍ من الموحِّدين بالجنة أو النار

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ولا يَقْطَعُونَ علىٰ أحدٍ من أهل المِلَّةِ أنه من أهل الجَنَّةِ، أو من أهل النار؛ لأنَّ عِلْمَ ذلك مغيَّبٌ عنهم، لا يدرون علىٰ ماذا يموت؟ أعَلَىٰ الإسلام، أم عَلَىٰ الكفر؟! ولكنْ يقولون: إنَّ من مات علىٰ الإسلام، مجتنبًا للكبائر والأهواء والآثام، فهو من أهل الجنَّة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ -ولم يذكُرْ عنهم ذنبًا- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٧ - ٨]، ومَنْ شَهِدَ له النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعَيْنِهِ، وصَحَّ له ذلك عنه، فإنهم يَشْهَدُونَ له بذلك؛ اتِّباعًا لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصديقًا لقوله].

الشَّرح

اعلم: أن أهل السنة لا يقطعون لأحد من أهل الملَّة بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار؛ لا نَشْهَدُ لمعيَّنٍ بأنه من أهل الجنة، أو من أهل النار؛ لأنَّا لا نعلم ما يموت عليه، هل يموت علىٰ الإسلام أو علىٰ الكفر؟ لا نعلم بالخواتيم، بل نعتقد أنَّ من مات علىٰ الإسلام حقًّا، مجتنبًا الكبائر والأهواء والآثام، فهو من أهل الجنة.

وقد استدلَّ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٧-٨]، لم يذكُرْ أنهم

أذنبوا ذنوبًا، بل عملوا الصالحات وآمنوا، فجزاؤهم جنَّات عَدْن، ولكنَّ هذا مجمل.

وكذلك مَنْ ورد أنه من أهل الجنة في الكتاب أو السنة، فإننا نُقِرُّ بأن ذلك حقٌّ، ونشهدُ له بذلك، ولا نشهدُ لأحد بالجنة ولا بالنار إلا لمن شَهِدَ له رسُول الله ﷺ، ونَقِفُ عند هذا، والله أعلم.

فإنْ ورد فيه نصٌّ صريحٌ محدَّدٌ أنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، وإلا فإنَّا نتوقَّف، ولا نجزم بالجنة ولا بالنار لمعيَّن؛ ذُكِرَ ذلك في كتب العقائد، وقالوا: فإنَّا لا ندري ما عاقبتهم؟[1].

فهذا الإنسان الذي رأيناه مسلمًا ومؤمنًا، وتقيًّا ونقيًّا، لا ندري ما عاقبة أمره، ولا بماذا يُخْتَمُ له؛ فقد يُخْتَمُ له بعمل سيِّئ.

وكذلك الكافر أو الفاسق أو المعاند الذي نراه سيِّئ الديانة، وسيِّئ المعتقد، وسيِّئ الأعمال، ربما يتوب الله عليه قبل موته، فيختم له بخاتمة طيبة؛ فيكون سعيدًا؛ لقول النبيّ ﷺ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ ما يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»**.

(١) ينظر: أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (ص٥٠)، وشرح السنة للبَرْبَهاري (ص٥٩)، والاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص٢٠٥)، وشرح الطحاوية (٢/ ٥٣٧).

يعني: أننا قد نرىٰ إنسانًا تقيًّا نقيًّا، ولكنْ يُخْتَمُ له بخاتمة سيئة تكون هي آخِرَ حياته، فيكون شقيًّا، وتُحْبَطُ أعماله، ويُحْكَمُ عليه بأنه من أهل النار.

وبالعكس: قد نرىٰ إنسانًا طَوَالَ حياته وهو سيِّئُ الأعمال، وسيِّئُ الأخلاق، وسيِّئُ المعتقد، وبعيدٌ عن الله، وبعيدٌ عن ديانته، فيُخْتَمُ له عند آخر أجله بعمل أهل السعادة؛ فيكون من أهل الجنة.

هذا من حيثُ العمومُ.

أما من حيثُ الخصوصُ: فيُشْهَدُ لمن شَهِدَ له النبي ﷺ، وكذلك يُشْهَدُ لعموم المؤمنين بالجنة.

وقد استدلَّ المؤلِّف -كما مرَّ- بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ [البينة: ٧-٨].

والآياتُ التي فيها أنَّ أهلَ الأعمال الصالحة، وأهلَ الإيمان من أهل الجنة، وأن أهل السيئات، وأهل الكفر من أهل النار: كثيرةٌ؛ مثلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

فمن حيثُ العمومُ نقول: أهلُ الإيمانِ والعملِ الصالح عمومًا نشهد لهم بالجنة؛ إذا كانت أعمالهم صالحة، وكان إيمانهم حقيقيًّا، ولم يكونوا مشركين ولا مبتدعين؛ نَشْهَدُ لهم بالإيمان عمومًا، إلا أننا لا نخصِّص أحدًا.

وكذلك أهلُ الكفرِ والبدعِ المكفِّرةِ نَشْهَدُ لهم بالنار عمومًا، فنقول:

«مَنْ مات وهو علىٰ الكفر، أو: مَنْ مات وهو علىٰ البدع المكفِّرة، فإنه من أهل النار»؛ ولكن لا نخصِّص أحدًا.

وقد ورد النصُّ بتعيين بعض الأشخاص، فيُقْتَصَرُ عليهم؛ فقد ثبَتَ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن العَشَرةَ من أهل الجنة[١]، فشَهِدَ لهم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فنحن نشهد لمن شَهِدَ له، وهم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والستة الباقون من العَشَرة: سعيدُ بنُ زيد، وسعدُ بنُ أبي وقّاص، والزُّبَيْرُ بن العوّام، وطَلْحة بن عُبَيْدالله، وعبدالرحمن بن عَوْف، وأبو عُبَيْدة بن الجرّاح، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

وكذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[٢]، وكذلك شَهِدَ لبلالٍ بأنه: «**سَمِعَ دَفَّ نَعْلَيْهِ فِي الجَنَّةِ**»[٣]، أو: «**خَشْخَشَةَ نَعْلَيْهِ**»[٤]، وشهد لثابت بن قيس لمّا نزلت الآية في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٦٧٥)، والترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عبدالرحمن بن عَوْف، حديث رقم (٣٧٤٧)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب المناقب، أبو عُبَيْدة بن الجرّاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (٨١٣٨)، من حديث عبدالرحمن بن عَوْف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني في صحيح الجامع (١/ ٧١): «صحيح».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٠٩٩٩)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم (٣٧٦٨)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب المناقب، باب فضائل الحسن والحسين ابنَيْ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن أبوَيْهما، حديث رقم (٨١١٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب فضل الطهور بالليل والنهار، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار، حديث رقم (١١٤٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل أم سُلَيْم -أم أنس بن مالك- وبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم (٢٤٥٧)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ [الحجرات: ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣]، خافَ ثابتٌ أن يكون من أهل النار، مِنَ الذين يرفعون أصواتهم عند رسول الله، فأرسَلَ إليه النبيّ ﷺ يبشِّره بالجنة[1]، وكذلك بشَّر عُكَّاشَةَ بن مِحْصَنٍ بالجنة[2]، وغيرهم كثير.

وقد ذكَرَ كثير من العلماء عددًا منهم؛ مثل الشيخ عبدالعزيز بن سَلْمان في «**الكواشف الجلية شرح العقيدة الواسطية**»[3].

فهؤلاء الذين ورَدَ النصُّ بأنهم من أهل الجنة، نَشْهَدُ لهم بها، وأما الباقون، فإننا نرجو لهم، كما سيأتينا في الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك بقيَّةُ المؤمنين.

ومما يُنبَّهُ عليه هنا: أن من استفاضت عدالته؛ كالإمام أحمد، والشافعيِّ، وابن تيميَّة، ونحوهم، نقولُ في حقِّهم: يُرْجَىٰ لهم الجنة؛ لأن كثرة الثناء عليهم تدُلُّ علىٰ البشرىٰ؛ فنرجو ذلك لهم؛ نرجو للمحسنين، ونخاف علىٰ المسيئين.

والرجاءُ إنما هو لأجل ما اشتهَرَ من الخير والفضل، ونترحَّم عليهم، ونثني عليهم، ويكون هذا الثناء عليهم وسيلةً أو سببًا من أسباب القبول، ولعل ذلك يكون سببًا في دخولهم الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٦١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، حديث رقم (١١٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوىٰ أو كَوَىٰ غيره، وفضل من لم يكتو، حديث رقم (٥٧٠٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم (٢١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: الكواشف الجلية (ص ٦٨٩).

وقد ثبَتَ في الصحيحين؛ أنه مُرَّ على النَّبِيِّ ﷺ بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ»، ثم مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَىٰ صَاحِبِهَا شَرًّا، فقال: «وَجَبَتْ»، فَسُئِلَ، فَقَالَ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»(١).

فقيل: إن هذا خاصٌّ بالصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم أورَعُ مِنْ أن يُثْنوا علىٰ مَنْ لا يستحق الثناء(٢).

وقيل: إنه عامٌّ؛ فأهلُ الخير وأهلُ الإيمان إذا أثنَوْا علىٰ إنسان خيرًا، فإن ذلك مما يرجِّح أنه من أهل الخير.

أما الشهادةُ بالنار: فمثلُ أبي لَهَبٍ، قال الله عنه: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، فهذا متحقِّقٌ أنه من أهل النار، ومثلُ أبي طالب أخبَرَ النبي ﷺ أنه: «**جُعِلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ**»(٣)، ومثل أبي جهلٍ الذي قال ﷺ عنه: «**فِرْعَوْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»(٤)، وقُتِلَ علىٰ كفره.

وكذلك من الأمم السابقة الذين أهلَكَهُم الله تعالىٰ؛ كفرعونَ وجنودِهِ، وقومِ نُوح، وقومِ هُود، وقومِ صالح، ونحوهم ممن كذَّبوا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس علىٰ الميت، حديث رقم (١٣٦٧)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب فيمن يُثْنَىٰ عليه خير أو شر من الموتىٰ، حديث رقم (٩٤٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ينظر: فتح الباري (٣/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم (٣٨٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، حديث رقم (٢٠٩)، من حديث العباس بن عبدالمطَّلب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٣٨٢٤)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب القضاء، باب كيف اليمين، وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين للخبر فيه، حديث رقم (٥٩٦١)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

رُسُلَهم، وأتاهم العذاب وهم علىٰ كفرهم؛ فهؤلاء يُشهَدُ لهم بالنار من حيثُ العموم، ومن حيثُ الخصوصُ؛ كَفِرْعَوْنَ، وهَامَانَ، وقارونَ، ونحوهم.

فأئمَّةُ الكفرِ في هذا الزمان وما قبله: نحكُمُ عليهم بالنارِ من حيثُ العموم؛ نقول: اليهودُ من أهل النار، والنصارىٰ من أهل النار، والمشرِكون، والشيوعيُّون، والدهريُّون من أهل النار عمومًا.

وكذلك أيضًا نفنِّدُ أفعالهم التي يكيدون بها للإسلام، فنقولُ: بهذا يستحقُّون العذاب، وبهذا يُحذَّرُ من أفعالهم، وما أشبه ذلك.

ولكنَّ الفردَ المعيَّنَ منهم نقول: أَمْرُهُ إلىٰ الله، ولو تحقَّقنا أنه مات علىٰ الكفر، فأمره إلىٰ الله، لكنْ من حيث العمومُ نشهد لهم بالنار.

وبكلِّ حالٍ: الشهادةُ تحتاج إلىٰ أدلَّة، وحيثُ إن الدليل إنما هو دليلٌ عموميٌّ، فإننا نُقِرُّهُ علىٰ عمومه.

عقيدة أهل السنة في عذاب القَبْر ونعيمه

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولون: إنَّ عذابَ القَبْرِ حقٌّ، يعذِّبُ الله من استحقَّهُ إن شاء، وإن شاء عفا عنه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ فأثبتَ لهم -ما بقِيَتِ الدنيا- عذابًا بالغُدُوِّ والعَشِيِّ، دون ما بينهما، حتىٰ إذا قامت القيامة، عُذِّبوا أشدَّ العذاب بلا تخفيفٍ عنهم، كما كان في الدنيا.

وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، يعني: قبلَ فناء الدنيا؛ لقوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]؛ بيَّن أن المعيشةَ الضَّنْكَ قبل يوم القيامة، وفي معاينتنا اليهودَ والنصارىٰ والمشركين في العيشِ الرَّغْدِ والرفاهيةِ في المعيشةِ ما يُعْلَمُ به: أنه لم يُرِدْ به ضِيقَ الرزقِ في الحياة الدنيا؛ لوجودِ مُشْرِكِينَ في سَعَةٍ من أرزاقهم، وإنما أراد به: بعد الموت، قبل الحَشْر].

الشَّرح

من الإيمان بالغيبِ: الإيمانُ بعذاب القَبْرِ ونعيمه؛ فهو داخلٌ في قول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢ - ٣]، أي: يؤمنون بكلِّ ما غاب عنهم مِنْ أمرِ الآخرةِ ومقدِّماتها.

فالإيمانُ بعذابِ القبرِ ونعيمِهِ أمرٌ غيبيٌّ؛ لأننا لا نشاهده؛ ولذلك جُعِلَ من أمر الآخرة، وإن كنا نحن الذين نواري الأموات، وندفنهم،

ولكـنْ نعـرف أنهـم قـد خرجـوا مـن الدنيـا، ودخلـوا في حيِّـز الآخـرة؛ فهـم في عـداد أهـل الآخـرة.

وأمرُ الآخـرةِ محجـوبٌ عنـا لا نطَّلِـعُ علـىٰ تفاصيلـه؛ فلذلـك صـار مـن الإيمـان بالغيـب، وداخلًا في الإيمـان باليـوم الآخـر، وهـو مـن أركان الإيمان؛ كمـا في حديـثِ جبريـل: «...**أَنْ تُؤْمِـنَ بِـاللهِ، وَمَلَائِكَتِـهِ، وَكُتُبِـهِ، وَرُسُـلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ، وَتُؤْمِـنَ بِالْقَـدَرِ خَيْـرِهِ وشَـرِّهِ**».

فنقـولُ: إن الإيمـانَ بعـذاب القـبر ونعيمـه ومـا يكـون في الـبرزخِ، داخـلٌ في الإيمـان باليـوم الآخـر.

يقـول العلمـاء: «مَـنْ مـات، فقـد قامـت قيامتـه»[1]، فـإذا مـات الإنسـان وخـرج مـن الدنيـا، فقـد قامـت عليـه القيامـة؛ حيـث إنـه أصبـح مـن أهـل الآخـرة؛ فقـد طُوِيَـتْ أعمالـه، وخُتِـمَ عليها، لا يسـتطيعون نقصًا من السـيئات، ولا زيـادة في الحسـنات، دخَـلَ في عالـم الآخـرة، وعـرَفَ مآلـه وحالتـه، وعلـم مقعـده مـن الجنـة أو مقعـده مـن النـار؛ فيكـون مـن أهـل الآخـرة.

ثـم عـذابُ القـبرِ ونعيمُـهُ هـو أن يعـذَّبَ في الـبرزخ؛ بحيـثُ يصـل العـذابُ إليـه، أو ينعَّـمُ؛ بحيـثُ يصـل النعيـمُ إليـه.

ومعلـومٌ أن العـذاب هـو الآلامُ التـي تؤلـم الإنسـان ويتضـرَّر بهـا؛ فالعذابُ في الدنيـا مثـل الضـرب، والجَلْـد، والتجريـح، والطعـن؛ وهـذا عـذاب حِسِّـيٌّ، ومثـل: السـبِّ، والثَّلْـب، والعَيْـب، والقَـدْح، والقَـذْف، والإيـذاء باللسـان؛ وهـذا يسـمَّىٰ: عذابًـا معنويًّـا.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦٨)، والتذكرة للقرطبي (ص ٥٤٨).

ولكنَّ العذاب الذي ذُكِرَ في البرزخ هو عذابٌ حِسِّيٌّ، والنعيمُ الذي ذكر في البرزخ نعيمٌ حِسِّيٌّ، ولكنه علىٰ الأرواح، والأجساد تابعة لها.

وقد دلَّت علىٰ هذا العذاب مفصَّلًا الأحاديثُ الكثيرة، ومنها:

حديثُ البَرَاءِ المشهورُ المرويُّ في السنن والمسند وغيره، وفيه أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، وانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمْ أَكْفَانُ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، ويَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي إِلَىٰ رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَيَسُلُّهَا مِنْ بَدَنِهِ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَتْرُكُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الأَكْفَانِ، وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَيُخْرَجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ رِيحٍ وُجِدَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرُّوا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، سَأَلُوهُمْ: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا صَعِدُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: رُدُّوا عَبْدِي إِلَىٰ الدُّنْيَا؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ، فَتُعَادُ رُوحُهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَقُولَانِ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ؛ نَمْ هَنِيئًا، فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَيَفْتَحُ لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَرَيْحَانِهَا، فَإِذَا رَأَىٰ ذَلِكَ، قَالَ: رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَيَأْتِيهِ

رَجُلٌ طَيِّبُ الرِّيحِ، حَسَنُ الْوَجْهِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالْيَوْمِ الَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»، والحديثُ طويلٌ، وفيه أيضًا أحاديث أخرىٰ.

هذا بالنسبة إلىٰ أهل السعادة.

وذكَرَ ضدَّ ذلك في أهلِ الشقاوة، فقال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمْ حَنُوطٌ مِنْ نَارٍ، وَأَكْفَانٌ مِنْ نَارٍ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ، وَغَضَبٍ، فَتَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْأَكْفَانِ مِنَ النَّارِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحٍ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَكُلَّمَا مَرُّوا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا وَصَلَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، أُغْلِقَتْ دُونَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ...»، إلىٰ آخره[(١)].

وقد تكلَّم العلماء عن عذاب القبر ونعيمه، وأوردوا في ذلك أحاديث

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٨٥٣٤)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، حديث رقم (٤٧٥٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، (١/ ٩٦)، من حديث البَرَاء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين»، وأخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (١٣٦٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عَرْض مقعد الميت من الجنة أو النار، حديث رقم (٢٨٧١)، مختصَرًا.

كثيرة، منها: قوله ﷺ: «**القَبْرُ: رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ: حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**»(١)، والرَّوْضةُ: فيها الرياحينُ والأزهار، والبهجةُ والسرور، والحُفْرةُ: معلومٌ أنها إذا كانت من النار، ففيها وقودٌ، وجَمْرٌ، وحرارة.

ومن الأحاديث: أنَّه «**إِذَا كَانَ مُؤمِنًا، فَإِنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ البَصَرِ، وَإِذَا كَانَ كَافِرًا، يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِذَا كَانَ كَافِرًا يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا...**»(٢).

وقد أطال العلماء في ذِكْرِ عذابِ القَبْرِ ونعيمه، وأورد ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديثَ التي ورَدَتْ في ذلك عند قوله تعالىٰ في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، أورَدَ أحاديثَ كثيرةً في عذاب القبر وإن لم يستَوْفِها، ولكنه أورَدَ جملةً كبيرة منها(٣).

وقد ألَّف العلماء فيما يتعلَّق بعذاب القَبْر ونعيمه مؤلَّفاتٍ عدَّةً، وتوسَّعوا في ذلك، وكذلك في الحكايات التي وقَعَتْ لبعض المعذَّبين، أو لبعض المنعَّمين، حكاياتٌ كثيرة، وإن كذَّبها بعضُ من لم يتَّسِعْ ذهنُهُ لها.

فقد ذكر الذَّهَبِيُّ في «كتاب الكبائر»(٤): أن إنسانًا مات أخوه، فجيء

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والوَرَع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، حديث رقم (٢٤٦٠)، من حديث أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال الألباني: ضعيف جدًّا، ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث رقم (٤٩٩٠).

(٢) جزء من حديث البراء الطويل المتقدم.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٤).

(٤) الكبائر (ص ٣٧).

إليه يُعزَّىٰ، وهو يبكي بكاءً شديدًا، فقيل له: أما تعلم أن الموتَ سبيلٌ لا بُدَّ منه؟! قال: بَلَىٰ، ولكنْ أَبْكِي علىٰ ما أصبَحَ وأمسىٰ فيه أخي من العذاب، فقلنا له: هل أطلَعَكَ الله علىٰ الغيب؟! قال: لا، ولكنْ لمَّا دَفَنْتُهُ وسوَّيتُ عليه التُّرَابَ، وانصرَفَ الناسُ، جَلَسْتُ عند قَبْره، فإذْ بصَوْتٍ من قَبْرِهِ يقولُ: آهٍ؛ أَقْعَدُوني وحيدًا أقاسي العذابَ؛ قد كنت أُصَلِّي، قد كنتُ أَصومُ، قال: فأبكاني كَلامُهُ، فنبَشْتُ عنه التُّرَابَ لأنظُرَ حالَهُ، فإذا القَبْرُ يشتعِلُ عليه نارًا، وفي عُنُقِهِ طَوْقٌ من نَارٍ، فحمَلَتْني شَفَقَةُ الأُخُوَّة، ومَدَدتُّ يدي لأرفَعَ الطوقَ عَنْ رقبتِهِ، فاحترَقَتْ أصابعي ويدي، ثمَّ أخْرَجَ إلينا يَدَهُ، فإذا هي سوداءُ محترقةٌ، قال: فَرَدَدتُّ عليه التُّرَابَ، وانصرَفْتُ؛ فكيف لا أَبْكِي علىٰ حَالِهِ وأَحْزَنَ عليه؟! فقلنا: فما كان أَخُوكَ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيا؟ قال: كَانَ لَا يؤدِّي الزَّكَاةَ مِنْ مَالِهِ، قال: فقلنا: هذا تصديقُ قولِ الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[آل عمران: ١٨٠]، وأخوكَ عُجِّلَ له العَذَابُ في قَبْرِهِ إلىٰ يوم القِيامةِ.

وكذلك ذكَرَ بعضهم(١): أنهم دفنوا إنسانًا، ونَسُوا فأسًا كانت معهم، فحفَرُوا القبر، فوجدوا ذلك الميِّتَ قد أُدْخِلَتْ يداه ورقبته في حَلْقَةِ الفأسِ، وقد أُوثِقَ عليها، فردُّوا عليه التراب، ودفنوه ووجَدُوا له عملًا سيئًا.

وكذلك حكاياتٌ عن بعضهم: أنه رأىٰ قبرًا كلما جاء الليل، خرَجَ صاحبُ القبر وعليه نارٌ تشتعِلُ، يشتعِلُ قبره وهو فيه، فإذا طلَعَ الصبح، دخَلَ قبرَهُ، وأمثلة ذلك كثيرة.

وذكر ابنُ رجَبٍ أن زُبَيْدَةَ امرأةَ هارونَ الرشيدِ رُئِيَتْ في المنام، فأخبرت

(١) ينظر: أهوال القبور (ص ٦٧).

أنها غُفِرَ لها، وكان علىٰ وجهها أَثَرُ صُفْرةٍ، فسئلت عن ذلك؟ فقالت: دُفِنَ عندنا بِشْرٌ المَرِيسِيُّ، فزفَرَتْ جهنم زفرةً أصابنا منها ذلك[1]، وأشباه ذلك.

وهذه القصص تجدونها في كتاب ابن رجب: «**أهوال القبور وأحوال أهلها إلىٰ النشور**»، وله طبعة قديمة منقَّحة، ولكنْ طبع مع الأسف طبعة أخيرة مغلوطة، وفيها سقطٌ وأخطاء كثيرة؛ فالطبعة الأولىٰ أضبط، وتجدونها أيضًا في كتاب: «**الروح**» لابن القيِّم؛ فإنه استوفىٰ ما يتعلَّق بعذاب القبر[2]، وتكلَّم عنه كلامًا علميًّا كعادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا كلامَ حكايات وخرافات.

ولابن أبي الدنيا[3] مؤلَّفاتٌ صغيرةٌ مطبوعة فيما يتعلَّق بعذاب القبر، وحكاياتٌ ورَدَتْ عنهم، وابنُ أبي الدنيا من علماء القرن الثالث رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان اهتمامه بهذه الحكايات، والزهديَّات، وما أشبهها.

وبالجملة: فعذابُ القبر ونعيمه ورَدَ في السنة يقينًا، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائمًا يستعيذ بالله من عذاب القبر، ويأمُرُ أصحابه بالتعوُّذ منه في الصلاة؛ يقول: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ**

(١) ينظر المصدر السابق (ص ٧٥).

(٢) ينظر: الروح (٥٢-٥٧).

(٣) عبدالله بن محمد بن عُبَيْد بن سفيان بن قيس، أبو بكر القرشي، مولىٰ بني أُميَّة، المعروف بابن أبي الدنيا البغدادي، صاحب الكتب المصنَّفة في الزهد والرقائق، توفي سنة: ٢٨١هـ. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣)، وتاريخ بغداد (١١/ ٢٩٣)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٩٢) ومن كتبه التي تتعلَّق بالموضوع: الأهوال، والقبور، والمتمنِّين، والمحتضرين، والمرض والكفارات.

الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[١]؛ فأمرنا أن نستعيذ في صلاتنا من عذاب القبر.

وقد ذكر ابن القيِّم[٢]: أن كثيرًا من الفلاسفة، الذين لا يؤمنون بالغيب، أنكَرُوا عذاب القبر، وادَّعَوْا أنه كذبٌ، ولسانُ حالهم: بحَثْنا الميت بعد ثلاث، فوجدناه على هيئته، ووضَعْنا على صدره الزئبق، وهو أخفُّ شيء حركةً، فوجدناه لم يتغيَّر، فكيف تقولون: إنه يجلِسُ، ويخاطَبُ، ويضرِبُ بمِرْزَبَّةٍ من حديد، ويصيحُ صيحةً يسمعها كل شيء إلا الثقلان! أين هذا ونحن لم نَجِدْ فيه أيّ تغيُّر عن حالته؟!

فأجابهم: إنكم في عالَم، والموتى في عالَمٍ آخر؛ فإنَّ أهل الدنيا في عالَم الدنيا، والأمواتُ في عالَم البرزخ، وأهلُ الدار الآخرة في عالَم الآخرة؛ ولكلٍّ منها حُكْم.

فأهلُ الدنيا: معروفٌ أنهم يُحِسُّ بعضهم ببعض، وينظُرُ بعضهم إلى بعض، ويسمعُ بعضهم كلام بعض، ويرى شخصه ويلمسه، ويعرف شخصيَّته.

أما أهلُ البرزخ: فإن رُوحه قد خرَجَتْ من بدنه، ونحن لا نعلم ماهية تلك الروح، ولا كيفيتها؛ فالعذاب الذي تلاقيه لا ندري ما كيفيته، لكنا نتحقَّق أن روحه هي التي تتعذَّب، وتتألَّم، أما الجسَدُ -وهو هذا اللحم والعظم ونحوه- فإنه بعد الموت يَفْنَى، ويصيرُ ترابًا، كما هو

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوُّذ من عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث رقم (٥٨٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: الروح (ص ٥١).

مشاهَدٌ؛ وكما ذكر الله ذلك عن الكفار في قولهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢]؛ فإنهم يصيرون ترابًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥]، أي: نعيدكم فيها، فتصيرون ترابًا.

فالأحكامُ في البرزخ علىٰ الرُّوح، والرُّوحُ بعد خروجها من الجسد تبقىٰ إما منعَّمةً أو معذَّبةً، ونحن لا نتصوَّر ماهيتها؛ فإن الأرواح التي تعمُرُ الأجساد، عجَزَ الخلق عن أن يتصوَّروا ماهيتها، أو يصلوا إلىٰ تكييفها؛ فلذلك اقتصروا علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقالوا: نسلِّمُ أن الرُّوح مخلوقة، وأنها تبقىٰ بعد خروجها من البَدَن، فإما أن تنعَّم، وإما أن تعذَّب، وأن الحساب والعذاب في البرزخ علىٰ الأرواح، والأجساد تابعة لها، والله تعالىٰ قادر علىٰ أن يُوصِلَ الألم إلىٰ الأجساد، ولو كانت رمادًا أو ترابًا، ولكنَّ العذابَ الحقيقيَّ والنعيمَ الحقيقيَّ علىٰ الروح.

ومعروفٌ أن الجِنَّ خَلْقٌ، ولكنَّا لا نراهم؛ لأنهم أرواح ليس لهم أجساد، وإنْ كانت لهم قدرة علىٰ أن يتشكَّلوا، ويظهروا بمظاهر جَسَدية، ولكنَّ الأصل: أنهم أرواح؛ ولذلك لا نراهم، ولهم قدرة علىٰ ملابسة الإنس، فيخالِطونَ الإنسيَّ، وينتشرون في جسده، يلاطفونه ويلاصقونه حتىٰ تغلبَ رُوحُ الجِنِّيِّ علىٰ روح الإنسي؛ فلذلك الذي معه مَسٌّ من الجن تغلب روح الجنيّ عليه.

وذكَرَ شيخُ الإسلامِ أن الذي يصاب بهذا الجنون، تتغلَّب عليه الروح الجنية، وأنه إذا ضُرِبَ، فإن الضرب يقع علىٰ الجنيّ؛ ولهذا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جيء بمصروع - قد لابسه الجنيّ - يضربه ضربًا شديدًا، فيصيح ذلك

الجِنِّيُّ ويتألَّم، وإذا خرَجَ، سألوا الإنسيَّ: هل أحسَسْتَ بضرب؟ فيقول: ما أحسَسْتُ بشيء، ولا شعَرْتُ أنني ضُرِبْتُ؛ لأن الضرب يقع علىٰ الجنيّ[١].

فهذه الرُّوحُ التي في الإنسان، هي التي يحيا بها الجسد، فإذا نُزِعَتْ من الجسد، بقي جُثَّةً ليس فيه حياة، لا يتألَّم ولا يُحِسُّ بضربٍ ولا بغيره، فتذهب إلىٰ عالم الأرواح، فيصيبها عذاب أو يصيبها نعيم، وتلاقي ما تلاقيه إن كانت سعيدةً من السرور والحبور، وتلاقي ما تلاقيه إن كانت شقيةً من العذاب والآلام؛ فهي في عالم، ونحن في عالم.

وقد اختلفوا: أين تكون أرواح المؤمنين، وأرواح الكفار[٢]؟

فذكَرَ بعضهم: أن أرواح المؤمنين في بئر زَمْزَم، أو أنها في السماء، وأن أرواح الكفار في بئر بَرَهُوتَ بحَضْرَمَوْتَ! ولكنَّ هذا قول من الأقوال التي لا تعتمد دليلًا صحيحًا[٣].

والله تعالىٰ قد ذكَرَ شيئًا من ذلك في قوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، قيل: المراد به: أرواحهم، وقوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، قيل: إنه أسفل سافلين[٤]؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بمَقَرِّ هذه الأرواح.

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٤/ ٣٦٣)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٧٠)، ومجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٦٠).

(٢) ينظر تفصيل هذه الأقوال في: كتاب الروح لابن القيم (ص٩٠)، وأهوال القبور، لابن رجب (ص ١٠٢)، وشرح الصدور، للسيوطي (ص٢٣٢).

(٣) ينظر: الروح لابن القيم (ص ١٠٦)، وأهوال القبور، لابن رجب (ص ١٢٠).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٤، ٢٠٧)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢).

ولكنْ هي التي تتألَّم وتتعذَّب في الدنيا؛ فلا يُلتفَتُ إلىٰ أقوال الفلاسفة الذين يقولون: إن الجسَدَ لم يتغيَّر، وإنا وجَدْناه علىٰ هيئته عندما وضعناه، وإنه لم يتحرَّك أدنىٰ حركة! نقول: صدَقْتم؛ الجسَدُ لا يتغيَّر؛ لأنه جثة، ولكنَّ الحساب والعذاب علىٰ الروح، وما ذُكِرَ من إجلاسه ومن سؤاله إنما يتوجَّه علىٰ الروح.

وقد أنكر بعضهم عذاب القبر، وقالوا: كيف لم يُذكَرْ في القرآن مع أنه مِنْ أركان الإيمان ومِنْ أصوله؟

وأجاب عن ذلك **ابن القيِّم بجوابين**[1]؛ أحدهما: مجمَلٌ، والآخر: مفصَّل.

وحاصلُ كلامه: أنه ثبت بالسنة، وفي السنة كفاية؛ فالنبيّ ﷺ بُعِثَ بالكتاب والسُّنَّة، فإذا بيَّنه في سنته، وبيَّن أسبابه، وبيَّن العذاب الذي يحصُلُ به، وبيَّن نوعه، وذكَرَ -مثلًا- بعض الأعمال التي يعذَّب بها؛ مثلُ قوله ﷺ: «**إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ، فَتَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ**»[2]، ومثلُ ما ورد في الحديث: أنه مرَّ باثنَيْنِ يعذَّبان في قبريهما، فقال: «**أَمَّا**

---

(١) ينظر: الروح لابن القيم، المسألة الثامنة (ص٧٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٧٩)، حديث رقم (١١١٠٤)، والدارقطني في سننه، كتاب الطهارة، باب نجاسة البول، والأمر بالتنزُّه منه، والحكم في بول ما يؤكل لحمه، حديث رقم (٤٦٦)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، كتاب الصلاة، باب الأبوال كلها نجس، أبوال ما يؤكل لحمه وما لا يؤكل، حديث رقم (٤٩٥٤)، قال الدارقطني: «لا بأس به»، وقال النووي في خلاصة الأحكام (١/ ١٧٤): «حديث حسن».

أَحَدُهُمَا، فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[(١)]، ذكر أن هذَيْنِ من أسباب العذاب في القبر، ومرَّ علىٰ مقبرة، فسمع صوتًا، فقال: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»[(٢)].

لا شك أن مثل هذه أدلة واضحة، وكذلك الأمرُ بالاستعاذة من القبر؛ كما مرَّ بنا في أحاديث كثيرة قد تبلُغ حدَّ التواتر؛ قد تكون مائةَ حديثٍ أو مئات، كلُّها في عذاب القبر.

فنحن نعتقد أن عذاب القبر ثابتٌ، ودلَّت عليه السنة النبوية، فنقبلها. **هذا جواب.**

والجوابُ الثاني: جوابٌ مفصَّلٌ، ذكر فيه بعض الأدلَّة، وقد أشار إلىٰ بعضها الإسماعيليُّ بقوله: (**إنَّ عذابَ القَبْرِ حَقٌّ، يعذِّبُ الله من استحقَّهُ إن شاء، وإن شاء عفا عنه**)؛ يعذِّب من استحق العذاب، أو يعفو عنه، ثم ذكَرَ أدلة منها:

(قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ فأثبتَ لهم -ما بَقِيَتِ الدنيا- عذابًا بالغدُوِّ والعَشِيِّ، دون ما بينهما، فإذا قامت القيامة، عُذِّبوا أشدَّ العذاب بلا تخفيف عنهم، كما كان في الدنيا).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ألَّا يستتر من بوله، حديث رقم (٢١٦)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث رقم (٢٩٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوُّذ من عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٥)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب عَرْض مقعد الميت من الجنة والنار، حديث رقم (٢٨٦٩)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذكر بعضهم أنَّ رجلًا رأىٰ في الصباح طيورًا بِيضًا تذهب إلىٰ جهة، ثم ترجعُ في المساء وهي سُودٌ، فسأل عن ذلك؟! فقيل له: هذه أرواحُ آل فرعون؛ تذهب في الصباح، وهي منعَّمة -يعني: بيضاء- فتُلْقىٰ في النار، وتحترقُ فيها وتعذَّب، وترجعُ في العشيِّ وقد صارت سوداءَ من الحرق[1].

يعني: أن الله تعالىٰ قادرٌ علىٰ أن يجعلها في أجساد هذه الطيور؛ كما فعَلَ ذلك في الشهداء؛ يقول النبيّ ﷺ: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ**»[2]، فأرواحهم فارقت أجسادهم، والله تعالىٰ ذكَرَ أنهم: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؛ فعلىٰ هذا جُعِلَتْ أرواحُهم: «**فِي جَوْفِ طَيْرٍ**»؛ حتىٰ يكون لها إحساس، واختير أن يكون الطيرُ أخضَرَ، تدخُلُ الجنة، وتُعلَّقُ في شجر الجنة، وتأكُلُ من ثمارها وأزهارها، حتىٰ تُرَدَّ إلىٰ أجسادها.

فعلىٰ هذا: أرواح المؤمنين تنعَّم؛ سواءٌ جُعِلَتْ «**فِي جَوْفِ طَيْرٍ**»، أو جعلت مستقلَّة.

وأرواح الكافرين -كآل فرعون- تُلقَىٰ في النار وتعذَّبُ وتُحرَقُ فيها، وتتألَّم هذا التألُّمَ الذي ذكره الله إلىٰ أن تنقضي الدنيا: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ أي: في أشدِّه بلا تخفيف، كما كانوا في الدنيا.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٨٣)، عن الأوزاعي.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، حديث رقم (١٨٨٧)، من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثـم ذَكَـرَ المؤلِّـفُ آيـة أخـرىٰ في سـورة طـه؛ قـال تعالـىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، المعيشـةُ الضَّنْـكُ، قيـل: إنهـا عـذابُ القـبر، وقيـل: إنهـا في الدنيـا(١).

ولكـنْ هـل كل مـن أعـرَضَ عـن ذكـر الله تعالـىٰ في الدنيـا تكـون معيشـته في الدنيا ضَنْكًا؟

ليـس كذلـك؛ فنحـن نشـاهد - وشَـاهَدَ مَـن قبلنـا - أن كثيـرًا مـن المعرِضيـنَ، وكثيـرًا مـن الكفـار، يُعْطَـوْنَ نعيمًـا في الدنيـا، ويتوسَّـعون في المـآكل والمشـارب، والمسـاكن، والملابـس، والمراكـب، والفُرُش، ويؤتـىٰ عليهـم بمـا يتمنَّوْنَـهُ مـن الأغذيـة ومـن المشـتَهيَات، والمسـتلَذَّات، مـن الفواكـه، ومـن المـآكل بأنواعهـا، مـن اللحـوم والخبـوز ومـا أشـبهها؛ فأيـن المعيشـة الضنـك في الدنيـا، والله تعالـىٰ يقـول: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؟

إذن: هي في البرزخ، يعني: يلقىٰ ضَنْكًا في البرزخ، ولو لم يكنْ محتاجًا إلىٰ المعيشة؛ لأن الأرواح في البرزخ لا تحتاج إلىٰ غذاء، ولا تحتاجُ إلىٰ أكل؛ فالأكل خاصٌّ بالبدن.

فتكونُ المعيشةُ هنا معناها: اللذَّةُ والسرور، أو: الهم والغم، والتضييق والأذىٰ، والعذاب الذي تلاقيه تلك الأرواح.

هكـذا اختـار المؤلِّـف، يقـولُ: قبـل يـوم القيامـة لهـم معيشـةٌ ضَنْـكٌ، ثـم يقـولُ بعـد ذلـك: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾، فذكَـرَ أنهـم يُحشَـرُونَ في الآخـرة علىٰ هـذه الحـال؛ يعنـي: قـد فقـدوا أبصارهـم، أو فقـدوا بصائرهـم.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٩٤، ١٩٥).

فبيَّن أن المعيشة الضنك جزاء إعراضهم قبل يوم القيامة؛ لأنه قال: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فتبيَّن أن المعيشة: إما في الدنيا، أو: في البرزخ.

ونحن نعاين اليهود والنصارىٰ والمشركين في الدنيا في عيش رغيد، ورفاهية في المعيشة، وسَعَة في الرزق، قد وُسِّعَتْ عليهم أرزاقهم.

وثبتَ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»(١)؛ بمعنىٰ: أن الكافر يُعْطَىٰ فيها ما يتنعَّم به، وكأنه في الجنة، أما المؤمن، فإنه لا يأخذ منها إلا ما يَقُوتُهُ وما يعبُرُ به حياتَهُ، فكأنه في سجن.

ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]، السقفُ: ما يُسقَفُ به البيت، مِنْ فضة، ﴿وَمَعَارِجَ﴾، أي: الدَّرَج، ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾؛ يعني: من فضة كذلك، ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾؛ جمع سرير، ﴿وَزُخْرُفًا﴾، يعني: ذهبًا، ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٢).

والحاصلُ: أن هذه الآيةَ دليلٌ علىٰ أن المرادَ بالمعيشةِ الضَّنْكِ: عذابُ القبر.

فإذا نظرنا إلىٰ معيشتهم وما هم فيه مِنَ السَّعَة، علمنا أنه لم يُرِدْ ضيقَ الرزقِ في الحياة الدنيا؛ لوجودِ المشركين في سَعَةٍ من أرزاقهم،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٢٩٥٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وللحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك قصة وقعت له مع يهودي. ينظر: فيض القدير (٣/ ٥٤٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٦).

وإنما أراد: بعد الموت، وقبل الحَشْر؛ يعني: عذابَ القبر؛ فتكونُ هذه الآيةُ دليلًا على إثبات عذاب القبر.

ومن الأدَّلةِ التي ذكرها ابن القيِّم[١]: قولُ الله تعالىٰ في سورة السجدة: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾[السجدة: ٢١]؛ فـ ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ فُسِّرَ بأنه: عذابُ القبر[٢].

ومن الأدلَّةِ أيضًا: قوله تعالىٰ في سورة التوبة: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، مرتَيْن؛ قيل: مرَّةً في الدنيا، ومرَّةً في البرزخ، ثم يكونُ العذابُ العظيمُ في الآخرة[٣].

وهناك آياتٌ أخرىٰ استنَدَ إليها ابن القيِّم، وبيَّن أنها دالَّةٌ عليه، وإن لم تكنْ صريحةً.

---

(١) ينظر: كتاب الروح، المسألة الثامنة (ص ٧٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٩).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٤/ ٨٩).

عقيدةُ أهل السنة في سؤالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويؤمنون بمَسْألةِ مُنْكَرٍ ونكِيرٍ؛ على ما ثبتَ به الخبَرُ عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وما ورَدَ تفسيرُهُ عن النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

الشَّرح

ورد في أحاديثَ: أنَّ فتَّانَيِ القبرِ اسمُهما: مُنْكَرٌ ونكِيْرٌ[١]، ويسمَّيان أيضًا: الفتَّانَيْن[٢].

وإنْ أنكر بعضُهم صحة الأحاديث في ذلك، ولكنْ مع كثرتها قد يشهد بعضها لبعض.

فالفتَّانان في القبر، ثبَتَ في الخبر أنهما اللذان يَفْتِنانِ الناس؛ ومما يدُلُّ

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (١٠٧١)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الجنائز، ذكر الإخبار عن اسم الملكَيْن اللذَيْن يَسْألان الناس في قبورهم، حديث رقم (٣١١٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(٢) وتسميتهما بالفتَّانَيْنِ أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٦٦٠٣)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الجنائز، ذكر الإخبار بأن الناس يُسْألون في قبورهم وعقولهم ثابتة معهم، حديث رقم (٣١١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٤٤)، حديث رقم (١٠٦)، وقال ابن عَدِيّ في الكامل (٤/ ٢١٠): «بهذا الإسناد خمسة وعشرون حديثًا، عامتها لا يُتابَعُ عَليها»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٧): «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح».

على ذلك: ما ذكره المؤلِّف في هذه الآية في سورة إبراهيم، ولمَّا وصَفَ النبيُّ ﷺ الملكَيْنِ، قيل له: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يُطِيقُ الْكَلَامَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَنْتَ تَصِفُ مِنَ المَلَكَيْنِ مَا تَصِفُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]»(١).

فالإنسانُ في الدنيا إذا جاءه من يُفْزِعه، ومَنْ يسأله هذه المسائل المُفْزِعة، فقد يتلعثم، وقد يتحيَّر؛ لأنه ذكر أن الملائكة الذين يعذِّبون، أصواتُهم: مثل الرعد القاصف، وأبصارُهم: مثل البرق الخاطف! فكيف يثبُتُ الإنسان أمام هؤلاء؟!

أما تثبيتهم في الدنيا، فهو تثبيتهم على العقيدةِ، والشهادةِ، والإيمان، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، والقولُ الثابت: منه الشهادتان، وأركانُ الإيمان، ومعرفةُ الله تعالى، ووصفُهُ بصفات الكمال، وتنزيهُهُ عن صفات النقص، وما أشبه ذلك.

وبَقِيَ التثبيتُ في البرزخ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، والبرزخ من الآخرة، يثبِّتهم الله في البرزخ؛ عندما تأتيهم الملائكة، ورؤيتُهم، وأصواتُهم، وأبصارهم مفزعة؛ فإنَّ الله يثبِّتهم ويَرْبِطُ

---

(١) أخرجه أبو يعلى -كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٤)-، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٥٥)، من حديث تَمِيم الداري رضي الله عنه، قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢/ ٤٤٣): «رواه أبو يعلى الموصلي بسند ضعيف».

علىٰ قلوبهم؛ فلا يفزعون، بل يُثَبَّتُ أحدهم، فيقولُ: «ربِّيَ الله، ودِينِيَ الإسلام، ونبيِّي محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

وفي حديث كسوف الشمس، لمَّا صلَّىٰ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذكَرَ ما رأىٰ في صلاته، وقال: «**إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[2].

وذكَرَ أنه يقال لأحدكم: «**مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**»[3]، إلىٰ آخر ذلك.

فَكُلُّ ذلك دليلٌ علىٰ أن هذه الآية -كما فسَّرها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دالَّةٌ علىٰ عذاب القبر.

وقد ذكَرْنا أنَّ ابن كَثِيرٍ سرَدَ عندها أحاديثَ كثيرةً تتعلَّق بعذاب القبر، وكذلك ابنُ جرير[4].

---

(١) جاء تفسير الآية بذلك عند البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (١٣٦٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عَرْض مقعد الميت من الجنة أو النار، حديث رقم (٢٨٧١)، من حديث البَرَاء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم (٨٦)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب ما عُرِضَ علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، حديث رقم (٩٠٥)، من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٨٦١٤)، وأبو داود، كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، حديث رقم (٤٧٥٣)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب من سورة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم(٣١٢٠)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٩).

عقيدةُ أهل السنة
الأمرُ بتركِ الخصوماتِ والمِرَاءِ في الدِّين

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويَـرَوْنَ تـركَ الخصومـاتِ والمـراءِ في القـرآن وغيـره؛ لقـول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، يعنـي: يجـادِلُ فيهـا تكذيبًـا بهـا، والله أعلـم].

الشَّرح

كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكـره الخصومـات، ويكـره المنازَعـات، ويحُـثُّ علىٰ أن يقبـل الإنسـان مـا جـاءه مـن الآيـات، ومـا عـرَفَ منهـا، فيعمـل بـه، ويقـول بـه، ومـا التبَسَ عليـه، فإنـه يؤمـن بـه، ويعـرفُ أنـه حـق علىٰ حقيقتـه، ولا يتقعَّـرُ في البحـث عنـه، ولا يضـرب كتـاب الله بعضـه ببعـض؛ ففـي حديـث عبدالله بـن عمرو بـن العـاص؛ أن نَفَـرًا كَانُـوا جُلُوسًـا بِبَـابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتنازَعُـونَ في القَـدَرِ، يعنـي: يتنازَعُـونَ في إثبـاتِ قُـدْرةِ اللهِ تعالىٰ؛ فهـذا ينـزع بآيـة، وهـذا ينـزع بآيـة؛ فيتجادلـون؛ فهـذا يستـدِلُّ بآيـات علىٰ مـا يقولـه، وهـذا يستدِلُّ بآيـات علىٰ مـا يقولـه، وقـد أدَّىٰ بهـم ذلـك إلىٰ الاختـلاف، فارتفَعَـتْ أصواتُهـم حتـىٰ سَـمِعَها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهـو داخـلَ بيتـه، فخـرَجَ عليهـم مغضَبًـا، وقـد احمَـرَّ وجهـه كأنمـا فُقِـئَ في وجهـه حَـبُّ الرمـان، فوقَـفَ عليهـم، ونهاهـم عـن الجـدال والمنازعـات، وقـال: «**إِنَّمَـا هَلَـكَ مَـنْ كَانَ قَبْلَكُـمْ بِهَـذَا؛ ضَرَبُـوا كِتَـابَ اللهِ بَعْضَـهُ بِبَعْـضٍ، وَإِنَّمَـا نَـزَلَ**

كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؛ فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ، فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ، فَكِلُوهُ إِلَىٰ عَالِمِهِ»[1].

فنحنُ نقولُ: إن كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ نزَلا ليصدِّقَ بعضهما بعضًا؛ فعلينا أن نعملَ بهما، وأن نقولَ بهما، ولا نجادِلَ ولا نخاصم، ولا نضرِبَ بعض الآيات ببعض، بل نعملُ بما ظهر لنا، وما أشكَلَ علينا نكِلُهُ إلىٰ عالِمه، ونعلمُ أنه كله حق، وأن كتاب الله تعالىٰ محكَمٌ، لا يمكنُ أن يكون فيه اختلاف؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]؛ فهو يصدِّق بعضه بعضًا، فليس فيه أي اختلاف؛ هذا هو اعتقاد أهل السنة.

وإذا استدَلَّ بعضُهم بآياتٍ ادَّعىٰ أن فيها دلالةً علىٰ مذهبه، نردُّ عليه بأنها في الحقيقة ليست علىٰ ما يقوله المبطِلون والمضلُّون، ولو فهم منها ما فهم؛ فالعيبُ مِنْ سوء الفهم، وقد تكلَّم العلماء عن القرآن، وبيَّنوا أنه ليس فيه أدنىٰ اختلاف.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٦٨٤٥)، وابن ماجه، المقدِّمة، باب في القدر، حديث رقم (٨٥)، والطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (٢٩٩٥)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٤): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، وأصله في صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتِّباع متشابه القرآن، والتحذير من متَّبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، حديث رقم (٢٦٦٦).

عقيدةُ أهل السنة في خلافة الخُلَفاء الراشدين

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويُثْبِتُونَ خلافَةَ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ باختيارِ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إيَّاه، ثم خلافةَ عُمَرَ بعد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ باستخلافِ أبي بكر إيَّاه، ثم خلافةَ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ باجتماع أهل الشورىٰ وسائر المسلمين عليه عن أمر عُمَرَ، ثم خلافةَ عليِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ببيعةِ من بايع من البدريِّين: عمَّار بن ياسر، وسَهْل بن حُنَيْف، ومن تبعهما من سائر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع سابقَتِهِ وفضلِهِ].

الشَّرح

تكلَّم الإسماعيليُّ هنا عن الخلفاء الراشدين؛ فذكَرَ أن أهل السنة يُثْبِتُونَ خلافتهم.

فأوَّلهم: الخليفة الراشد أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، اختاره الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ورَضُوا بخلافته، ثم إنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند موته استخلَفَ عمر، وأقرَّه الصحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ خلافته، وبَقِيَ خليفةً إلىٰ أن قُتِلَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم استخلَفَ الصحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعده عثمانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ حيث اجتمَعَ عليه أهل الشورىٰ، ورَضُوا بخلافته وبايعوه، ثم لمَّا قُتِلَ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، اتَّفَقَ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الباقون علىٰ توليةِ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومبايعته، فبايعه بقيَّةُ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وإنما لم يبايِعْهُ بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لا لأهليَّته، ولكنْ لأمرٍ عرَضَ لهم؛ فأهل مكة الذين خرجوا إلىٰ الشام بقيادة عائشةَ ومَنْ معها،

لـم يدَّعـوا أن عليًّـا ليـس أهـلًا، ولكـنْ أرادوا بذلـك: المطالَبـةَ بـدَمِ عثمـان، وكذلـك أهـلُ الشـام الذيـن جـاؤوا بقيـادة معاويـة، لـم يطعُنُـوا في خلافـة علـي، ولكنهـم كانـوا يطالبـون بـدم عثمـان.

وسـبَبُ إدخـال الخلافـة في العقيـدة -مـع أنهـا واقـعٌ تاريخـيٌّ-: هـو الخـلاف الـذي وقـع مـع الرافضـة في إنـكار خلافـة ثلاثـة منهـم، والطعـن فيهـم، بـل تعـدَّىٰ إلـىٰ تكفيرهـم وشَـتْمهم، وعَيْبهـم وثَلْبهـم.

وكان سـببُ ذلـك: أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّـا كان في العـراق، كان محبوبًـا عندهـم لحُسْـن سيرته، ومـا لـه مـن الأثـر؛ حتـىٰ حمَـلَ ذلـك كثيرًا منهـم علىٰ الغلـوِّ فيـه، إلـىٰ أن ادَّعَـوْا أنـه إلـهٌ، وسـجدوا لـه! وهـؤلاء قـد أحرَقَهـم[(١)].

ثـم زادت محبتهـم لـه لمَّـا كان في خلافة بني أُميـة بعـضُ الأمـراء الذيـن يسـبُّونه ويتـبرَّؤون منـه؛ وذلـك في إمـارة الحَجَّـاج الـذي تولَّـىٰ العـراق نحـو عشـرين سـنة أو أكثـر، وكان مبتلًـىٰ ببغـض لعلـيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان يعلـن سـبَّه علـىٰ المنـبر أمـام النـاس.

فكانـوا يتبادلـون سـيرة علـيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مجالسـهم الخاصَّـة، ويتحدَّثـون فيهـا عـن فضائلـه، ولا بـدَّ أن يدخُـلَ بينهـم مـن يريـد الغلـو فيـه حتـىٰ يُطَمْئِنَهـم إلـىٰ محبَّتـه، ويبيِّـنَ لهـم خطـأ هـذا الأميـر الـذي يسُـبُّهُ ويشـتمه.

فـكان لا بـدَّ مـن وقـوع الكـذب في فضائلـه؛ فـكان أولئـك المتشـيِّعون لـه يَكْذِبـون، ويبالغـون في الكـذب، ويصفونـه بصفـاتٍ أرفَـعَ مـن صفـات

(١) ينظـر: الفصـل في الملـل والنحـل (٤/ ١٤٢)، والبـدء والتأريـخ(٥/ ١٢٥)، وفتـح البـاري لابـن حجـر (٦/ ١٥١).

الخلفاء كلِّهم، بل قد تصل إلىٰ صفات الأنبياء، بل قد تصل إلىٰ صفات الربِّ تعالىٰ!

يصفونه بأنه يفعلُ كذا، ويعلمُ كذا، ويتصرَّفُ بكذا، وأنه الذي له الولاية، وله، وله! فإذا سَمِعَ هذه الأكاذيبَ تلامذتُهم وصغارُهم، فلا بدَّ أن يستنكروا أو يستغربوا أمرهم، ويقولوا: كيف حاز هذه الفضائلَ، وصار أهلًا لهذه الصفات والسمات العالية الرفيعة، ومع ذلك تقدَّم عليه بالخلافةِ فلانٌ وفلانٌ وفلان! أليس هذا نقصًا وازدراءً له؟! لو كان كما تقولون من هذه الصفات والخلال الرفيعة، لَمَا كان أحدٌ يتقدَّمه.

فكان هذا مما أحقدهم علىٰ الخلفاء الراشدين، فادَّعَوْا أن الخلفاء الثلاثة مغتصِبون، وأنهم كَذَبةٌ لا حقَّ لهم في هذه الخلافة، وأنهم احتقروا عليًّا واغتصَبُوا حقَّه، وهو: الوِلاية، وأنه هو الوصيُّ والوليُّ، والإمامُ والمقدَّم، ولكنهم احتقروه واستصغروه وولَّوْا عليه فلانًا ثم بعده فلانًا! هذه حيلتهم.

فلم يجدوا بُدًّا من أن يصفوهم بأنهم مغتصِبون، ثم لم يجدوا بُدًّا لتسكيتِ سفهائهم من أن يطعُنُوا في أشخاصِ الخلفاء، وفي خلافتهم، وفي أهليتهم، ويدَّعوا أنهم مرتدُّونَ ومغتصِبونَ وكَذَبة، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين ولَّوْهم وصبروا علىٰ ولايتهم: خَوَنةٌ وكَذَبة؛ حيث خانوا الوصيَّةَ التي أوصاهم بها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يولُّوا عليًّا؛ فإذن: جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين بايعوا أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان: يعتبرون عند الرافضة خَوَنةً! هذا هو فِكْرهم.

فلما كان الأمر كذلك، اهتم أئمة أهل السنة رَحِمَهُمُ اللَّهُ بذكر فضائل

الخلفاء وبذِكْرِ خلافتهم، وجعلوها من العقيدة، وإلا فالمبتدئ يستغرِبُ أن يذكر أمر الخلافة مع العقيدة؛ لأن العقيدة إيمان بالغيب، والخلافة أمر مشاهد ظاهر.

كان أول ما مر بي -وأنا مبتدئ- الأبياتُ التي قرأتها في «عقيدة الكَلْوَذَانيّ»؛ لما ذكر عقيدته(١) التي مبدؤها قوله:

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الْخَلِيطِ الْمُنْجِدِ ... وَالشَّوْقَ نَحْوَ الآنِسَاتِ الْخُرَّدِ
وَالنَّوْحَ فِي أَطْلَالِ سُعْدَىٰ إِنَّمَا ... تَذْكَارُ سُعْدَىٰ شُغْلُ مَنْ لَمْ يَسْعَدِ

ثم ذكر الخلافة في آخرها بقوله:

قَالُوا: فَمَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ؟ ... قُلْتُ: الْمُوَحِّدُ قَبْلَ كُلِّ مُوَحِّدِ
حَامِيهِ فِي يَوْمِ الْعَرِيشِ وَمَنْ لَهُ ... فِي الْغَارِ مُسْعِدُ يَا لَهُ مِنْ مُسْعِدِ
خَيْرُ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ كُلِّهِمْ ... ذَاكَ الْمُؤَيَّدُ قَبْلَ كُلِّ مُؤَيَّدِ
قَالُوا: فَمَنْ صِدِّيقُ أَحْمَدَ؟ قُلْتُ: مَنْ ... تَصْدِيقُهُ بَيْنَ الْوَرَىٰ لَمْ يُجْحَدِ
قَالُوا: فَمَنْ تَالِي أَبِي بَكْرِ الرِّضَا؟ ... قُلْتُ: الإِمَارَةُ فِي الإِمَامِ الأَزْهَدِ
فَارُوقُ أَحْمَدَ وَالْمُهَذَّبُ بَعْدَهُ ... نَصَرَ الشَّرِيعَةَ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدَ
قَالُوا: فَثَالِثُهُمْ؟ فَقُلْتُ مُسَارِعًا: ... مَنْ بَايَعَ الْمُخْتَارُ عَنْهُ بِالْيَدِ
صِهْرُ النَّبِيِّ عَلَىٰ ابْنَتَيْهِ وَمَنْ حَوَىٰ ... فَضْلَيْنِ: فَضْلَ تِلَاوَةٍ، وَتَهَجُّدِ
أَعْنِي: ابْنَ عَفَّانَ الشَّهِيدَ وَمَنْ دُعِي ... فِي النَّاسِ ذَا النُّورَيْنِ صِهْرَ مُحَمَّدِ

---

(١) ينظر: شرح عقيدة الكَلْوَذاني للشيخ عبدالله بن جِبْرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٢٠)، والمنتظم، لابن الجوزي (١٧/ ١٥٣).

فتعجَّبتُ أن أمر العقيدة إيمانٌ بالغيب، والخلافةُ تأريخٌ وحكايةُ واقع، ولكنْ لما قرأتُ بعد ذلك، وجدتُّ أن سبب ذكر **الخلافة** هو: طعن الرافضة في الخلفاء الثلاثة، وإنكارهم لخلافتهم، ولا شكَّ أن الذي يقرأ التأريخ الواقعي حقًّا، يعلم أولًا أهليَّةَ هؤلاء الخلفاء لكونهم خلفاء حقًّا، وصِحَّةَ خلافتهم، ورضا الأمة بهم، وكذلك ما حصل بخلافتهم من النصر والتمكين، وإظهار الحق، والسيرة الحَسَنة، والاقتفاء لسنة نبيهم ﷺ.

ومعلومٌ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له مزايا وفضائل؛ فهو أوَّل مَنْ أسلَمَ من الرجال، وبإسلامه ثبَتَ النبيُّ ﷺ علىٰ ما يقوله، وبه أيضًا فتَحَ الله علىٰ قلوب كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فهو الذي دعا عثمان، وسَعْدًا، وطَلْحةَ، وابنَ عوفٍ؛ فأسلموا، أي: أن أكثَرَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -سيما من العشرة- أسلموا بدعوته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وذلك لأنه كان شريفًا في قومه، وكانت له مكانة، وكان -مثل ما وُصِفَ في الأحاديث- يُكْرِمُ الضيف ويَقْرِيه، ويرفع الكَلَّ والثقلَ يَحْمِله، ويُعِينُ علىٰ نوائب الحق[1]؛ فهو جَوَادٌ ذو مكانةٍ في قومه، فلما أسلم، كان هذا مما دفع كثيرًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ الإسلام.

ومعلومٌ أن النبيَّ ﷺ اتَّخذه خليلًا وصديقًا، وفضَّله علىٰ غيره، وقال في آخر عمره: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[2].

---

(١) يشير إلىٰ حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن ابن الدَّغِنَةَ قال لأبي بكر: إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ... الحديثَ، أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعَقْده، حديث رقم (٢٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب الخُوخة والممر في المسجد، حديث رقم (٤٦٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولمَّا مرض صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المرض الذي مات فيه، استخلَفَ أبا بكر يصلِّي بالناس، فصلَّىٰ بهم تلك الأيام؛ هذا هو الذي يشهد به الواقع؛ حتىٰ إن بعض أمهات المؤمنين -ومنهنَّ عائشة وحفصة- قُلْنَ له: لو استخلَفْتَ عمر؟ فقال: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ؛ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»(١)؛ كما ذُكِرَ ذلك في الأحاديث الصحيحة، فأكَّد أن أبا بكر هو الذي يصلِّي بالناس.

ولمَّا مَرِضَ النبيّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، دعا بكتاب يكتبه؛ حتىٰ لا يَضِلَّ الناسُ بعده، فلما أكثروا اللغَطَ والاختلاف، قال: «**قُومُوا عَنِّي**»(٢)، ثم قال -في رواية- «**يَأْبَىٰ اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»(٣).

ولما توفي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، اجتمَعَ الصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ في سقيفة بني سَاعِدَة، وخطَبَهم عمر، وخطَبَهم أبو بكر، واتفقوا علىٰ أن يبايعوا أبا بكر، وقالوا: «رَضِينَا لِدُنْيانا مَنْ رضيه رسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لديننا»(٤)؛ فإذا كان رضيه

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، حديث رقم (٦٦٤)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرَض له عذر من مرض وسفر وغيرهما، حديث رقم (٤١٨)، من حديث عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم (١١٤)، ومسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، حديث رقم (١٦٣٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، حديث رقم (٢٣٨٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٣٩١)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ، حديث رقم (٢١٦)، والخلال في السنة، حديث رقم (٣٣٣)، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤١٣)، والآجري في الشريعة، حديث رقم (١١٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٨/ ١٤٢)، والحاكم في المستدرك، حديث رقم (٤٤٦٦).

إمامًا لنا يتقدَّم بنا في الصلاة، فإنَّ ذلك دليلٌ علىٰ أفضليَّته؛ فنختاره أميرًا لنا يتصرَّفُ ويدبِّرُ شؤون الأمة؛ فولَّوْهُ ورَضُوا به، ونعم الخليفة كان.

لقد ثبَتَ ثبوت الجبال الراسية، لما ارتَدَّ مَنْ حولهم من الأعراب، فما بقي إلا أهلُ المدينة وأهلُ مكة، أما الأعراب الذين حولهم، فارتدُّوا، فثبَتَ رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ.

فأوَّلًا: جهَّز جيش أسامة الذي كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد عزَمَ علىٰ بَعْثه، فقالوا له: كيف تجهِّزه والناس مرتدُّون؟! فقال: «**لو جَرَّت السباعُ بأرجُلِ أمَّهات المؤمنين، فلن أترُكَ جيشًا أمَرَ بإنفاذه رسُول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[(١)]، فجهَّز الجيش، وشَقَّ الفيافي، وكان يمُرُّ علىٰ أولئك الأعراب، وكلَّما مرَّ علىٰ قوم، قالوا: هذا دليلٌ علىٰ عِزَّتهم وقوَّتهم، لو كان فيهم ضعفٌ، ما أرسلوا هذا الجيش في هذا الوقتِ الحَرِجِ، فغزَوْا وأغاروا علىٰ بلاد الروم وما حولها، ثم رجَعُوا سالمين غانمين.

وبعد ذلك: أغار بعضُ الأعراب علىٰ بعض المدينة، أرادوا أن يستحلُّوها، وكان أبو بكر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ حازمًا؛ فجمَعَ أهلَ المدينة، وقابلوا أولئك الأعراب وهزموهم شرَّ هزيمة، وانقلبوا خاسئين، وبعد ذلك رجع مَنْ كان قد ارتدَّ حولهم.

ثم بعد ذلك: جهَّز سبعةَ عشَرَ جيشًا لغزو المرتدِّين؛ فعلم الناس أنه ذو قوة، فعاد الذين كانوا ارتدوا ودخلوا في الإسلام، وكل ذلك بفِكْرته رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ وبسيرته الحَسَنة.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (٩/ ٤٢١).

ثم إنه لم تطُلْ به المدة، إنما استقام في الخلافة سنتَيْنِ وأشهرًا، وحسده بعضُ الحَسَدة، وسقَوْهُ سُمًّا؛ فمات مسمومًا، والله أعلم بذلك(١).

لمَّا علم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سوف يموت، رأى أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أولى بالخلافة، فولَّاه بعده؛ لأنه رأى فيه الحَزْمَ والعَزْمَ والقوَّةَ والجِدَّ والنشاط في الأمر؛ فتولَّى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سُمِّيَ عمر قديمًا بالفاروق، الذي فرَّق الله بإسلامه بين الحقِّ والباطل.

فنعم ما صار لمَّا تولَّى الخلافة بحزم؛ فضبَطَ البلاد، ووالَى الجيوش يُرْسِلها لغزو الكفار، وفُتِحَتْ في عهده جميع بلاد الشام، ومصر، والعراق، وأكثر بلاد إيران، وكثيرٌ من بلاد إفريقيا، وكثيرٌ من بلاد الهِنْد، والسِّنْد، وما حولها، وقُتِلَ في زمانه كبيرُ الفُرْس الذي يقال له: يَزْدَجَرْدُ، كل ذلك في مدة قصيرة هي عَشْرُ سنين مدة خلافته.

ثم تسلَّط عليه أبو لؤلؤة، فقتَلَهُ وهو في المِحْراب، فجعَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافةَ شورى بين ستة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يجعلْ منهم سعيدَ بنَ زيدٍ؛ لكونه ابن عمه.

فاتَّفَقَ هؤلاء الستة على أن يقدِّموا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وذلك لقرابته من النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكونه قد تزوَّج اثنتَيْنِ من بنات النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأنه أيضًا ذو حَزْمٍ وعَزْمٍ وقوة، وتمَّت له الخلافة، ثم والى الجيوشَ هو أيضًا، وفُتِحَتْ في عهده كثيرٌ من بلاد التُّرْك وبلاد الرُّوم وما وراء النهر، وما أشبه ذلك.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٤٩)، والرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ٢٥٩).

وتسلَّط عليه بعضُ الثوَّار وبعضُ الأعراب في آخر خلافته، وثاروا عليه، وقُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبعدما قُتِلَ رأىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين في المدينة أنْ ليس أحدٌ أحقَّ بالخلافة من عليّ بن أبي طالب، فبايعوه، ولكنْ تفرَّقت عليه الأمَّة، فسار بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ متوجِّهين نحو العراق لقتالِ قَتَلةِ عثمان، وحصَلَتِ الواقعة المشهورة في العراق المسمَّاةُ: بوَقْعةِ الجمل.

ثم بعدما انفصلت الحربُ، وتمَّت الوِلَايةُ لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ العراق، حصَلَتْ وقعة أخرىٰ تسمىٰ: وقعة صِفِّينَ، وكانت بين أهل الشام وأهل العراق، وقُتِلَ فيها خلق كثير؛ حيثُ إن أهلَ العراق جاؤوا مع عليّ؛ لطلب جمع الكلمة، ولطلبِ المبايعة لأمير المؤمنين، وأهلُ الشام جاؤوا مع معاوية؛ مطالبين بدم عثمان، وبأخذ الثأر ممَّن قتله.

فعليٌّ يقول لهم: بايعوني حتىٰ تَتِمَّ وتجتمعَ الكلمة، ثم بعد ذلك نقاتلهم، ومعاويةُ يقول: لا نبايِعُكَ حتىٰ تسلِّم إلينا قَتَلةَ عثمان.

وقد حصَلَ ما حصَلَ من الفتن، ولم تَزَلِ الخلافاتُ في جيش عليٍّ، إلىٰ أن قتله الخوارجُ في سنة أربعين.

وبعد أن قُتِلَ، تولَّىٰ ولده الحسن نصفَ سَنَةٍ، ثم تنازل عن الخلافة لمعاوية في سنة إحدىٰ وأربعين، واجتمَعَتِ الخلافة لمعاوية، وسمِّي ذلك العامُ: «عامَ الجماعة».

واستمرَّت الخلافة في بني أمية، معاوية وابنه، ثم في بني مروان، إلىٰ أن انتهت دولتهم سنةَ مائةٍ واثنتَيْنِ وثلاثين، ثم تولىٰ الخلافة بنو العباس. وكلُّ ذلك مبسوطٌ في كتب السير والتاريخ.

والحاصلُ: نحن نعتقد خلافة الخلفاء الراشدين، وأنَّ خلافتهم حقٌّ؛ دلَّ علىٰ ذلك قول النبيّ ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»، والحديثُ مشهورٌ عن العِرْبَاض في «المسند» و«السنن»[(١)]، وكذلك قوله في حديث سَفِينةَ مولىٰ رسول الله ﷺ: «**الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكًا بَعْدَ ذَلِكَ**»[(٢)].

الخلافة التي أخبَرَ بأنها ثلاثون هي مُدَّةُ الخلفاء الراشدين، وآخرهم: الحسَنُ بنُ عليٍّ رضي الله عنه، ثم بعد ذلك صارت مُلْكًا، ومعاويةُ أوَّلُ الملوك، وهو أفضلُ وأحسنُ ملوك الإسلام، وله سيرةٌ حَسَنة.

ويقول الكَلْوَذَانيُّ في آخر عقيدته[(٣)]:

وَلِابْنِ هِنْدٍ فِي الْقُلُوبِ مَوَدَّةٌ ... وَمَحَبَّةٌ فَلْيَرْغَمَنَّ الْمُعْتَدِي
ذَاكَ الْأَمِينُ الْمُجْتَبَىٰ لِكِتَابَةِ الْـ ... ـوَحْيِ الْمُنَزَّلِ بِالتُّقَىٰ وَالسُّؤْدَدِ

أما فضائلهم: فأشهَرُ من أن تذكر، وقد اهتمَّ بها العلماء رضي الله عنهم؛ فالبخاري جعل في «صحيحه»: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم؛ فبدأ بفضائل أبي بكر، ثم ثنَّىٰ بفضائل عمر، ثم ثلَّث بفضائل عثمان، ثم

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٧١٤٤)، وأبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧)، والترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢١٩٢٨)، وأبو داود، كتاب السنة، باب الخلفاء، حديث رقم (٤٦٤٦)، والترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، حديث رقم (٢٢٢٦)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب المناقب، فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، حديث رقم (٨٠٩٩)، وقال الترمذي: «حديث حسن».

(٣) ينظر: شرح عقيدة الكَلْوَذاني لسماحة الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله (ص ١٥٦).

بفضائـل علـيّ؛ وذلـك دليـلٌ علـىٰ أنـه كان يعتقـد خلافتهـم، وأن هـذا هـو ترتيبهـم في الفضـل، وترتيبهـم في الخلافـة.

ومثلـه أيضًـا مسـلمٌ في «صحيحـه»، روىٰ أحاديـثَ فضائـلِ الصحابـةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فبـدأ بفضائـل الخلفـاء الأربعـة علـىٰ ترتيبهـم، وذكَـرَ فضائلهـم التـي صحَّـت عنـده؛ وذلـك دليـل علـىٰ مزايـا لهـم وفضائـل؛ مَـنْ قرأهـا، عـرَفَ بذلـك صحـة خلافتهـم، وأهليتهـم للوِلَايـة.

وكذلـك الترمـذيُّ جعَـلَ في آخـر سننه: أبـواب المناقـب، بدأهـا بفضائـل الخلفـاء الأربعـة، واسـتوفىٰ مـا ثبَـتَ عنـده، أو مـا يقـرُبُ مـن الثبـوت.

وكذلـك أيضًـا قـد أُفْـرِدَتِ الكتـب؛ فمنهـا: «كتـاب فضائـل الصحابـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» للإمـام أحمـد[1]، وهـو مطبـوع في مجلدَيْـن.

وهكـذا فعَـلَ الذيـن كتبـوا في التاريـخ، ولا شـكَّ أنـه دليـلٌ علـىٰ أهميـة خلافـة هـؤلاء وصحَّتهـا، وأنَّ مَـنْ طعَـنَ في خلافـة أحدهـم، فهـو أضلُّ مـن حمـار أهلـه؛ كمـا قـال شـيخ الإسـلام في «العقيـدة الواسـطيَّة»[2].

والكلامُ في خلافتهـم طويـل، **أوَّلًا**: ترتيبهـم في الخلافـة. **وثانيًـا**: ترتيبهـم في الفضـل.

فثبَـتَ في «الصحيـح»، عـن ابـن عمـر؛ قـال: «**كُنَّـا نُخَيِّـرُ بَيْـنَ النَّـاسِ فِـي زَمَـنِ النَّبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَنُخَيِّـرُ: أَبَـا بَكْـرٍ، ثُـمَّ عُمَرَ بْـنَ الخَطَّـابِ، ثُـمَّ**

(١) ومنها: فضائل الصحابة للإمام النسائي، وفضائل الصحابة للدارقطني.

(٢) ينظر: العقيدة الواسطية (ص ١١٨).

عُثْمَانَ بْـنَ عَفَّـانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[١]، وهـذا يعنـي ترتيبهـم في الفضـل؛ فأبو بكـر أفضلهـم، بـل أفضَـلُ هـذه الأمَّـة، ثـم يليـه في الفضـل: عمـر، ثـم يليـه في الفضـل: عثمـان، هكـذا كانـوا، وهكـذا أقرَّهـم النبـيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وثبَـتَ أيضًـا في «الصحيـح»، عـن علـيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ مـن طُـرُقٍ متواتـرة؛ أنـه كان يخطُـبُ علـىٰ المِنْـبر في الكُوفَـة، فيقـول علـىٰ رؤوسِ الأشـهاد: «**خَيْـرُ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ بَعْـدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْـرٍ، وَعُمَـرُ**»[٢]؛ فعلـيٌّ صـرَّح بذلـك، لكـن الرافضـة لا يأخـذون مـن كلامـه إلا مـا يوافـق أهواءهـم، ويَكْذِبـون عليـه، ويـرُدُّون مـا ثبَـتَ عنـه حقًّـا.

وعَـنْ مُحَمَّـدِ ابْـنِ الحَنَفِيَّـةِ، قَـالَ: قُلْـتُ لِأَبِـي: أَيُّ النَّـاسِ خَيْـرٌ بَعْدَ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَـالَ: «**أَبُو بَكْـرٍ**»، قُلْـتُ: ثُـمَّ مَـنْ؟ قَـالَ: «**ثُـمَّ عُمَـرُ**»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُـولَ: عُثْمَـانُ، قُلْـتُ: ثُـمَّ أَنْـتَ؟ قَـالَ: «**مَـا أَنَـا إِلَّا رَجُـلٌ مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ**»[٣]، قـال ذلـك علـىٰ وجـه التواضـع.

فمـن حيـثُ الفضـل لا شـكَّ في فضائـل أبي بكـر؛ فإنَّ الله تعالـىٰ مدحـه، وذكَـرَ لـه فضائـل، وأنـزَلَ فيـه قولـه تعالـىٰ في سـورة الليـل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١]، هـذه الآيـات نزَلَـتْ في أبي بكـر؛ وذلـك لأنـه كان ذا مـال وتجـارة، فإذا أسـلَمَ أحـدٌ مـن العبيـد الضعفـاء، اشـتراه وأعتقـه، فقـال لـه

(١) أخرجـه البخـاري، كتـاب أصحـاب النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بـاب فضـل أبـي بكـر بعـد النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديـث رقـم (٣٦٥٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٠٦٠).

(٣) أخـرج البخـاري، كتـاب أصحـاب النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بـاب قـول النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَـوْ كُنْـتُ مُتَّخِـذًا خَلِيـلًا**، حديـث رقـم (٣٦٧١).

أبوه: أراك تُعْتِقُ رقابًا ضعافًا! فلو أنك إذْ فعَلْتَ ما فعَلْتَ، أعتَقْتَ رجالًا جُلْدًا يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر: يا أَبَتِ، إني إنما أريدُ ما أُريد، فيُتحدَّث، ما نَزَل هَؤلَاء الآيات إلا فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1] [الليل:٥-٧].

والحمايةُ في هذا من الله تعالىٰ، كأنه يقول: إذا أطَعْتُ الله تعالىٰ، وأعتَقْتُ هؤلاء، فإن الله هو الذي يحرُسُني ويحفظني وينصرني، فأنزل الله تعالىٰ فيه هذه الآيات، وفيها شهادةٌ مِنَ الله بأنه الأتقىٰ، وأنه علىٰ هذه الصفاتِ: يُؤْتِي ماله يتزكَّىٰ، أي: يخرج ماله، ويتزكَّىٰ، يعني: يزكِّي نفسه، وأنه لا يفعل ذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ.

ونـزَلَ فيه أيضًا: قول الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر:٣٣]؛ الذي جاء بالصِّدْقِ: نبيُّنا ﷺ، والذي صدَّق به: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]؛ وذلك لأنه لما أخبَرَ النبيُّ ﷺ قريشًا بقصة الإسراء، وأنه أُسرِيَ به إلىٰ بيت المقدس، ثم إلىٰ السماء، ثم رجَعَ، استغربوا، وقالوا: هذه علامةُ الكَذِبِ؛ كيف ونحنُ نذهبُ مسيرةَ شهرٍ ذَهَابًا، ومسيرةَ شهرٍ رجوعًا، وأنت تقطع ذلك في ليلة واحدة؟! فجاؤوا إلىٰ أبي بكر، وقالوا: أَدْرِكْ صاحبك؛ فإنه يزعُمُ أنه أُسْرِيَ به البارحة إلىٰ بيت المقدس، ثم رجَعَ في ليلة، قال: لئن كان قال ذلك، لقد صدَقَ،

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، حديث رقم (٦٦)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (والليل إذا يغشىٰ)، (٢/ ٥٧٢)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه».

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٤).

فقالـوا: أتصدِّقـه في هـذا؟! فقـال: نعَـمْ، أصدِّقـه في أعجـب منـه: في خـبر السماء[١]؛ أي: يصدِّقه في أن خبر السماء ينزل إليه في لحظة من اللحظات ويرتفـع؛ فنَزَلـتْ هـذه الآيـة: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾.

مـع أنـه يعتـبر صاحـبَ فضـلٍ كبيـرٍ؛ حينمـا اختـاره النبـيُّ ﷺ لصُحْبتـه في الهجـرة؛ فإنـه قـال: «**قَـدْ أُذِنَ لِـي فِـي الخُـرُوجِ**»، قَـالَ: الصُّحْبَـةَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَـالَ: «**الصُّحْبَـةَ**»، قَـالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْـنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُـرُوجِ، فَخُـذْ إِحْدَاهُمَـا، قَـالَ: «**قَـدْ أَخَذْتُهَـا بِالثَّمَـنِ**»، وكانـت قريـشٌ قـد دبَّـرت مَكِيـدةً لقتـل النبـيّ ﷺ، فخـرَجَ هـو وأبو بكـر ليـلًا، ولَجَـأَا إلـىٰ غـار ثَـوْر، ومكثَـا فيـه ثلاثـة أيـام، وصـار ولـد أبي بكـر يأتيهمـا في الليـل بغَنَمـه، ويحلُـبُ لهمـا مـن الغنـم، وأعطيـا رواحلهمـا لرجـلٍ يقـال لـه: ابـنُ أُرَيْقِـطٍ؛ يحفظهمـا لهمـا، وجـاءت قريـشٌ يلتمسـونه، فأعماهـم الله تعالـىٰ عنـه، وأنـزَلَ الله تعالـىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقـال لـه الرسـول ﷺ: «**لَا تَحْـزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَـا؛ مَـا ظَنُّـكَ بِاثْنَيْـنِ اللهُ ثَالِثُهُمَـا**»[٢]، الله يحرُسُـهما ويحفظهمـا؛ فهـذه خَصِيصـةٌ لأبـي بكـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ صَحِبَ أبو بكـر النبيّ ﷺ في سـفره مـن مكَّـة إلـىٰ المدينـة، ولازمـه ملازمـةً تامَّـةً حتـىٰ

(١) أخرجـه الحاكـم في المسـتدرك، كتـاب معرفـة الصحابـة، فضائـل خليفة رسـول الله ﷺ أبي بكـر بـن أبـي قُحَافـة الصديـق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٦٤)، مـن حديـث عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقـال: «حديـث صحيـح الإسـناد، ولـم يخرِّجـاه»، وينظـر: تفسـير الطـبري (١٤/ ٤٢١).

(٢) أخرجـه البخـاري، كتـاب فضائـل الصحابـة، بـاب مناقـب المهاجريـن وفضلهـم، حديـث رقـم (٣٦٥٣)، ومسـلم، كتـاب فضائـل الصحابـة، بـاب مـن فضائـل أبـي بكـر الصديـق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديـث رقـم (٢٣٨١)، مـن حديـث أبـي بكـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

توفي، ولم يتخلَّف عنه في غَزْوةٍ من الغزوات، وفي سنة تسع، ائتمنه على الحُجَّاج، فأرسله ليحُجَّ بهم في ذلك العام، ويبلِّغهم ما أنزَلَ الله تعالى، وليقيم لهم حجَّهم، وصحب النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا في سنةِ عَشْرٍ في حجَّة الوداع؛ فكلُّ ذلك دليلٌ على فضله.

أما الخلافة: فإن الأمة الإسلامية -ما عدا الرافضةَ- متفِقةٌ على أن الخليفةَ الحقَّ الذي خلافته حقٌّ، هو: أبو بكر، واتفقوا على أنه يسمَّى: خليفةَ رسولِ الله، فكانوا ينادونه: يا خليفةَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخلفه في الصلاة، فاستخلفناه بعد ذلك في أَمْرِنا وإمارتِهِ علينا.

واستدلُّوا بأدلة أخرى، منها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»(١)؛ فجعلهما قُدْوةً، وأخبَرَ بأنهما خليفتان من بعده.

وكذلك ثبَتَ أنَّ امرأةً جاءت إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسأله عن أمر، فأمَرَها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيتَ إن جئتُ فلم أَجِدْكَ؟ كأنها تعني: الموتَ، فقال: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»(٢)، فأخذوا من هذه الإشارة: أنه أراد بذلك استخلافه، وأنه رشَّحه لهذه الوِلَاية، ونِعْمَ ما فعَلَ، ونِعْمَ الخليفة كان؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٣٢٤٥)، والترمذي، أبواب المناقب، بابٌ، حديث رقم (٣٦٦٢)، وابن ماجه، المقدمة، فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٩٧)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، حديث رقم (٣٦٥٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٣٨٦)، من حديث جُبَيْر بن مُطعِم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عقيدةُ أهل السُّنَّة في تفضيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[ويقولون بتفضيلِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومَنْ أثبتَ اللهُ رضاه عنه، لم يكن منه بعد ذلك ما يُوجِبُ سخَطَ الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يُوجِبْ ذلك للتابعين إلا بشرطِ الإحسان؛ فمَنْ كان مِن التابعين مِنْ بعدهم لم يَأْتِ بالإحسان، فلا مَدْخَلَ له في ذلك].

الشَّرح

نقولُ بتفضيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنَّ الرافضة يطعُنُونَ فيهم كلهم، لا يستثنون منهم إلا عددًا يسيرًا؛ كعمَّار، وصُهَيْبٍ، وسَلْمان، وعدد يسير من الموالي، يدَّعون أن هؤلاء هم الذين بَقُوا مع عليٍّ، وأما البقية، فإنهم ارتدّوا؛ لأنهم لم يبايعوا عليًّا!

فصاروا يطعُنُونَ في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويسبُّونهم، ويستنكرون جميع ما ورَدَ فيهم من الأدلة التي تدُلُّ على فضلهم.

ويقولون: إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحدَثُوا بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ومِنْ حدَثِهم -بزعم الرافضة-: كتمانُهُمُ الخلافةَ لعليّ، أو الوصيَّةَ لعليّ، وبهذا الكتمان صاروا محدِثين ومرتدِّين!

مع أننا نقول: إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين قاتلوا المرتدِّين، وأنزَلَ الله تعالىٰ فيهم الآيات؛ منها: آية سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

هؤلاءِ هم الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين وصَفَهم الله بِستِّ خصال، وقاتلوا المرتدِّين من العرب، الذين ارتدُّوا حول المدينة؛ فقد ثبَتَ هؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالمدينةِ وبمكَّة، وغيرها من القرىٰ التي حولها، ثبتوا رغم كثرة مَنِ انحرَفَ وارتدَّ، فقاتلوا أولئك الذين ارتدوا حتىٰ ردُّوهم إلىٰ الإسلام.

وشَهِدَ الله لهم بأنهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وأنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: متواضعين لبعضهم، و: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وكذلك قوله: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

هذه الصفات التي تنطبق علىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جحَدَها الرافضة، وادَّعَوْا أن هذا ليس وصفًا لهم!

وأنزل الله فيهم أيضًا آياتٍ في آخر سورة الأنفال؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]؛ فقولُهُ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾، هم: المهاجرون، وقولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾، هم: الأنصار، وقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، هم: المهاجرون والأنصار.

فالذين لم يتولَّوْهم ماذا نقول فيهم؟

نقول: ليسوا منهم، ولا من المؤمنين، ولا من أولياء المؤمنين، بل هم بُرَآءُ منهم.

إذن: فالرافضة الذين يتبرَّؤون منهم يتصفون بهذه الصفة؛ أنهم ليسوا منهم، ويدخُلُونَ في الآية التي بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فكل هذا وصفٌ للمؤمنين، وشهادةٌ لهم.

والرافضة يقولون: إن هذه الفضائل بطَلَتْ بردَّتهم!

وهذا غير صحيح؛ فكيف يمدحهم الله تعالىٰ وهو يعلم أنهم سيرتدون؟! أليس الله عالمًا بمن يستحِقُّ المدح؟! لو كانوا سوف يرتدون ما مدَحَهم الله تعالىٰ، ولا أثنىٰ عليهم هذا الثناء؛ فإن الله عالمٌ بمن يموت علىٰ الإسلام، ومن يموت مرتدًّا؛ فهو سبحانه عالمٌ بذلك كله.

فهذه القاعدة عند الرافضة: «أن فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بطَلَتْ بردَّتهم»! وهي قاعدة باطلة، وحجة واهية؛ فإن الله تعالىٰ لا يمكن أن يمدحهم هذا المدح وهو يَعْلَمُ أنهم سيرتدُّون في وقت من الأوقات، وستُحبَطُ أعمالهم، والله تعالىٰ عالمٌ بكل شيء.

نقول للرافضة: هذا تنقُّصٌ منكم لله تعالىٰ؛ معناه: أن الله يَجْهَلُ الأمور المستقبلة، فيمدحهم وهو لا يعلم أنهم سوف ينقلبون، وسوف يرتدُّون، وسوف يكفرون بعد ذلك، وسوف ينقُضُونَ بيعتهم!

وقد استدَلَّ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية في سورة الفتح: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

الذين بايعوا تحت الشجرة، أكثَرُ من ألفٍ وأربعمائة، ومنهم: الخلفاءُ الراشدون، والعَشَرةُ، وأجلَّاءُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قيل: إنهم بايعوه

علىٰ أَلاَّ يفروا، وقيل: إنهم بايعوه علىٰ الموت[١]، والمعنىٰ متقارِبٌ؛ كأنهم يقولون: نبايعك علىٰ أن نقاتِلَ إلىٰ أن نُقتَلَ أو ننتصِرَ، ولو أدَّىٰ إلىٰ الموت، علىٰ أننا لا نَفِرُّ ولو قُتِلْنا واحدًا بعد واحد.

هذا الرضا معناه: أن الله تعالىٰ رَضِيَ أعمالهم وأقوالهم، وعَلِمَ أهليَّتهم؛ فأخبَرَ أنه رَضِيَ عنهم.

ومن **العجائب**: أني رأيتُ لبعض الرافضة في هذا الزمان رسالةً بعنوان: «**المراجَعات**»[٢]، طبعها بعضهم تصويرًا، ولمَّا ذكَرَ هذه الفضيلة، قال: اقرؤوا ما قبلها؛ إن الله تعالىٰ ذكر أنهم سوف ينتقضون، فالله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، فيقول: هذا دليلٌ علىٰ أن منهم مَنْ نكَثَ!

وهذا ليس بصحيح، وإنما هي للإخبار؛ أخبَرَ الله أن مَن ﴿نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ فإنما يُوفِي لنفسه، وليس فيها أن فلانًا سينكُثُ، أو أنهم نكثوا كلهم؛ كما تقوله الرافضة، إنما فيها: الإخبار بأن الذين يبايعونه فإنهم يبايعون الله.

ثم أيضًا: ليس هي بيعةَ الرِّضْوان؛ بل البيعةَ العامَّة، كل من جاء مسلمًا، فإنه يبايع النبيّ ﷺ.

فالله تعالىٰ يُخْبِرهم ويقول: أيها المؤمنون -الأعرابُ والحُضَّارُ، والصغار والكبار، والنساء والرجال- أنتم تبايعون النبيّ ﷺ، ولكنِ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣١-٣٣٦).

(٢) المراجَعات، للموسوي.

احذروا: إذا نَكَثْتُم، فإنَّ نَكْثَكم علىٰ أنفسكم، وضَرَرَكم بهذا النَّكْثِ يعودُ عليكم؛ فخُذُوا حِذْرَكُمْ.

ومعلوم أن هناك من بايع من الأعراب، ثم نكَثَ، وارتدَّ بعد موت النبيّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

إذن: فالآيةُ لا يرادُ بها أهلُ بيعة الرِّضْوان؛ فأهلُ بيعة الرضوان ثبَتَ رضا الله تعالىٰ عنهم؛ فلا يمكن أن يسخط عليهم بعده أبدًا؛ لأنه إذا أحلَّ رضاه علىٰ قوم، فلا يَسْخَطُ بعده أبدًا.

وثبَتَ أيضًا في الحديثِ الصحيحِ: أنه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[1].

ولمَّا كان في غزوة حُنَيْنٍ، وتقابلوا مع هَوَازِنَ، وكانت هوازنُ معهم نبالٌ شديدة، فانهزَمَ كثيرٌ من الصحابة رَضِحَالِلَّهُعَنْهُمْ، فأمَرَ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ العَبَّاسَ أن يصيح وينادي: «**أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟!**»[2]، فلما سمعوا ذلك، قالوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، ولَوَوْا أعناقَ رواحلهم، وجاؤوا مسرِعينَ نحو الصَّوْت؛ تذكَّروا هذه البيعة، ولا شكَّ أن هذا دليلٌ علىٰ أنهم أوفياءُ بما عاهدوا الله تعالىٰ عليه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٤٧٧٨)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في الخلفاء، حديث رقم (٤٦٥٣)، والترمذي، أبواب المناقب، باب فضل من بايع تحت الشجرة، حديث رقم (٣٨٦٠)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، حديث رقم (١١٤٤٤)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِحَالِلَّهُعَنْهُ، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حُنَيْن، حديث رقم (١٧٧٥)، من حديث العباس رَضِحَالِلَّهُعَنْهُ.

كذلك هذه الآية في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ فهذه الآيةُ ذكَرَ الله تعالىٰ فيها ثلاثة أنواع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

١ - ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾: المهاجرونَ والأنْصارُ، والأتباع.

٢ - ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾: الذين هاجروا من مكَّة إلىٰ المدينة، أو مِنْ غيرها من القرىٰ إلىٰ المدينة.

٣ - ﴿وَالْأَنصَارِ﴾: الذين أسلموا من أهل المدينة، ونصَرُوا الله تعالىٰ ورسوله.

قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، يعني: ساروا علىٰ طريقتهم، وتمسَّكوا بسنتهم، فهؤلاء من أتباعهم؛ **قيل**: إن المراد بهم: الذين أسلموا بعد الفتح، وقيل: الذين أسلموا بعد صلح الحُديبية، وقيل: المرادُ: الذين اتَّبعوهم بإحسان إلىٰ يوم القيامة[1].

فالمهاجرون والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ما أعظمها من فضيلة: رضا الله تعالىٰ؛ ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، أثبَتَ الله تعالىٰ رضاه عنهم، ومَنْ أثبَتَ الله رضاه عنه، لم يكنْ منهم بعد ذلك ما يوجب سخَطَ الله، لا يمكن أن يُثْبِتَ الله أنه رضي عنهم وهو يعلم أنهم سيُسخِطُونَ ربَّهم فيما بعدُ.

والله تعالىٰ لم يوجبْ للتابعين الرضا إلا بشرط الإحسان: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، ولم يقل: ﴿اتَّبَعُوهُم﴾ فقطْ، بل: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾؛ فأوجب

(١) ينظر تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢٧)، وزاد المسير (٢/ ٢٩٢).

للمحسنين من أتباعهم الرّضا، فمَنْ كان مِنْ التابعين من بعدهم يتنقَّصهم، لم يكن حريًّا بالإحسان؛ فلا مدخَلَ له في ذلك.

فالذين جاؤوا من بعدهم، ولكنَّهم يتنقَّصونهم، ويعيبونهم، ويقدحون في خلافتهم، لا شك أن مثلَ هؤلاء لم يتَّبعوهم بإحسان؛ بل اتَّبعوهم بإساءة، فأساؤوا صحبتهم، وأساؤوا سمعتهم، وسبُّوهم وتنقَّصوهم؛ فأين هم من الإحسان؟! فليسوا من أهل الرضا.

عقيدةُ أهل السُّنَّة فيمن يُبْغِضُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[ومـن غاظـه مكانُهـم مـن الله، فهـو مَخُـوفٌ عليـه مـا لا شـيءَ أعظَـمُ منـه؛ لقولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩]، إلـىٰ قولـه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ فأخبَـرَ أنـه جعلَهُـمْ غيظًـا للكافريـن.

وقالوا بخلافتهم؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥]؛ فخاطب بقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ مَنْ نزلَتِ الآيةُ وهو مع النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ دِينـه، فقـال بعـد ذلـك: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]؛ فمكَّـن الله بأبـي بكـرٍ الصِّدِّيـقِ، وعُمَـرَ، وعثمـانَ: الدِّيـنَ -وَعْـدُ الله- آمنيـن يَغـزُونَ ولا يُغْـزَوْنَ، ويُخِيفـونَ العـدوَّ ولا يُخِيفهـم العـدوُّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ لقـومٍ تخلَّفـوا عـن نبيِّـه عَلَيْهِ السَّلَامُ في الغـزوةِ التـي نَدَبَهـم الله عَزَّوَجَلَّ بقولـه: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [التوبـة:٨٣]، فلمَّـا لَقُـوا النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسـألونه الإِذْنَ في الخـروجِ للعـدوِّ، فلـم يـأْذَنْ لهـم، أنـزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥]، وقـال لهـم:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]، والذين كانوا في عَهْدِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحياءً، خوطبوا بذلك لمَّا تخلَّفوا عنه، وبَقِيَ منهم في خلافة أبي بكر وعُمَرَ وعثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ فأوجَبَ لهم بطاعتهم إيَّاهم: الأجرَ، وبتَرْكِ طاعتهم: العذابَ الأليم؛ إيذانًا من الله عَزَّ وَجَلَّ بخلافتهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولا جعَلَ في قلوبنا غِلًّا لأحد منهم، فإذا ثبَتَ خلافةُ واحد منهم، انتظَمَ منها خلافةُ الأربعة].

الشَّرح

الذي تغيظه مكانة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فهو كافرٌ؛ ودليل ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ....﴾، وصَفَهُمْ بصفات: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ....﴾. هكذا مثَّلهم الله: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

فنقولُ: يا مَنْ غاظك مكانُهم، وفي قلبِكَ حقدٌ عليهم، لا تأمَنْ أن تدخُلَ في هذه الآية؛ فإنَّه يغيظ ﴿بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، فإذا غاظتك مواقفُهم، فلستَ من المؤمنين، بل أنت من الكفَّار.

قرأتُ لبعض متأخِّري الشيعة -لمَّا ذكر هذه الآية- قال: إنَّ الله تعالىٰ يقولُ في آخرها: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح: ٢٩]، و«مِنْ»: للتبعيض؛ فيدُلُّ علىٰ أن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قلةٌ قليلةٌ منهم، وأما الباقون، فليسوا ممَّن وعدهم الله!

هكذا يزعم الرافضة! وهم يجحدون الفضائل؛ حيث تناسىٰ أول الآية التي فيها أن الله أخبَرَ بأنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، و: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾، و: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، و: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾، فقولُهُ: ﴿مِنْهُم﴾، ليس المراد به التبعيض؛ بل المرادُ: البيان؛ فـ «مِنْ»: بيانيَّة، لا تبعيضيَّة، وليس المراد أن الذين يستحقُّونَ موعود الله جزءٌ يسيرٌ منهم[(١)].

ثم يقال أيضًا: ما الذي دلَّك علىٰ أن هذا التبعيضَ يُخرِجُ الخلفاءَ الراشدين؟! فالخلفاء أولىٰ بأن يدخُلوا في هذه الآية.

والمؤلِّف هنا استنبط من بعض الآيات خلافةَ الخلفاء:

فمن ذلك: الآية التي في سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥]، فقوله: ﴿مِنكُمْ﴾، لا شكَّ أن الخطابَ واقعٌ للصحابة، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين استُخْلِفُوا في الأرض، وقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: شهادةٌ لهم بأنهم آمنوا وعملوا الصالحات، ثم وعَدَهم بثلاثة أشياء:

الأوَّل: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ -وهذا قد حصَلَ- ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾.

الثاني: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ...﴾؛ وهذا قد حصَلَ.

الثالثُ: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥]، وهذا أيضًا قد حصَلَ؛ فالله تعالىٰ بدَّلهم مِن بعدِ خوفهم أَمْنًا؛ فأَمِنُوا بعدما نشَرُوا دين الله تعالىٰ، وانتشر الإسلام في أطراف البلاد، فَأَمِنَ الناس، وأصبحوا إخوانًا، يسافر الرجلُ وحده ولا يَعْرِضُ له أحد، وقد بشَّرهم بذلك النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيّان (٩/ ٥٠٣).

ففي حديثِ عَدِيِّ بن حاتم؛ أنه ﷺ قال: «**لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّىٰ تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ، لا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ**»[١]، والظعينةُ: هي المرأة تركب علىٰ البعير وحدها[٢]، ولو كانت منهيَّةً عن السفر بدون مَحْرَم، ولكنْ معناه: أنه وجد أمنٌ حتىٰ لو سافَرَتْ وحدها، لرجَعَتْ إلىٰ أهلها دون أن تخاف علىٰ شيء أبدًا، ووقَعَ هذا في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

والحاصلُ: أن هذا قد تحقَّق مبدؤه في عهد النبي ﷺ، ثم تمامه في عهد الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم.

هذه الثلاثةُ حصَلَتْ في عهد أبي بكر وعمر والخلفاء بعده:

١- استخلفهم في الأرض، وكانت خلافتهم راشدةً.

٢- وكذلك: مكَّن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، واتَّضح لهم الإسلام، وشُرِحَتْ تعاليمه، وعرَفُوهُ حق المعرفة، وتبيَّن لهم كيف يعبدون ربهم، وتبيَّنت لهم التفاصيلُ التي فُرِضَتْ عليهم، ومكَّن الله تعالىٰ لهم دينهم.

٣- ثم أزال عنهم المخاوف والأحزان التي كانت تعتريهم عندما كانوا في الجاهلية؛ فأصبحوا آمنين، لا يخافون؛ فأبدَلَهم الله تعالىٰ بعد الخوف أمنًا، وبعد الذُّلِّ عِزَّةً، وبعد القِلَّة كثرةً، وبعد الضعف قوةً، حتىٰ تمكَّنوا، ومَكَّنوا إخوانهم المؤمنين؛ فصاروا يعبدون الله تعالىٰ علىٰ بصيرة.

فتحقَّقت هذه الوعود الثلاثة، ولقد وَفَّوْا بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٩٥).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٥٧)، والمصباح المنير (٢/ ٣٨٥): (ظ ع ن).

وقـولُ المؤلِّـف: (فمكَّـن اللهُ بأبـي بكـرٍ الصِّدِّيـقِ، وعُمَـرَ، وعثمـانَ: الذِّينَ -وعـد الله- آمنيـن، يَغْـزُونَ ولا يُغْـزَوْنَ، ويُخِيفـونَ العـدُوَّ، ولا يُخِيفهـم العـدوُّ).

يعني: صـاروا بذلـك آمنيـن؛ يغزون النـاس، ولا يتجرَّأ أحدٌ أن يغزُوَهم؛ فالأعـداء - ولـو كانـوا بعيديـن - ترتجـف قلوبهـم إذا سـمعوا أن المسـلمين قـد توجَّهـوا إليهـم، ويقـع في قلوبهـم الرُّعْـبُ الـذي ذكـره الله في قولـه تعالـىٰ: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الأحـزاب: ٢٦].

فمـن غاظـه مكانُهـم مـن الله، وسَـبْقُهم، وفضلُهـم، ومزاياهـم، خِيـفَ عليـه أن يدخـل في هـذه الآيـة: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾.

فيقـالُ لهـؤلاء: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ﴾[آل عمران: ١١٩]؛ فـإن الله تعالـىٰ قـد رفَـعَ مكانـةَ صحابـة نبيِّـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقـد جعـل لهـم المحبَّـةَ والمـودَّةَ في قلـوب المؤمنيـن، وقـد حَفِـظَ بهـم دينـه؛ حيـث استخلفهم، فجعلهـم خلفًـا بعـد نبيـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فحفظـوا علـىٰ الأمـة الإسـلامية الدِّيـن:

حفظـوا القـرآن، وبثُّـوه، ودوَّنـوه، وكتبـوه في المصاحـف، وفسَّـروه للأمـة وبيَّنـوه، وحفظـوا السـنة والشـريعة، فحفظهـا الله بهـم علـىٰ مـن بعدهـم، وجعَـلَ الله في قلوبهـم المحبـة للإسـلام، والمحبـة لأهلـه، فنصحـوا للمسـلمين وبلَّغوهـم الشـريعة الإسـلامية، وحرَصُـوا علـىٰ أن يكونـوا دعـاة إلـىٰ الله تعالـىٰ، فبذلـوا في نصحهـم لإخوانهـم المسـلمين النَّفْـسَ والنفيـس، وتركـوا بلادهـم وأولادهـم وأموالهـم وغـزَوْا في سـبيل الله، وتعرَّضـوا للقتـل والأذىٰ والتعـب؛ كل ذلـك لنَصْـرِ الإسـلام ونَشْـره في ربـوع البـلاد، وللقضـاء علـىٰ الكفـر والفسـوق والعصيـان، وللقضـاء علـىٰ البـدع.

فكيف مع ذلك يُطْعَنُ فيهم؟! وكيف يُدَّعىٰ أنهم كفار ومرتدُّون؟! فإذا كانوا مرتدِّين وكفارًا، ولم يَبْقَ علىٰ الإسلام منهم إلا أفرادٌ قلَّة، فمن الذي حفظ لنا الإسلام؟! ومن نَقَلَ لنا القرآن؟! ومَنْ نَقَل لنا السُّنَّة؟! ومن نقل لنا العبادات من الصلوات والزكوات، والصيام والحج والجهاد، والبيع والشراء والتجارة، والحلال والحرام، والأحوال الشخصية والعقود والجنايات، والآداب والأخلاق؟! ما نُقِلَتْ إلا بواسطتهم، فإذا كانوا كفَّارًا، فإنَّ هذه كلها تكون باطلة، ولا نكون علىٰ دِينٍ، ولا يكونُ هناك دينٌ إسلاميٌّ!

فالذين طعنوا في القرآن، وادَّعَوْا أن الصحابة حذفوا منه الثلثَيْنِ أو أكثر، معناه: أن الله ما حفظ علىٰ الأمة إسلامها؛ فما قامت الحجة علىٰ المتأخِّرين، مع أن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩]، فإذا لم يكونوا ثقاتٍ عدولًا، فمن الذي حفظ لنا الإسلام؟! إذن: لا نكونُ علىٰ إسلام صحيح!

وكذلك حفظوا السُّنَّة حتىٰ دُوِّنَتْ في الصحاح، وفي السنن، وفي المسانيد، وفي الجوامع، ورُوِيَتْ عنهم بالأسانيد الصحيحة، فإذا كانوا كفَّارًا أو مرتدِّين، فمعناه: أن هذه الثروات الكبيرة من الأحاديث النبوية غير صحيحة؛ لأنها نُقِلَتْ عن هؤلاء المرتدِّين -علىٰ قول خصومهم- فبطَلَتْ بذلك السنة بأكملها!

لا شك أن هذا طعنٌ كبيرٌ في الشريعة الإسلامية.

ثم إذا اتفقنا علىٰ أن الله تعالىٰ حَفِظَ القرآن؛ كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فإن هذا القرآن الذي حفظه الله إنما جاء بواسطتهم.

ثم نقول: هذا القرآنُ أصبح محفوظًا، وأصبحَ متعبَّدًا بتلاوته، فلا بدَّ أن يكون كلُّه حجةً، وكلُّه دليلًا؛ فيستدَلُّ به علىٰ فضلهم؛ فقد ذكر الله تعالىٰ فضلهم، ونوَّه بمقامهم في عدة سور قرآنية؛ كما أشرنا إلىٰ ذلك:

ففي سورة المائدة: قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وفي آخر سورة الأنفال: قولُ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ...﴾ [الأنفال:٧٢]، إلىٰ آخر السورة.

وفي سورة التوبة: قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ [التوبة:١٠٠]، وكذلك قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة:١١٨]، وكذلك قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة:١٢٠]، وهكذا قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]، وهم أربعون ألفًا من الصحابة رضي الله عنهم: ﴿ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، أي: في غزوته إلىٰ تبوكَ؛ هؤلاء قد تاب الله عليهم ورضي عنهم.

وكذلك قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨]، وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ...﴾ [الحشر: ٩]، إلىٰ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ...﴾.

ونحن نقول ذلك ونعتقده: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر:١٠]، والغِلُّ: هو الحقد والحسد والبغضاء[(١)]؛ فمن كان في قلبه غِلٌّ لهم، فإنه شَقِيٌّ، ليس من أتباعهم حقًّا.

وهذه الآيات في سورة الحشر فيمن يستحِقُّ الفيء؛ والفيءُ يكون: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر:٨]. ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر:١٠]، فالذين جاؤُوا مِن بَعْدِهم إن كانوا يَدْعُونَ علىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويكفِّرون مَنْ آمن قبلهم، فليسوا من أهل الفيء ولا يستحقُّونه؛ هكذا استنبطَ الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

ثم ذكَرَ المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله تعالىٰ قال للذين تخلَّفوا عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغزوة التي ندبَهم فيها، وهي غزوةُ تبوك: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣]؛ هذه نزلت في المنافقين[(٣)]؛ وذلك لأن المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك، ثم استأذنوه للخروج مرة أخرىٰ، قال لهم:

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ١٤٥)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٧٣).

(٢) ينظر: مسند الموطأ للجوهري (ص ١١١)، حديث رقم (٨٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٠٨).

﴿لَن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾، فلما لَقُوا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سألوه الخروج للعدوِّ، فلم يأذن لهم، فأنزَلَ الله تعالىٰ الآيات التي في سورة الفتح: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح:١٥].

فالمخلَّفون أعرابٌ تخلَّفوا عن بعض الغزوات، ثم لما ظنوا أن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوف يخرُجُ ويصيبُ من العدو مغنمًا، قالوا: ائذَنْ لنا أن نتَّبعك! والله تعالىٰ قد منعه، فقال له: قل: ﴿لَن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة:٨٣]، فهذا الكلام أمرٌ من الله أن يمنعهم من الخروج.

فقال لهم: إنَّ الله تعالىٰ قد منعكم، وهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ١٥]، فقال: ﴿لَن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ [التوبة:٨٣]، ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح: ١٥]، يعني: هذا كلامُ الله تعالىٰ الذي أمر بألَّا تخرجوا، فقالوا: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾!

ثم قال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٦]، هذه الآياتُ في أعرابٍ لم يكن الإيمان قد وقَرَ في قلوبهم، فإذا رأَوْا أن المسلمين سوف يغنمون، طلبوا أن يخرجوا معهم ليقاتلوا، وإذا خافوا ألَّا يغنموا، تخلَّفوا، وقالوا: ائذَنْ لنا؛ فإننا منشغلون، وإنَّ بيوتنا عورة، ونحو ذلك!

ثم قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والذين كانوا في عهد رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أحياءً خوطبوا بذلك لمَّا تخلَّفوا عنه، وبَقِيَ منهم في خلافة أبي بكرٍ**

وعُمَرَ وعثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فأوجَبَ لهم بطاعتهم إيَّاهم: الأجر، وبتَرْكِ طاعتهم: العذابَ الأليمَ؛ إيذانًا من الله عَزَّ وَجَلَّ بخلافتهم).

بمعنىٰ: أن الله تعالىٰ أمرهم، فقال: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: سَتُدْعَوْنَ إلىٰ القتال، إلىٰ قوم أُولي بأسٍ؛ فدعاهم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وكان ذلك دليلًا علىٰ أن خلافة أبي بكرٍ حقٌّ؛ وكذلك خلافةُ مَن بعده، فتحقَّق هذا الوعد في عهد الخلفاء الراشدين.

فلا شكَّ أن هذه أدلَّةٌ واضحةٌ علىٰ خلافتهم وفضلهم، فيعتقِدُ المسلم أنهم خير الأمة، لا يكونُ مثلهم بعدهم؛ فهم خيرُ قرون الأمة، زكَّاهم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»[(١)] -وَفِي رِوَايَةٍ[(٢)]: «**الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ- ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

ولا شك أن هذه التزكية واقعة علىٰ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ إذْ هم القرنُ الذين بُعِثَ فيهم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فالصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خيرٌ من الذين بعدهم من تلامذتهم وأولادهم -مِن حيث العمومُ- ولأجل ذلك اتَّفَقَ العلماء علىٰ عدالتهم جميعًا[(٣)].

فإذا روىٰ الحديثَ صحابيٌّ، لم يَسْألوا عنه، بل يقولون:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد علىٰ شهادة جور إذا أشهد، حديث رقم (٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢٥٣٣)-٢١٢، من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجها مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢٥٣٣)-٢١٠ من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: الكفاية للخطيب البغدادي (ص٤٦)، ومقدمة ابن الصلاح (ص١٧١)، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ١٠٥).

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلُّهم عدولٌ لا نتردَّدُ في أحد منهم؛ وذلك لأن الله تعالىٰ زكَّاهم في هذه الآيات: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ فهذه التزكيةُ سببُ قَبُولِ رواياتهم، وسببُ الترحُّم عليهم والترضِّي عنهم.

وهذا ما يعتقده كلُّ مسلم، ولا عِبْرةَ بمن انحرَفَ عن منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد ذكر شيخ الإسلام: أنَّ أهلَ السُّنَّةِ وسَطٌ في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بين غُلَاة وجُفَاة(١).

ولكنْ في الحقيقة: الغلوُّ والجفاءُ كلُّه في الرافضة؛ فإنهم غلَوْا في حقِّ عليٍّ وذريته، وجفَوْا في حقِّ الباقين:

فغلُوُّهم في عليٍّ وذريته -ممَّن يسمُّونهم أهل البيت- أن دعَوْهم من دون الله، وجعلوهم مقبولي الرواية، وعلَّقوا عليهم ما ليس لهم!

وجفاؤُهم في حق الباقين: بالتكفير والتضليل، والتنديد بهم!

والخوارجُ قد جفَوْا في حق عليٍّ وكفَّروه، وكفَّروا أكثَرَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين معه، بل أكثَرَ المسلمين، وادَّعَوْا أنهم مرتدُّون؛ وذلك لأن الخوارج يكفِّرون بارتكاب الذنب، فصار الخوارج جُفَاةً في حق عليٍّ وذريته وأنصاره.

---

(١) ينظر: الصفدية (٢/ ٣١٣)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٢٧١).

عقيدةُ أهل السنة
الصلاةُ خَلْفَ كلِّ إمامٍ مسلِمٍ، بَرًّا كان أو فاجرًا

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويَـرَوْنَ صـلاةَ الجُمُعـةِ وغيرهـا خَلْـفَ كلِّ إمـامٍ مسـلِمٍ، بَـرًّا كان أو فاجـرًا؛ فـإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فـرَضَ الجمعـةَ، وأمَـرَ بإتيانهـا فرضًـا مطلَقًـا، مـع عِلْمِهِ تعالىٰ بـأن القائمين يكـونُ منهـم الفاجـر والفاسـق، فلـم يستَثْنِ وقتًـا دون وقـت، ولا أَمْـرًا بالنـداء للجمعـة دون أَمْـر].

الشَّرح

انتقَـلَ المؤلِّـف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الـكلام علىٰ الصـلاة خلـف كل إمـام، وقـد ورد حديـث: «صَلُّوا عَلَىٰ مَنْ قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَصَلُّوا خَلْـفَ مَنْ قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ»[(١)]؛ وذلـك لأن هـذه الكلمـة عنـوان الإسـلام، مَـنْ قالهـا وشَـهِدَ الشـهادتَيْنِ، اعتُبِـرَ داخـلًا في الإسـلام، ولكنـه بعـد ذلـك يطالَـبُ بتكملـة الشـهادتَيْن.

فقـد كان في أوَّل الأمـر الذيـن يتقدَّمـون في الإمامـة في صـلاة الجمعـة والجماعـات وصـلاة العيـد هـم ولاةَ الأمـر؛ كأمير البَلْـدةِ أو نائبِـهِ أو نحـوه؛ حيـث يتولَّـىٰ الخطابـة والإمامـة؛ فيتحـرَّج بعـض المسـلمين عـن الصـلاة خلفـه إذا كان عاصيًـا.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤٧)، حديث رقم (١٣٦٢٢)، والدارقطني في سننه (٢/ ٥٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء، (١٠/ ٣٢٠)، من حديث ابن عمر، وينظر: التحقيق في مسائل الخلاف لابن الجوزي (١/ ٤٧٩).

والمعاصي التي كانت في ذلك الزمان معاصٍ عاديَّةٌ، أشهرها: شُرْبُ الخمر؛ فكثيرٌ من الأمراء كانوا يشربون الخمر؛ كما أُثِرَ ذلك عن بعض خلفاء بني أمية، وكذلك نوَّابهم، وكذلك كثيرٌ من خلفاء بني العبَّاس ونوَّابهم وأمرائهم، فهذه معصية.

وكذلك أيضًا من المعاصي المشتهِرةِ: الغناء؛ كانوا يتَّخذون القَيْناتِ -وهنَّ المغنِّيات(١)- لأجل الغناء، يشترونها، ويزيدون في ثمنها لأجل الغناء، ويُحْضِرونَ لها الطُّبولَ والأعوادَ حتىٰ يستمعوا إلىٰ ضَرْبها وغنائها، ويطربون لذلك؛ وهذا مشتهِرٌ في أولئك الأمراء ونحوهم.

ومن المعاصي أيضًا - مع كونهم يتولَّوْنَ الصلاة بالجماعة -: تأخيرُ الصلاة عن وقتها، وبالأخصِّ: صلاةُ الظهر، وصلاةُ العصر؛ فيؤخِّرونها عن وقتها، ومع ذلك فإنهم يؤدُّونها، لم يكونوا يتركونها، وإنما ينشغلون إما بشهواتهم، وإما بنومٍ وراحة.

هذه من أشهر المعاصي التي اشتهَرَتْ عن كثير من أولئك.

ومن المعاصي أيضًا: أنهم يظلمون كثيرًا من الناس؛ إمَّا بالتُّهَمِ الباطلة، وأكثرُ ذلك: أَخْذُهم الأموال التي يَجْبُونها إلىٰ بيت المال، غالبُها ضرائبُ، فيجعلون علىٰ الموالي -ولو كانوا مسلمين- ضرائبَ سنويَّة، ومَنْ أسلَمَ من أهل الكتاب، لم يسقطوا عنه الجِزْيةَ، بل يأخذون الجزية

(١) قال الخليل في العين (٥/ ٢١٩): (ق ي ن): «القَيْنُ والقَيْنَةُ: العَبْدُ والأَمَة. وجرىٰ في العامَّة أن القَيْنَةَ: المغنِّية».

منه ولو بعد إسلامه، حتىٰ أسقطها عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك كثيرٌ منهم يأخذون ضرائبَ علىٰ أموالٍ بغيرِ حقٍّ، وربما يستولون علىٰ الأموال؛ كالبساتين والمصانع والأراضي ونحوها، ويستبدُّون بها، ويأخذونها بغير رضا أصحابها، ويُضِيفونها إلىٰ أموالهم؛ فهذه مما يعابون بها.

فلأجلِ ذلك يقولون: كيف نصلِّي خلفهم وهم ظَلَمةٌ يأخذون الأموالَ لأنفسهم، أو يؤخِّرون الصلاة، أو يفعلون هذه المعاصي، مع أن الصلاة مكتوبةٌ علينا، وهي فريضة الله تعالىٰ؟! فيقال: جاء النص بالصلاة خلفهم، فكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يصلُّون خَلْفهم.

وقد ذكروا من ذلك: أن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط[1] كان واليًا علىٰ الكوفة، وكان متَّهَمًا بشرب الخمر، فتقدَّم مرة يصلِّي بهم صلاة الفجر وهو سَكْرانُ، فصلَّىٰ بهم أربعًا، فلما سلَّم، قال: أَزِيدُكُم؟ فقال ابن مسعود: «ما زِلْنا معك منذ اليوم في زيادة»[2]، صلَّىٰ خلفه ابنُ مسعودٍ عالمُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذي أرسله عمر ليفتي الناس ويعلِّمهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، يكنىٰ أبا وَهْب، أخو عثمان بن عفَّان لأمه، وكان عثمان قد ولَّاه الكوفة ثم عزَلَه وولَّاها سعيد بن العاص، فرجع الوليد إلىٰ المدينة فلم يزَلْ بها، فلما قُتِلَ عثمان، تحوَّل إلىٰ الرقَّة فنزلها، واعتزل عليًّا ومعاوية حتىٰ مات بها في أيام معاوية، ينظر: الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٢٤)، والاستيعاب، (٤/ ١٥٥٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب حد الخمر، حديث رقم (١٧٠٧)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وينظر: شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٢).

ولمَّا ثبَتَ ذلك عنه، أمَرَ عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجَلْده، فجلَدَهُ عبدُالله بن جعفر[١] أربعين جَلْدةً.

وكذلك الحجَّاج بن يوسف[٢] والي العراق مِن قِبَلِ بني أمية، اشتهَرَ عنه نوع من المعاصي، وأكثرها الصَّلَفُ والشدة وسجن الأبرياء، وكان سريع القتل؛ فيقتُلُ بالتهمة ويحبس، ومع ذلك، فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين في العراق كانوا يصلُّون خَلْفه، ولما حجَّ بالناس في حياة ابن عمر، كان ابنُ عمر يصلِّي خلفه حتىٰ في عَرَفةَ، وكان هو الذي يتولَّىٰ الخطبةَ والصلاة.

وذلك دليلٌ علىٰ أنهم فهموا أن الصلاة خلفهم فيها جَمْعُ الكلمة، وأنها لا تعتبَرُ باطلة، وقد ورَدَتْ أيضًا أحاديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«يُصَلُّونَ لَكُمْ؛ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»**[٣]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذرٍّ: **«كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟!»**، أَوْ: **«يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟»**، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا

---

(١) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، يكنىٰ أبا جعفر، ولدَتْهُ أمه أسماء بنت عُمَيْس بأرض الحبشة، وقَدِمَ مع أبيه المدينة، وحَفظَ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروَىٰ عنه، وكان كريمًا، جوادًا ظريفًا، خليقًا عفيفًا سخيًّا، يسمَّىٰ بحر الجود، ويقال: إنه لم يكن في الإسلام أسخىٰ منه، توفي في سنة: ٨٠ هـ أو بعدها. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٦٠٥)، والاستيعاب، (٣/ ٨٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦).

(٢) الحجَّاج بن يوسف بن الحكَم بن أبي عَقيل بن مسعود الثقفي، عامل عبدالملك بن مروان علىٰ العراق وخراسان، فلما توفي عبدالملك، وتولَّىٰ الوليد، أبقاه علىٰ ما بيده، وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائبُ لم يُسْمَعْ بمثلها، ولي إمرة الحجاز، ثم ولي العراق عشرين سنة، توفي سنة: ٩٥هـ. يظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٩)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٧١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إذا لم يُتِمَّ الإمام وأتمَّ من خلفه، حديث رقم (٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا؛ فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ، فَصَلِّ؛ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»(١).

والأحاديثُ كثيرةٌ في الأمر بالصلاة خَلْفَ الأمراء، ولو كانوا عصاةً.

فيرىٰ أهلُ السنة وأهلُ الحديث الصلاةَ - جمعةً كانت أو غيرها - خَلْفَ كلِّ إمامٍ مسلم، برًّا كان أو فاجرًا؛ إذا كان الفجور لا يوصل إلىٰ الكفر؛ فإن الله تعالىٰ أمَرَ بالجمعة وفرضها، وأمَرَ بإتيانها: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، والله تعالىٰ عالمٌ بأنَّ القائمين عليها قد يكونُ منهم فاجرٌ وفاسق، عالمٌ بأنه قد يتولَّاها غيُر تقيٍّ كما وقع ذلك؛ فلذلك فرَضَ الإتيان إليها فرضًا مطلقًا في قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، ولم يستَثْنِ وقتًا دون وقت، فلم يقل: إلا إذا كان المقيمون لها عصاةً أو كانوا فجَّارًا، بل أطلَقَ ذلك.

وقول المؤلِّف: **(ولا أَمْرًا بالنداء للجُمعةِ دون أَمْر)**، أي: أنَّ النداءَ للجمعة عامٌّ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، ولو كان الذين يقيمونها عصاةً أو فجَّارًا.

والحكمةُ في ذلك: جمعُ الكلمة؛ وذلك لأنا إذا عصيناهم، فلا بدَّ أن يحصُلَ ظلمٌ وعَسْفٌ وجبروتٌ، ونحو ذلك.

ثم إذا قُدِّرَ مثلًا أن خطيب الجمعة متَّهَمٌ ببدعة، فإن تلك البدعة لا تخوِّلُ ترك الصلاة خلفه، لو كان مثلًا متصوِّفًا، أو معتزليًّا -وأهلُ السنة لا يكفِّرون المعتزلة مطلَقًا- وكذلك لو كان أشعريًّا، ونحو ذلك، ولكنْ

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخَّرها الإمام، حديث رقم (٦٤٨).

له سلطةٌ أو وِلَايةٌ، فلا يكفَّر، ويُصلَّىٰ خلفه، ومَنْ صلَّىٰ خلفهم، فإنا لا نأمُرُهُ بإعادة الصلاة.

لكنْ إذا كان الإمام مشرِكًا، فإن مَنْ صلَّىٰ خلفه يؤمر بإعادة الصلاة، إذا عرَفَ أن بِدْعتهم مكفِّرةٌ؛ كأهل وحْدةِ الوجود، أو القبوريِّين الذين يَدْعُونَ الأموات، ويهتفون بأسمائهم من دون الله تعالىٰ؛ فمثلُ هؤلاء -ولو كانوا يتسمَّوْنَ بأنهم مسلمون- فإن دعاءهم لغير الله تعالىٰ يُحْبِطُ أعمالهم؛ فيصيرون بذلك مشركين.

فإذا عرَفْتَ أن هذا الخطيب، أو هذا الإمامَ مُشْرِكٌ، ممَّن يعبُدُ أهل البيت - مثلًا عليًّا، أو ذُرِّيته - كالرافضة، أو يعبُدُ عبدَالقادر، أو ابنَ عَلْوان، أو البدويَّ، أو الشاذليَّ، أو نحوهم من المعبودات، بمعنىٰ: أنه يطوف بالقَبْر، أو يدعو الميِّتَ نفسه، فيقولُ: يا معروفُ! أو: يا جُنَيْدُ! أو: يا شاذليُّ! أو: يا تِيجَانيُّ! أو: يا كذا وكذا! أنا في حَسْبِك! أو: ما لي إلا اللهُ وأنت! أو نحو ذلك، فإن هذا يعتبَرُ مشرِكًا؛ فلا تصحُّ الصلاةُ خلفه؛ لأن شركه أخرجه من الإسلام، فإذا اضطُرَّ الإنسان إلىٰ أن يصلِّي خلفهم، فإنَّا نأمُرُهُ بالإعادة.

متىٰ يكون مضطرًّا؟ في كثير من البلاد الإفريقيَّة يكونُ ولاة الأمر وأئمة وخطباء المساجد، من هؤلاء المتصوِّفة، ومعهم كثيرٌ من البدع المكفِّرة، ومن أشهرها: أنهم يَدْعون الأموات، ويعتقدون فيهم، أو أنهم غلاةٌ في التصوُّف، بمعنىٰ: أنهم ملاحدة، أو اتحاديَّة، فيقولُ بعض أهل الخير: إذا لم نُصَلِّ خلفهم، آذَوْنا واتهمونا بأننا نخالفهم، أو بأننا نكفِّرهم، فيُؤْذُوننا ويَسْجِنونا ويقتلوننا، ويشرِّدوننا ويطردوننا؛ فماذا نفعل؟

فنقول: إن وصَلَتِ البدعةُ إلىٰ التكفير، فإنك تصلِّي معهم مداراةً، وتُعِيد الصلاة، وإن لم تَصِلِ البدعةُ إلىٰ التكفير، فصَلِّ؛ فصلاتُكَ لك، وصلاتهم لهم.

وأجاز بعض العلماء أن تدخُلَ معهم، وتنوي الانفراد، وكأنك تتابِعُ الإمام، تصلِّي لنفسك، فتقرأ ولو كان يقرأ، وتسمِّع بقولك: «سَمِعَ اللهُ لمن حمده»، وتصلِّي صلاة كاملة بنية أنك منفرِدٌ.

فإذا خَشِيتَ علىٰ نفسك من الاتهام أو الضرر، فلك أن تتقي شرَّهم بذلك، وإن تمكَّنت من أن تصلِّيَ وحدك، أو وجَدتَّ مسجدًا -ولو بعيدًا- فيه إمامٌ مستقيم، فهو الأولىٰ.

عقيدةُ أهل السُّنَّة:
الجهادُ مع الأئمَّة وإنْ كانوا جَوَرةً، وعدَمُ الخروجِ عليهم

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويَـرَوْنَ جهـادَ الكفَّـارِ معهـم، وإنْ كانـوا جَـوَرةً، ويَـرَوْنَ الدعـاءَ لهـم بالإصـلاحِ والعَطْـفِ إلـىٰ العـدل، ولا يَـرَوْنَ الخـروجَ بالسَّـيْفِ عليهـم، ولا القتـالَ في الفِتْنـة، ويَـرَونَ قتـالَ الفئـةِ الباغيـةِ مـع الإمـام العَـدْل، إذا كان ووُجِـدَ؛ علـىٰ شـرطهم في ذلـك].

الشَّرح

الجهـاد: هـو قتـالُ الكفـار؛ فمـن عقيـدة أهـل السـنة: أنهـم يَـرَوْنَ الحـجَّ والجهـاد مـع الأمـراء، أبـرارًا كانـوا أو فجَّـارًا؛ وذلـك لأنـه في الزمـان القديـم لا يتيسَّـر الحـج إلا مـع أميـرٍ، ويكـونُ معـه جيـشٌ قـويٌّ وأسـلحة؛ يحفـظ أولئـك الحُجَّـاجَ حتـىٰ لا يعترضهـم قطَّـاعُ الطُّـرُقِ مـن الأعـراب ونحوهـم ويأخـذون أمتعتهـم، فكانـوا يؤمِّـرون علـىٰ الحـاجِّ أميـرًا قويًّـا، وقـد يكـون ذلـك الأميـرُ فيـه شـيء مـن المعاصـي؛ إمَّـا بتأخيـر الصـلاة، أو بشـربِ المُسْـكِرات، أو بسـماع الأغـاني، ونحوهـا، فيقولـون: الحـجُّ معـه خيـرٌ مـن تـرك الحـجِّ، وأولـىٰ مـن الحـج منفـرِدًا، والتعـرُّضِ لقطـاع الطريـق.

كذلـك الجهـادُ؛ لا بـدَّ أن يكـون لـه أميـرٌ، ولا يُشـترَطُ أن يكـون ذلـك الأمير مهذَّبًـا، أو تقيًّـا نقيًّـا، بـل يُجَاهَـدُ معـه في نصـر الإسـلام، ويجتمِـعُ المجاهـدون تحـت رايتـه ويطيعونـه، ويسـيرون بتدبيـره، ولا يجـوز الغـزوُ إلا بإذنـه، ويلزمهـم

طاعته والصبرُ معه والسيرُ بسيره، وعليه أن يرفُقَ بهم، ولا يكلِّفَهم، ولا يشُقَّ عليهم، وعليهم أن يسمعوا له ويطيعوا، ولو كان منتقَدًا أو مرتكِبًا شيئًا من المعاصي؛ فإن ذلك لا يخوِّلُ لهم ترك الجهاد؛ فالجهادُ عبادةٌ عظيمة، وشعيرةٌ من شعائر الإسلام، بها أظهَرَ الله تعالىٰ الدِّينَ ونصره، وبها انتصر المسلمون، وقضَوْا علىٰ كثير من الكفار، من الملل الكُفْرية وغيرهم؛ فما دام فيه مصلحةٌ، فإننا نجاهد، ولو كان أمير الجهاد جائرًا، نجاهد كلَّ كافر مع كلِّ أمير، ولو من الفَجَرة، أو من الظَّلَمة.

وموقفنا مع ولاة الأمور: أنَّا ندعو لهم بالصلاح والإصلاح، وندعو لهم بالعطف إلىٰ العدل؛ بأن يرُدَّهم الله تعالىٰ إلىٰ العدل؛ فإن الدعوة لهم فيها خير:

أولًا: أننا نأمن في ولايتهم، وفي ولايتهم علىٰ البلاد خيرٌ كبير، تأمن وتسلم من قطَّاع الطريق، وتسلم من الغوغاء، ونحوهم.

وثانيًا: جمعُ كلمة المسلمين، واتفاقُهم علىٰ إمام واحد أو والٍ واحد؛ فلذلك إذا رأينا منهم شيئًا من الجَوْر، أو ارتكابَ شيء من المعاصي، أو وجَدْنا عليهم نقصًا، فإننا ننصحهم، وندُلُّهم علىٰ طرق الخير، ولا ننسىٰ أن ندعو الله لهم بالإصلاح، وأن يرُدَّهم إلىٰ العدل.

وقول المؤلِّف: (**ولا يجوزُ الخروجُ عليهم بالسَّيْف**)؛ فإن الخروجَ علىٰ الأئمة لا يجوزُ ولو كانوا عصاةً؛ لأنَّ في الخروج عليهم مفاسدَ كبيرةً، وهو سببٌ للفتن، وللقتل، ولاستباحة الأموال، ولاستباحة البلاد، ولتفرُّق الكلمة.

وقد كان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يَنْهَوْنَ عن الخروج على الأئمة بالسيف، ولو جاروا، ويقولون: ليس في الخروجِ عليهم مصلحةٌ؛ بل إنَّ ذلك يؤدِّي إلى مفاسد كبيرة.

وفي عهد الإمام أحمد وجَدَ كثيرٌ من الأئمة عليهم مآخِذَ؛ كالمعتصِمِ، وقبله المأمون، وهما اللذان فتَنَا الناس، ودَعَواهم إلى القول بخلق القرآن، ومع ذلك كان يدعو لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالصلاح والإصلاح، ويستأذنه بعض أصحابه في أن يثوروا ويَخْرُجوا ويقاتلوهم، فيقولُ لهم الإمامُ أحمدُ: «**الصَّبْرُ عَلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ؛ تُسْفَكُ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَتُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَتُنْتَهَكُ فِيهَا الْمَحَارِمُ**»[1].

وضرَبَ لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمثالًا بالذين خرجوا على أئمة الجَوْرِ، وأنهم باؤوا بالفشل، منذ العهد الأول.

فمثلًا في عهد بني أمية: حصَلَتْ ثورات كثيرة، وكلها باءت بالفشل، ومن أشهرها: فتنة ابن الأَشْعَث[2]؛ وذلك أن الحَجَّاجَ بعثه لقتال بعض بلاد الأفغان لمَّا بلغهم أن أمير كَابُولَ منع الجزية، فأرسله للغزو وشدَّد عليه، فخلَعَ بيعة الحجَّاج وطاعته، ثم خلَعَ بيعة عبدالملك وطاعته، ثم بايعه الجيش، ثم بايعه أهل العراق، ثم حصَلَ القتال بينه وبين الحجَّاج،

---

(١) ينظر: السنة للخلال (١/ ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٦، ٢٨١).

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكِنْدِيّ، بعثه الحجَّاج على سجِسْتانَ، فثار هناك، وأقبل في جمع كبير، وقام معه علماء وصلحاء؛ لما انتهك الحَجَّاج من إماتة وقت الصلاة، ولجَوْره وجبروته، فقاتله الحجَّاج، وجرى بينهما عدة مصافات، حتى انهزم جمع ابن الأشعث، وفَرَّ هو إلى الملك رتبيل، ملتجئًا إليه، ثم تتابَعَتْ كتب الحجَّاج إلى رتبيل بطلب ابن الأشعث، فبعَثَ به إليه، فهلك في الطريق، وذلك سنة: ٨٥هـ ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٣)، والوافي بالوَفَيَات (١٨/ ١٣٤).

ثم كانت الهزيمة لابن الأشعث وقُتِلَ، وقُتِلَ أكثر من ثمانين ألفًا بسبب هذه الفتنة، ولم يحصُلُوا علىٰ نتيجة.

ثم بعده: ابنُ المُهَلَّبِ[1]؛ أراد أن يَخْلَعَ بيعة خلفاء بني أمية، لمَّا رأىٰ طاعة الجيش له، لكنه باء بالفشل.

ثم بعده: قُتَيْبَةُ بنُ مسلِمٍ[2]؛ الذي فتَحَ كثيرًا من بلاد الهند، وما وراء النهر، والسِّنْد، لمَّا رأىٰ طاعة الجيش له، خلَعَ بيعة خليفة بني أمية، ولم يَحْظَ إلا بالفشل كذلك.

فضرَبَ الإمامُ أحمدُ مثلًا بهؤلاء، وكذلك في خلافة المنصور، لمَّا تمَّت البيعة لبني العبَّاس، ثار عليه اثنان من أولاد الحسَنِ بنِ عليٍّ[3]؛ أحدهما: في المدينة، والثاني: في البَصْرَة، ومع كثرة الجيوش الذين بايعوهم؛ باؤوا بالفشل.

(١) يزيد بن المهلَّب بن أبي صُفْرة الأَزْدي، أبو خالد، كان شريفًا جَوَادًا بطَلًا شُجَاعًا من جِلَّةِ أمراء زمانه، وَلِيَ خراسانَ بعد وفاة أبيه، وعزله عبدالملك بن مَرْوان، برأي الحجَّاج، وظل في عهد خَلفاء بني أمية بين الولاية والسجن؛ حتىٰ مات عمر بن عبدالعزيز، فخرَجَ من السجن، ثم نَشِبَتْ حروب بينه وبين مَسْلَمة بن عبدالملك، انتهت بمقتل يزيد في سنة ١٠٢هـ. ينظر: تاريخ دمشق (٧٤/ ١١٩)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٦٤)، وتاريخ الإسلام (٣/ ١٨٤).

(٢) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحُصَيْن بن ربيعة، أبو حفص الباهلي، أميرُ خراسان كلها، كان من الشجاعة والحزم والرأي بمكان، وهو الذي افتتَحَ خُوَارَزْمَ وبخارىٰ وسمرقند، وولي خراسان عشر سنين، ولما مات الوليد بن عبدالملك، نزع الطاعة، فلم يوافقه علىٰ ذلك أكثر الناس، وكان قتيبة قد عزَلَ وكيع بن حسَّان بن قيس الغُدَاني عن رياسة تميم، فحقَدَ عليه، ثم وثب علىٰ قتيبة في أحدَ عشَرَ من أهله، فقتلوه في ذي الحجة سنة ٩٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٨٦)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١١٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٠).

(٣) هما: محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بالمدينة، وأخوه إبراهيم، ينظر: المنتظم، لابن الجوزي (٧/ ٢١٢- ٢١٣).

فمِنْ عقيدة أهل السنة: عدَمُ الخروج علىٰ الأئمة بالسيف[١]، وخالف في ذلك طائفتان: ١- الخوارجُ، ٢- والمعتزلة:

فالخوارجُ: ثاروا في عهد عليٍّ، وقاتلهم عليٌّ، وشرَّدهم، وبَقِيَ منهم بقايا، وصاروا يثورون كلما تقوَّوْا في عهد بني أمية، ولكنهم لا ينتصرون غالبًا، ولو حصَلَ لهم شيءٌ من الانتصارات في بعض الأحيان.

أما المعتزلةُ: فإن من عقيدتهم جوازَ الخروجِ علىٰ أئمَّة الجَوْر، ولكنهم لم ينفِّذوا ذلك؛ لأن الغالب عليهم التفرُّق، فلم يصلوا إلىٰ وقت يثورون فيه ويقاتلون الأئمَّة، ويخرجون عليهم.

فالحاصلُ: أن أهل السنة يَرَوْنَ عدم الخروج علىٰ الأئمة بالسيف، ويرون عدم القتال في الفتن بين المسلمين، وأن ذلك يُضْعِفُ الإسلام والمسلمين.

ثم إذا ثارت ثائرةٌ علىٰ إمام المسلمين، فإنَّ علىٰ عموم المسلمين أن يقاتلوهم بأمر ذلك الإمام؛ فهؤلاء يسمَّوْنَ: البُغَاةَ.

البغاة: هم الذين يثورون علىٰ إمام المسلمين، أو أمير المؤمنين، بشبهة تَعْرِضُ لهم، إذا كان عندهم شَوْكةٌ وقوَّة، والإمام يزيل الشبهات التي عندهم؛ بأنْ يراسلَهم، وينظُرَ ما هي الشبه التي يتشبَّثون بها، فيزيلها، ثم بعد ذلك يقاتلهم، ويَلْزَمُ الجيشَ طاعتُهُ، والصبرُ معه، وقتالُ الفئة الباغية مع الإمام العادل.

---

(١) ينظر: أصول السنة للإمام أحمد (ص ٤٦).

عقيدة أهل السنة في دار الإسلام

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويَـرَوْنَ الـدَّارَ دارَ إسـلامٍ، لا دارَ كفـر - كمـا رأتـه المعتزلـة - مـا دام النـداءُ بالصـلاةِ والإقامـةُ ظاهِرَيْـنِ، وأهلُهـا ممكّنِيـنَ منهـا آمِنِيـن].

الشَّرْح

أهـلُ السـنة يعتـبرون أن البـلادَ بـلادُ إسـلام؛ مـا دام أن فيهـا المسـاجدَ والمؤذِّنيـن، ومـن يقيمـون الصـلاة، ولـو كان فيهـا بعـض المعاصـي؛ كالخمـور، والمزامير، والأغـاني، والملاهـي، والتماثيـل، ومـا أشـبه ذلـك.

فـلا يجـوزُ استحلالُها، ولا يجـوزُ قتـالُ أهلهـا، ولـو غلَـبَ أو كَثُرَ فيهـم الفسـوق والفسـاد، وإنمـا يُقتصَـرُ علـىٰ الدعـوة، وعلـىٰ السـعي في الإصـلاح، وتسـمَّىٰ: دار إسـلام.

أمـا المعتزلـةُ: فإنهـم إذا ظهـر في البـلاد شـيء مـن المعاصـي، اعتبروهـا دار كفـر، واعتـبروا أهلهـا كفَّـارًا، وحكمـوا بالأكثريـة، أو بالأمكنيـة[1]؛ وهـذا خـلاف معتقـد أهـل السـنة: أن الـدار دار إسـلام، ولـو حصَـلَ فيهـا مـا حصَـلَ مـن الخلـل؛ فإنهـا إذا اعتُبِـرَتْ دار كفـر، فمعنـاه: أنـه يقضـىٰ علـىٰ المسـاجد التـي فيهـا، وعلـىٰ الكتـب؛ فقـد يكـون فيهـا كتـبٌ إسـلامية، ومصاحـفُ، وما أشـبه ذلـك.

(١) يعني: تمكُّن ذلك فيها.

وكثيرٌ من البلاد الآن يظهر فيها شيءٌ من شعائر الكفر، وإن كانت أشياءَ لم تكن تُتصوَّرُ فيما سبق؛ مثلُ: إباحة الزنىٰ؛ يعني: أن يرخَّصَ في الزنىٰ، إذا كانت المرأة حرةً في نفسها وموافقةً، غير مكرَهة، فيقولون: لها الحرية في أن تبذل نفسها!

ولا شكَّ أن هذا مخالفٌ للشريعة الإسلامية، ولكنْ لا تصلُ البلاد إلىٰ أن تكون بلادَ كفرٍ تُغْزَىٰ وتُقَاتَل.

وكذلك: إظهارُ بيع الخمر؛ إذْ يوجَدُ في كثير من البلاد أنهم يبيحون بيع الخمر عَلَنًا؛ فضلًا عن شربها؛ فهذه البلاد أيضًا لا تصلُ إلىٰ كونها بلادَ كفر، ما دام أن فيها مصلِّين ومساجدَ ومؤذِّنين، وأنهم يَتَسَمَّوْنَ بالإسلام، وأن في مساجدهم مصاحفَ، وفيها كتبًا إسلامية، وما أشبه ذلك.

وكذلك: لو وُجِدَ فيهم محاكمُ غيرُ شرعية؛ يحكُمُونَ بالقوانين، فنقول: الحكمُ بالكفر علىٰ ذلك الشخص الذي يتولَّىٰ الحكم، ولا نحكم علىٰ البلاد كلها، بل نقول: البلادُ بلادُ إسلام، نعتبرها دار إسلام لا دار كفر - خلافًا للمعتزلة - إذا كان فيها نداءٌ للصلاة وإقامة، إذا كان ذلك ظاهرًا وأهل الصلاة ممكَّنين.

أما لو عُدِمَتْ هذه الأشياء، فإنها تُصبِحُ دار كفر؛ إذا رأينا أن هذه البلاد هُدِمَتْ فيها المساجد، وأُحرِقَتْ فيها المصاحف وكتبُ الإسلام، ومُنِعَ الذي يرفع صوته بالإسلام، أو الذي يصلِّي، ومن رأَوْهُ يصلِّي مثلًا، قتلوه، أو سجنوه، وأبيح فيها الكفر، وعُبِدَتْ فيها الأوثان، وأُظهِرَ فيها الشرك، وحُكِمَ فيها بغير شرع الله تعالىٰ، ومُنع فيها من يُظهِرُ الإسلام، أو يتكلَّم به؛ فإنها تصبح حينئذٍ دار كفر.

عقيدة أهل السُّنَّة:
أنَّ أعمالَ العباد لا تُوجِبُ لهم الجَنَّةَ إلا بفضلِ الله

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويَرَوْنَ أنَّ أحدًا لا تخلُصُ له الجنَّةُ، وإنْ عَمِلَ أيَّ عملٍ، إلا بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ التي يخُصُّ بها من يشاء؛ فإنَّ عمَلَهُ للخيرِ وتناوُلَهُ الطاعات، إنما كان عن فضلِ اللهِ الذي لو لم يتفضَّلْ به عليه، لم يكنْ لأحدٍ على الله حجةٌ ولا عَتْبٌ؛ كما قال الله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، وقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]].

الشَّرح

قرر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا مسألة، وهي: اعتقادنا أن الإنسانَ لا يكونُ من أهل الجنة بمجرَّدِ عملِهِ؛ بل بفضل الله تعالىٰ وبرحمته، وإنْ كانت الأعمال من أسباب دخول الجنَّة.

قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قالوا: يا رسُولَ الله، ولا أنتَ؟! قال: «وَلا أَنَا، إِلَا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب المرضىٰ، باب تمنِّي المريض الموت، حديث رقم (٥٦٧٣)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخُلَ أحدٌ الجنةَ بعَمَله، بل برحمة الله تعالىٰ، حديث رقم (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فنعتقد: أنه لا تخلُصُ لأحدٍ الجنة -وإنْ عمل عملًا كثيرًا- إلا بفضل الله وبرحمته، التي يختصُّ بها من يشاء؛ فعمله للخير، وتناوُلُهُ الطاعات، إنما كان عن فضل الله، نقول: الله تعالىٰ هو الذي مَنَّ علينا وهدانا؛ فله النعمةُ علينا، وله الفضل أن هدانا للإسلام، وأنْ أقبل بقلوبنا علىٰ طاعته، وأن أعاننا علىٰ ذِكْرِهِ وشكرِهِ وحسنِ عبادته، ولو لم يتفضَّل علينا، لم يكن لأحدٍ منا حجةٌ علىٰ الله تعالىٰ، ولو خذل عباده، فإنه لا عُذْرَ لهم، ولا حجةَ لهم.

والله تعالىٰ يذكِّرُ عباده دائمًا بفضله؛ فيقولُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، أي: تذكَّروا أنكم تحت فضل الله تعالىٰ ونعمته؛ فهو المتفضِّلُ عليكم، وهو الذي وفَّقكم لهذا، وهداكم للإسلام، ولو شاء لخَذَلَكم وسلَّط عليكم الأعداء؛ فاشكروه علىٰ فضله تعالىٰ وعلىٰ نعمه؛ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٢١].

ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[النساء: ٨٣]، أي: لولا أنه تفضَّل عليكم وهداكم، وخصَّكم بواسع فضله، لكنتم أشقياءَ، ولكنه يختصُّ بفضله من يشاء: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ١٠٥]؛ فاشكروه علىٰ ذلك.

إذن: فنحن نعترِفُ بفضلِ الله تعالىٰ علينا، ونحمدُهُ علىٰ أن هدانا للإسلام، ونسأله أن يمُنَّ علينا بتكميل الإسلام، ومع ذلك: نرغب إليه أن يعُمَّنا بواسع رحمته وبفضله، وأن يتجاوزَ عن أخطائِنا ونَقْصِنا وتقصيرنا، فنحن كلُّنا أخطاءٌ إلا أن يتجاوز اللهُ عنا، وأعمالُنا قليلة ولو عَمِلْنا أيَّ عمل.

فالعمَلُ لا يستقِلُّ بإدخال صاحبه الجنة؛ ودليلُ ذلك ظاهرٌ من قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾؛ أخبرَ تعالىٰ

بأنه المتفضِّلُ علىٰ عباده، وأنه لولا تفضُّلُهُ عليهم، ما زكَوْا، ولا تزكَّوْا، ولا عملوا، ولكنه تعالىٰ تفضَّل علىٰ هؤلاء، فهداهم، وله النعمةُ والفضلُ عليهم.

ومن الذكرِ الذي وردَ دُبُرَ كلِّ صلاة أن يقولَ العبدُ: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ**»(١)؛ له المَنُّ والنعمُ والفضلُ علىٰ عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولمَّا أخذ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعدِّد علىٰ الأنصار خصالهم التي تميَّزوا بها، فيذكِّرهم: «**أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ، لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ**»، فقَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ(٢).

فإنَّ اللهَ تعالىٰ حقًّا له المِنَّةُ علىٰ عباده، وله الفضل عليهم، فإذا أنعم علىٰ بعض العباد، فهداهم، وأقبل بقلوبهم علىٰ طاعته؛ فإنه المتفضِّلُ، وله الفضلُ في ذلك.

وإذا خذَلَ بعض العباد، وحال بينهم وبين رُشْدهم، وأضلَّهم علىٰ علم، فله الحكمة في ذلك؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم (٥٩٤)، من حديث عبدالله بن الزُّبَيْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١١٥٤٧)، من حديث عبدالله بن زيد بن عاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وبنحوه أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غَزْوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلَّفة قلوبهم علىٰ الإسلام، حديث رقم (١٠٦١).

فالله تعالىٰ هو الذي يَهْدِي من يشاء، ويُضِلُّ من يشاء؛ فمن هداه الله، فقد تفضَّل عليه، وأحسن إليه، ومن خذله وأضلَّه، فقد عامله بعدله، ولا يُنسَبُ إلىٰ الله تعالىٰ ظلم، ولا يُنسَبُ إليه جَوْر، بل هو العادل في عباده؛ فأعمالهم فضلٌ من الله تعالىٰ.

وقد ورد في حديث: «**أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ، قَالَ: فَيُجَرُّ إِلَىٰ النَّارِ، فَيُنَادِي: رَبِّ، بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ**»[1]؛ فهو يعترف بأن أعماله التي عملها مهما كَثُرَتْ، ومهما عَظُمَتْ، لا تستقِلُّ بإدخاله الجنة.

وأصرحُ من ذلك: الحديثُ الذي تقدَّم، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَن يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ**»، أو: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»، قَالُوا: وَلَا أَنتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**»، فإذا كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع جِدِّهِ في العمل واجتهاده، ونشاطه، وجهاده، وصلاته، وذِكْره، وأعماله، وأدعيته، ومع ما حماه الله تعالىٰ به وعَصَمَهُ من الخطأ والزلات، مع ذلك يقول: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**»، فكيف بمَنْ دونه؟!

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التوبة والإنابة (٤/ ٢٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٤٣٠٠)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد».

ولا شك أن الأعمال سبب؛ ولذلك يعلِّق الله تعالىٰ عليها الجزاءَ، سيِّئها وحسَنِها، وكثيرًا ما يقول: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وكذلك يقول: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]؛ فيجعل العمل هو السبب الذي حصلوا به علىٰ الجزاء.

فالأعمال الصالحة هي أسبابٌ للجزاء بالجنة، وبالثواب، وبرضا الله تعالىٰ، ولكنَّ تلك الأعمال الصالحة فضلٌ من الله تعالىٰ؛ إذ هو الذي تفضَّل علىٰ عباده، فهداهم، وأقبل بقلوبهم علىٰ طاعته، وبصَّرهم بالحق، وأرشدهم، وسدَّدهم، وربَطَ علىٰ قلوبهم وثبَّتهم، ولو شاء، لأضلَّهم، سيما مع كثرة المضلَّات؛ فإنه قد سلَّط عليهم أنواعًا من المضلَّات، فإذا أعانهم علىٰ الأعداء، فثبتوا، كان ذلك فضلًا منه ورحمة؛ فإنه سلَّط الأبالسة والشياطين، وحمىٰ أولياءه منهم فضلًا منه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩- ١٠٠]، أخبَرَ أنه ليس له سلطانٌ إلا علىٰ من خذَلَهم الله تعالىٰ، وسلَّطه عليهم، فحمىٰ أولياءه المؤمنين، وحال بينه وبينهم، وأعطاهم من الأسلحة ما يَقْهَرونه ويُذِلُّونه، ويتغلَّبون به علىٰ وساوسه وخَطَراته.

فأمرهم بالاستعاذة، وإذا استعاذوا بالله تعالىٰ، أعاذهم، وكذلك أمرهم بذِكْرِ الله، وذكرُ الله يطرُدُ الشياطين، وأمرَهُمْ بدعائه حتىٰ يحول بينهم وبين أعدائهم، ويحميهم، ويعصمهم، وأمرهم بقراءة كلامه، أو ما تيسَّر منه، وقراءتُهُ أيضًا سلاحٌ يحولُ بينهم وبين أعدائهم؛ إذا وفَّقهم وأعانهم علىٰ هذه القراءة.

فالأذكارُ والأدعيةُ والاستعاذةُ ونحوها، صارت معهم أسلحةً يَفْتِكون بها في أعدائهم من الشياطين، ويَقْوَوْنَ بها علىٰ قَهْرهم وقَمْعهم وإذلالهم.

وقد سلَّط عليهم أيضًا أعداء آخرين؛ كما يقول بعض الشعراء[1]:

إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَىٰ … كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي؟!

فهذه الأعداءُ إنما يُتغلَّبُ عليهم بتوفيق من الله تعالىٰ، ونَصْرٍ منه وتأييد؛ فإذا أيَّده الله تعالىٰ وقوَّاه، تقوَّىٰ، وانتصَرَ عليهم، وقَوِيَ علىٰ أن يُمْسِكَ نفسه، وأن يقهرها، وأن يقودها إلىٰ طاعة ربه تعالىٰ.

وإذا تسلَّطَتْ عليه نفسه، ولم يكنْ معه ما يقهرها به، انقاد لشهواته، وأصبَحَ غيرَ مستقِلٍّ بأمر الله تعالىٰ، ولا قادرٍ علىٰ أمر الله تعالىٰ.

---

(١) هذا البيت رُوِيَ بعدَّة روايات، ذكَرَها القُرْطُبِيُّ في التذكرة (ص٨٨٠)، ونسبه البيهقي للإمام الشافعي، لكنْ بغير هذه الرواية. ينظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ٨٩).

عقيدةُ أهل السنة في تقديرِ الآجال

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويقولونَ: إن الله عَزَّوَجَلَّ أجَّل لكلِّ حيٍّ مخلوقٍ أجَلًا هو بالِغُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وإنْ مات أو قُتِلَ، فهو عند انتهاء أجله المسمَّىٰ له، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤]].

الشَّرح

انتقل المؤلِّف إلىٰ الكلام عن الآجال، وهو أن الله تعالىٰ قدَّر الآجال، وحدَّد الأعمار، وجعل لكلِّ نفسٍ عمرًا محدَّدًا، لا يمكنُ أن تتجاوزه، ولا يمكن أن يزادَ في عمره، ولا أن يُنقَصَ فيه، أي: أن العمرَ الذي كتبه الله له قبل أن يخلقه، بل قبل أن يخلُقَ الدنيا، لا بُدَّ أن يصل إليه ولا يتجاوزه.

ومعلومٌ أنَّ ربَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليمٌ بالخلق قبلَ أن يُخْلقوا، بعددهم، وبأوقات وجودهم، وبأعمارهم، وبأعمالهم، ونحو ذلك؛ ففي الحديث: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»، **قَالَ**: «**وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حِجَاج آدم وموسىٰ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، حديث رقم (٢٦٥٣)، من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديثٍ آخرَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ: الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرَ، قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

جرىٰ القلم بما هو كائن، وبما هو حادثٌ إلىٰ يوم القيامة، ولا يُزادُ عما جرىٰ؛ وذلك في اللوح المحفوظ الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، وقد تقدَّم أن التقدير أربعة أنواع:

١- تقديرٌ عامٌّ: وهو الذي في اللوح المحفوظ.

٢- وتقديرٌ عُمْريٌّ: وهو الذي يُكْتَبُ إذا كان الإنسان في الرحم: «يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ».

٣- وتقديرٌ سنويٌّ: وهو ما يقدِّره الله في ليلة القَدْرِ إلىٰ مثلها؛ من الأعمال، والآجال، والوَفَياتِ، والحوادثِ، وما أشبهها.

٤- وتقديرٌ يوميٌّ: وهو ما يحدُثُ في اليوم نفسه؛ ودليله قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فالمرادُ: المَحْوُ والإثباتُ لما في صُحُفِ الملائكةِ الموكَّلين بحفظ أعمال بني آدم وبكتابتها؛ فهم يكتبون أعمال وأقوال الإنسان، ثم يأمُرُهم الله تعالىٰ أن يمحوا ما لا ثوابَ فيه ولا عقابَ، وما لا يترتَّب عليه جزاءٌ، أو يمحوا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٥)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٧٠٠)، والترمذي، أبواب التفسير، باب: ومن سورة «ن»، حديث رقم (٣٣١٩)، من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

السيئات التي تاب العبد منها، وبدَّلها بحسنات، أمَّا ما في أم الكتاب -وهو اللوحُ المحفوظ- فإنه لا يتغيَّر: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[الرعد:٣٩].

وعلىٰ هذا: فنقولُ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾[الرعد: ٣٨]، ولكلِّ إنسانٍ أجَلٌ، ما من نَفْسٍ منفوسةٍ إلا وقد عَلِمَ الله تعالىٰ قبل خلقها أَجَلَها وعَمَلَها، وحياتها: هل هي حياة عاجلة أو حياة آجلة، وحياة سعيدة أو تعيسة[(١)]، قد علم الله ذلك كله؛ ولأجل ذلك أخبَرَ تعالىٰ بأنه كتب الآجال والأعمار، ولا يتغيَّر ما كتبه؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾[آل عمران: ١٥٤].

فقد نزَلَتْ هذه الآية في غزوة أحد، حيث ذكَرَ الله تعالىٰ عن المنافقين بعض الكلمات التي قالوها؛ كقولهم: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾[آل عمران: ١٥٤]، يتلوَّمون لمَّا رأوا أنه قُتِلَ بَعض منهم في غزوة أُحُد، فقالوا: لو أُخِذَ رأينا، لانحَجَرْنا في بيوتنا، ولتحصَّنَّا في دُورنا، ولم نتعرَّضْ للقتل، فنحن الذين فرَّطنا، فخَرَجْنا ولقينا العدو، فَقُتِلَ منا من قتلوا، وسفَكُوا دماءنا، ولو أننا امتنعنا عن الخروج، لسَلِمنا من القتل! هكذا حكىٰ الله عنهم، ثم قال: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾؛ فالله تعالىٰ قد كتَبَ القتل علىٰ هؤلاء الذين قُتِلوا، فلو تحصَّنوا، ثم

---

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ، إلاَّ كُتِبَ مكانَها من الجنةِ والنارِ، وإلّا وقدْ كُتِبَتْ شقِيَّةً أو سعيدةً...» أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، حديث رقم (١٣٦٢)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تحصَّنوا، فلا بدَّ أن يخرجوا ويُقْتَلوا في المكان الذي حدَّده الله وعلم أنهم سيُقْتَلُونَ فيه، ولا يتجاوزونه.

ومثله: قوله تعالىٰ في سورة النساء لمَّا كتَبَ الله عليهم القتال، حكىٰ الله عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]، ثم قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨]، ولو تحصَّنتم بما تحصَّنتم به؛ فمَنْ كتَبَ الله عليه الموتَ في الوقت المحدَّد، فإنه سيموتُ فيه، ومَنْ كتب الله موته بشيء، فإنه يموتُ به، مَنْ كتَبَ أن موته يصيرُ بقتل، فلا بدَّ أن يحصُلَ، أو بضربٍ، فلا بدَّ أن يحصُلَ، أو بمرضٍ كذا وكذا، فلا بدَّ أن يتحقَّق الموت الذي حقَّق الله تعالىٰ وحدَّد أجله به؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤].

وبعد ذلك نقول: إن الإنسانَ مأمورٌ أن يتحصَّنَ ويتحفظ من أسباب الردىٰ، ومن أسباب الهلاك، وهذا التحصُّنُ والتحفُّظُ مكتوبٌ أيضًا قبل أن يخلق الخلق؛ فإنه مكتوبٌ أنه سوف يعمل كذا وكذا من أسباب الحفظ، ومن أسباب التحصُّن، وأنه سوف يصابُ بمرَضٍ كذا وكذا؛ فيتعالج بالعلاج الذي يَبْرأُ ويزول عنه به هذا المرض، ومكتوب - أيضًا - أنه سوف يتحفَّظ ويتحصَّن إذا دخل ميدان القتال، أو دخل المعارك، ويكون تحصُّنه سببًا في وقايته، وقد أُمِرَ أن يأخذ حِذْره؛ ولأجل ذلك كرَّر الله الأمر بالتحفظ؛ فيقول تعالىٰ: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء:١٠٢]، يعني: احتياطًا، ويقول تعالىٰ: ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء:١٠٢]، أمرهم بأن يأخذوا أسلحتهم، وأن يكونوا حَذِرِينَ، ولو كان الله قد قدَّر أن يصابوا بكذا وكذا، فإن هذا مأمورٌ به، وهو من الأسباب.

وكذلك يقول تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ فالإعدادُ مأمورٌ به، ولو كان قد قدَّر الله تعالىٰ انهزامًا أو موتًا أو غَلَبةً، فالله تعالىٰ قادرٌ علىٰ أن يقتُلَ المشركين بدون جهاد وبدون قتال، ولكنْ من حكمته: أنه شرَعَ لنا الجهاد؛ حتىٰ يكون ذلك سببًا من أسباب الانتصار، مع أنه قادرٌ علىٰ أن ينصُرَ عباده بدون قتال، وأن يخذُلَ أعداءه بدون أن يقاتلهم المسلمون؛ يقول تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤]؛ فهو قادرٌ علىٰ ذلك، ولكنْ من حكمته: أنه شرَعَ الشرائع، وقدَّر فيها الآجال.

فالحاصلُ: إذا قلنا: إن عمرك -أيها الإنسان- مكتوب، فلا تقل: ما دام كذلك، فإنني لا أفعلُ شيئًا، بل أستسلِمُ لأمر الله تعالىٰ!

نقولُ: أنتَ مستسلِمٌ لأمر الله، وأمرُ الله نافذٌ فيك، ولو فعَلْتَ ما فعَلْتَ، ولكنك مأمورٌ بهذه الأسباب لحياتك ووقايتك.

فمن المعلوم: أنك مأمورٌ بأن تتغذَّىٰ -تأكل وتشرب- وأنَّ تَرْكَكَ لذلك إضرار بنفسك، وأنه سببٌ من أسباب الموت، ولكنْ مكتوبٌ عليك أن تأكل وتشرب كذا وكذا.

وأنت مأمورٌ أيضًا بأن تتوقَّىٰ الحرَّ والبرد، وألَّا تعرِّضَ نفسك لشدة الحر الذي يكون سببًا في الموت، ولا لشدة البرد الذي يكون سببًا في الموت أيضًا، ومنهيٌّ أن تفعل سببًا يُودِي بحياتك؛ فلا يجوز لك أن تلقي نفسك من شاهق، ولا أن تَطْرَحَ نفسك في بئر، كما لا يجوز لك أن تطعُنَ نفسك وأن تقتلها، وتقول: هذا مكتوبٌ عليَّ، وهذا عمري! بل أنت مأمورٌ بأن تتوقَّىٰ الأسباب التي فيها ضررٌ علىٰ نفسك، وفِعْلُكَ لها، وتوقِّيك لها: مكتوبٌ ومقدَّر.

وقـد ورد في الحديـث أنَّ رجـلًا قـال: أَرَأَيْـتَ رُقًـىٰ نَسْـتَرْقِيهَا، وَدَوَاءً نَتَدَاوَىٰ بِـهِ، وَتُقَـاةً نَتَّقِيهَـا؛ هَـلْ تَـرُدُّ مِـنْ قَـدَرِ اللهِ شَـيْئًا؟ قَـالَ: «هِـيَ مِـنْ قَـدَرِ اللهِ»[(١)]، يعنـي: الأدويـةُ التـي تتـداوىٰ بهـا، وتتعالـجُ بهـا، هـي مقـدَّرةٌ، ومكتوبٌ أنـك تصـاب بمـرض كـذا، وأنـك تتعالـج بالعـلاج الفـلاني، ويكـونُ سـببًا في شـفائك؛ ولذلـك ورد في الحديـث الأمـرُ بالتـداوي: «تَـدَاوَوْا عِبَـادَ اللهِ؛ فَـإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَـمْ يُنْـزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْـزَلَ مَعَـهُ شِـفَاءً»[(٢)].

فنحـن مأمـورون بالتـداوي، والمـرَضُ مكتـوبٌ، والعـلاجُ مكتـوب، ومكتـوبٌ أن هـذا يتـداوىٰ بكـذا حتـىٰ يسـلم، وهـذا يصـابُ بكـذا، ولا يؤثِّـرُ فيـه العـلاج، ومـا أشـبه ذلـك، كلُّ هـذا داخـلٌ في تقديـر الآجـال، وأنَّ الله تعالىٰ أجَّـل لـكل حـيٍّ ومخلـوقٍ أجـلًا هـو بالِغُـهُ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤]، فـإذا مـات، أو قُتِـلَ، فإنـه عنـد انتهـاء أجلـه، فالمقتـولُ ميِّـتٌ بأَجَلـه، سـواءٌ قُتِـلَ في الجهـاد، أو قُتِـلَ ظلمًـا، أو بحـادث، أو نحـو ذلـك، كلُّ ذلـك مكتـوب، وليـس لـه أن يتجـاوزه، وهـو مـع ذلـك مأمـورٌ بالتحفُّـظ، ومأمـورٌ بالتحصُّـن؛ حتـىٰ لا يُلْقِيَ بنفسـه إلـىٰ التهلكـة.

---

(١) أخرجـه أحمـد في مسـنده، حديـث رقـم (١٥٤٧٢)، والترمـذي، أبـواب الطـب، بـاب الرُّقَـىٰ والأدويـة، حديـث رقـم (٢٠٦٥)، وابـن ماجـه، كتـاب الطـب، بـاب مـا أنـزَلَ الله داءً إلا أنـزَلَ لـه شـفاء، حديـث رقـم (٣٤٣٧)، مـن حديـث أبـي خُزَامـةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقـال الترمـذي: «حديـث حسـن».

(٢) أخرجـه أحمـد في مسـنده، حديـث رقـم (١٨٤٥٥)، وأبـو داود، كتـاب الطـب، بـاب في الرجـل يتداوىٰ، حديث رقـم (٣٨٥٥)، والترمذي، أبـواب الطـب، بـاب مـا جـاء في الـدواء والحـث عليـه، حديـث رقـم (٢٠٣٨)، وابـن ماجـه، كتـاب الطـب، بـاب مـا أنـزَلَ الله داءً إلا أنـزَلَ لـه شـفاء، حديـث رقـم (٣٤٣٦)، مـن حديـث أسـامة بن شَـرِيك، قـال الترمـذي: «حديـث حسـن صحيـح».

عقيدة أهل السُّنَّة في الرِّزْق

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وأنَّ الله تعالىٰ يرزُقُ كلَّ حيٍّ مخلوقٍ: رِزْقَ الغذاءِ الذي به قِوَامُ الحياة، وهو ما يَضْمَنُهُ اللهُ لمَنْ أبقاه مِنْ خَلْقه، وهو الذي رزَقَهُ مِن حلال، أو مِن حرام، وكذلك: رِزْقَ الزِّينةِ الفاضلَ عما يَحْيا به].

الشَّرح

الرزقُ من الله تعالىٰ، فهو الذي يسَّر أسبابه، وجعَلَها في متناول الأيدي، وهو الذي سهَّلها ويسَّرها، ولو شاء لَمَا قدَرَ العباد عليها، ولكنَّ الله تعالىٰ أعطىٰ العبد قوةً وفِكْرًا، وعقلًا وذهنًا، ثم أمره أن يستعمل هذه القوة حتىٰ يتكسَّب بها، ونهاه عن الإخلاد إلىٰ الأرض، وأمره أن يطلب المعيشة، ويحرص علىٰ الرزق الحلال، فإذا أصابه، فليعتقِدْ أنه من الله تعالىٰ؛ فهو الذي يسَّر أسبابه.

فالرزقُ من الله تعالىٰ، والحلالُ والحرامُ كلُّه رزق، ولكنْ معلوم أنه إذا اكتسَبَ حرامًا متعمِّدًا -ولو كان بتقدير من الله تعالىٰ- فإنه يعاقَبُ علىٰ ذلك، وإذا تغذَّىٰ بهذا الرزق الحرام، فإنه يعاقَبُ علىٰ ذلك؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ**»[1]، ولو كان مقدَّرًا، لو قال الإنسان: الله قدَّر أني آكُلُ الربا، أو أتغذَّىٰ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٤٤٤١)، والترمذي، أبواب السفر، باب ما ذُكِرَ في فضل الصلاة، حديث رقم (٦١٤)، من حديث كَعْب بن عُجْرة، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

بالسُّحْت، أو بالسرقة، أو بالمال المختلس! أو ما أشبه ذلك، نقول: نعَمْ؛ هو تقدير من الله تعالىٰ، ولكنَّ الله تعالىٰ أعطاك قوَّةً وقدرةً تتمكَّن بها من أن تكتسب الحلال، وبيَّن لك الحلال، وفصَّلَ ما حرَّمه؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، فصَّل لكم المحرَّمات وبيَّنها، فما بَقِيَ، فإنه حلال، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، يعني: كلُّ ما في الأرض، خلَقَهُ الله لكم.

فعلينا أن نعتقِدَ أن الرزق من الله تعالىٰ، ومن أسماء الله: الرزَّاقُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ويقولُ الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ويقول الله تعالىٰ بعدما أمر عباده ببعض الأوامر: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، والله هو الرازق وحده، ولكنَّ العباد قد يكون علىٰ أيديهم أو بواسطتهم شيءٌ من الرزق؛ يسخِّرهم الله تعالىٰ، فيسخِّر هذا لهذا؛ حتىٰ يعطيه ويمُدَّ له ما يقتات به وما يتغذَّىٰ به؛ فيقال: هذا رزقٌ من فلان، أو نقول: هذا رزقٌ رزقنيه الله بواسطة فلان؛ فالله تعالىٰ خير الرازقين.

هو الذي يرزُقُ وحده، وهو الذي يسخِّرُ قلوب هؤلاء ليعطفوا علىٰ الفقراء؛ فيرزقوهم ويعطوهم ويكسوهم ويتصدَّقوا عليهم؛ فالرزقُ أصلًا من الله تعالىٰ وحده، ولكن يجعله علىٰ أيدي بعض الناس، يجعله سببًا.

ولهذا ذكروا عن بعض الصالحين: أنه اشتكىٰ إليه أحدُ تلامذته الفقر والجوع، فكتَبَ له أبياتًا[1]، وقال: اعْرِضْها علىٰ أول مَنْ تجده:

---

(١) البيتان لإبراهيم بن أدهم. ينظر: حلية الأولياء (٨/ ٣٨)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦/ ٣٢٩).

أَنَـا حَامِـدٌ أَنَـا شَـاكِرٌ أَنَـا ذَاكِـرٌ ... أَنَـا جَائِـعٌ أَنَـا حَاسِـرٌ أَنَـا عَـارِي
هِـيَ سِـتَّةٌ وَأَنَـا الضَّمِينُ بِنِصْفِهَـا ... فَكُـنِ الضَّمِينَ بِنِصْفِهَـا يَـا بَـارِي

فلمَّـا خـرَجَ بهـذه الورقـة، رأىٰ فارسًـا مقبِـلًا، فمدَّهـا إليـه، فلمـا قرأهـا، استتبعه، وعطَـفَ الله قلبَـهُ عليـه، وأعطاهـم مـا يقتاتـون بـه.

ولا شـكَّ أن هـذا من الوسـائل، وأن الإنسـان يطلُـبُ الرزق، ولو بواسـطةِ بعـض الخلـق الذيـن جعَـلَ الله تعالـىٰ علـىٰ أيديهـم شـيئًا مـن المـال، وليـس في ذلـك غضاضـةٌ.

وبكلِّ حـالٍ: فالـرزقُ أصلـه مـن الله تعالـىٰ، وهـو المسبِّـبُ له، سـواءٌ فعَلَ العبـد الأسـباب فنجَحَـتْ، أو فعلهـا ولـم تنجـح؛ فعليـه أن يفعـل الأسـباب، ثـم بعـد ذلـك يثـق بـأن الله تعالـىٰ هـو المسبِّب.

قـال الله تعالـىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة:٦٣-٦٥]، لـو شـاء الله تعالـىٰ، لجعَـلَ هـذه الـزروع حطامًـا، فأخبَـرَ بأنهـم يزرعـون؛ فيَحْرُثـونَ الأرض، وينثُـرُونَ الحَـبَّ في الـتراب، ثـم يسـقونه بالمـاء، ثـم ينبُـتُ، ثـم يصيـر زرعًـا، ثـم يحصُدُونَـهُ ويجمعـون منـه القمـح والأقـوات، ولـو شـاء الله تعالـىٰ، لَمَـا أنبتَـتِ الأرض، ولـو شـاء لسـلَّط عليـه ريحًـا، أو مرضًـا، أو ظمَـأً، فأصبَـحَ حطامًـا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾.

إذن: فالأصـلُ أن الله تعالـىٰ هـو الـذي يـرزُقُ مـن يشـاء بغيـر حسـاب، فنؤمـن بـأن الله يـرزُقُ كلَّ حـيٍّ مخلـوق، والمخلـوقُ مـع ذلـك مأمـورٌ أن يبـذل السـبب، وأن يطلـب الـرزق، وإذا بذلـه، فـالله تعالـىٰ يتكفَّـل لـه بالـرزق.

فالآياتُ التي فيها الأمرُ بالاكتساب مقيَّدةٌ بالآيات التي فيها أن الله تعالىٰ هو مسبِّبُ الأسباب:

فإذا قرأتَ قولَ الله تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، فهذا مدحٌ لهم، أو إقرارٌ لهم أنهم يسافرون في الأرض يتطلَّبون الرزق.

وكذلك إذا قرأتَ قولَ الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان: ٢٠]، فهم يمشون في الأسواق، يطلُبُونَ الرزق حتىٰ يقتاتوا به؛ فالله تعالىٰ هو الذي أباح ذلك لهم، وأمَرَهم به.

وإذا قرأتَ قولَ الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]، أي: امشوا واطلبوا الرزق بما أقدَرَكُمُ الله تعالىٰ؛ فهو سبحانه أعطاكم الأرجُلَ فتتمكَّنون من المسير والتنقُّل من بلد إلىٰ بلد، وكذلك أعطاكم الأيدي تتمكَّنون بها من الصناعة، ومن الحِرْفة ومن العملِ اليدويِّ الذي تحصُلُونَ منه علىٰ رزق تقتاتون به وتقوتون مَنْ تحت أيديكم؛ فالإنسانُ ما دام طفلًا صغيرًا، فإن الله يحنِّن عليه قلبَيْ أبويه، فيعطفان عليه ويعطيانه ويغذِّيانه، فإذا ترعرع وكَبِرَ وقَوِيَ، فهو مأمور أن يتطلَّبَ لنفسه ويتكسَّبَ، والله تعالىٰ يعينه إذا استعان به.

والآياتُ التي فيها الإخبار بأن الرزقَ من الله مقيَّدةٌ بالآيات الأخرىٰ؛ فمثلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، يعني: أن الله يرزقها ويؤتيها رزقها؛ فما رأينا غالبًا دابَّةً

ماتت من الجوع، إلا أن تُحْبَسَ أو نحوه؛ فكلُّ الدوابِّ والحَشَراتِ والطيورِ يرزقها الله؛ أخبَرَ النبيُّ ﷺ بأنه يأتيها رزقها؛ يقولُ في الحديث: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[1]؛ فالطيورُ لا تجلس في أوكارها، بل تتقلَّب، وتذهب تطلب الرزق وتقع عليه، ولكنْ جعَلَ الله تعالىٰ لها رزقًا يناسبها تجده، والوحوشُ كذلك؛ فما رأينا مثلًا شيئًا من الوحوش، ولا من السباع، ولا من الحَشَرات يموتُ جوعًا، بل يسهِّلُ الله تعالىٰ له رزقه، ويرزُقُهُ؛ فيتغذَّىٰ، ويقتات، كلُّها مأمورةٌ، وقد جعل الله من طبعها أنها تتقلَّب، وتطلب الرزق، والله تعالىٰ هو الذي يرزُقُها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦]، يعني: أن الله خلَقَ لها رزقًا، وأوجَدَهُ، ولكنْ مِنْ طبعها: أن تذهبَ وتأكُلَ ما تجده، وتتطلَّبَ في الأرض، والله يسهِّلُ لها الرزق الذي ييسِّره، وتتقوَّت هي به وتتغذَّىٰ.

فعُرِفَ بذلك: أن رزق الله تعالىٰ ميسَّرٌ لكلِّ مخلوق، ويدخُلُ في ذلك:

رزقُ الغذاء: الذي به قوام الحياة، وهو الذي يضمنه الله لمن أبقاه من خلقه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾؛ ضَمِنَ اللهُ أنه يرزق الدوابَّ كلَّها.

كلمةُ «دَابَّةٍ»: هي كلُّ ما يَدِبُّ علىٰ الأرض[2]، ويدخُلُ فيها: الطيور،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٠٥)، والترمذي، أبواب الزهد، باب في التوكُّل علىٰ الله، حديث رقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكُّل واليقين، حديث رقم (٤١٦٤)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) ينظر: المصباح المنير (١/ ١٨٨): (د ب ب).

ولو كانت تسمَّىٰ طيورًا في الآيات الأخرىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، قسَّمهم إلىٰ قسمَيْن: دابَّةٍ، وطيرٍ، ولكنْ من المعلوم: أن الطير لا يستغني عن الوقوع في الأرض؛ لأنَّ رزقه يكون في الأرض أصلًا، فهو يَدِبُّ علىٰ الأرض؛ فيدخل في الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾؛ فضَمِنَ الله تعالىٰ الرزقَ لمن أبقاه.

وقد اختُلِفَ: هل يسمَّىٰ الحرامُ رزقًا؟

والصحيحُ: أنه رزق؛ لأن الله هو الذي يسَّره، ولكنْ حرَّم تعاطيه وتكسُّبه، ومع ذلك فالحرامُ رزق، مَنْ تغذَّىٰ به، فقد تغذَّىٰ بما وصل إليه، ولكنه منهيٌّ عن أن يتعاطاه؛فالله هو الذي رزقه من حلال، أو من حرام.

وقولُ المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكذلك: رِزْقَ الزِّينةِ الفاضلَ عمَّا يَحْيا به)**:

رزقُ الزينةِ، يعني: الزائدَ عن حاجته؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف:٣٢]، وهذه الطيِّباتُ للذين آمنوا في الحياة الدنيا، ولكنها مشتركةٌ بينهم وبين غيرهم، وأمَّا في الآخرة، فإنها خاصَّةٌ بأهل الإيمان: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ويدخُلُ في الزينة: الأكسية والألبسة، ونحوها؛ كالكماليَّات التي تكون بها الحياة من المساكن، والمراكب، والفُرُش، والأواني، والأدواتِ التي تستعمل، كلُّها من زينة الدنيا التي زيَّنها الله تعالىٰ للناس؛ كما قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران:١٤]، كلُّ هذه من زينة الدنيا التي زيَّنها الله تعالىٰ للناس، وأباح لهم أن يستعملوا منها ما هو حلال، ولكنَّ هذا كله متاع يأخذون منه ما يتمتَّعون في هذه الحياة، إلىٰ أن تنتهي أعمارهم.

عقيدة أهل السنة
أنَّ الله خالِقُ الشياطينِ ووساوِسِهم

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويؤمنون بأنَّ الله تعالىٰ خلَقَ شياطينَ تُوَسْوِسُ للآدميين، ويختدعونهم[1]، ويُغْرُونهم، وأنَّ الشيطانَ يتخبَّطُ الإنسانَ].

الشَّرح

يؤمن أهل الحديث: بأن الله تعالىٰ سلَّط الشياطين علىٰ الإنسان، ولو شاء لأهلك الشياطين، وأوَّلُهم: إبليس اللعين الذي امتنع عن السجود لآدم، وتكبَّر؛ ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، ولمَّا طرده الله ورجمه، وقال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر:٣٤-٣٥]، سأل الإنظار، فقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]؛ أَنظِـرْني، يعني: أخِّرني، وأَمْهِلْني[2]، فأمهله الله، وأنظره: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧- ٣٨]؛ فبقِيَ مُعمَّرًا هو وذريته، فصاروا يتسلَّطون علىٰ جنس الإنسان.

أقسَمَ إبليسُ أن يُضِلَّ جنسَ الإنسان، وأن يُخرِجَهم من النور إلىٰ الظلمات؛ كما قال تعالىٰ عنه: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨-١١٩]، وقال أيضًا: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]؛ هكذا التزَمَ أن يتسلَّط

---

(١) في طبعة الخميس: «ويخدعونهم».

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٦٥)، وتاج العروس (١٤/ ٢٤٩): (ن ظ ر).

عليهم، ويوسوس لهم، ويحاول إغواءهم وإغراءهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:٢٠]؛ فالله تعالىٰ هو الذي سلَّط علىٰ الإنسان هذا العدوَّ من الشياطين؛ كما قال النبيّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَىٰ الدَّمِ»[١]؛ ينفُذُ في جسد الإنسان مع العروق، ويصل إلىٰ ما يصل إليه الدم، والدمُ معروفٌ أنه في كل جزء من أجزاء البدن؛ فمعناه: أنه يلابس الإنسان.

لكنْ يقول العلماء: إن الله تعالىٰ أعطىٰ الإنسان سلاحًا يتقوَّىٰ به، وقد ورد في بعض الكتب أن الأمور التي تُحرِزُ من الشيطان عشَرةٌ، ذكرها ابن القيِّم في «بدائع الفوائد»[٢]، في تفسير المعوذتَيْن لما أتىٰ علىٰ سورة الناس، وفيها: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس:٤]، ذكر أن الأمور التي تُحرِزُ من الشيطان عشَرةٌ:

بدأها بالاستعاذة، أن تقولَ: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم»؛ كما أمرنا الله تعالىٰ بذلك، ثم ذكَرَ منها: الذِّكْرَ، وأن ذكر الله تعالىٰ يطرُدُ الشياطين، وكذلك العملُ الصالح، ودعاءُ الله تعالىٰ وسؤاله: سبب لطرد الشياطين، ومنها: القراءة، وبالأخصِّ: قراءةُ آية الكرسي؛ فإنها وسيلةٌ من وسائل طرد الشيطان وحماية الإنسان من الشيطان؛ كما ورد ذلك في الحديث[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، حديث رقم (٢٠٣٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يُستحَبُّ لمن رئي خاليًا بامرأة، وكانت زوجته أو مَحْرَمًا له أن يقول: هذه فلانةُ ليدفع ظنَّ السوء به، حديث رقم (٢١٧٥)، من حديث علي بن الحسين رضي الله عنه.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٤٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكَّل رجلًا فتركَ الوكيلُ شيئًا، فأجازه الموكِّل، فهو جائز، وإن أقرضه إلىٰ أجل مسمًّىٰ، جاز، حديث رقم (٢٣١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه قصة.

وكذلك مجالسُ العلم، ومجالسُ الخير سببٌ لطرد الشياطين، وسببٌ لنزول الملائكة، وكذلك حمايةُ الإنسانِ نفسَهُ من المعاصي سببٌ لطرد الشياطين؛ لأن المعاصي يتسلَّط بواسطتها الشيطان علىٰ الإنسان، وهكذا مجالسةُ الصالحين سببٌ لطرد الشياطين، وكذلك خَتْمُ اليوم أو الليلة بخاتمة حسنة - كذكر، أو دعاء - سببٌ أيضًا لطرد الشياطين.

والشيطانُ عدوٌّ للإنسان؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦]، فإذا عرفنا أنه عدوٌّ لنا، فعلينا أن نتحصَّنَ منه؛ حتىٰ لا يتسلَّط علينا.

وقد أخبَرَ الله تعالىٰ بأنه يوسوسُ في صدور الناس: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[الناس: ٥]، وأخبَرَ باسمه: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾[الناس:٤]، الوَسْوَاسُ هو: الذي يقذفُ الوسوسةَ في القلب، والخَنَّاسُ هو: الذي ينخنس، يعني: ينخزل، ويستخزي؛ يقولون: إنه وسواسٌ عند الغَفْلة، وخنَّاسٌ عند الذِّكْر [١]، فإذا ذكَرَ العبد ربَّه، واستعاذ به، انخنَسَ الشيطان وانخزل، وذلَّ وهان وابتعَدَ عنه، وإذا غفَلَ العبد، وسوَسَ إليه وألقىٰ في قلبه الوساوس والأوهام.

أخبَرَ الله أنهم يخدعونهم ويُغْرُونهم؛ كما في قوله تعالىٰ عن الشيطان: ﴿قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾[الإسراء:٦٣-٦٤]، قيل: إنَّ من أصواته: الغناء [٢]، وقال: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٨١)، وأضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٢٧).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٦٥٦).

بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤]، يعني: بقوَّاتك وما تَمْلِكه، وقال: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤]، وقال: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠]، وهذه المواعيدُ تكونُ في قلبِ الإنسان، بأن يُلْقِيَ في قلبه: أنك إذا فعَلْتَ كذا، حصَلَ لك، وحصَلَ لك.

وأوَّلُ ذلك: وسوسته للأبوَيْن؛ قال الله تعالىٰ عنه: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠]، هذه حيلة من الشيطان: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾، الشجرة التي نُهِيا عنها! وقال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢١-٢٢]؛ فهذه حِيَلُ الشيطان.

وقد ذكَرَ الله أن الشيطان يتخبَّطُ الإنسانَ؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]؛ كأنه يتسلَّط عليه، فيغلب عليه، فيقوم ويسقُطُ، ويقوم ويسقُطُ، كالذي تسلَّط عليه جِنِّيٌّ فصار يصرعه؛ فالشيطان يتسلَّط علىٰ الإنسان ويلابسه ويصرعه ويتقوَّىٰ عليه، ولكنْ عليه أن يستعيذ بالله من شرِّه، وأن يتحفَّظ بالله تعالىٰ منه؛ حتىٰ يحفظه، ومن اعتصم بالله تعالىٰ، عصَمَهُ، وأعانه.

عقيدة أهل السنة
الإيمانُ بوجود السِّحْر والسَّحَرة

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وأنَّ في الدنيا سِحْرًا وسَحَرةً، وأنَّ السِّحْرَ واستعمالَهُ كفرٌ مِنْ فاعله معتقِدًا له نافعًا ضارًّا بغيرِ إذْن الله].

الشَّرح

من عقيدة أهل السنة وأهل الحديث: أن في الدنيا سِحْرًا وسَحَرَةً، وأن السحر واستعماله كُفْرٌ، من فاعله؛ إذا فعله معتقدًا أنه نافعٌ ضارٌّ بغيرِ إذنِ الله تعالىٰ، ومَنِ اعتقَدَ أن السحرَ يقومُ بغيرِ قُدْرَةِ اللهِ، أو بغيرِ إذنه، فقد كَفَرَ.

وعمَلُ السحرةِ معلومٌ أن الله تعالىٰ سمَّاه كفرًا، ووصف أهله بما يقرُبُ من الكفر؛ فلأجلِ ذلك يحذِّرُ منه العلماء، ثم يعتقدون أنه لا يكون إلا بإذن الله، وأن الضرر الذي يصير فيه إنما هو بقَدَرِ الله تعالىٰ وبقضائه.

وسبَبُ ذكرِ السحرِ في هذه العقيدة: أن المعتزلة أنكروا وجوده إنكارًا عجيبًا، عنادًا منهم؛ وإلا فإنَّ وجودَ السَّحَرةِ مشاهد، ووجودُ أعمالهم السحرية؛ ولذلك فأهلُ السنة يُقِرُّونَ بوجود السحر، ويقولون: إنه لا يكون إلا بإذن الله الكَوْنيِّ القَدَريّ.

وقد دلَّ علىٰ وجوده وتأثيره الكتابُ والسُّنَّةُ؛ فقد ذكر الله تعالىٰ ما يحصُلُ من الشياطين، وتعليمَهُمُ السحر في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، ولا شكَّ أن هذه الآية صريحةٌ في وجود سحر، وأنه يؤثِّر ويضُرُّ، وأن منه ما يقتُل ويُمْرِض، ويفرِّق بين المرء وزوجه، ولكنْ بإذن الله تعالىٰ الكَوْني القدري، لا الشرعيِّ الديني؛ فإن الله تعالىٰ حرَّم الإضرار بالمسلمين، دينًا وشرعًا، ولكنْ أعطىٰ السحرة قُدْرةً خاضعةً لقدرته تعالىٰ، يؤثِّرون بها في المسحورين؛ فمن السحر ما يقتُلُ، ومنه ما يُمرِض، ومنه ما يحصُلُ به الانصراف الكليُّ عن الزوجة، أو عن الأهل، أو عن المال، أو ما أشبه ذلك.

ومن الأدلَّة أيضًا: أَمْرُ الله تعالىٰ بالاستعاذة من السحرة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[الفلق:٤]، وهنَّ: السواحِرُ، فلولا أن لهنَّ شرًّا يضُرُّ ويؤثِّر، لَمَا أمر بالاستعاذة من شرهنَّ.

والذين قالوا: ليس له حقيقة، استدَلُّوا بما حكىٰ الله تعالىٰ عن سحرة فرعون؛ قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٦-٦٩].

ذكروا أن السحر كان منتشرًا وفاشيًا في عهد فرعون، وأن هناك سحرةً مشهورين بتعلُّم السحر، فلما أخبرهم فرعون أن موسىٰ قلَبَ عصاه حَيَّةً

تسعىٰ، جاؤوا بحبالٍ وعِصِيٍّ، فألقَوْها في الوادي، فصارت كلُّها كأنها حيَّات تضطربُ وتسعىٰ، ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾، فذكر العلماء(١): أن هذا خيال؛ ولذلك قال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾، يعني: ليس له حقيقة، وإنما هو خيال؛ وذلك لأن السحرة قد يلبِّسون علىٰ أعيُنِ الناظرين، فيُوهِمُونهم ما لا حقيقة له، ويخيِّلون إليهم أشياء يعتقدون أنها حقيقة، وهي خيالات؛ هذا معنىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾.

وبكلِّ حالٍ: فإن السِّحْرَ له حقيقة.

ومن الأدلة عليه: ما ثبَتَ في صحيح البخاريِّ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن يهوديًّا سحَرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قالت عائشة: «**حَتَّىٰ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ**»(٢)، وفي رواية: «**حَتَّىٰ كَانَ يَرَىٰ أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ**»(٣).

إنَّ العمَلَ الذي عمله لَبِيدُ بنُ الأعصمِ اليهوديُّ، لم يكن في عقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن الله تعالىٰ قد عصَمَهُ وحفظه، ولكنه فيما يتعلَّق بالنساء؛ فكأنه صار حائلًا بينه وبين نسائه، يخيَّلُ إليه أنه يأتيهِنَّ، وما يأتيهِنَّ، أو حال بينه وبين القُدْرة الجنسية، والله أعلم.

فالحاصلُ: أن هذا السحر مما أثَّر فيه، فلمَّا دلَّه الله تعالىٰ علىٰ موضع السحر، وأخرجه، بطَلَ عمله، وقام كأنما نَشِطَ من عِقَالٍ، وقال: «**أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي...**»(٤)؛ فلذلك استُدِلَّ به علىٰ أنه قد يؤثِّر في هذا النوع.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بَدْء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٢٦٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب السحر، حديث رقم (٢١٨٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب هل يُستخرَجُ السِّحْرُ، حديث رقم (٥٧٦٥)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه قال سفيان بن عيينة: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحرِ.

(٤) جزء من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السابق.

ومـن المشـاهَدِ: أن السـحرة يعملـون مـن السـحر مـا يُبْطِلُـونَ بـه شـهوةَ الرجل حتىٰ لا يستطيعَ أن يـأتي امرأتـه، إذا قَـرُبَ منهـا، بطَلَـتْ شـهوته؛ فهـذا ممـا يسـتطيعون أن يعملـوه.

ومـن ذلـك أيضًـا: الحديـثُ الـذي أورده ابـن كَثِيـرٍ، ورواه ابـن جريـر، عـن عائشـة: «قَدِمَـتْ عَلَـيَّ امْـرَأَةٌ مِـنْ أَهْـلِ دُومَـةِ الْجَنْـدَلِ، جَـاءَتْ تَبْتَغِي رَسُـولَ الله ﷺ بَعْدَ مَوْتِـهِ حَدَاثَـةَ ذَلِـكَ، تَسْـأَلُهُ عَـنْ شَـيْءٍ دَخَلَـتْ فِيـهِ مِـنْ أَمْـرِ السِّـحْرِ، وَلَـمْ تَعْمَـلْ بِـهِ، قَالَـتْ عَائِشَـةُ لِعُـرْوَةَ: يَـا ابْـنَ أُخْتِـي، فَرَأَيْتُهَـا تَبْكِـي حِيـنَ لَـمْ تَجِدْ رَسُـولَ اللهِ ﷺ فَيَشْـفِيَهَا، كَانَـتْ تَبْكِـي حَتَّـىٰ إِنِّـي لَأَرْحَمُهَـا، وَتَقُـولُ: إِنِّـي لَأَخَـافُ أَنْ أَكُـونَ قَـدْ هَلَكْـتُ، كَانَ لِـي زَوْجٌ، فَغَـابَ عَنِّـي، فَدَخَلَـتْ عَلَـيَّ عَجُـوزٌ، فَشَـكَوْتُ ذَلِـكَ إِلَيْهَـا، فَقَالَـتْ: إِنْ فَعَلْـتِ مَـا آمُـرُكِ بِـهِ، فَأَجْعَلُـهُ يَأْتِيـكِ، فَلَمَّـا كَانَ اللَّيْـلُ، جَاءَتْنِـي بِكَلْبَيْـنِ أَسْـوَدَيْنِ، فَرَكِبَـتْ أَحَدَهُمَـا، وَرَكِبْـتُ الْآخَـرَ، فَلَـمْ يَكُـنْ كَشَـيْءٍ حَتَّـىٰ وَقَفْنَـا بِبَابِـلَ، فَـإِذَا بِرَجُلَيْـنِ مُعَلَّقَيْـنِ بِأَرْجُلِهِمَـا، فَقَـالَا: مَـا جَـاءَ بِـكِ؟ فَقُلْـتُ: أَتَعَلَّـمُ السِّـحْرَ؟ فَقَـالَا: إِنَّمَـا نَحْـنُ فِتْنَـةٌ؛ فَـلَا تَكْفُـرِي وَارْجِعِـي، فَأَبَيْـتُ، وَقُلْـتُ: لَا، فَقَـالَا: اذْهَبِـي إِلَـىٰ ذَلِـكِ التَّنُّـور، فَبُولِـي فِيـهِ؛ فَذَهَبْـتُ فَفَزِعْـتُ، فَلَـمْ أَفْعَـلْ، فَرَجَعْـتُ إِلَيْهِمَـا، فَقَـالَا: أَفَعَلْـتِ؟ قُلْـتُ: نَعَـمْ، فَقَـالَا: فَهَـلْ رَأَيْـتِ شَـيْئًا؟ قُلْـتُ: لَـمْ أَرَ شَـيْئًا، فَقَـالَا لِـي: لَـمْ تَفْعَلِـي، ارْجِعِـي إِلَـىٰ بِـلَادِكِ وَلَا تَكْفُـرِي، فَأَبَيْـتُ، فَقَـالَا: اذْهَبِـي إِلَـىٰ ذَلِـكِ التَّنُّـورِ، فَبُولِـي فِيـهِ، فَذَهَبْـتُ، فَاقْشَـعْرَرْتُ وَخِفْـتُ، ثُـمَّ رَجَعْـتُ إِلَيْهِمَـا، فَقُلْـتُ: قَـدْ فَعَلْـتُ، فَقَـالَا: فَمَـا رَأَيْـتِ؟ فَقُلْـتُ: لَـمْ أَرَ شَـيْئًا، فَقَـالَا: كَذَبْـتِ لَـمْ تَفْعَلِـي، ارْجِعِـي إِلَـىٰ بِـلَادِكِ، وَلَا تَكْفُـرِي؛ فَإِنَّـكِ عَلَـىٰ رَأْسِ أَمْـرِكِ، فَأَبَيْـتُ، فَقَـالَا: اذْهَبِـي إِلَـىٰ ذَلِـكِ التَّنُّـورِ، فَبُولِـي فِيـهِ، فَذَهَبْـتُ إِلَيْـهِ، فَبُلْـتُ فِيـهِ، فَرَأَيْـتُ فَارِسًـا مُتَقَنِّعًـا بِحَدِيـدٍ خَـرَجَ مِنِّـي، حَتَّـىٰ

ذَهَبَ فِي السَّمَاءِ، وَغَابَ عَنِّي حَتَّىٰ مَا أَرَاهُ، فَجِئْتُهُمَا، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَا: مَا رَأَيْتِ؟ فَقُلْتُ: فَارِسًا مُتَقَنِّعًا خَرَجَ مِنِّي، فَذَهَبَ فِي السَّمَاءِ حَتَّىٰ مَا أَرَاهُ، فَقَالَا: صَدَقْتِ؛ ذَلِكِ إِيمَانُكِ خَرَجَ مِنْكِ، اذْهَبِي، فَقُلْتُ لِلْمَرْأَةِ: وَاللهِ، مَا أَعْلَمُ شَيْئًا، وَمَا قَالَا لِي شَيْئًا، فَقَالَتْ: بَلَىٰ، لَنْ تُرِيدِي شَيْئًا إِلَّا كَانَ، خُذِي هَذَا الْقَمْحَ فَابْذُرِي، فَبَذَرْتُ، فَقُلْتُ: أَطْلِعِي، فَأَطْلَعَتْ، وَقُلْتُ: أَحْقِلِي، فَأَحْقَلَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: أَفْرِكِي، فَأَفْرَكَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيْبِسِي، فَأَيْبَسَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: أَطْحِنِي، فَأَطْحَنَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: أَخْبِزِي، فَأَخْبَزَتْ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنِّي لَا أُرِيدُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ، سُقِطَ فِي يَدِي وَنَدِمْتُ وَاللهِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ مَا فَعَلْتُ شَيْئًا قَطُّ وَلَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا»(١).

فهذه المرأةُ تعلَّمت من هذَيْنِ أنها لا تأمُرُ بشيء إلا حصَلَ؛ فهذا نوع مما يدُلُّ علىٰ أن للسحر حقيقةً.

أما وقائعُ الناس: فهي شيء كثير وواسع، وهي أمر مشاهد.

وإذا قلتَ: كيف يتمكَّن الساحر -وهو بشَرٌ مثلنا- من أن يَقْلِبَ الإنسان إلىٰ حمار، أو إلىٰ فرَسٍ مثلًا، أو إلىٰ قِطٍّ، أو إلىٰ وَعْل؟ أو كيف يقلب قلب الإنسان من قلبٍ مستقيمٍ إلىٰ قلبٍ منحرِف؟ أو كيف يؤلِّف بين الاثنين، أو كيف يفرِّق بينهما ويُوقِعُ بينهما الوحشة مع كونهما متحابَّيْنِ، أو نحو ذلك؟ يعني: كيف يتمكَّن الإنسان من هذا العمل الذي فيه قلبٌ للحقائق وتغييرٌ لها؟!

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٥٣)، وعنه ابن كثير (١/ ٣٦٠). وهذه القصة مخرجة في مستدرك الحاكم، كتاب البر والصلة، حديث رقم (٧٢٦٢)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي، (٧/ ١٢٨٩) حديث رقم (٢٢٧٩)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي، كتاب القسامة، باب قبول توبة الساحر وحقن دمه بتوبته، حديث رقم (١٦٥٠٥).

أجاب العلماء: بأن الإنسان لا يفعلُ شيئًا، ولا يَقْدِرُ علىٰ شيء يخالف الطبائعَ الأصليَّة، وإنما تفعلُ ذلك الشياطين، وتَقْلِبُ هذه الأشياء إلىٰ شيءٍ آخَرَ مخالِفٍ لطبعها؛ ذلك لأن الشيطان له قدرةٌ علىٰ ملابسة الإنسان ومماسَّته، وكذلك الساحر قد يكون عنده قدرةٌ علىٰ تسخير قوم من الجِنّ، ثم تسليطهم علىٰ من يريد، فإذا سلَّط الجِنِّيَّ الذي هو من جنوده علىٰ فلان، فلابسه؛ فإنه قد يغيِّر هيكله؛ وقد يقلب صورته، وقد يحوِّله إلىٰ حيوان بَهِيم؛ كما يُذكَرُ ذلك في الحكايات، ونحوها.

يُذكَرُ أن ساحرًا، أو ساحرةً قلَبَتْ إنسانًا إلىٰ حصان أو فرس، وأن ساحرًا قلَبَ إنسانًا إلىٰ وَعْلٍ له قرون، والحكاياتُ في ذلك مشاهدة وكثيرة.

فالشيطانُ هو الذي يؤثِّر، وهو الذي يلابسُ الإنسانَ المسحورَ الذي عمل له، فيستطيع -بإذن الله- أن يغيِّر هيكله، وأن يقلب صورته، وأن يقلب مودَّته، وأن يغيِّر محبَّته إلىٰ بُغْض، أو بغضَهُ إلىٰ محبَّة، أو ما أشبه ذلك؛ فهذا من الشيطان لا من الإنسان الساحر؛ فإنه ليس عنده القدرة، ولا التمكُّن؛ فحقيقة السحر ليس بفعل الإنسان، ولكنْ بفعل الشياطين الذين يسخِّرهم الساحر.

وقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنَّ السِّحْرَ واستعمالَهُ كفرٌ مِنْ فاعله)**:

أي: أنَّ الساحرَ كافرٌ، والدليل عليه: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]؛ وذلك لأن اليهود اتَّهموا سليمانَ بأنه ساحرٌ، فقالوا: كيف يَرْكَبُ علىٰ الرِّيح؟! وكيف تحمله الريح وهو علىٰ بساطه، فيسيرُ مسيرةَ شهرٍ في نصف يوم؟! كما

قال تعالىٰ: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢]؛ وكيف سُخِّرَ له الجن؟! كما أخبَرَ الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧-٣٨]؛ فلابدَّ أنه ساحر.

فنزَّه الله سليمان، وبيَّن أنه نبيٌّ، وهذه كرامة ومعجزة.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ -الذين يعلِّمون الناسَ السحرَ- ﴿كَفَرُوا۟﴾؛ وهذا دليل علىٰ أن من تعلَّم السحر منهم، فإنه تعلَّم الكفر.

ومن الأدلَّة علىٰ كفره أيضًا: قوله تعالىٰ في الآية نفسها: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، يقولون له: لا تكفُرْ، أي: لا تتعلَّمِ السحرَ؛ فإن ذلك كفر.

ومن المعلومِ: أن الساحر الذي يتعلَّم السحر، وتخدُمُهُ الشياطين، لا تخدُمُهُ إلا بعدما يخدُمُها، فالساحرُ يخدم الشياطينَ ومَرَدةَ الجن؛ فلأجل ذلك يصيرون طَوْع إشارته، وتحت أمره؛ فيلابسون مَنْ يريد ملابستهم، ويُضِرُّونَ من يريد إضراره، ومن يسلِّطهم عليه؛ فهو يخدمهم ويعبدهم، لا يطيعونه أول الأمر، بل لا بدَّ أن يطلبوا منه أن يتقرَّب إليهم.

فكثيرًا ما يُذكَرُ أنهم يذبحون للجن أو للشياطين من دون الله، وهم يَرْضَوْنَ أن يذبح ولو عصفورًا أو دجاجةً أو نحو ذلك، باسم الشيطان الفلاني، أو نحوه، والسحرةُ ربما يَدْعُونَ الشيطان، ويسجُدُونَ له حال ندائهم له من دون الله، والنداءُ لا شك أنه شرك أو كفر، فإذا ناداه ودعاه، استجاب له ولبَّىٰ طلبه، فيسجُدُ له من دون الله تعالىٰ، فيكونُ قد أشرَكَ بدعائه مع الله، وبالسجود له، وبالذبح له من دون الله تعالىٰ.

وهكذا قد يحملونه علىٰ أن يتركَ العبادات؛ كالصلوات، والصوم، وباقي الفرائض؛ كل ذلك ليتحقَّق أنه أطاعهم طوعًا ظاهرًا.

ومن المعروف: أنَّ الشياطين يألفون النجاسات، والقاذورات، وما أشبهها؛ فلذلك يطلبون منه إذا أراد أن يستخدمهم أن يستعمل النجاسات؛ فربما يلطِّخ بدنه بالدماء، أو بالأبوال، أو بالعَذِرة، أو غيرها؛ ولأجل ذلك أُمِرَ الإنسان إذا دخل الخلاء أن يستعيذ من شرورهم، يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»[١]، أي: ذُكْرَانِ الشياطينِ وإِنَاثِهم.

وأمَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتَّسَتُّرِ إذا دخل الإنسان الخلاء، وقال: «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِمَقَاعِدِ بَنِي آدَمَ**»[٢]، وأخبَرَ أن: «**هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ**»[٣]، يعني: الأماكنَ التي يُتخلَّىٰ فيها.

فإذا خدَمَهم الساحر بأن تلبَّس بالنجاسات، وتلطَّخ بها، عرفوا أنه صار طَوْعَ إشارتهم، فأصبَحَ خادمًا لهم، وأصبحوا خُدَّامًا له مسخَّرين؛ حتىٰ لا يستطيعوا أن يتخلَّوْا عن أمرٍ يشيرُ به إليهم، فيستطيعُ أنه يسخِّرَ -مثلًا- مائةَ عِفْرِيت، أو مئاتٍ من العفاريت والجن؛ فيقول: يا هذا،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، حديث رقم (١٤٢)، ومسلم، كتاب الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، حديث رقم (٣٧٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٨٨٣٨)، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب الاستتار في الخلاء، حديث رقم (٣٥)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب الارتياد للغائط والبول، حديث رقم (٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٩٢٨٦)، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء حديث رقم (٦)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء حديث رقم (٢٩٦)، من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تسلَّط علىٰ فلانٍ، أو علىٰ فلانةَ، لَابِسْ فلانًا، فإذا لابسه، فقُدِّرَ مثلًا أنه مات، سلطَ آخَرُ، وقال: اذهَبْ وحُلَّ مَحَلَّه، ونحو ذلك.

ما خدموه إلا لأنه خَدَمهم، ولأنه كفَرَ بالله، وآمَنَ بهم؛ ولأجل ذلك نعتقد أنه كافرٌ.

هذا هو كُفْرُهُ، أما عقوبتُهُ: فقد اتفق جمهور العلماء[1] علىٰ أنه يُقتَلُ؛ واستدلُّوا بحديث في السنن، عن جُنْدُبِ الخيرِ[2] مرفوعًا: **«حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»**[3]، وفي روايةٍ: **«ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»**[4].

وقالوا في سببه[5]: أنَّ جُنْدُبًا دخَلَ علىٰ بعض الأمراء في عهد بني أُميَّة، وعنده ساحرٌ يفعلُ أشياءَ مستغرَبةً، حتىٰ إنه يُمسِكُ رجلًا فيقطع رأسه، ويبقىٰ رأسه في يده، ثم يردُّه مكانه! وهم ينظرون فيقولون: سبحانَ الله! يُحيي الموتىٰ، وفي اليومِ الثاني: اشتمَلَ جُنْدُبٌ علىٰ سيف،

---

(١) ينظر: المجموع للنووي (١٩/ ٢٤٦)، والاستذكار لابن عبدالبر (٢٥/ ٢٣٧)، والمغني لابن قدامة (١٠ / ١١١)، وحاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠).

(٢) جندبُ الخير الأزديُّ الغامديُّ، يقال: إنه جندب بن زهير، ويُقال: جندب بن عبدالله، ويُقال: جندب بن كعب بن عبدالله، له صحبة، وهو قاتل الساحر عند الأكثر. ينظر: الاستيعاب (١/ ٢٥٨)، وأسد الغابة (١/ ٣٦١)، والإصابة (١/ ٦١٣).

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر، حديث رقم (١٤٦٠)، والحاكم في المستدرك، كتاب الحدود (٤/ ٤٠١)، من حديث جندب بن كعب، قال الترمذي: «والصحيح عن جندب موقوفًا، والعمل علىٰ هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وغيرهم»، وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد».

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ، كتاب القسامة، باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يَسْحَرُ به كلام كفرٍ صريح (٨/ ١٣٦).

(٥) ينظر القصة في: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٥٨٠)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي (٨/ ١٣٥).

واستعاذ بالله من الشياطين، وقرأ بعض الآيات، فلما قَرُبَ من الساحر، ضرَبَهُ بالسيف، فقطَعَ رأسه، وقال: إنْ كان صادقًا، فلْيُحْيِ نفسه! ثم قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**»؛ يعني: إذا حكَمْنا بأنه كافر، فإنه يُقتَلُ.

وفعَلَ ذلك أيضًا بعض الصحابة رضي الله عنهم؛ فقد روي عن عمر؛ كما في صحيح البخاري، عن بَجَالةَ بنِ عَبَدةَ؛ أنه قال: كَتَبَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ إلينا: «**أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ**»، فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ[1]؛ فهذا عمر أحد الخلفاء الراشدين أمَرَ بقتل السحرة.

وكذلك ذكروا أن حَفْصةَ بنتَ عمر -وهي إحدىٰ أمهات المؤمنين- كانت لها جاريةٌ، وكانت قد دبَّرتها -يعني: أعتقتها عن دُبُرٍ[2]- فعملت الجارية لها سِحْرًا، فأمَرَتْ بها أن تُقْتَلَ[3].

والوقائع في ذلك كثيرة تدُلُّ علىٰ أن هذا حدُّ الساحر.

أما الإمامُ الشافعيُّ، فلم يَرَ أنه يُقْتَلُ، ولا أن يكفُرَ، ولكنه يقول: نأتي بالساحر ونقول له: صِفْ لنا سِحْرَكَ، فإذا وصفه بشيء فيه كفرٌ أو شرك، فإننا نكفِّره ونقتله، وإن وصفه بشيء دون ذلك، فلا[4].

ومن المعلوم: أنه إذا أُخبِرَ، وهُدِّدَ بالقتل، فسوف ينكر ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٦٥٧)، وأبو داود، كتاب الخراج، باب في أخذ الجزية من المجوس، حديث رقم (٣٠٤٣).

(٢) قال الخليل بن أحمد في العين (٨/ ٣٣): «التدبيرُ: عِتْقُ المملوك بعد الموت».

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب العقول، باب ما جاء في الغِيلَةِ والسحر (٢/ ٨٧١)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، كتاب الدِّيات، باب الحكم في الساحر (١٢/ ٢٠٢).

(٤) ينظر: المجموع للنووي (١٩ / ٢٤٦).

والحاصلُ: أننا نعرفُ بذلك أن السحر موجود، وأن السَّحَرَةَ يستخدمون الشياطين، وأن الشياطينَ لا تخدُمُهم إلا بعدما يكفرون، ويتقرَّبون إليها بما تحبُّه منهم، وأنهم بذلك يصبحون كفَّارًا، وأن حدَّ الساحر: القتل، وأنه -على الصحيح- يُقْتَلُ حَدًّا، ولا يستتابُ؛ هذا الذي عليه العلماء.

وكذلك أيضًا من اعتقد أنه يكون بغير إذن الله، وأنه ينفعُ ويضُرُّ بغير إذن الله، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]؛ وذلك لأنه لا يكونُ في الوجود إلا ما يريد؛ فالله تعالى هو الذي يسلِّط هؤلاء، ويعطيهم من القوة ما يكون مخالفًا للعادة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ولكنْ أعطاهم وسلَّطهم؛ حتى يكون ذلك علامةً على أنه يفعل ما يشاء، ويحكُمُ ما يريد.

وأما علاجه: فقد ذكر العلماء أن علاجَهُ الناجعَ: بالإيمان بالله تعالى، وبالعمل الصالح، وبقراءة القرآن والأدعيةِ والأورادِ، ونحوها.

ولذلك يقول ابن القيِّم في كلامٍ له: النُّشْرةُ -وهي حَلُّ السحرِ عن المسحور- نوعان(١):

حَلٌّ بسِحْرٍ مثله؛ وهو من عمل الشيطان، ويتقرَّب الناشرُ والمنتشِرُ إلى الشيطان بما يحبُّه؛ فيُبطِلُ عملَهُ عن المسحور؛ وهذا لا يجوز.

يعني: لا يجوز أن تذهب إلى ساحر، وتقول له: «حُلَّ السحر عن فلان»، سواءٌ كان هو الذي عمل السحر، أو غيره؛ فإن هذا إقرارٌ للسحرة، واستخدامٌ لهم.

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٤ / ٣٩٦).

فـإذا عرَفْنـا أن حـدَّ السـاحرِ القتـلُ، فكيـف نُقِـرُّه، ونقـولُ لـه: «حُـلَّ السـحرَ بسِـحْرِك»؟! بـل إذا عرفنـا أنـه سـاحر، فإننـا نبـادِرُ فنقتلـه.

فـلا يجـوزُ حَـلُّ السـحرِ إلا بالرُّقْيـة، وبالقـراءة، وبالأدعيـة النافعـة، وبالأدويـة المفيـدة، ومـا أشـبه ذلـك.

ومـن المعلـوم: أن كثيـرًا ممـن يُبْتَلَـوْنَ ويصابـون بهـذا العمـل الشـيطاني يقولـون: إننـا قرأنـا عنـد فـلان، وقرأنـا عنـد القُـرَّاء، ولـم نَـرَ فائـدةً!

فنقـولُ لهـم: أُتِيتُـمْ مِـن قِبَـلِ أنفُسِـكم؛ متـىٰ تريـد أن تنفعـك الرقيـة، فعليـك بمـا يلـي:

- **أولًا:** نأمُرُكَ أن تصحِّح عقيدتك، وتؤمنَ إيمانًا يقينيًّا بأركان الإيمان، وبأمور الغيب كلِّها.
- **ثانيًا:** لا بـدَّ أن تحافـظَ علـىٰ الأعمـال الصالحـة، وتتقـرَّب بهـا إلـىٰ الله تعالـىٰ.
- **ثالثًا:** لا بـدَّ أن تتنزَّه عن المحرَّمات، والشركيات، والبدع، والمعاصي، والملاهي وآلات الشيطان، وما يحبُّه.
- **رابعًا:** لا بـدَّ أن تعتقد يقينًا أن هـذه القـراءة النافعـة تؤثِّـر؛ فـلا تجعلهـا تجربـة؛ فالـذي يقـول: أنـا أَرْقـي، أو أسـترقي، تجربـةً؛ إن شَـفَتْ وإلا مـا ضَـرَّتْ! لا تفيدهـم؛ فهـي لا تفيـدُ إلا مـع اليقيـن، أن توقـن يقينًـا كالشـمس أنهـا نافعـة، وأنهـا هـي الشـفاء النافـع إذا تمَّـت الشـروط.
- **خامسًا:** أن يكـون الراقـي مـن أهـل الإيمـان، والتقـىٰ، والـورع، ومـن المسـتقيمين علـىٰ طاعـة الله تعالـىٰ؛ فمثـل هـؤلاء -بـإذن الله- رقيتهـم تُفِيـدُ.

ومن أسباب ذلك أيضًا: كونُ الراقي مقتصِرًا علىٰ الأكل الحلال، لا يطعم إلا شيئًا حلالًا ليس فيه شبهة، وقد تأيَّد ذلك بوقائع كثيرة:

ذكروا أن رجلًا كان إذا أُعْطِيَ الإناء ليقرأ فيه، ونفَثَ فيه نفثتَيْنِ أو ثلاثًا، فار الإناء وامتلأ، وصار بإذن الله شفاءً لمن استعمله، إذا تمَّت الشروط، وسببُ ذلك: تنزُّهه عن الحرام، وتقيُّده بالعبادات وبالطاعات، وما أشبهها.

وكذلك أيضًا: كان رجلٌ مجرَّبًا بالشفاء -بإذن الله- إذا رقىٰ علىٰ أحد، فسئل عن ذلك، فأخبَرَ أن أباه عندما حضره الموت، قال له: يا بنيَّ، لا تأْكُلْ إلا من هذا البستان، إيَّاك أن تأكل من غيره؛ فإنه رزقٌ حلال، فاقتصَرَ علىٰ بستانه وفيه نَخْلاتٌ وشَجَراتٌ يسقيها، ويشتري من ثمرتها ما يُصلِحُ هذا، ويتقوَّت بها، ولا يُدخِلُ في بطنه شيئًا من غيرها؛ فكان ذلك سببًا في إجابة دعوته، وسببًا في شفاء مَن يَرْقيهم من المرضىٰ.

- **سادسًا:** أن يستعمل في الرقىٰ الآيات التي ورَدَتِ الرقيةُ بها، وعُرِفَ تأثيرها؛ مثل: آية الكرسي، وآياتِ السحرِ الثلاث في سورة الأعراف، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧- ١١٩].

وفي سورة يونس قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١-٨٢].

وفي سورة طه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٧- ٦٩].

فيقرأُ هذه الآيات، ويقرأُ آيةَ الكرسي، وسورةَ الفاتحة، وسورتَي المعوِّذتين، وسورةَ الإخلاص، وأوّلَ سورة البقرة، وآيتَيْنِ من آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ...﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦]، وأوّلَ سورة آل عمران وآخرها، وآياتٍ من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ [الأعراف: ٥٤]، ثلاثَ آيات، وأوّلَ سورة يونس، وأوّلَ سورة طه، وأوّلَ سورة النحل، وآيتَيْنِ من آخر سورة الإسراء، وعشرًا من أول سورة الصافَّات، وأربعًا من آخر سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

وكذلك الأدعيةُ التي وردَتْ؛ مثلُ قوله: «**بِاسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**»[(١)]، ومثلُ قوله: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[(٢)]، وهي أدعيةٌ مأثورةٌ في ذلك، بإذْنِ الله يكونُ من أثَرِها إبطالُ عمَلِ السحرة.

وقد توسَّعنا في هذا؛ لأنه مما ابتُلِيَ به الناسُ في هذه الأزمنة؛ فلا بدَّ من معرفة علاجه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٤٤٦)، وأبو داود، كتاب أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبَحَ، حديث رقم (٥٠٨٨)، والترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسىٰ، حديث رقم (٣٣٨٨)، من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده علىٰ موضع الألم مع الدعاء، حديث رقم (٢٢٠٢)، من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عقيدة أهل السُّنَّة
مجانبةُ البِدْعةِ والآثامِ ونَحْوِها

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[ويَـرَوْنَ مجانَبـةَ البِدْعـةِ، والآثـامِ، والفَخْـرِ، والتكبُّـرِ، والعُجْـبِ، والخيانـةِ، والدَّغَـلِ والاغتيـالِ، والسِّـعَايةِ، ويَـرَوْنَ كَـفَّ الأذىٰ، وتَـرْكَ الغِيبـةِ إلا لمـن أظهَـرَ بِدْعـةً وهَـوىً يدعـو إليهمـا؛ فالقـولُ فيـه ليـس بغِيبـةٍ عندهـم].

الشَّـرْح

ذكـر المؤلِّـف رَحِمَهُ اللَّهُ مـن خصـال أهـل السُّـنَّة التـي يرَوْنهـا، ويَدْعُـونَ إليهـا، ويعتقدونهـا: مجانبـةَ البِدْعـة أيًّـا كانـت -سـواءٌ كانـت عمليَّـة، أو عقديَّـة- ومجانبـةَ أهلِهـا والدعـاةِ إليهـا.

البِـدَعُ الاعتقاديَّـة: مثـلُ: بِدْعـة الجهميـة، والخـوارج، والمعتزلـة، والأشـاعرة، والجَبْريـة، والرافضـة، والمرجئـة، والمتصوِّفـة، وكذلـك البـدع الجديـدة؛ كبدعـة القبوريِّيـن، ومـا يسـمَّىٰ بالبَعْثيِّيـنَ، والعَلْمانيِّيـن، وما أشـبهها؛ فمجانبتهـا ومجانبـة أهلهـا مـن واجبـات الإنسـان؛ وذلـك لئـلا يستحسـن مـا هـو قبيـح.

وأمَّـا **البِـدَعُ العمليَّـةُ**، فالمـراد بهـا: المحدَثـاتُ في الديـن، ولـو لـم تصـل إلىٰ الكفـر، ولكنهـا زيـادة في الديـن؛ فـلا يشـاركون أهلهـا فيهـا، وإن عُـرِفَ أن أهلهـا قـد يستحسـنونها.

فمثلًا: إحياءُ ليلة المولد، قد يقولون: ما نُحْيِيها إلا بذِكْرٍ، وقراءةٍ، وصلاةٍ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

نقول: إنها بدعة، ولو قلتم ما قلتم.

وكذلك الذين يُحْيُونَ ليلة أول جمعة من رجَبٍ، يسمُّونها: صلاةَ الرَّغَائب، **ولا شكَّ أن هذه بدعةٌ**؛ لم يكنْ لها أصلٌ في العهد القديم في الإسلام، وإنما حدثت في القرن الرابع وما بعده.

كذلك أيضًا: إحياء ليلة السابع والعشرين من رجب، ويسمُّونها: ليلة الإسراء والمعراج، **ولا حقيقة لها**، ولم يَرِدْ ما يدُلُّ على إحيائها ولا على تخصيصها.

وكذلك الاجتماعاتُ التي لا مبرِّرَ لها.

يعني: هناك بِدَعٌ كثيرةٌ في الصلوات، وفي الأذكار، وفي الأذان، وفي الجنائز، وغير ذلك، وهي مذكورةٌ في كثير من الكتب؛ ككتابِ «**السُّنَن والمبتَدَعات**»[(١)]، وكتابِ «**الباعث على إنكار البِدَعِ والحوادث**»[(٢)]، وكتابِ «**البِدَعِ والنَّهْيِ عنها**»[(٣)]، وغير ذلك.

أما الآثام: فهي الذنوبُ والأوزار، والمراد بها: المعاصي التي يكون صاحبها آثمًا.

فكأنه يقول: يَحُثُّونَ على التوبة، ويُبْعِدونَ صاحبهم ومَنْ يكون منهم عن الذنب الذي يسبِّبُ له إثمًا وجرمًا ووزرًا.

---

(١) مؤلِّفه: الشيخ محمَّد بن أحمد عبدالسلام خضر الشُّقَيْري الحوامدي، صدر عن مكتبة السنة بالقاهرة.

(٢) مؤلِّفه: شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة، صدر عن دار الراية بالرياض، تحقيق مشهور سلمان.

(٣) مؤلفه: أبو عبدالله محمد بنُ وضَّاحِ القرطبيُّ، صدر عن دار الصميعي بالرياض، تحقيق بدر البدر.

وقد جعَلَ الله تعالىٰ في الخمر والميسر إثْمًا كبيرًا؛ قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقد حرَّم اللهُ تعالىٰ الإثـمَ، يعني: الذنبَ الذي يُؤثِـمُ صاحبه؛ اقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، يعني: والذنبَ الذي يحصُلُ لصاحبه إثـمٌ، يعني: علىٰ جُرْمٍ، وعقوبة، وأوزار.

أما الفخرُ والتكبُّرُ والعُجْب، فهذه معاصٍ يتصفُ بها بعض الناس، فتوقعه في الترفُّع:

الفخرُ: محرَّمٌ، وهو من أفعال الجاهلية، وقد ورَدَ في الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ**»[١]، كانوا يتفاخرون بأفعالِ الآباء؛ فيقولُ أحدهم: آباؤنا الذين فعلوا، وآباؤنا الذين قتلوا، والذين سلبوا، والذين صبروا؛ فيفتخرون بمآثر آبائهم، مع أن آباءهم قد ماتوا، وقد صاروا إلىٰ ما صاروا إليه!

كذلك أيضًا في الإسلام: لا يفتخِرُ الإنسان بأفعالِ مَنْ سبقه؛ يقول بعضهم[٢]:

لَئِنْ فَخَرْتَ بِآبَاءٍ ذَوِي حَسَبٍ ... لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

أي: لا ينفعُكَ إلا أن تعتزَّ بأفعالِكَ أنت، لا أفعالِ مَنْ سبقَك، مع أنَّ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٨٧٣٦)، وأبو داود، كتاب أبواب النوم، باب في التفاخر بالأحساب (٥١١٦)، والترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، حديث رقم (٣٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «حديث غريب».

(٢) البيت لابن الرومي، وهو في ديوانه (١/ ٥٢٥).

الإنسان عليه أن يتواضع، وأن يتذلَّل، وأن يصغِّرَ نفسه، وألَّا يفتخِرَ علىٰ الناس.

والتكبُّرُ: قريبٌ من الافتخار؛ فهو الإعجابُ بالنفس، والترفُّعُ علىٰ الناس، واحتقارُ الآخرين وازدراؤهم، وقد فسَّره النبيُّ ﷺ بقوله: «**الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[1]؛ بطَرُ الحقِّ، أي: ردُّه، وغَمْطُ الناس، أي: احتقارُهم، بأنْ يَرَىٰ الناسَ كأنهم صغار بالنسبة إليه، ويَرَىٰ نفسه أرفع منهم رتبةً، وأعلىٰ منهم منزلةً، ويفرِضَ عليهم -مثلًا- أن يقوموا له، وهو جالسٌ، وأن يحترموه، وأن يقدِّروه، ويوقِّروه، ولو لم يكن أهلًا، ويسخطَ علىٰ مَنْ لم يفعل ذلك، ويفرِضَ نفسه أكبَرَ من غيره، لا شك أنه يتكبَّر علىٰ الله؛ فالمتكبِّرُ يتكبَّرُ علىٰ الله تعالىٰ، فنقول للمتكبِّر: تذكَّرْ عظمة الله تعالىٰ، وتذكَّرْ حقارة الإنسان.

ذكروا أن بعض المتكبِّرين حضر عند أحد العلماء في مجلسٍ يَذكُرونَ الله فيه، يذكِّرُهم ويَعِظهم، وقد عرَفَهُ ذلك العالم، فقال له ذلك المتكبِّر: ويحك أَمَا تحترمني؟! أما تَعْرِفُ مَن أنا؟! فقال: «نعم، أَعْرِفُكَ؛ أنت الذي أوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرة، وآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرة، وحَشْوُكَ بين ذلك بَوْلٌ وعَذِرة»[2].

يعني: لا ترفعْ نفسَكَ؛ فإنَّ هذه صفتك؛ هذا مبدؤك، وهذا منتهاك؛ فكيف تتكبَّر؟!

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكِبْر وبيانه، حديث رقم (٩١)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تروىٰ هذا العبارة عن مطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير، قالها للمهلَّب بن أبي صُفْرة، وتروىٰ عن غيره، ينظر: تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص ١٨٥)، وأدب الدنيا والدين (ص ٢٣٦).

أما العُجْبُ: فالمرادُ به الإعجابُ بالنفس؛ وذلك بأن يعجبه عمله، أو تعجبه أفعاله؛ فيرىٰ أن هذا الإعجابَ سببٌ في نجاته، وسببٌ في فلاحه وفي فَوْزه.

ولا يجوزُ للإنسان أن يُعجَبَ بنفسه، بل عليه أن يَحقِرَ نفسه، ولو بلَغَ ما بلَغَ، ولو كان عالمًا جليلًا، ولو كان عابدًا كبيرًا؛ فعليه أن يتصاغر، ويتواضع، ويتذلَّل لله تعالىٰ، وألَّا تعجبه أعماله، ولا يفتخر بها، ولا يقولَ: أنا الذي تعلَّمتُ كذا وكذا، وأنا الذي عملتُ كذا وكذا، أو يمدحَ نفسه بصلاته مثلًا وبتهجُّده، وبقراءته، فيعجب بهذا، فيكون إعجابه سببًا لحبوط أعماله.

والخيانةُ: خَصْلةٌ ذميمة، وهي من خصال المنافقين، وقد وصَفَ النبيُّ ﷺ المنافقَ بقوله: «وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1].

وقد تكون الخيانةُ عامَّةً في الودائع والأمانات، وكذلك في الأعمال التي يؤتمن عليها الإنسان، والتوسُّعُ فيها لا يحتاج إليه.

والدَّغَلُ[2]: الذي يبغي الشرَّ، وهو كون الإنسان في قلبه غِلٌّ ودَغَلٌ علىٰ إخوانه، وحقدٌ عليهم وبغضاء، فيُنْهَىٰ عن ذلك، ويؤمرُ الإنسان بأن يكونَ سليمَ الصدر، محبًّا لإخوته، ولو فعلوا ما فعلوا؛ فلا يكون في قلبه غِلٌّ، ولا حِقْدٌ، ولا شَنَآن، ولا بغضاء؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

(١) جزءٌ من حديث، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: القاموس المحيط (ص ٩٩٩): (د غ ل)، وتهذيب اللغة (٨/ ٩١).

شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ﴾ [المائدة: ٨]، وقال: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ﴾ [المائدة: ٢]، أي: لا يَحْمِلَنَّكم بغضهم علىٰ ألَّا تعدلوا.

والسِّعَايةُ: النميمةُ، ويسمَّىٰ النمَّامُ: ساعيًا، وهو الذي يسعىٰ بين الناس بالنميمة ليُفْسِدَ بينهم، وقد ذكر النبيُّ ﷺ أنها من أسباب عذاب القبر؛ حيث قال في ذلك الذي يعذَّب في قبره: «**كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ووردَتْ فيها أحاديث كثيرة تدُلُّ علىٰ عظم الذنب بها؛ قال ﷺ: «**يُفْسِدُ النَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ مَا لا يُفْسِدُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ**»(١).

وقولُ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويَرَوْنَ كَفَّ الأذىٰ، وتَرْكَ الغِيبة**):

كفُّ الأذىٰ عن الناس، قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام في حديث أبي ذرٍّ: «**تكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٢).

والغِيبَةُ: فسَّرها النبيُّ ﷺ بأنها: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»(٣)، أي: أن تذكُرَهُ في حال غَيْبَتِهِ بشيء، لو كان حاضرًا لَمَا ذكَرْتَهُ به؛ فبذلك تكون مغتابًا.

وقد عدَّ الله تعالىٰ الغِيبةَ ذنبًا كبيرًا؛ فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا...﴾ [الحجرات: ١٢]، يعني: كأن المغتابَ يأْكُل لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم (١٠٦٠١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، حديث رقم (٢٥١٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال، حديث رقم (٨٤) واللفظ له، من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغِيبَة، حديث رقم (٢٥٨٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويُرخَّصُ في الغِيبةِ فيمن أظهَرَ بدعةً وهوًى يدعو إليهما[1]؛ فالقول فيه ليس بغِيبة، ولذلك يقولون: لا غِيبَةَ لفاسق، ولا معلِنٍ ومجاهِرٍ؛ فإذا جاهَرَ إنسان بالمعاصي أو البدع، فإنَّ ذكره وذكر معايبه ليس بغِيبة.

وقد ذكر علماءُ الحديثِ في علم الجَرْح والتعديل في رواة الأحاديث: أن فلانًا غير ثقة، وأن فلانًا كذَّاب، وأن فلانًا سيِّئ الحفظ، مع كونهم قد ماتوا، ولم يعُدُّوا ذلك من الغِيبَةِ، بل جعلوه من النصيحة؛ وذلك لأنهم حملوا العلم، وقد يكونون ليسوا أهلًا له، فلا بدَّ أن تُبيَّنَ مراتبهم؛ حتىٰ يُعرَفَ من يكون أهلًا لحمل العلم وقَبُول الرواية، ومَنْ ليس كذلك.

---

(١) ينظر: رياض الصالحين (ص٥٣٨)، وفتح الباري (١٠/ ٤٧١)، والكواكب السائرة للغزي (١/ ١٠)، ورفع الريبة للشوكاني (١١/ ٥٥٥٧ - الفتح الرباني).

عقيدةُ أهل السنة: الحَثُّ على تعلُّم العِلْم

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ويَـرَوْنَ تعلُّـمَ العِلْـمِ، وطلَبَـهُ مـن مظانِّـه، والجِـدَّ في تعلُّـمِ القـرآنِ وعلومِـهِ وتفسـيرِهِ، وسـماعِ سُـنَنِ الرسـولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجَمْعِها، والتفقُّـهِ فيهـا، وطلَـبِ آثـارِ الصحابـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.]

الشَّرح

تعلُّـمُ العلـمِ وطلَبُـهُ مـن الواجبـات؛ وذلـك لأن العمـل لا بـدَّ أن يكـون علـىٰ بصيـرة؛ فـلا بـدَّ أن يكـون العامـلُ علـىٰ عِلْـم؛ فمـن عمـل بغيـر علـم، فإنـه يُفْسِـد أكثـر ممـا يُصْلِـح.

فنقولُ للإنسان: تعلَّمْ قبل أن تعمل، فمثلًا:

إذا قيـل للإنسـان: توضَّـأ، كيف يتوضَّـأ وهـو لا يعلـم؟! فـلا بـدَّ أن يتعلَّـم كيفيـة الوضوء.

وإذا قيـل لـه: هـل انتقَـضَ وضـوؤك؟ فقـال: لا أدري، قيـل: تعلَّـم نواقض الوضوء.

وتعلُّـمُ العلـمِ يكـون بالجِـدِّ في تعلـم القـرآن وعلومـه وتفسـيره، وقـد أُلِّفَـتْ في ذلـك مؤلَّفـات، وكذلـك يتعلَّـم تفاسـير القـرآن، ومـا ورَدَ فيهـا؛ حتـىٰ يكـون علـىٰ علـم، وعلـىٰ بصيـرة وبرهـان.

وكذلك يتعلَّمُ سُنَنَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الأحاديث التي رُوِيَتْ عنه، من أقواله، أو من أفعاله، أو من تقريراته؛ فلا بدَّ من تعلُّمها، حتىٰ يعرف الإنسان كيف يعمل؛ فإنها الموضِّحة والمبيِّنة لكتاب الله تعالىٰ.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله تعالىٰ معلِّمًا للأمة؛ حتىٰ يعملوا علىٰ بصيرة: أمرهم بالعمل، ثم بيَّن لهم كيفية العمل، بيَّن ذلك بأقواله، وبأفعاله؛ فلا بدَّ أن يَرْجِعَ إلىٰ هذَيْنِ المرجعَيْنِ: الكتاب، والسنة:

فيجد فيهما ما يحتاج إليه في الأعمال؛ كالواجبات والفرائض؛ فيتعلم الفرائض التي أوجبها الله تعالىٰ؛ كأركان الإسلام، وكيفية تأديتها.

وكذلك أيضًا يجد فيها العقائد، وما يجبُ اعتقاده، وما يلزمه.

يجدُ ذلك أيضًا ظاهرًا في أفعال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك أيضًا في آثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما نُقِلَ عنهم؛ فإنهم الذين نقلوا لنا السنة.

عقيدة أهل السنة:
الكفُّ عما شجَرَ بين الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وعن الوقيعةِ فيهم

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[والكفَّ عن الوقيعةِ فيهم، وتأوُّلَ القبيحِ عليهم، ويَكِلُونهم فيما جَرَىٰ بينهم علىٰ التأويلِ إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ].

الشَّرح

يجب الكفُّ عن الوقيعة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعن سبِّهم، أو عن ذكر شيء من مَثَالبهم أو مَعَايبهم.

وتأوُّلُ القبيح عليهم، يعني: لا يجوزُ أن نتأوَّلَ القبيحَ عليهم.

وما جَرَىٰ بينهم، أي: ما شجَرَ بينهم، نكلهم فيه علىٰ التأويل إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وبذلك نَسْلَمُ من أن نقع فيهم بما لم يأمُرِ الله به، أو لم يبحه.

وسببُ إدخال هذا في العقيدة: أن هناك أعداءً للصحابة، أخذوا يدَّعُونَ عليهم قصصًا، ويلصقونها بهم، ويعيبونهم بها؛ إما من الخوارج الذين قاتلهم عليٌّ ومَنْ معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا بدَّ أن يكونَ لهم بقايا، وإمَّا من الرافضة الذين غلَوْا في عليٍّ وذُرِّيته، وجفَوْا في حقِّ بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولمَّا غلَبَ عليهم هذا الجفاء، وحقَدوا علىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كان من آثار حِقْدهم أن ادَّعَوْا عليهم حكايات لا أصل لها، وتتبَّعُوا عَثَراتٍ وُجِدَتْ من بعضهم، فجعلوا من الحَبَّةِ قُبَّةً، وجعلوا الصغيرةَ كبيرة، وحملوا كلامهم علىٰ محاملَ بعيدةٍ عن العقول، ونَسُوا

-أو تناسَوْا- فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأعمالَهم الجليلةَ التي تميَّزوا بها عمن سواهم، وأخذوا يكيلون لهم التُّهَم، ويرمونهم بالعظائم، ويسبُّونهم من أجل ذلك؛ **فكان من اعتقاد أئمة الحديث**: الكفُّ عن الوقيعة فيهم، يعني: عن سبِّهم؛ وذلك يستلزم: ذِكْرَ فضائلهم ومحاسنهم، والثناءَ عليهم، والترضِّيَ عنهم، واعتقادَ أنهم خيرُ قرون هذه الأمة؛ كما خيَّرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

كما أن الأمة أفضلُ الأمم؛ فإذا كانت الأمة المحمدية أفضلَ الأمم التي سبقتها، فإن هذه الأمة أيضًا تتفاضل؛ فأفضَلُهم: القَرْنُ الذي بُعِثَ فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا كان كذلك، فإن ما يرويه أعداؤهم من تلك المثالب والعيوب، التي يقدحون بها فيهم، أكثرها كَذِبٌ لا شك فيه؛ وذلك لأن العدوَّ ربما يكذب على من عاداه؛ فما أكثر ما افترى عليهم أعداؤهم، وقالوا عليهم ما لم يقولوا، وظنوا بهم ما ليس له أصلٌ ولا حقيقة، ولم يبالوا أن يقولوا الكذب.

إذا قَرَأْنا في كتب الردِّ على الرافضة، نجد أن الرافضةَ يتعمَّدون الكذب(١)؛ حتى يقول بعض السلف لما ذكر الرافضة: «لو كذَبْتُ لهم حديثًا، لَمَلَؤُوا جيبي ذهبًا»(٢)، يعني: لو جئتهم، وكذَبْتُ لهم حديثًا يناسبهم، لكافؤوني وأعطَوْني ما يقدرون عليه! وهذا يدُلُّ على أنهم يعتمدون على الكذب.

---

(١) قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (١/ ٥٩): «اتفق أهلُ العلمِ بالنقل والرواية والإسناد: على أن الرافضة أكذَبُ الطوائف، والكذبُ فيهم قديمٌ».

(٢) ثبت ذلك عن الشَّعْبي، ينظر: تاريخ واسط (ص١٧٣)، ومنهاج السنة النبوية (١/ ٢٢).

ونقـولُ أيضًـا: إذا كان فيهـا شـيءٌ، واقـع، فـإنَّ الأعـداء يحمِّلونـه مـا لا يحتمـل، إذا كان فيهـا شـيءٌ صحيـح، فإنـه يُغيَّـرُ عـن هيئتـه، ويُـزادُ فيـه، ويروونـه علىٰ غيـر مـا هـو عليـه؛ فيكونـون قـد زادوا فيـه، أو غيَّـروا أسـلوبه، ومعلـوم أن الأسـلوب يغيِّـرُ الحقيقـة؛ كأنْ يحكـيَ الإنسـان قصـة، فيعبِّـرَ عنهـا بأسـلوب تكـون مدحًـا، ثـم يعبِّـرَ عنهـا بأسـلوبٍ آخـر، فتكـونَ ذمًّـا.

يقول الشاعر:

فِي زُخْـرُفِ الْقَـوْلِ تَزْيِيـنٌ لِمَنْهَجِـهِ ... وَالْحَـقُّ قَـدْ يَعْتَرِيـهِ سُـوءُ تَعْبِيـرِ
تَقُـولُ هَـذَا مُجَـاجُ النَّحْـلِ تَمْدَحُـهُ ... وَإِنْ تَشَـأْ قُلْـتَ ذَا قَـيْءُ الزَّنَابِيـرِ[(١)]!

إن قلـتَ مثـلًا: هـذا مُجَاجُ النحـل، يعنـي: العسَـلَ، فهـذه كلمـة مـدح، وإن قلـتَ: ذا قَـيْءُ الزنابيـر، فهـذه كلمـة ذم؛ وكلـه صحيـح.

فالحاصـل: أن تلـك القصـص إذا رويـت بأسـلوب فيـه قَـدْح، أصبحـت معايـب ومثالـب، مـع أنهـا في الحقيقـة قـد تكـون مدائـح، **ولنَـأْتِ علىٰ ذلـك بأمثلـة، ممـا يذكـره الرافضـة:**

فمـن ذلـك: قصـة صلـح الحديبيـة؛ لَمَّـا اصطلـح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـع قريـش، علىٰ أن يرجعـوا في ذلـك العـام، وعلـىٰ أن مـن جاءهـم مسـلمًا مـن أهـل مكـة، يردُّونـه إلـىٰ أهـل مكـة، ومـن ارتـدَّ مـن المسـلمين، فإنـه لا يـرد إلـىٰ المسـلمين.

هـذه الشـروطُ سـاءت الصحابـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتمنَّـوْا أن يدخلـوا مكـة ويقاتلـوا، وقـد كانـوا بايعـوا قبـل ذلـك بيعـة الرِّضْـوان، وكان ممـن ظهـر

(١) البيت لابن الرومي، وهو في ديوانه (٢/ ١٦٩)، ونُسِبَ للشيخ زهير الدين ابن عسكر قاضي السلامية؛ كما في حياة الحيوان الكبرىٰ (٢/ ١٣).

استياؤه: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو الذي جاء إلىٰ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا عَلَىٰ الحَقِّ، وَهُمْ عَلَىٰ البَاطِلِ؟ فَقَالَ: «بَلَىٰ»، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَىٰ»، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»[(١)].

وقصة عمر في هذه المقالة يَفْهَمُ منها السُّنِّيُّ أنها دليلٌ علىٰ حماسه، وغَيْرته، وأنه يحبُّ أن يتجشَّم المشقة، ويقاتل ولو قُتِلَ؛ لأنه إذا قُتِلَ فإنه في الجنة، وأنه مع ذلك يحبُّ أن يُذِلَّ هؤلاء الكفار، الذين أخرجوا الرسول من بلده، وصدُّوه عن البيت، وتحمَّس أيضًا؛ لأن بعض الذين يأتون مسلمين هاربين بدينهم، يُرَدُّونَ إلىٰ المشركين، ويلقون منهم الأذىٰ والعذاب.

هذه أفعال تدُلُّ علىٰ حماسه، وغَيْرته، ومحبَّته للجهاد، والتفاني في سبيل الله، ونصرة الإسلام؛ هذا الذي نفهمه منها.

ولكنَّ الرافضة حمَّلوها ما لا تحتمل، وقالوا: إنه بذلك ينتقِدُ حكم الرسول، ويعترِضُ علىٰ حكم الله ورسوله؛ إنه بذلك يرُدُّ تدبير الرسول، ويرُدُّ أمره، وإنَّ ذلك دليلٌ علىٰ حقده علىٰ دين الإسلام؛ فجعلوها مثالب[(٢)]!

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، حديث رقم (٢٧٣١)، وكتاب الجزْية، بابٌ، حديث رقم (٣١٨٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم (١٧٨٥)، من حديث سَهْل بن حُنَيْف.

(٢) ينظر: كتاب «ثم اهتديتُ» (ص ٩٦).

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَـدِمَ بعـد ذلـك، يقـول: فعَمِلْـتُ لذلـك أعمـالًا، يعنـي: في هـذا الاعـتراض؛ تجـرَّأت وتسـرَّعت، ومـع ذلـك فـإني نَدِمْـتُ علـىٰ ذلـك، وعملـتُ أعمـالًا صالحـة، أكفِّـرُ بها عمـا فعلـت.

وليـس هـو وحـده الـذي كـره ذلـك؛ فـكلُّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كرهـوا هـذا الصلـح، ولمَّـا أمرهـم بـأن يحلقـوا ويتحلَّلـوا، توقَّفـوا، وقالـوا: أنحلـق قبـل أن نُكْمِـلَ عمرتنـا؟! فامتنعـوا كلُّهـم، فدخـل النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علـىٰ أم سـلَمَةَ، فأخبرهـا أنـه يأمُـرُ ولا ينفَّـذ أمـره، فأرشـدته إلـىٰ أن يخـرُجَ، ويدعـو الحـلَّاق فيحلـق رأسـه، فلمَّـا رأَوْهُ، ابتـدروا الحلـق، وجعـل بعضهـم يحلـقُ بعضًـا.

فكراهيتهـم لذلـك كلِّهـم تـدُلُّ علـىٰ أنهـم يحبُّـون أن يقاتلـوا المشـركين، ولا يرجعـوا قبـل أن يكملـوا عمرتهـم، ومنهـم عمـر؛ ولكـنَّ الرافضـة مـا توجَّهـوا إلا علـىٰ عمـر.

والمثـالُ الثـاني: لمَّـا مـرض النبـيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زاره بعـض أصحابـه في آخـر حياتـه، فأخـذ يوصيهـم بوصايـا، قـال: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِمَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ**»، سَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ أَوْ نَسِيَهَا، وقـال في تلـك الحـال: «**ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ**»[1]، وكان في البيـت لَغَـطٌ، وأصـوات، فقـال عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـد تَعِـبَ وشَـقَّ عليـه، فدعُـوهُ؛ وعندنـا كتـابُ الله تعالـىٰ، لا نَضِـلُّ بعـده، فلـم يكتُـبْ لهـم، هكـذا ورد الحديـث عنـه أنـه قـال: «**عِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستشفع إلىٰ أهل الذمة ومعاملتهم، حديث رقم (٣٠٥٣)، ومسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصىٰ فيه، حديث رقم (١٦٣٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إحدىٰ روايات الحديث السابق، وهي عند البخاري، حديث رقم (١١٤)، ومسلم، (١٦٣٧) (٢٢).

فقالت الرافضة: هذا حِقْدٌ من عمر، أراد بذلك أن يَصْرِفَ الإمامة عن عليٍّ؛ لأن الرسول لما طلب الكتاب، ما أراد بذلك إلا أن يكتُبَ الخلافة لعليٍّ، ولكنَّ عمر فَطِنَ لذلك؛ فصرَفَهم عن الكتاب، ومنع الرسول أن يكتبه، فجعلوا ذلك مَثْلَبةً وعيبًا لعمر!

ذكَرَ ذلك صاحبُ كتاب: «**ثم اهتديتُ**»[(١)]، وهو مغربيٌّ، ضلَّ لمَّا زار الرافضةَ، ونصَرَهم، وكذلك صاحبُ كتاب: «**المراجَعات**»[(٢)]، وابنُ المطهَّر[(٣)]، وغيرهم.

وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أراد إلا الرفق بالنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رآه متعَبًا مجهَدًا، وعلم أيضًا أن ما أراد أن يدُلَّ عليه في كتاب الله تعالىٰ، ولا شكَّ أنه ليس عليه عَيْبٌ، بل الأصل أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أراد إلا خيرًا، ولم يرد أن يصرف النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء يريده.

ثم أيضًا أهل السنة يقولون: إنه لو استخلَفَ، لَمَا استخلَفَ غيرَ أبي بكر؛ ويدُلُّ عليه: أنه استخلفه في الصلاة، ويدُلُّ عليه أنه قال: «**يَأْبَىٰ اللهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»، وغير ذلك من الأدلة التي أشار إليها تدُلُّ علىٰ أن الخليفة بعده أبو بكر، فلو كتب كتابًا فيه الوِلَاية، لَمَا ولَّىٰ غيرَ أبي بكر.

إذن: فقولُ الرافضة: إن عمر كان يَحْقِدُ علىٰ عليٍّ، وأراد أن يَصْرِفَ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الوصية لعليٍّ؛ هذا من بهتانهم وكذبهم.

---

(١) مؤلِّفه: محمد التيجاني السماوي، والقصة في الكتاب (ص٩٨).

(٢) المراجعات (ص٢٧٢).

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية (٦/ ١٩).

ومثال ثالث: لمَّا توفِّي النبيّ ﷺ، وتحقَّق موته، أنكَرَ ذلك كثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم عمر، وظنوا أنها غشيةٌ، وإغماء، فكان عمر يقول: «والله، ما مات رسول الله ﷺ، ولَيَبْعَثَنَّهُ الله، فليقطعَنَّ أيديَ رجال وأرجلهم»[١]، وما أراد بذلك إلا إحسان الظنِّ، وأن الله تعالىٰ سيمتِّعه حتىٰ يعيش، لعله ظن أنه مغمًىٰ عليه، وأنه لم يمت.

ولكنَّ الرافضة حملوا فعله هذا علىٰ محمل بعيد، وقالوا: ما أراد بذلك إلا أن ينشغل الناس عن استخلاف عليٍّ؛ حتىٰ يأتي أبو بكر، وكان أبو بكرٍ في السُّنْح[٢] -يعني: غائبًا- فأراد بذلك أن ينشغلوا، وإلا فإنه متيقِّنٌ من أنه قد مات، وأن الموت واقع لا محالة، ولكنْ لما خاف أن يقولوا: إنه استخلَفَ عليًّا، أراد أن يشغلهم!

وعليٌّ رضي الله عنه لم يقل: إني خليفة، ولم يقل: إنه استخلفه، ولا ولَّاه! وأبو بكر أيضًا لم يقل: إني مستخلَفٌ، ولم يكنْ يطلُبُ الخلافة، ولكن يظنون الظنون البعيدة، فيحمِّلون الكلام ما لا يحتمله؛ **وهذه جعلوها مثالب!**

مثالٌ رابعٌ: لما توفِّي النبيّ ﷺ، وكان قد جهَّز جيشًا إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا**»، حديث رقم (٣٦٦٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) السُّنْحُ -بالضم ثم السكون، وقيل: بضمِّ أوله وثانيه-: منازلُ بني الحارث بن الخزرج بالمدينة، علىٰ مِيل من المسجد النبوي، وكان بالسُّنْحُ منزلَ أبي بكر الصديق رضي الله عنه بزوجته الأنصارية، وبلغه وفاة النبي ﷺ وهو به. ينظر: معجم ما استعجم (٣/ ٧٦٠)، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفىٰ (٤/ ٩٤).

الشام، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، وأَمَرَ أن يكون فيهم أبو بكر وعمر، فلما توفِّي ﷺ، استُخلِفَ أبو بكر، وأصبح واليًا علىٰ المسلمين، ولا بدَّ أن يجلس في المدينة، وعمر له كالوزير؛ فلا بدَّ أن يجلس معه، أما الجيش، فقد أنفذه أبو بكر، وأرسله إلىٰ أَذْرِعاتِ الشام، فأغار علىٰ أناس، ورجَعَ سالمًا غانمًا[1].

فجعلوا هذا أيضًا من المثالب؛ فقالوا: لماذا تخلَّف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة؟! وما أرادوا بذلك إلا أن يظلموا عليًّا حقَّه، وأن يبخسوه، وأن يتولَّوُا الوِلاية، ويأخذوها منه! ونحو ذلك[2]؛ **فكل هذا من البهتان والكذب عليهم.**

والحاصلُ: أنهم وجَّهوا هذه المثالب إلىٰ الصحابة رضي الله عنهم؛ يريدون بذلك التشفِّي، وتسويغَ مواقفهم ومعتقداتهم.

ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم بشَرٌ كغيرهم، ليسوا بمعصومين، فإذا قُدِّرَ أن أحدهم وقع منه ذنب، فنحمله علىٰ أمورٍ:

أوَّلًا: أنه قد تاب منه، و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ**»[3].

وثانيًا: أن يكون عمل أعمالًا صالحة تمحو عنه ذلك الذنب؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولىٰ النبي ﷺ، حديث رقم (٣٧٣٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما، حديث رقم (٢٤٢٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) ينظر: المراجعات (ص ٢٩١).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وثالثًا: أن يكون غُفِرَ له بفضل سبقه إلىٰ الإسلام، وسابقتهم إليه؛ فيكونون أحقَّ بأن تغفر لهم الذنوب.

ورابعًا: أنها تغفر لهم بشفاعة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنهم أولىٰ الناس بشفاعته؛ لكونهم أهل صحبته، وأهل رفقته والاجتماع معه.

فإذا كانت الذنوب الحقيقية تُغْفَرُ بالتوبة، أو بالأعمال الصالحة، أو بالسبق إلىٰ الإسلام، أو بالشفاعة، أو بالابتلاء والامتحان، والمصائب التي حصَلَتْ لهم، أو تُغْفَرُ باستغفار السلف لهم، ودعائهم لهم، ودعاء الأمة لهم، فهي إلىٰ الآن تترضَّىٰ عنهم، وتترحَّم عليهم؛ فكيف بتلك الأمور التي وقَعَتْ منهم، وهي ليست ذنوبًا، ولكنها اجتهادات منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والاجتهادُ معروضٌ علىٰ النظر؛ فإن كانوا مصيبين، فلهم أجران: أجرُ الاجتهاد، وأجرُ الإصابة، وإن كانوا مخطئين، فلهم أجرٌ واحد[1]، والخطأ مغفور؛ فيغفر لهم خطؤهم؛ لأنهم لم يتعمَّدوه.

ثم نكُفُّ أيضًا عمَّا شجَرَ بينهم، وعمَّا وقع بينهم من الخلاف، ولا نتأوَّل القبيح عنهم، ونكُفُّ عما حصَلَ بينهم.

وكذلك نَكِلُهُمْ فيما جرىٰ بينهم علىٰ التأويل؛ فنلتمس لهم الأعذار، ونعتذر عما حصل بينهم، ولا شك أنه حصَلَ بينهم شيء من الخلافات، ولكنها محمولة علىٰ الاجتهاد:

---

(١) لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أجر». أخرجه البخاري، كتاب الاعصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث دقم (٧٣٥٢)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأولًا: الذين ثاروا علىٰ عثمان ليسوا من الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ؛ وإنما هم مِنْ جفاةِ الأعراب، انتقدوه علىٰ تصرُّفات -في نظرهم- خاطئة؛ فكان مِن آثارها أنهم ثاروا عليه، إلىٰ أن قتلوه، والله يتولَّىٰ جزاءهم؛ فيقال: أَمْرُهم إلىٰ الله تعالىٰ.

وقد رأيتُ في بعض نَشَرات الرافضة المعاصرين: أنهم يفتخرون بأن شيعتهم هم الذين ثاروا علىٰ عثمان، فقتلوه! فجعلوا أولئك الأعراب الجفاة، شيعتهم؛ هكذا يدَّعون.

ثانيًا: قُتِلَ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ في موسم الحج، وكان كثيرٌ من الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ بمكة، ومنهم: الزُّبَيْر بن العوَّام، وطَلْحة بن عُبَيْدالله، وأولادُ الزبير، وغيرهم، فلما سمعوا بخبر قتله، قالوا: لا بُدَّ أن نذهب إليهم، ونقاتلهم، وكان أولئك الجفاة من الأعراب في حدود العراق، فتوجَّهوا إليهم، وذهبوا ومعهم عائشة أم المؤمنين، ومعهم جَمْعٌ.

ولما سمع عليٌّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بذَهَابهم أهمَّه أمرهم؛ لأنه أحبَّ أن تجتمع الكلمة، وأن يجتمع المسلمون، وأن يبايعوه جميعًا قبل أن يحصُلَ القتال، فلما بلغه أمرهم، لم يَجِدْ بدًّا من أن يذهب من المدينة في إِثْرهم؛ ليردَّهم، وهم ذهبوا من مكة متوجِّهين إلىٰ العراق، ولمَّا تقابلوا هناك، التفَّ مع جيشه كثيرٌ من الثوار، الذين لهم سببٌ في قتل عثمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، اجتمعوا وتفاوضوا، واتفقوا في مساء ذلك اليوم علىٰ أنهم سوف يقتلون قَتَلةَ عثمان، وقتلةُ عثمانَ كانوا رؤساء قبائل، فلما سمعوا بذلك، قالوا: لا بدَّ أن نُوقِعَ القتال بيننا وبين جيش طَلْحة.

دبَّروا هذه المكيدة في آخر الليل، وأوقعوا القتال، ونَشِبَتِ الحرب، واستمرَّتْ يومًا أو يومَيْن، وكانت عائشة في وسط المعركة، علىٰ جَمَلٍ لها، وسميت تلك الوقعة: وقعةَ الجَمَل، وقُتِلَ فيها: طَلْحة، والزبير، وخلق كثير، وهي من الفتن[1]، وبعد ذلك انصرفوا، وحصَلَ ما حصَلَ.

فهؤلاء أيضًا معذورون؛ فعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا القتال لم يكن متعمِّدًا، وما أراد بذلك إلا جمع الكلمة، وردَّهم، حتىٰ يبايعوه وتجتمع الكلمة، وبعد ذلك يقومون علىٰ قتلة عثمان.

والزُّبَيْرُ وطَلْحةُ ومَنْ معهم ما دبَّروا هذا القتال، ولكنْ دبَّره أولئك الثوَّار.

إذن: فهم مجتهدون؛ فنَعْذِرهم بذلك، ونقول: القاتلُ منهم والمقتولُ مجتهد، ولا نعيب أحدًا منهم، ونكل أمرهم إلىٰ الله تعالىٰ.

وبعدما استقرَّ أمرُ عليٍّ في العراق، وبايعه أهلها، واستتَبَّ له الأمن، بلغه خبر أهل الشام الذين تحمَّسوا لقتل قتلة عثمان، وجاؤوا بحدِّهم وحديديهم، يريدون أن يقاتلوا قتلة عثمان، فالتقَوْا في موضع يقال له: صِفِّين، وقالوا لعليٍّ: سَلِّمْ لنا قتلة عثمان، فقال: بايعوني، فإذا اجتمَعَتِ الكلمة، نتمكَّن نحن وأنتم منهم، ونقتلهم واحدًا واحدًا، مهما كانوا، فامتنعوا، فوقَعَتِ المعركة بين الفريقين: أهلِ العراق، وأهلِ الشام. وتلك المعركة أيضًا معركةٌ عظيمة، قُتِلَ فيها خَلق كثير.

وَنَعْذِرهم أيضًا بذلك، فنقولُ: معاويةُ ومن معه مجتهدون في طلبهم

---

(١) ينظر: الفتنة ووقعة الجمل (ص ١٢٥)، وتاريخ خليفة بن خيَّاط (١/ ١٨١)، وتاريخ الطبري (٤/ ٤٥٤) والبدء والتاريخ (٥/ ٢١١)، والمنتظم (٥/ ٨٧).

بالثـأر، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومـن معـه مجتهـدون في طلبهـم الأمـان والبيعـة، وكلٌّ منهـم أَمْرُهـم إلـىٰ الله؛ فنكُـفُّ عمـا شـجَرَ بينهـم.

وهـذا مـن الفتـن التـي أخبَـرَ بهـا النبـيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيَّـن أنهـا سـتقع، وحَـثَّ مَـنْ أدركهـا علـىٰ أن يبتعِـدَ عنهـا.

وكان ممَّـن اعتـزَلَ تلـك الفتـن: سـعدُ بنُ أبـي وقَّـاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صـار في البادية، وصـار يستوحش مـن النـاس، حتـىٰ صـار لسـانُ حالـه كمـا يقـول القائـل[1]:

عَوَىٰ الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ عَوَىٰ ... وَصَـوَّتَ إِنْسَـانٌ فَكِدتُّ أَطِيرُ

يعنـي: أننـي أسـتأنِسُ بصـوت الذئـاب، وأسـتوحِشُ مـن النـاس؛ مخافـةَ أن يُدْخِلـوهُ في هـذه الفتـن.

وجـاء كثيـر منهـم إلـىٰ عبدالله بـن عمـر، واستجاشـوه[2]، وأثـاروه معهـم، وقالـوا: نريـدُ أن تقاتـل معنـا؛ فـالله تعالـىٰ يقـول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، فقـال عبـدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قاتلناهـم حتـىٰ لـم تَكُـنْ فتنـة، وأنتـم تقاتلـون حتـىٰ تكـون فتنـة»[3]!.

فالحاصـلُ: أن الذيـن اعتزلـوا هـم الذيـن حـازوا الفضـل، وبـكلِّ حـال: فنحـن نَحْمِـلُ مـا وقـع منهـم علـىٰ التأويـل، ونكِلُهُـمْ إلـىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) البيت للأُحيمر السَّعْدي، ينظر: الحماسة الصغرىٰ لأبي تمام (ص ٣٤)، والحيوان للجاحظ (١/ ٢٥١).

(٢) استجاشوه: طلبوا منه جيشًا. ينظر: الصحاح (٣/ ٩٩٩)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٢٤): (ج ي ش).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، حديث رقم (٤٥١٣)، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

خاتمة العقيدة

قال الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[مع لـزومِ الجماعـة، والتعفُّـفِ في المأكل والمَشْـرَب والمَلْبَس، والسـعيِ في عمـل الخيـر، والأمـرِ بالمعـروف، والنَّهْـيِ عـن المنكـر، والإعـراضِ عـن الجاهليـن؛ حتـىٰ يعلِّموهـم، ويبيِّنـوا لهـم الحـقَّ، ثـم الإنـكارِ والعقوبـة مـن بعـد البيـان، وإقامـةِ العُـذْرِ بينهـم ومنهـم.

هـذا أصـلُ الدِّيـنِ والمَذْهَـب، واعتقـادُ أئمَّـةِ أهـلِ الحديـث، الذيـن لـم تَشِـنْهُمْ بِدْعـة، ولـم تَلْبَسْـهُمْ فِتْنـة، ولـم يَخِفُّـوا إلـىٰ مكـروه في ديـن الله؛ فتمسَّـكوا معتصِميـن بحَبْـلِ الله جميعًـا، ولا تفرَّقـوا عنـه.

واعلمـوا: أن الله تعالـىٰ أوجَـبَ محبَّتَـهُ ومغفرتَـهُ لمتَّبعي رسـوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابـه، وجعَلَهُـمُ الفِرْقـةَ الناجيـة، والجماعةَ المتَّبعة؛ فقـال عَزَّ وَجَلَّ لمن ادَّعىٰ أنه يُحِبُّ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

نفَعَنَـا اللهُ وإيَّاكـم بالعِلْـم، وعصَمَنَـا بالتقـوىٰ مـن الزيـغ والضـلال، بمَنِّـهِ ورحمتـه].

الشَّـرْح

في هـذه الخاتمـة وصايـا نافعـةٌ وعظيمـة، ولـو أعطيناهـا حقَّهـا، لكانـت كل وصيـة درسًـا؛ لأنـه جمـع فيهـا إرشـاداتٍ عظيمـةً، منهـا:

• **الوصية الأولىٰ: لزوم الجماعة:**

والمرادُ بالجماعةِ هنا: جماعةُ المسلمين، ويعبَّر بالجماعة عن أهل الحقِّ، الذين هم علىٰ طريقة السلف، وعلىٰ طريقة النبيّ ﷺ، ولو كانوا قِلَّةً في بعض الأزمنة، ولو كَثُرَ أضدادهم ومخالفوهم؛ فإنهم الجماعة، وهم أهل الحق، وهم أهل الصواب.

يقول ابنُ القيِّم في «**النونيَّة**»[1] لمَّا ذكَرَ إجماع أهل الحق علىٰ صفةِ العلوِّ:

هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا: إِجْمَاعُ أَهْـ ـلِ الْعِلْمِ أَعْنِي حُجَّةَ الْأَزْمَانِ
مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ
لَا عِبْرَةً بِمُخَالِفٍ لَهُمُ وَلَوْ كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ

لا عبرةَ بمن خالفهم، ولو كانوا أكثر من الشاء، ومن الإبل، والعِبْرةُ بمن كان متمسِّكًا بالحق، ومن كان علىٰ السنة، وعلىٰ الطريقة المحمَّدية، هؤلاء هم أهل الجماعة، ولو قلُّوا في بعض الأزمنة؛ وذلك لأن قدوتهم سلف الأمة، وصحابة النبي ﷺ.

ورد في تفسير الفرقة الناجية: قولُهُ ﷺ: «**وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**»[2]، يعني: جماعةَ المسلِمين وسَوَادَهم.

(١) نونية ابن القيم (ص ٨٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث رقم (٣٩٩٢)، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

وورد أيضًا في تفسيرهم، في سنن الترمذي وغيره[1]: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»، أي: الذين يتمسَّكون بما كان عليه النبيّ ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

ولا شك أن هؤلاء هم أهلُ السنة، وهم أهلُ الجماعة؛ فهم الذين يلزم أن نتمسَّك بسيرتهم، وأن نسير على نهجهم.

ولا شك أن منهم أئمَّةَ الحديث؛ فإنهم أولى بأن يكونوا هم الجماعة، وهم أهل السنة؛ وذلك لأنهم اشتغلوا بسنة النبيّ ﷺ، واشتغلوا بمتابعة أوامره ونواهيه، فكانوا أولى بأن يتمسَّكوا بهذه السنة، وبهذه الشريعة.

وأهلُ الحديث الذين جعلوه شُغْلهم، لا يوجد فيهم مبتدِعٌ إلا ما ندَرَ؛ وذلك لأن توغُّلهم في الحديث وسماعهم له يَحْمِلهم على أن يعملوا به ويتَّبعوه.

لذلك نقول: الزموا السُّنَّةَ، عليكم بسنة المسلمين، عليكم بجماعة المسلمين.

فإذا قيل: إنَّ عندنا مثلًا فِرَقًا، وأحزابًا، فأيُّ الأحزاب أولى بأن يكونوا على الصواب؟

فالجواب: لا تنظروا إلى هذه الأحزاب، انظروا إلى أعمالهم، فإذا كانت موافقة للسنة النبوية، والشريعة الإسلامية، فاعملوا بها، وكونوا معهم، فإذا كان هذا الحزبُ معه حقٌّ وباطلٌ، فخذوا الحق الذي معه، ودعوا الباطل.

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٣٠)، حديث رقم (٦٢)، والحاكم في المستدرك، كتاب العلم (١/ ٢١٨)، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومعلوم: أن في هذه الأزمنة كَثُرَت الأحزاب، حتىٰ وصَلَتْ في بعض الدول إلىٰ مائة حزب، كلُّ حزب يتسمَّوْنَ باسم، فننظُرُ من هذه الأحزاب مَنْ هم أهل الجماعة، ونتَّبعهم ونؤيِّدهم، ونصوِّب رأيهم، ونأخذ من كل حزب ما معه من الحق، ونصوِّبه، ونقول: أصبتم في هذا، وأخطأتم في هذا؛ هذا الخطأ عليكم أن تتركوه.

كذلك أيضًا: إذا رأينا الأحزاب، وعرفنا أن أهدافهم ما هي إلا الحقُّ، وقصدُ الخير، ونصرُ الدين، حرَصْنا علىٰ أن نجمعهم، وأن نقرِّب بينهم، وأن نبيِّن أنهم لا خلاف بينهم ما دام كلٌّ منهم قصده الحق والصواب.

فإذا رأينا مثلًا حزبًا من الأحزاب يتسمَّىٰ بأهل السنة، شجَّعناهم، ولكنْ نحثُّهم علىٰ أن يتمسكوا بالسنة، وإذا رأينا حزبًا آخر يتسمَّىٰ بأهل التوحيد، شجَّعناهم، وقلنا: نِعْمَ ما تسمَّيتم به، فتسمَّوْا بهذا، وحقِّقوا الاسم، ووحِّدوا الله تعالىٰ وأطيعوه، وإذا رأينا حزبًا آخر يتسمَّىٰ بأنصار الدين، قلنا: هذه تسمية جميلة طيبة؛ فانصروا الدين؛ إذْ سُمِّيتُمْ بذلك.

وإذا رأينا حزبًا يتسمىٰ بأهل الإصلاح، قلنا: نِعْمَ ما فعلتم، فاحرصوا علىٰ الإصلاح، ولكنْ حقِّقوا دينكم، وأصلحوا بين إخوتكم.

وإذا رأينا جماعة يتسمَّوْنَ مثلًا بأهل الدعوة، قلنا: نِعْمَ ما فعلتم، فأنتم أهل دعوة، ولكنْ لتكُنْ دعوتكم إلىٰ حقيقة الإسلام.

وإذا رأينا مثلًا من يَتَسمَّىٰ بأتباع السلف، قلنا: نِعْمَ ما فعلتم، لكنْ عليكم أن تحقِّقوا الاتِّباع، وكونوا من السلف حقًّا، متَّبعين لهم، وهكذا بقية الأحزاب.

ثم قد يحصُلُ بين هذه الأحزاب شيءٌ من التفرُّق والاختلاف، فنحُثُّهم علىٰ أن يتقاربوا، وألَّا يكون بينهم شيء من الشنآن، ولا من البغضاء،

ولا من الأحقاد؛ حتىٰ يجتمعوا، وتكون كلمتهم واحدة؛ فإن ذلك أهيب لهم، وأقوىٰ لمعنويَّاتهم؛ فيكونون مهيبين عند الأعداء، وعند المبتدعة.

فإن المبتدعة إذا رأَوْا كلمة أهل السنة والجماعة واحدةً، واتفاقهم ودعوتهم إلىٰ شيء واحد، هابوهم، ولم يتجرَّؤوا علىٰ أن يرُدُّوا عليهم، ولا علىٰ أن يضلِّلوهم، ولا علىٰ أن يبدِّعوهم.

إذن: فنحن نقول: هنيئًا لكم أيها الجماعة، أنتم أهل السنة، وأنتم أهل الجماعة، فاجتمعوا حتىٰ تكونوا إخوة، هدفكم واحد، كلُّكم طلبتم الحديث والعلم، وكلُّكم علىٰ عقيدة أهل السنة، في الأسماء والصفات، وفي الأفعال، وفي أركان الإسلام، وفي أركان الإيمان، وفي أسماء الإيمان والدين، وفي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وتابعيهم، وكذلك أيضًا أنتم متَّبعون للحق مع من كان، لا تقولون ببدعة من البدع، بل تتبرَّؤون من المبتدعة -من جَبْرِيَّة، وقَدَرِيَّة، ومرجئة، وأشعرية، ومعتزلة، ورافضة، وصوفية، وقبوريين- فأنتم تتبرَّؤون منهم جميعًا، وتحقدون عليهم.

فدعوا هذه الفروق اليسيرة، التي تدَّعون أنها مخالفات، وتقاربوا فيما بينكم، واصطَلِحُوا علىٰ أن تكون هِمَّتكم وأهدافكم واحدة؛ حتىٰ لا يقع التفرُّق والتحزُّبُ الذي يؤدِّي إلىٰ الاضطراب؛ فالله تعالىٰ يعيب الذين يتحزَّبون؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ويقول تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ذمًّا لهم علىٰ هذه الأفعال، ويقول: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

فالحاصلُ: أن لزوم الجماعة يستلزِمُ التمسُّكَ بالسُّنَّةِ حقًّا.

• **الوصية الثانية: التعفُّفُ في المأكل والمشرب والملبس:**

يريد: الاقتصار علىٰ الحلال، والبعدَ عن الحرامِ، والمشتَبِه.

ومعلومٌ: أن التعفُّفَ معناه: التورُّع؛ وذلك لأن الكسب ينقسِمُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ: ١- حلالٌ صريح، ٢- وحرامٌ صريحٌ، ٣- مشتبِهٌ؛ ذكر ذلك النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث النعمان المشهور: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ**»[(١)]؛ لذلك أُمِرْنَا بالتعفف في المأكل والمشرب والملبس، أي: أن نتورَّع، فلا نُقدِمَ علىٰ الشيء الذي نخشىٰ أن يكون فيه شبهة، وأن يكون من الحرام، بل نبتعد عنه حتىٰ يَسْلَمَ ديننا؛ وذلك لأن التغذِّي بالحرام يكسب البدن سوء تغذية، إذا تغذَّىٰ بالحرام، أو بالمشتبِهِ، فقد يكون سببًا في عدم انصياعه للأوامر، وعدم قبوله للنصائح والإرشادات، وما أشبه ذلك، يقال: هذا لا تؤثِّر فيه الموعظة، وهذا لا يقبل النصيحة، وهذا لا يتأثَّر بالإرشادات ولا بالنصائح ونحوها، والسببُ: أن لحمه نبَتَ من سُحْت، وتغذَّىٰ بحرام، فتسبَّب ذلك في قسوة قلبه، وفي صدوده عن الخير.

إذن: فالتعفُّفُ سببٌ لِلِينِ القلب، وكذلك الاقتصار علىٰ الحلال سببٌ لرقَّته، وإقباله علىٰ الله، وتقبله للنصائح والعظات.

• **الوصية الثالثة: السَّعْيُ في عمل الخير:**

الخيرُ: كلُّ محبوب عند الله تعالىٰ، وعند النفوسِ المطمئنَّة، فالنفوسُ الطيبة تعرفُ الخير، وتعرفُ الشرَّ بطبعها، وإنْ لم يكن عليه نصٌّ، ولكنْ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل مَنِ استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩).

هناك نفوسٌ انتكسَتْ بسبب المعاصي والخلافات، فأصبحت ترىٰ الشرَّ خيرًا، والخيرَ شرًّا، والطيِّبَ خبيثًا، والخبيثَ طيِّبًا!

ولا حاجة إلىٰ التوسع في ذلك؛ فالخير: هو كلُّ ما يحبه الله تعالىٰ؛ فالإحسانُ إلىٰ الناس من الخير، ونصيحتهم، ودلالتهم علىٰ الله تعالىٰ، وإرشادهم إلىٰ ما ينفعهم من الخير، وكذلك التوسعةُ عليهم، ونَفْعُهم، وإعانة الضعيف منهم، وتجهيزُ المنقطع، والصدقةُ عليهم، والتوسعةُ علىٰ الفقير والعاجز، والشفاعةُ لمن يستشفع، وكذلك أيضًا: كفُّ الشرِّ عنهم، والذبُّ عنهم بتحذيرهم من الشر؛ كلُّ هذا داخلٌ في السعي في عمل الخير.

وعبَّر بالسَّعْيِ، والسعيُ في الأصل: شِدَّةُ المشي، وقوة المسير؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، ولكنَّ السعي هاهنا سعيٌ عمليٌّ، بمعنىٰ: أن الإنسان يسعىٰ في عمل الخير:

فإذا سعىٰ في جمع المال الطيِّب، سعىٰ في تفرقتِهِ، والتوسعةِ به علىٰ المستحقِّين، وصرفِهِ في وجوه البر والخير.

وإذا سعىٰ في الإصلاح بين المسلمين، سعىٰ في التأليف بينهم، وإزالة ما عندهم وما بينهم من الشحناء والبغضاء، ونحو ذلك؛ كلُّ ذلك سَعْيٌ في عمل الخير.

- **الوصية الرابعة: الأمرُ بالمعروف، والنَّهْيُ عن المنكر:**

وهي أيضًا من واجبات الإسلام، والتوسُّعُ فيها لا مناسبةَ له.

المعروفُ: هو ما أمَرَ الله به ورسوله ﷺ، وسُمِّيَ: معروفًا؛ لأن النفوس الطيِّبةَ تعرفه وتألفه.

والمنكر: ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه ورسوله ﷺ، وسُمِّيَ: منكَرًا؛ لأن النفوس الطيِّبة تنكره وتستقبحه.

فكلُّ شيء تستقبحه النفوس الطيبة، فإنه من المنكر:

فيقال مثلًا: المسكِراتُ من المنكَرات، والفواحشُ من المنكرات؛ كالزنىٰ، ومقدِّماته، والتبرُّج، والاختلاط الذي يؤدِّي إلىٰ فساد، من المنكَرات.

ويقال أيضًا: السباب، واللعن، والقذف، والعيب، والغِيبة والنَّميمة، والتنقُّصُ والسخرية، والاستهزاء بالمسلمين، وما أشبه ذلك، من المنكَرات.

كما يقالُ: إن أضدادها من المعروف؛ فالإحسانُ إلىٰ الناس، وإيصالُ الخير إليهم، والنصيحةُ لهم، ودَعْوَتُهم إلىٰ الله، وترغيبهم في الصلوات، وفي المساجد، وفي عمارتها؛ كلُّ ذلك من عمل الخير، ومن المعروف.

وكذلك: ذِكْرُ الله تعالىٰ، وتلاوةُ كتابه، ودعاؤه، وإخلاصُ الدين له، وتعلُّم العلم وتعليمه، والدَّلَالةُ عليه ونَشْرُهُ، وما أشبه ذلك.

ثم الأمرُ قد يستدعي الإلزام؛ فإنك إذا أَمَرْتَ، فإنك تأمر بإلزام، أو تأمر بإرشاد، فتارَةً تقول: أيها الإخوة، أيها المسلمون، أدعوكم إلىٰ كل معروف، أدعوكم إلىٰ أن تكونوا متحابِّين، متوادِّين في ذات الله تعالىٰ، أدعوكم إلىٰ أن تُكْثِروا من ذِكْرِ الله تعالىٰ، وتلاوةِ كتابه، أنهاكم عن المنكَرات، لا تشربوا دُخَانًا، لا تشربوا مسكِرًا، لا تسهروا علىٰ لعب، لا تستمعوا لغناءٍ وباطلٍ، وما أشبه ذلك.

- **الوصية الخامسة: الإعراضُ عن الجاهلين؛ حتىٰ يعلِّموهم، ويبيِّنوا لهم الحقَّ:**

قال الله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فما دام أنهم جاهلون، فأعرِضوا عنهم، حتىٰ يتبيَّن لهم أنهم علىٰ الحق، علِّموهم، فإذا علَّمتموهم، فألزموهم، وبيِّنوا لهم.

ثم قال المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثم الإنكارِ والعقوبةِ مِن بعد البيان، وإقامة العُذْرِ بينهم ومنهم**):

فالجهلة هم الذين تصدُرُ منهم بعض الكلمات التي تدل علىٰ القساوة والجفاء والإعراض، أو نحو ذلك.

وقصةُ الأعرابيِّ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ مشهورة[1]؛ كان في عهد النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قادة العرب وأشرافهم، وكان النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتألَّفهم ويعطيهم من المال، فلمَّا قوي الإسلام في عهد عمر، جعلهم كأفراد الناس.

فجاء عُيَيْنةُ ودخَلَ علىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو خليفة المسلمين، فقال كلمةً نابية، ألا وهي: «هِيه يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ، مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ»! فأغضَبَتْ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذه الكلمةُ، وكان عنده

(١) أبو مالك، عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بَدْر الفَزَاري، من صناديد العَرَب، أسلَمَ بعد الفتح، وهو من المؤلَّفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، وكان يُعَدُّ في الجاهلية من الجرَّارين يقود عشرة آلاف، وهو سيِّد بني فزارة وفارسهم. ينظر: الاستيعاب، (٣/ ١٢٤٩)، وأسد الغابة (٤/ ٣١٨)، والإصابة (٤/ ٦٣٨).

الحُرُّ بنُ قيس(١)، وهو ابنُ أخي عُيَيْنَةَ، فقال: «يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، قال: فَوَاللهِ، مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»(٢).

فالمرادُ بالإعراض عنهم: عدَمُ عتابهم، وعدَمُ الأخذ عليهم؛ ما داموا جاهلين.

لكنْ لا بدَّ أن نعلِّمهم حتىٰ يزول الجهل؛ فلا نتركُهم علىٰ جهلهم، ولا نعرض عنهم دائمًا، بل نبدأ بتعليمهم، ونوصِّيهم بالتعلُّم.

وإذا أصروا وعاندوا ولم يقبلوا، فإن الإعراض عنهم أولىٰ، حتىٰ يشعروا من أنفسهم بالنقص؛ قال الله تعالىٰ في صفة بعض أوليائه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، هكذا حكىٰ الله عن بعض أوليائه، واللغوُ الذي يسمعونه: هو الكلامُ الباطل، أو: الكلامُ السيِّئُ الذي يعمُرُونَ به المجالس من خوض فيما لا فائدة فيه، ومن كلام سيِّء لا أهمية له، مِنْ رفعِ أصواتٍ ولَغَط، ونحو ذلك؛ فأولياء الله الصالحون إذا سمعوا هؤلاء اللاغين، أعرضوا عنهم، ثم نصحوهم، وقالوا: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾، أي:

(١) الحُرُّ بن قيس بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بَدْر الفَزَاري، صحابي، كان من جلساء عمر بن الخطاب، وكان يقدِّمه، وكان أحد الوفد الذين قدموا علىٰ النبي ﷺ مرجعه من تبوك. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٨٩٦)، والاستيعاب، (١/ ٤٠٤)، وأسد الغابة (١/ ٧١٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، حديث رقم (٤٦٤٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نحن بريئون منكم ومن أعمالكم التي منها هذا اللغو، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾، وهذا دليلٌ على أن أولئك الذين يخوضون في اللغو جاهلون.

وكذلك أمَرَ الله تعالىٰ نبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ثم أمَرَ المؤمنين بالإعراض عن مجالس اللهو، ومجالس الباطل، ومجالس الاستهزاء والسخرية وما أشبهها؛ فأنزَلَ على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، يعني: إذا لم تستطعْ أن تَرُدَّهم وترشدهم وتهديهم إلىٰ الصراط السوي وتدُلَّهم عليه، وتَصْرِفَهم عن الخوض في آيات الله واستهزائهم بها، فاجتنبهم، ولا تَجْلِسْ معهم؛ ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾، هذه الآيةُ نزلت بمكَّة خطابًا للنبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وكان الخطاب بلا شك يعم جميع المؤمنين؛ فكأن المؤمنين لم يعملوا بها أو بعضهم، فعاتبهم الله في سورة مدنية؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، فعاتبهم أشدَّ من العتابِ الأوَّلِ بقوله: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾(١)، يعني: إذا جلستم معهم وهم يخوضون في آيات الله، فإنكم شركاءُ لهم في الإثم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٤/ ١٠٢).

وهـذه الآيـةُ عامَّـة، فـإذا جلَسْـتَ مـع أنـاس في مجلـس، ورأيتَهُـمْ يستهزئون ويسخرون بالمتطوِّعين والملتزِمِينَ وأهلِ الدين، أو يسخرون ببعض شعائر الإسلام ويَلُوكُونَ بها ألسنتهم، ويتنقَّصون بعض الشعائر وبعض أهل الخير ويعيبونهم:

يَعِيبُونَ أَهْلَ الدِّينِ مِنْ جَهْلِهِمْ بِهِمْ ... كَمَا عَابَتِ الكُفَّارُ مَنْ جَاءَ مِنْ مُضَرْ

يَقُولُونَ: رَجْعِيُّونَ لَمَّا تَمَسَّكُوا ... بِنَصٍّ مِنَ الْوَحْيَيْنِ جَاءَ بِهِ الْأَثَرْ![1]

فهؤلاء إنْ قدَرْتَ علىٰ أن تَرُدَّ عليهم، وتُبْطِلَ ما يقولونه، وتُقْنِعهم بأنهم علىٰ شَرٍّ، وأنَّ عملهم عمل سيِّئ، فافعَلْ، فإنْ لم تَقْدِرْ علىٰ ذلك، فقم عنهم، وقل: إنِّي بريءٌ منكم؛ ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، قُمْ عنهمُ، واترك مجالستهم؛ حتىٰ تَسْلَمَ من الإثم، ولا تعُمَّكَ هذه الآية: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

فالحاصلُ: أن الله تعالىٰ أمر بالإعراض عن الجاهلين حتىٰ يعلِّموهم، فهم يعرضون عنهم حتىٰ يتعلَّموا ويتبيَّن لهم الحق، فإذا أصروا علىٰ جهلهم وعنادهم، فيجب الإنكار عليهم، والعقوبة تكون بعد البيان؛ فيجب أن يعاقبوا بعد البيان، لأنهم بعد البيان إذا أصروا علىٰ التجاهل، فهؤلاء ليسوا جهلة، ولكنهم معاندون مارقون.

(١) البيتان للشيخ صالح بن سليمان بن سحمان، المتوفىٰ سنة ١٤٠٢هـ، ينظر: مجموعة القصائد الزهديات (ص ١٠٧).

ذكروا عن الخليل بن أحمد[١]: أنه كان مرة يقطِّع أبياتًا من الشعر، فسمعه ابنه، فخرَجَ إلىٰ المسجد، فقال: إن أبي قد أصابه جنون، فأدخَلَهم عليه، وهو يضرِبُ الطَّسْتَ، فقالوا: يا أبا عبدالرحمن، ما لَكَ؟ أصابك شيء؟! أتُحِبُّ أن نعالجك؟ فقال[٢]:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا

لَكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا

وقال أيضًا: الناسُ أربعة: ١- فرجُلٌ يدري، ويدري أنه يدري؛ فذلك عالمٌ فاعرفوه، ٢- ورجلٌ يدري، ولا يدري أنه يدري؛ فذلك غافلٌ فأَيْقِظوه، ٣- ورجلٌ لا يدري، ويدري أنه لا يدري؛ فذلك جاهلٌ فعلِّموه؛ ٤- ورجلٌ لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري؛ فذلك مائقٌ فاجتنبوه[٣].

والأخير هو شَرُّها، ويسمَّىٰ: الجاهلَ المركَّبَ، الذي يكون جاهلًا ويدَّعي أنه عالم.

يقولُ بعضُهم في وصفه:

(١) الخليل بن أحمد الفَرَاهِيدي، ويقال: الفرهودي، أبو عبدالرحمن الأزدي؛ كان الغايةَ في استخراج مسائل النحو، وتصحيح القياس فيه، وهو أول من استخرج العَرُوض، وحصَرَ أشعار العرب بها، وعمل أول كتاب العين المشهور، وكان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلىٰ العلم، وهو أستاذ سيبويه، وعامَّة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، توفي سنة: ١٧٠هـ، أو بعدها. ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي (ص٣١)، ومعجم الأدباء (٣/ ١٢٦٠)، ووَفَيَات الأعيان (٢/ ٢٤٤).

(٢) ينظر: طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٩٨)، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص ٤٥).

(٣) ينظر: جمهرة أشعار العرب (ص ٤٣).

لَمَّا جَهِلْتَ جَهِلْتَ أَنَّكَ جَاهِلٌ جَهْلًا، وَجَهْلُ الْجَهْلِ دَاءٌ مُعْضِلُ

ويقولُ آخر(١):

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّكَ لا تَدْرِي وَأَنَّكَ لا تَدْرِي بِأَنَّكَ لا تَدْرِي

تعتقد أنك عالم، وأنت في الحقيقة جاهل:

وَإِنَّكَ بَيْنَ الجَاهِلِينَ تَقَلَّبُ

فالحاصلُ: علينا أن نُعْرِضَ عن الجاهلين حتىٰ يتعلَّموا، ويُبَيَّنَ لهم الحق، فإذا تعلَّموا وبُيِّنَ لهم الحق، فلا نتركُهم، بل ننكر عليهم ونعاقبهم ونُقِيمُ العذرَ بينهم، ونأخُذُ الحق منهم، أما ما داموا جاهلين، فإننا نرشدهم ونعلِّمهم.

وفي خاتمة الرسالة يقول المؤلِّف: (**هذا أصلُ الدِّينِ والمَذْهَب، واعتقادُ أئمَّةِ أهلِ الحديث**):

يعني: جميعُ ما تقدَّم في هذه الرسالة جعله أصلًا.

والأصلُ: هو الأساسُ؛ لأنه هو الذي يبنىٰ عليه غيرُهُ؛ كأساس الحائط، وأساس العمود؛ فإنه إذا تأصَّل وثبَتَ، تحمَّل ما يبنىٰ عليه، أما إذا كان علىٰ شفا جرف هار، فإنه يسقط: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]،

(١) عزاه الماوَرْدي في أدب الدنيا والدين (ص٧٦) لأبي القاسم الآمدي.

والجُرُفُ: هو ما يَحْفِرُهُ السيلُ[(١)]، فإذا بنى الإنسان مثلاً جداره قريبًا من مجرى السيل، وجعله على وجه الأرض، جاء السيل، فحفَرَ عن الجدار، وحَمَل التراب الذي تحته، فلا يبقى الجدار متعلِّقًا، بل يسقط، وهذا معنى: ﴿أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]؛ وهو مثال.

فيقولُ: إن هذه القواعدَ وهذه العقائدَ هي أصلُ الدِّين، يعني: أساسه.

ولا شك أن الأصلَ له فروع، فإذا ثبَتَ الأصل واستقرَّ، فإن الفروع التي بعده تكون تابعةً، ومكمِّلةً له، ولا شك أن من حافظ على الأصول، حرص على الفروع.

فمَنْ عرَفَ الله تعالى حقَّ المعرفة، وآمَنَ بقدرته، وآمَنَ بعلمه، وآمن بسمعه وبصره، وآمن بعذابه وثوابه، وآمن بمنعه وعطائه، وكذلك أيضًا تحقَّق أنه قادر على أن يَبْطِشَ بالعاصي ويُنْزِلَ به عقوبته، وكذلك أيضًا تحقَّق أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وآمَنَ بالبعث بعد الموت، وبما يكون فيه، فلا شك أن جوارحه تنبعث إلى الطاعات.

وهذا معنى كونه على أصل، وعلى أساس، تنبعثُ بسببه جوارحه؛ فيبادر إلى الصلوات، ويُكْثِر من نوافل العبادات، ويكثر من ذكر الله تعالى في كل الحالات، ويؤدِّي الصدقات والزكوات، ويُكْثِر من صيام التطوعات، ويحج ويعتمر، ويجاهد، ويذكر الله ويدعوه، ويتصدَّق، ويدعو إلى الله تعالى، ويتعلَّم ما ينفعه، ويتدبَّر كتاب الله؛ لأن الإيمان -وهو الأصل الأصيل الذي امتلأ به قلبه- دفَعَهُ إلى هذه الأعمال كلها.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٤٤)، ولسان العرب (٩/ ٢٥): (ج ر ف).

وكذلك أيضًا: لا بدَّ أن يبتعد عن الآثام وأنواع الإجرام؛ فإذا علم وتحقَّق أن ربه شديدُ العقاب، وأنه سريعُ الحساب، وأنه عزيزٌ ذو انتقام، وأنه يغضبُ علىٰ من عصاه، وينتقِمُ منه، حرَصَ علىٰ أن يبتعد عن المعاصي.

إذن: فالأصلُ الأصيلُ هو: العقيدة، فإذا ثبَتَتْ هذه العقيدة، فالفروع التي تتفرَّع عنها تابعةٌ لها، مستلزمةٌ لها.

والمراد بـ «المَذْهَبِ»: ما قال به إمامٌ مجتهد، ومات عليه، يسمَّىٰ: مذهبًا له، **ومعروف أن أئمة أهل السنة كلُّهم متفقون علىٰ العقيدة، ليس بينهم اختلاف؛ فمذهبهم في العقيدة واحد.**

فقوله: **(واعتقادُ أئمَّة أهلِ الحديث)**، يعني: هذا الأصلُ وهذا المذهبُ هو معتقَدُ أئمَّة الحديث.

وخصَّ أهل الحديث؛ لأنهم أولىٰ بالاتِّباع؛ لاشتغالهم بالحديث وتَكْرارهم له، وروايتهم وحفظهم له، وكتابته واستنساخه، وسَفَرهم في طلبه، وحِرْصِهم علىٰ جمعه، وتبويبه وترتيبه وتنسيقه، وشرح غريبه، ومعرفةِ صحيحه من سقيمه، ونحو ذلك.

وهذا الاجتهادُ الذي بذلوه في الحديث مكَّنهم من أن يعتقدوا الاعتقاد الصحيح؛ فغَيْرُهم ليس مثلهم، فإذا نظرنا إلىٰ المبتدعة الذين خالفوا في هذه العقيدة، **وجَدْنا سببَ ذلك**: عدَمَ اشتغالهم بالحديث، وإذا اشتغلوا به، فإنما هو اشتغال مبدئي، مجرَّدُ نظَرٍ وسماعٍ، دون أن يكون ذلك شُغْلَهم الشاغل.

فأئمَّةُ الحديثِ: كالبخاريِّ، ومسلم، وأحمد، وأبي داود، والتِّرْمِذيّ، والنَّسائيّ، وابن ماجه، والدَّارِمِيّ، ومالك، ومَنْ قبلهم: كشُعْبة بن الحجَّاج(١)، وسُفْيان الثَّوْري(٢)، وسفيان بن عُيَيْنة(٣)، والليث بن سَعْد(٤)، وحمَّاد بن زيد(٥)، وحمَّاد بن سَلَمة(٦)، وعبدالرزَّاق بن همَّام، ومحمَّد بن رافع، وأشباههم، هؤلاء جعلوا الحديث شُغْلَهم الشاغل؛ يشتغلون به

(١) شعبة بن الحجَّاج بن الوَرْد، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، مولىٰ ابن عَتِيك؛ كان سفيان يقول: شعبةُ أمير المؤمنين في الحديث، وهو من العلماء الجهابذة النقاد بالبصرة، وكان من سادات أهل زمانه حفظًا وإتقانًا وورعًا وفضلًا، توفي في سنة ١٦٠هـ. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٢٤٤)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٢٦)، والثقات لابن حبان (٦/ ٤٤٦).

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حَبِيب، أبو عبدالله الثوري الكوفي؛ كان ثقةً مأمونًا ثبتًا كثيرَ الحديث حجَّة إمامًا في علم الحديث وغيره من العلوم، أجمَعَ الناسُ علىٰ دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين، توفي سنة: ١٦١ هـ. ينظر: الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٧١)، والتاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٩٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩).

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد الهلالي مولاهم، الكوفي ثم المَكِّي، كان رَحِمَهُ اللَّهُ من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين، ممن عُنِيَ بعلم كتاب الله وكثرة تلاوته له وسهره فيه، وعُنِيَ بعلم السنن وواظب علىٰ جمعها والتفقه فيها إلىٰ أن توفي في سنة: ١٩٨هـ. ينظر: الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٤٩٧)، والتاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٩٤)، ومشاهير علماء الأمصار (ص٢٣٥).

(٤) الليث بن سعد بن عبدالرحمن، أبو الحارث المصري، كان كثير العلم صحيح الحديث، من سادات أهل زمانه فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا وسخاء، توفي في سنة: ١٧٦ هـ. ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ١٧٩)، والثقات لابن حبان (٧/ ٣٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦).

(٥) أبو إسماعيل، حمَّاد بن زيد بن دِرْهَم البصري، مولىٰ آل جرير بن حازم، كان ثقةً ثبتًا حجَّةً كثير الحديث، وكان ضريرًا، يحفظ حديثه كله، توفي في سنة: ١٧٩ هـ. ينظر: الطبقات الكبرىٰ (٧/ ٢٨٦)، ورجال صحيح مسلم (١/ ١٥٥)، وتهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩).

(٦) حمَّاد بن سَلَمة بن دينار، أبو سَلَمة البصري الخَزَّاز الربعي بالولاء، كان من العباد المجابين الدعوة، وأحد رجال الحديث، توفي في سنة: ١٦٧ هـ. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٢)، والثقات لابن حبان (٦/ ٢١٦)، وتهذيب الكمال (٧/ ٢٥٣).

ليلهم ونهارهم، لا يفتُرُونَ ولا يَمَلُّون، يسافرون لأجل أن يتلقَّوُا الأحاديث، ويحرصون علىٰ أن يأخذوها عن كبار الأسنان، يكتبونها، ويجمعونها، ويؤلِّفونها، فصارت شغلهم.

فنقولُ: إنهم بذلك أهلٌ أن يكونوا أهل السنة، وأن يكونوا هم الفِرْقةَ الناجية، وأن يكونوا علىٰ الطريقة المستقيمة، وأن يكونوا علىٰ مثل ما عليه السلف والأئمة، والصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون.

قولُ المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الذين لم تَشِنْهُمْ بِدْعة، ولم تَلْبَسْهُمْ فِتْنة)**:

البدعُ غالبًا ليست في أهل الحديث؛ إذا نظَرْنا في أولئك المبتدعة، وجدناهم بعيدين عن الحديث:

فمثلًا: بدعة التكفير؛ وهي بدعةُ الخوارج الذين يكفِّرون بالذنوب، هؤلاءِ لا يعترفون بالأحاديث؛ إنما يعكُفُونَ علىٰ القرآن، ومعلومٌ أن القرآن فيه مجمَلاتٌ تحتاج إلىٰ البيان من النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله كلَّفه بذلك بقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فلما اقتصروا علىٰ القرآن، وأخذوا بمُجْمَله، فهم اخذوا بمجمله دون مبيَّنه، وبمتشابهه دون محكمه، كفَّروا بالذنوب، واستباحوا الخروج علىٰ المسلمين، وقتلوا الأبرياء، ولو كانوا من أهل الحديث، لَسَمِعوا حُرْمةَ قتل المسلم، والتبديع في ذلك؛ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي**

رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ»(١)، وقولِهِ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٢)، وقولِهِ: «إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»(٣)، وقولِهِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»(٤)، ما سمعوا بهذه، وإذا سمعوا بها، فإنهم لم يقبلوها.

وكذلك بِدْعة القدريَّةِ؛ وهم الذين أنكروا علم الله تعالىٰ، ما سمعوا بالأحاديث التي فيها عِلْمُ اللهِ السابقُ؛ مثلُ حديث: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ»، ومثلُ حديث: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ»(٥)، وما أشبهها من الأحاديث، فلم يؤمنوا بذلك، وكذلك الإيمانُ بقُدْرةِ الله تعالىٰ، لم يقبلوا ذلك، ولم يشتغلوا به.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، حديث رقم (٦٨٧٨)، ومسلم، كتاب القَسامة والمحاربين، والقَصاص والدِّيات، باب ما يباح به دم المسلم، حديث رقم (١٦٧٦)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، حديث رقم (١٢١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، حديث رقم (٦٥)، من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾، حديث رقم (٣١)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، حديث رقم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُبَّ مبلَّغٍ أوعىٰ من سامع، حديث رقم (٦٧)، ومسلم، كتاب القَسامة والمحاربين والقَصاص والدِّيات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدِّث عند القبر، وقعود أصحابه حوله، حديث رقم (١٣٦٢)، ومسلم، كتاب القَدَر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك بدعةُ المعتزلة؛ وهم الذين أنكروا صفاتِ الله تعالىٰ، وسمَّوْا ذلك: توحيدًا! لو أنهم تأملوا في الأحاديث؛ كأحاديثِ النزول، وأحاديثِ الرؤية، وأحاديثِ صفات الأفعال، وأحاديثِ صفةِ العُلُوِّ، وأحاديثِ أنَّ الله تعالىٰ في السماء، وما أشبه ذلك[١]، لو كانوا يشتغلون بالأحاديث، لعرَفوها وتقبَّلوها.

وكذلك أيضًا يقال في الرافضة: أنهم لم يشتغلوا بالأحاديث، وتسلَّطوا علىٰ الآيات التي فيها فضلُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وحرَّفوها، وانشغلوا بها عن الأحاديث، وأعرَضُوا عن السنة، وإلا فلو تأمَّلوا الأحاديث التي في فضلِ الشيخَيْنِ أبي بكر وعمر، وفَضْلِ عثمان، وطلحةَ، والزُّبَيْرِ وغيرهم، لَمَا صَدُّوا عنها، ولعرفوا أنها حق يقين، وأنها تدُلُّ علىٰ فضلهم ومزيَّتهم، ولكنْ لما لم يشتغلوا بها، وبَقُوا علىٰ جهلهم، واعتقدوا ما اعتقدوه، وإنْ كان متأخِّروهم قد اشتغلوا بها، ولكنْ بعدما وقَرَتْ تلك البدعة في قلوبهم.

ويقال كذلك في بقية البدع: إنَّ مَنْ شانَتْهُ البدعة، ولَبِسَتْهُ الفتنة، فإنه ليس من أهل السنة، وليس من المتمسِّكين بما كانوا عليه.

ولا شك أن البدعة تَشِينُ أهلها، والفتنةُ التي تلبسهم وتعُمُّهم لا شك أنها تَصْرِفهم وتصدُّهم عن الهدىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولم يَخِفُّوا إلىٰ مكروهٍ في دِينِ الله)**.

يعني: ما فعلوا المكروه؛ يقال: خَفَّ[٢] فلان إلىٰ الذنبِ مثلاً، وخَفَّ

---

(١) مَرَّ فِي الكتاب جملة من ذلك.

(٢) خَفَّ الشيء خِفَّة: فهو خفيف، وخفة الرجل: طيشه، وخَفَّ الشخص: خفَّ عقله، طاش وحمق. ينظر: العين، (باب الخاء والفاء) (٤/ ١٤٣)، وأساس البلاغة: (خ ف ف) (١/ ٢٥٩)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: (خ ف ف) (١/ ٦٧٠) رقم (١٦٥٥).

فلان إلىٰ الغِيبة، وخَفَّ فلان إلىٰ النميمة، يعني: أسرَعَ إليها؛ كما يقال: خَفَّ إلىٰ سماع الغناء، وخَفَّ إلىٰ سماع اللغو والباطل، وخَفَّ إلىٰ فعل الفواحش، وخَفَّ إلىٰ النظر في المحرَّمات.

فهؤلاء الذين وصفهم ما خَفُّوا إلىٰ المكروهات، بل حجَزُوا أنفسهم، ولو كانت تلك المكروهات فيها شيءٌ من الدوافع النفسية، ولو كانت تشتهيها الأنفس، وتتلذَّذ بها الأعين.

ومعلوم أن الله تعالىٰ حَفَّ النار بالشهوات؛ كما في الحديث: «**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»(١)؛ فالذي يندفع مع شهوته، تدعوه تلك الشهوات إلىٰ أن يكون من أهل النار؛ كمَنْ شهوتُهُ الزنىٰ، وشهوتُهُ الغناء الذي يلتذُّ به، وشهوته النظَرُ إلىٰ الأفلام والصور الفاتنة، والنظَرُ إلىٰ النساء المتبرِّجات وما شابهه، وشهوته الكبرُ، والعُجْبُ، والبطش، والغِشُّ، وأكل الأموال بغير حق، والسلبُ، والنهبُ، والقتل، والاستطالةُ علىٰ الناس، وما أشبه ذلك.

إذا عرَفَ أن هذه الشهوات تدفعه إلىٰ مكروه، وإلىٰ ما لا يحبه الله تعالىٰ، فإنه لا يَخِفُّ إليها، لا يخف إلىٰ مكروه في الدين، بل يَحْجِزُ نفسه ويملكها، ويُمْسِكُ بزمامها ويصرفها إلىٰ الحق والخير، ولو كان ثقيلًا علىٰ النفس.

ومن المعلوم: أنَّ الطاعات تكون ثقيلةً علىٰ كثير من النفوس، وإن كانت خفيفةً علىٰ أهل الخير؛ فقد ذكَرَ الله تعالىٰ أن الصلاةَ ثقيلةٌ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، يعني: أنها ثقيلةٌ إلا علىٰ الخاشعين.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (٢٨٢٢)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثـم يوصـي المؤلِّـفُ رَحِمَهُ اللَّهُ، فيقـول: (**فتمسَّـكوا معتصِمِيـنَ بحَبْـلِ الله جميعًـا، ولا تفرَّقـوا عنـه**):

أخـذ ذلـك مـن الآيـة الكريمـة في سـورة آل عمـران: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴾ [آل عمـران: ١٠٣]، إلـىٰ قولـه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ...﴾ [آل عمـران: ١٠٥].

والتمسُّكُ: هو الإمساكُ القويُّ بالشيء الذي يكون سببًا في نجاته.

والحَبْلُ في الأصلِ: هـو الخيطُ -الـذي يُدْلَـىٰ بـه الدَّلْـوُ- يفتـلُ مـن لِيفٍ أو نحـوه، فيُدلـىٰ في الآبـار، ويُغـترَفُ بـه المـاء.

وقـد يكـون هـذا الحبل سـببًا في الخروج مـن الأزمات، ومـن المَهَاوِي[(١)]، ومـن الحُفَرِ والـدَّرَكاتِ النازلـة، ونحو ذلك.

فشبَّه الله تعالىٰ القرآن والسنة والدِّينَ، بالحَبْلِ الذي أُدْلِيَ من السماء.

جـاء في بـعـض الأحـاديـث: أنَّ رَجُـلًا رَأَىٰ مَـنَـامًـا، فَقَـصَّـهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه «... **وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ، فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَانْقَطَعَ، ثُمَّ وُصِلَ**»[(٢)].

فأوَّلـوا ذلـك بالخلفـاء الثلاثـة بعـده، وأنـه في عهـد عثمـان قُطِـعَ عليـه؛ حيـثُ إنـه عاقـه هـؤلاء الذيـن عاقـوه وعابـوه، فجعَـلَ هـذا الحبـلَ واضحًـا

---

(١) المَهَـاوِي: جمـع مَهْـواة -بفتـح الميـم- مـا بيـن الجبليـن، وقيـل: الحفـرة. ينظـر: المصبـاح المنيـر (٢/ ٦٤٣).

(٢) أخرجـه البخـاري، كتـاب التعبيـر، بـاب مـن لـم يـر الرؤيـا لأول عابـر إذا لـم يُصِـبْ، حديـث رقـم (٧٠٤٦)، ومسـلم، كتـاب الرؤيـا، بـاب في تأويـل الرؤيـا، حديـث رقـم (٢٢٦٩)، مـن حديـث عبدالله بـن عبَّـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

حِسِّيًّا، وفي الحقيقة: أنه حبلٌ معنويٌّ، بمعنىٰ: أنه وسيلةٌ إلىٰ الصعود، كأنما أُدْلِيَ حبلٌ من السماء، وأن الذي يتمسَّك به يصعد به إلىٰ الدرجات العالية.

فلذلك قال: **تمسَّكوا به؛** ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، فيأمرنا بالتمسُّك، يعني: إمساكَهُ باليدَيْنِ بقوة، والاجتماعَ علىٰ هذا الحبل، وعدَمَ التفرُّق، معتصمين ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعلموا: أنَّ الله تعالىٰ أوجَبَ محبَّتَهُ ومغفرتَهُ لمتَّبعي رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في كتابه)**:

يعني: أوجب لهم محبَّته، ومغفرتَهُ، إذا اتَّبعوا رسوله؛ فإنه يحبهم ويغفر لهم؛ كما ذكر في الآية الآتية.

وقوله: **(وجعَلَهُمُ الفِرْقَةَ الناجية، والجماعةَ المتَّبِعة)**:

يعني: الذين اتَّبعوا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الفرقةُ الناجية، وهم الجماعةُ المتَّبعة، أي: الفرقةُ الناجيةُ من ثلاث وسبعين فرقةً، وهم -كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصفهم-: «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»، أصحابه، يعني: أتباعه وصحابته؛ فمَنْ كان علىٰ مثل ما هو عليه، فإنه من الفرقة الناجية، والجماعة المتَّبعة.

وقد ثبت في بعض الروايات أنه قال: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ**».

وفسَّروا الجماعة بأنهم: المجتمِعونَ علىٰ الحق والخير، هؤلاء حقًّا هم جماعةُ الإسلامِ، وجماعةُ المسلمين، وقد سبَقَ أن أشرنا إلىٰ الأدلة علىٰ ذلك.

وقولُ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فقال** عَزَّوَجَلَّ **لِمَنِ ادَّعىٰ أنه يُحِبُّ الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]):

هـذا خطابٌ لمن ادَّعىٰ أنه يُحِبُّ الله وليس بصادق، وذكروا أن هذه الآيةَ نزلَتْ ردًّا علىٰ اليهود والنصارىٰ الذين يدَّعون أنهم أحبابُ الله[١]، حكىٰ الله تعالىٰ ذلك في سورة المائدة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، يعني: الذين نحبُّه ويحبُّنا؛ فلما ادَّعَوْا هذه الدعوىٰ، كان لا بدَّ من امتحانهم، فامتُحِنوا بهذه الآية في سورة آل عمران، وهذه الآيةُ تسمَّىٰ: آية المِحْنة، وبعضهم يسمِّيها: آيةَ المحبَّة، **والصواب**: أنها آية المِحْنة، يعني: أن الله تعالىٰ امتحَنَ بها من ادَّعىٰ أنه يحبه، فاختبَرَهُ وجعَلَ لمحبته علامة؛ فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، أي: إذا كنتم صادقين في أنكم تحبون الله، فإن لمحبة الله تعالىٰ علامةً، وهي: اتِّباعُ رسولِهِ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فحقِّقوا الاتِّباع؛ حتىٰ تكونوا صادقين في هذا الادعاء:

وَالدَّعَاوَىٰ إِنْ لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَرْبَابُهَا أَدْعِيَاءُ[٢]

فلا بدَّ أن تقيموا عليها البيِّنة، **وهذه البيِّنةُ جعلها الله تعالىٰ: اتِّباعَ رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاتباع ليس هو مجرَّدَ القول؛ فإن كثيرًا من الناس يقولون: نحن نحبُّ الله، ونحن نحبُّ الرسول، فإذا قيل لهم: لماذا لا تتَّبعونه؟! يقولون: نحن متَّبعون له، نحن مطيعون له، فيقالُ: قد

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٢٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص ١٠٣)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٧).

(٢) ذكره المُحبي في خلاصة الأثر (٣/ ٢٨٤).

نقَصْتم في الاتِّباع، وقد قصَّرتم فيه، وقد فاتكم كذا وكذا، وقد ارتكبتم كذا وكذا؛ فليس هذا هو الاتِّباع الواجب؛ **فإن الاتِّباع الواجب: هو أن تتمسَّكوا بسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تطيعوه في كل دقيق وجليل**؛ حتى تكونوا صادقين في أنكم من أتباعه حقًّا.

وقد رتَّب الله تعالى على اتِّباعه: الهدى؛ فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فإذا رأيتَ مثلًا الذي يسمع قول النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْفُوا اللِّحَى**»[(١)]، ويَحْلِقُها، فقل له: أين الاتِّباع؟! لستَ من المتبعين حقًّا، وإذا رأيتَ الذي يطيلُ اللباس ويجُرُّ لباسه خُيلاء، فقل له: ألم يقل النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ**»[(٢)]؛ أين الاتِّباع؟! أين الموافقة؟! أين الطاعة؟! وهكذا إذا رأيتَ الذي يتكبَّرُ ويفتخر بأعماله، أو يفتخر بجاهه وبمنصبه، فقل له: ألستَ تسمعُ قول النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[(٣)]؛ أين الطاعة؟! أين الاتِّباع؟! إذن: لستَ من المتَّبعين له حقًّا.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب إعفاء اللحى، حديث رقم (٥٨٩٣)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، حديث رقم (٢٥٩)، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، بابٌ، حديث رقم (٥٧٨٣)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء، وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه، حديث رقم (٢٠٨٥)، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكِبْرِ وبيانه، حديث رقم (٩١)، من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نقول كذلك في جميع المعاصي، للذين يعصون الرسول ﷺ، وأيضًا في ترك الطاعات، للذين يتركُونَ الطاعات، وهم يقولون: نحنُ نتَّبِعُ الرسول، ونحن من أمَّة محمد ﷺ، ونحن من أهل شريعته!

فنقولُ: لم تحقِّقوا هذا الانتساب والانتماء، ولم تحقِّقوا ما ادَّعيتم من أنكم تحبون الله ورسوله.

وقد ذُكِرَ عن بعض السلف أنه قال: «من ادَّعَىٰ محبَّةَ الله، ولم يوافِقْهُ، فدعواه باطلة»[(١)].

وإنما تكون دعواه صحيحة؛ إذا وافق أوامرَ الله، وأوامرَ رسوله.

وسُئِلَ ذو النُّونِ المصريُّ[(٢)] -وهو من تابعي التابعين- فقيل له: متىٰ أُحِبُّ ربي؟ قال: إذا كان ما يُبْغِضُهُ أَمَرَّ عندك من الصَّبِرِ[(٣)]، والصَّبِرُ: هو نباتٌ مرُّ المذاق[(٤)]، يعني: إذا كانت المعاصي أَمَرَّ عندك من الصَّبِرِ، ولو كانت النفوس تشتهيها وتندفع إليها، ولكنَّك تَكْرَهها؛ لأن الله تعالىٰ حرَّمها.

ومعلومٌ أن الإنسان إذا كانت المعاصي عنده كريهةً، كانت الطاعات عنده لذيذةً وسهلةً ومحبوبة، يحبها؛ لأن ربَّه تعالىٰ أَمَرَ بها، ولأنه حبَّبها إلىٰ عباده؛

---

(١) عزاه ابن رجب في كتاب كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص٣٢)، وجامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٧)، لأبي يعقوب النَّهْرَجُوري.

(٢) ذو النُّون المصري، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، الزاهد، شيخ الديار المصرية، قل ما روىٰ من الحديث، وكان واعظًا، فصيحًا، حكيمًا، وشاع أنه أحدَثَ علمًا لم يتكلَّم فيه السلف، وهجروه حتىٰ رمَوْهُ بالزندقة، توفي سنة: ٢٤٦ هـ. ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/ ٣٩٨)، ووَفَيَات الأعيان (١/ ٣١٥)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢).

(٣) ينظر: حلية الأولياء (٩/ ٣٦٣).

(٤) ينظر: لسان العرب (٤/ ٢٤٤): (ص ب ر).

فالله تعالىٰ حبَّب إلىٰ عباده الطاعات، وكرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيان؛ كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، حبَّبه إليهم، فصار لذيذًا عندهم، حتىٰ لو كانت تلك العبادات ثقيلة.

وقد ثبَتَ أن النبيّ ﷺ جعل لمحبة الله تعالىٰ علامةً، وهي مأخوذةٌ من هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ ففي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

فجعَلَ هذه الثلاثةَ علامةً علىٰ صدق المحبة، وعلىٰ صدق الإيمان، وعلىٰ حلاوته: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**».

ومعلومٌ أنه إذا أحَبَّ اللهَ ورسوله، فلا بدَّ أن يطيعه، ولا بدَّ أن يمتثِلَ أوامره، فإذا لم يفعَلْ، فدعواه كاذبةٌ؛ ولذلك يقول بعضهم(٢):

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... هَذَا عَجِيبٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصالٍ مَنِ اتصف بهنَّ، وجَدَ حلاوة الإيمان، حديث رقم (٤٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) نسبها البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٤٩٢) لأبي العتاهية، ونسبها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٦٩) لعبدالله بن المبارك.

لَـوْ كَانَ حُبُّـكَ صَادِقًـا لأَطَعْتَـهُ ... إِنَّ المُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ مُطِيـعُ

فالمحبـةُ الصادقـةُ تسـتلزِمُ: طاعـةَ المحبـوب، وموافقتَـهُ واتِّبـاعَ مـا أتـىٰ عنـه.

وقـد جعَـلَ الله تعالـىٰ لاتِّبـاع الرسـول ﷺ فائدتَيْنِ في هـذه الآيـة: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ثـم قـال بعدهـا: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

فائدتان عظيمتان لمحبَّةِ الله تعالىٰ ولمحبَّةِ رسوله ﷺ، وطاعَتِهما، واتِّباعِ أوامرهما؛ لا يقدُرُ قدرهما إلا الله:

الأولىٰ: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

والثانية: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وكلٌّ منـا يـوَدُّ أن الله تعالـىٰ يحبُّـه، ويـوَدُّ أن الله يغفـر لـه؛ فمـا أسـهَلَ سـببَ ذلـك؛ فالسـببُ الـذي تحصُـلُ بـه علـىٰ محبـة الله تعالـىٰ ورسوله ﷺ يسـيرٌ، وهـو في هـذه الآيـة: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ .

ولا شـك أن مـن أحبَّـه الله تعالـىٰ، فإنـه يوفِّقـه لـكل خيـر، ويسـدِّد خطـاه، ويرشـده ويُثبِّته؛ فـلا يميـلُ إلـىٰ معصيـة، ولا يفعـل ذنبًا، ولا يُخِلُّ بطاعـة، بـل تكـونُ أفعالـه كلهـا مـن الطاعـات.

وقـد اسـتُدِلَّ علـىٰ ذلـك بقولـه تعالـىٰ في الحديـثِ القدسـيِّ في صحيـح البخـاري: «**مَـنْ عَـادَىٰ لِـي وَلِيًّـا، فَقَـدْ آذَنْتُـهُ بِالحَـرْبِ، وَمَـا تَقَـرَّبَ إِلَـيَّ عَبْـدِي بِشَـيْءٍ أَحَـبَّ إِلَـيَّ مِمَّـا افْتَرَضْـتُ عَلَيْـهِ، وَلا يَـزَالُ عَبْـدِي يَتَقَـرَّبُ إِلَـيَّ بِالنَّـوَافِلِ**

حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»(١) .

وفي بعض الروايات: «...**فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي، وَلَئِنْ سَأَلَنِي، لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدتُّ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، كَتَرَدُّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»**(٢) .

فالشاهدُ: أن الله جعل في هذا الحديث التقرُّبَ بالنوافل بعد الفرائض سببًا لمحبة الله تعالىٰ للعبد، يعني: ما بينك وبين أن تكونَ مِنْ أحباب الله إلا أن تتقرَّبَ إليه بالنوافل بعد الفرائض:

أولًا: المحافظةُ علىٰ الفرائض، يعني: علىٰ ما فَرَضَهُ الله تعالىٰ من العبادات؛ كالصلوات، والصدقات، والزكوات، والصوم، والحج، وما أشبه ذلك، وكذلك التقرُّبُ إلىٰ الله بتركِ المحرَّمات كلها، والابتعادِ عنها؛ **هذا هو الأول**.

ثانيًا: تتقرَّب إلىٰ الله تعالىٰ بالنوافل؛ بتركِ المكروهات، وبفعلِ المستحبَّات التي رغَّب الله تعالىٰ فيها، وأحبَّها:

نوافلُ الصلواتِ كثيرةٌ: صلاةُ الليل، وصلاةُ الضحىٰ، والرواتبُ، وما أشبهها.

نوافلُ الأذكارِ التي تُفْعَلُ في خارج الصلاة: الذِّكْرُ، والدعاء، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، وما أشبه ذلك.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) هو جزء من الحديث السابق، وهذا اللفظ ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٣٩٠)، وابن كثير في التفسير (٤/ ٥٩٠).

نوافلُ قراءة القرآن؛ فالقراءةُ منها واجب؛ كما في الصلاة، ومنها ما هو مسنون، وهو القراءة خارج الصلاة.

كذلك نوافلُ الصدقات، ونوافلُ الصيام، ونوافلُ الجهاد، ونوافلُ الحج، ونوافلُ القُرُبات، وما أشبه ذلك؛ كل هذه تسمَّىٰ: تطوُّعات؛ «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**».

ذكَرَ أنه إذا تقرَّب بهذه القربات، فإن الله يحبُّه، ثم بعد أن يحبَّه تحصُلُ له هذه الفائدة، وهي: أن تكون حرَكَاتُهُ كلُّها فيما يريده الله وفيما يحبه؛ فلا يتكلَّم إلا بطاعة، ولا يستمع إلا إلىٰ خير، ولا يمشي إلا إلىٰ حَسَنات أو فعل طاعات، ولا يعمل بيدَيْهِ إلا ما يرضي ربه سبحانه، ولا ينظُرُ بعينَيْهِ إلا إلىٰ شيء يفيده وينفعه؛ فيكون الله تعالىٰ قد وفَّقه لما أحبه.

ومعلومٌ أن محبة الله تعالىٰ لها مكمِّلات؛ فمحبَّةُ الله لا شك أنها واجبة، وكذلك محبة رسوله عليه الصلاة والسلام، **وعلامتها**: أن يُبْغِضَ كل ما يشغله عن طاعة الله، ذكروا ذلك في تفسير الآية في سورة التوبة عند قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [التوبة: ٢٤].

يعني: إذا أحببتم هذه الأصنافَ الثمانية، وقدَّمتموها علىٰ محبَّة الله، ومحبَّة رسوله، ومحبَّة الجهاد في سبيله، ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾، أي: انتظروا ما يَحِلُّ

بكم[١]؛ فقد قدَّمتم ما ليس بمقدَّم، وفضَّلتم ما ليس بفاضل، وقد أحببتم عرَضَ الدنيا، وقدَّمتموه علىٰ محبَّة الله تعالىٰ ومحبَّة رسوله ومحبَّة ما يحبُّه الله تعالىٰ.

فعُرِفَ بذلك: أن هذه الخَصْلةَ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾، فيها أجرٌ كبير، وأن الذي تحصُلُ له محبة الله يحصُلُ له الخير الكثير.

جاء في غَزْوةِ خَيْبَرَ قولُ النبيّ ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[٢]، فحرَصَ كل منهم علىٰ أن يكون هو الذي يأخذ الراية، كلُّهم يقولون: نحن نحبُّ الله ورسوله، ولكنْ نريد الخَصْلةَ الثانية، وهي: أن يُحِبَّنا الله ورسوله؛ فمن حصلت له هذه الخصلة، فقد حصلت له الرتبة العالية؛ ولذلك بات الناس يخوضون أيُّهم يعطاها؟ ويتمنَّىٰ كل منهم أن يُعْطاها؛ حتىٰ قال عمر: ما أحببتُ الإمارة إلا يومئذ[٣]، فأراد بذلك أن يكون من الذين يحبُّهم الله ورسوله، فعرَفْنا بذلك أن من أحبَّه الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، فقد أراد به خيرًا.

وأما **الخَصْلةُ الثانيةُ**، وهي المغفرةُ: ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾، فهي أيضًا خَصْلة عظيمة نافعة، وما ذاك إلا أن الذي يحصل علىٰ مغفرة الله تعالىٰ لذنبه، يفوزُ بالدَّرجات العلا، وبالأجر العظيم.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلىٰ الإسلام والنبوة، وألَّا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، حديث رقم (٢٩٤٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (٢٤٠٦)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) ينظر: السنن الكبرىٰ للنسائي، كتاب الخصائص، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة فيه، حديث رقم (٨٣٥٢).

وإذا قال قائل: أنا لستُ مذنبًا، فكيف تُغْفَرُ ذنوبي؟

نقول: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ**»[(١)]، ليس أَحدٌ منا إلا وعليه ذنبٌ أو ذنوب، ليس أحدٌ يأتي يوم القيامة إلا وعليه ذنوبٌ.

وقد كان النبيُّ ﷺ يعُدُّ من الذنوبِ: الغَفْلَةَ عن ذكر الله تعالىٰ؛ فيبادر إلىٰ الاستغفار.

يقول ابن عمر رضي الله عنه: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»؛ مِائَةَ مَرَّة[(٢)]؛ يقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي**»! والله تعالىٰ قد غفَرَ له؛ قال تعالىٰ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، ولكنْ كان يعُدُّ الغفلة ذنبًا؛ فيقول: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[(٣)].

ومعنىٰ قوله: «**يُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي**»، يعني: يعتري قلبي شيءٌ من الغفلة عن ذِكْرِ الله تعالىٰ؛ فجعَلَ الغَفْلَةَ ذنبًا، فبادَرَ بعدها إلىٰ الاستغفار!

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٣٠٤٩)، والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، حديث رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديث غريب».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٤٧٢٦)، وأبو داود، كتاب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٦)، والترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، حديث رقم (٣٤٣٤)، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث رقم (٣٨١٤)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٧٠٢)، من حديث الأَغَرِّ المُزَني رضي الله عنه.

فنحن أولىٰ بالاستغفار، و بطلب المغفرة، وبالإتيان بأسبابها؛ فما أكثَرَ غفلَتَنَا، وما أكثَرَ سَهْوَنا ولَهْوَنا، وما أكثر الخطايا التي يتحمَّلها الإنسان: خطايا بلسانه، وخطايا بعينَيْه، وخطايا بسمعه، وبيدَيْه، وبرِجْلَيْه، وبفَرْجه، وبمأكله، وبمشربه، وبأعماله، وغيرها.

فهذه الخطايا والذنوبُ تحتاجُ أن يطلُبَ اللهَ تعالىٰ -وهو صادق- أن يَغْفِرَ له، وإلىٰ أن يأتي بالأسباب التي تجعله مِنْ أهل المغفرة، ومنها: الاتِّباع؛ ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

والغَفْرُ: أصله السَّتْرُ والمَحْوُ، سَتْرُ الذنوب وإزالة آثارها، ومنه سُمِّيَ المِغْفَرُ: الذي يُلْبَسُ علىٰ الرأس في الحرب؛ لأنه يكون سببًا في ستر الرأس من السلاح ونحوه[1].

فالحاصلُ: أنا إذا قرأنا هذه الآية، عَرَفْنَا أهميتها، وعرَفْنا أن الإنسان عليه أن يحقِّق الاتِّباعَ للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتىٰ يكون من أهله.

هذا آخِرُ ما يتعلَّق بهذه الرسالة، والله أعلم، وصلَّىٰ الله علىٰ محمد، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) ينظر: لسان العرب (٥/ ٢٥)، والقاموس المحيط (ص ٤٥١): (غ ف ر).

الفهارس العلمية

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات والفوائد.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١	١٥١
سورة البقرة		
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٢-٣	٢٤٧
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٣٠
﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	١٥	٩٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢١-٢٢	٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ١٠٩
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٢٨	٧٢
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٩	٣٢٨
﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾	٣٠	٧٨
﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	٣٤	٣٣٣
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	٤٥	٣٩٢
﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾	٤٨	٢٣٦
﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾	٧٥	١٥٢
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	٨٢	٢٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	١٠٢	١٧٦، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾	١٠٤	١٧٠
﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾	١٠٥	٣١٥، ٣١٦
﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾	١٢٣	٢٣٦
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾	١٤٢	١٥٦
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾	١٩٣	٣٧١
﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٢٠٢	٢٣٩
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾	٢٠٩	٩٢، ١٧٩، ١٨٠
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾	٢١٩	٣٥٣
﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾	٢٥٣	١٤٣
﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾	٢٥٤	٢٣٦
﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	٢٥٥	٩٧، ١٠٨، ١٢٦، ١٣٠، ٢٣٧
﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾	٢٥٨	١٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾	٢٧٥	٣٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	١٧٠
﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٨٤	١٦٣
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ...﴾	٢٨٥-٢٨٦	٣٥٠
سورة آل عمران		
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾	١٤	٣٣٢
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٦	٩٥، ١٠٣
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٣١	٨٣، ٣٧٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٤
﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٣٢	٣٩٩
﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	٨٣	٢٢٤
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	٢٢١، ٢٣١
﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴾	١٠٣	٣٩٣، ٣٩٤
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ...﴾	١٠٥	٣٧٦، ٣٩٣
﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾	١١٩	٢٩٤
﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾	١٥٤	٣٢١، ٣٢٣
﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	٢٥٩
﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾	١٧٣	٢٠٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾	١٨٠	٢٥٢
﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	١٨٢	٣١٩
﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾	١٨٦	٢٦
سورة النساء		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾	١٠	٢١٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾	٤٨	٢١٠، ٢١٣
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾	٦٥	٨٧
﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧	٣٢٤
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾	٧٨	٣٢٤
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٧٩، ٢٦٧
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٣	٣١٥، ٣١٦
﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾	١٠٢	٣٢٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾	١١٦	٢١٠، ٢١٣
﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾	١١٨-١١٩	٣٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢٠	٣٣٦
﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	١٣٤	١٢٩، ١٣٢، ١٣٣
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾	١٤٠	٣٨٢، ٣٨٣
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾	١٤٢	٩٢
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	٧٩، ٨٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٢، ١٤٣
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	٧٩
﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾	١٦٦	١٢٦، ١٣٠

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾	٢	٣٥٦
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾	٨	٣٥٥
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾	١٨	٣٥٥
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾	٣٧	٢٣٦
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	٤٨	٢١، ٧٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٥٤	٢٨٤، ٢٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾	٦٤	٩٥، ٩٦
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾	١١٠	١٠٢
﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾	١١٥	١٥٣
﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾	١١٩	١٥٣
سورة الأنعام		
﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾	١٢	١٠٨
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	٣٨	٣٣٢
﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾	٥٢	١٢٧
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	٥٩	١٦٠
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾	٦٨	٣٨٢
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾	١٠٢	٧٥
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾	١٠٣	١٨٨
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾	١١٥	١٤٦
﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾	١١٩	٣٢٨
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾	١٣٧	٣٤٧
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾	١٤٨	١٦٤، ١٧٥
﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	١٤٩	١٥٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٦، ٢٩٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾	١٥٣	٨٥
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾	١٥٨	١٧٩، ١٨١
سورة الأعراف		
﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	٣	٨٢، ٨٣
﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾	٨-٩	٢٣٨، ٢٣٩
﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾	١٧	٣٣٣
﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾	٢١-٢٢	٣٣٦
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾	٢٩-٣٠	١٥٨، ١٦٤
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣٢	٣٣٢
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾	٣٣	٣٥٣
﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٦
﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾	٤٠	٢٥٠
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾	٤٣	١٥٨، ١٦٥
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	٥٤	١٠٠، ٣٥٠
﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	٨٣	٢٣١
﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	٩٩	٢٠٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾	١١٧-١١٩	٣٤٩
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٤٣	١٤٣، ١٤٤، ١٩٠
﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾	١٤٤	١٤٤
﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾	١٤٥	١٤٩
﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾	١٥٠	١٤٩
﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى﴾	١٥٤	١٤٩
﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٥٦	٦٣
﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	١٥٨	٨٤، ٩٣، ٣٩٦
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾	١٧٩	١٥٨، ١٦٤
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٨٠	٨٨، ١٠٧
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	١٩٩	٣٨٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾	٢٠٦	٧٦
	سورة الأنفال	
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	٢-٤	٢٠٠، ٢٠٧
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾	٦٠	٣٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	٧٢	٢٨٤، ٢٩٦
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾	٧٣	٢٨٥

سورة التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾	٦	١٢٦، ١٣١، ١٤٢، ١٥٣
﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	٢٤	٤٠١
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	٢٨١
﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾	٨٣	٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٨
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	١٠٠	٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٦، ٣٠٠
﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾	١٠١	٢٦٢
﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾	١٠٩	٣٨٥، ٣٨٦
﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾	١١٧	٢٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١١٨	٢٩٦
﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾	١٢٠	٢٩٦
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾	١٢٤	٢٠٧
سورة يونس		
﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾	٢٦	١٩٣
﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾	٤١	٣٨٣
﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾	٨١-٨٢	٣٤٩
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾	٩٩	١٣٦، ١٦٣، ١٧٦
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾	٦	٣٣١، ٣٣٢
﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾	٣٧	١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤
﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	١١٤	٣٦٧
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾	١١٨-١١٩	١٤٦، ١٥٨، ١٦٦
سورة يوسف		
﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾	١٧	١٩٨
﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	٣٧	٢١٤، ٢١٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾	٨٧	٢٠٦
سورة الرعد		
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾	٦	٢٠٥
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	١١	٧٨
﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾	٣١	١٥٨
﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾	٣٣	١٦٣
﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾	٣٨	٣٢٣
﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾	٣٩	٣٢٢، ٣٢٣
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾	٢٢	١٣٧
﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾	٢٧	٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٤
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾	٩	٨١، ٢٩٥
﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾	٣٤-٣٨	٣٣٣
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾	٤٩-٥٠	٢٠٥
﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	٢٠٦
سورة النحل		
﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾	٣٥	١٣٧، ١٧٥
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾	٣٧	١٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	٣٨٩
﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾	٧٤	١٠٩
﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾	٩٩-١٠٠	٣١٩،١٣٧

سورة الإسراء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	١٤	٢٣٩
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾	٢٩	٩٧
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾	٥٧	٢٠٥
﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾	٦٣-٦٤	٣٣٦،٣٣٥
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٢٥٥
﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	٨٨	١٥٥

سورة الكهف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٧	١٠٤
﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾	١٠٩	١٤٦

سورة مريم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾	٥٢	١٤٤
﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾	٥٩	٢١٥
﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾	٦٢	١٩٢
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	٦٥	١٠٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾	٨٣	١٣٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة طه		
﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾	٥	٩٨
﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	١٤٠
﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾	٩-١٣	١٤٥
﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾	٣٩	١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾	٤٦	١٢٩، ١٣٣
﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠	٧٥
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾	٥٥	٢٥٥
﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾	٦٦-٦٩	٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٩، ٣٥٠
﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾	١٠٩	٢٣٧
﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾	١٢٠	٣٣٦
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾	١٢٤	٢٤٧، ٢٦٠، ٢٦١
سورة الأنبياء		
﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	١٩	٧٦
﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾	٢٠	٧٦
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	٢٣	١٠٦، ١١٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾	٢٦-٢٨	٧٦، ٢٣٧
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾	٤٧	٢٣٨
سورة الحج		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	١١	٢٤، ٢٣٢
﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾	٢٢	٢٣٦
﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	٦١	١٣٣
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٧٠	١٦٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾	٧٣	١٠٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾	٧٧	١٦٩
سورة المؤمنون		
﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾	٨٢	٢٥٥
سورة النور		
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾	٢١	٣١٥، ٣١٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾	٢٣-٢٥	٢١٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	٥٥	٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٦٢	٨٦
﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٦٣	٨٦، ٨٧

سورة الفرقان

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾	٢٠	٣٣٠
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾	٥٨	١٠٨

سورة الشعراء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾	٤	١٣٦، ١٦٣، ١٧٦
﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾	١٠	١٤٤
﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٢-١٩٥	١٤٩
﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٢١٨	١٣٢، ١٣٣

سورة القصص

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾	١٦	١٥٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾	٣٠-٣١	١٤٥
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾	٣٨	١٣٦
﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	٥٥	٣٨١، ٣٨٢
﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	٨٨	١٠٨، ١٢٧
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٢-٣	٢٧
﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾	١١	٢٧
﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾	٢١	٦٣
﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾	٦٠	٣٣٠
سورة الروم		
﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٣١-٣٢	٣٧٦
سورة لقمان		
﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾	١١	٧٥، ١٠٦
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾	٢٧	١٤٦
سورة السجدة		
﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	١٥-١٦	٢٠٠
﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٧	٣١٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾	٢١	٢٦٢
سورة الأحزاب		
﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾	٤	١٥٣
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٨٤
﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾	٢٢	٢٦
﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾	٢٣	٣٠
﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾	٢٦	٢٩٤
﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾	٥١	٢٠٤
سورة سبأ		
﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾	١٢	٣٤٣
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٠	٣٣٤
﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾	٢٣	٢٣٧
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾	٣٩	٣٢٨
سورة فاطر		
﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾	١	٧٩
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	٦	٣٣٥
﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	١٢٦، ١٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	١٥	١٦٨
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾	٣٢	٨٠
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾	٤٤	١٠٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة يس		
﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾	٤٧	١٣٧، ١٧٦
﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾	٧١	٩٥، ١٣١
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٢٦، ١٣١
سورة الصافات		
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	١٥٥
سورة ص		
﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾	١٧	١٣٠
﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾	٣٧-٣٨	٣٤٣
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾	٧٥	٩٥
﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٨٢	١٥٦
﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾	٨٦	١١٢
سورة الزمر		
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾	٣٣	٢٨٠، ٢٨١
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾	٤٤	٢٣٧
﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٥٦-٥٧	١٣٩
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	٦٢	٧٥
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٦٧	٩٥
﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾	٧١	٧٨
سورة غافر		
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾	٣	٢٠٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٤	٢٦٦
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾	٤٦	٢٤٧، ٢٥٨، ٢٥٩
﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾	٧٨	٨٠

سورة فصلت

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾	١٥	١٢٦، ١٣٠
﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٢٢	١٢٩، ١٥٩
﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾	٣٨	٧٦
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	٧٩

سورة الشورى

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	٧	١٣٧، ١٦٦
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾	١١	١٠٩، ١١٥، ١١٦
﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾	٥٢-٥٣	٨٤

سورة الزخرف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾	٣٢	١٣٤
﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٣٣-٣٥	٢٦١

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الجاثية		
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٢٣	٨٤، ٣١٧
﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٩	٨١
سورة محمد		
﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	٤	٣٢٥
﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾	١٤، ١٦	٨٤
﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾	٣٨	١٦٨
سورة الفتح		
﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	٢	٤٠٣
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾	٤	٢٠٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	١٠	٢٨٦
﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٥	١٥٣، ٢٩٠، ٢٩٨
﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٦	٢٩١، ٢٩٨، ٢٩٩
﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾	١٨	٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾	٢٩	٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٢، ٢٩٤
سورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾	٢	٢٤٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾	٣	٢٤٤
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾	٧	٣٩٨
﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا....﴾	١٢	٣٥٦
﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾	١٤	٢٢١، ٢٣٢
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾	١٥	٢٠١
﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	١٧	٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٣
سورة ق		
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾	١٦	١٤٠
﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾	٣٥	١٩٢
﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾	٣٨	١٠٨، ١٠٩
سورة الذاريات		
﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	٢٠-٢١	٧٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٥-٣٦	٢٢١، ٢٣١
﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾	٤٧	١٢٦، ١٣٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	٥٨	١٢٦، ١٣٠، ٣٢٨
سورة الطور		
﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾	٣٤	١٥٥
سورة النجم		
﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾	٢٦	٢٣٦
﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾	٣٦-٣٧	١٤٨
سورة القمر		
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾	١٤	١٣٣، ١٣٤
سورة الرحمن		
﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾	٢٧	١٢٦، ١٢٧، ١٣٢
﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾	٢٩	٣٢٢
سورة الواقعة		
﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾	٦٣-٦٥	٣٢٩
سورة الحديد		
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	٢٢	١٥٨، ١٥٩، ١٦٢
سورة المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾	١	١٢٩، ١٣٢

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحشر		
﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾	٣	٩٢
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	٨-١٠	٢٩٧
﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٢٢-٢٤	٨٩
سورة الصف		
﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٥	٣٦
سورة الجمعة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾	٩	٣٧٨،٣٠٥
﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	١١	٣٢٨
سورة التغابن		
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	١٧٣
سورة التحريم		
﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٧٦
سورة الملك		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾	١	١٣٤،١٠٨،٩٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	١٠٤
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾	١٥	١٣٩، ٣٣٠
سورة القلم		
﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾	٤٣	٢١٥
سورة الحاقة		
﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾	٢٠	٢٣٩
﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾	٢٤	٣١٩
﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾	٢٥-٢٦	٢٣٩
سورة نوح		
﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾	٢١	١٥٦
سورة المزمل		
﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	٢٠	٣٣٠
سورة المدثر		
﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾	٢٥	١٥٥
﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾	٣١	٢٠٧
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾	٤٢-٤٨	٢١٥، ٢٣٧
﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٥٥-٥٦	١٣٥، ١٤١، ١٧٢
سورة القيامة		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٢-٢٣	١٨٦، ١٨٧، ١٩٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإنسان		
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾	٩	١٢٧
﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾	١١	١٩٤
﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٢٩-٣٠	١٣٥، ١٤١، ١٧٣
سورة النازعات		
﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	١٦	١٤٤
﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾	١٧	١٤٤
﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٣-٢٤	١٣٦، ١٥٦
سورة عبس		
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾	٤٠-٤١	١٩٣
سورة التكوير		
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٨-٢٩	١٣٥، ١٤١، ١٧٢
سورة المطففين		
﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾	٧	٢٥٦
﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٤
﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾	١٨	٢٥٦
سورة الانشقاق		
﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	٨	٢٣٩
سورة البروج		
﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾	١٦	١٠٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الطارق		
﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾	١٦	٩٢
سورة الأعلىٰ		
﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	١	١١٧
﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾	٧	١٤٠
سورة الفجر		
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾	٢١	١٧٩
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	٩٢، ١٧٩، ١٨١
﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾	٢٣	١٧٩
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	٧-٨	١٣٩
سورة الليل		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾	٥-١٠	١٦١، ٢٨٠
﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾	١٧-٢١	١٢٧، ١٣٢، ٢٧٩
سورة البينة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾	٦-٨	٢٤٠، ٢٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
سورة القارعة		
﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾	٦-٩	٢٣٩
سورة الماعون		
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾	٤-٧	٢١٥
سورة الكوثر		
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	١	١٣٤
سورة المسد		
﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾	٣	٢٤٥
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١٥١
﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	١٠٩
سورة الفلق		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾	١	١٥١
﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾	٤	٣٣٨
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾	١	١٥١
﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾	٤	٣٣٤، ٣٣٥
﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾	٥	٣٣٥

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الحديث	الصفحة
أتشهد أن الله علىٰ عرشه بائن من خلقه؟	٣٨
اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً	٢٠٨
أحاديث الحوض	٢٣٨
أخبرني عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله	٢٢٥
أخبرني عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله وملائكته	٢٢٥، ٢٤٨
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٣٦٤
أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي	٣١٨
إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ	٣٩٠
إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ	١٧٣
إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: من عذاب جهنم	٢٥٣
إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً	٧٧
إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران	٣٦٨
إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ	٧٧
إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا، فإنه يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ البَصَرِ	٢٥١
إِذَا مَضَىٰ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ أَوْ ثُلُثَاهُ، هَبَطَ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا	١٨٢
أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَىٰ بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هل ترد من قدر الله؟	٣٢٦
أرواحهم في جوف طير خُضر	٢٥٩
أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ	١٢٧
الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول	٩٩
الاستواء معلوم، والكيف مجهول	٣٧
أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ	٧٧

الحديث	الصفحة
أعرفك؛ أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة	٣٥٤
أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رهطًا... فتَرَكَ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فقلتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا	٢٣٣
أَعْفُوا اللِّحَىٰ	٣٩٦
أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ	٣٥٠
اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر	٢٨٢
أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ	٨٣
أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ	٢٥٨
أَمَا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي	٢٣٩
أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ	٣١٧
آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاة	٢٢٥
أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي	٢١٩
إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ ما يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلها	١٦٢، ٢٤١
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَىٰ الدَّمِ	٣٣٤
إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض	١٩
إن الْعَبْد الكافر إِذَا كَان فِي انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نَزَلَت عَلَيْه من السماء مَلَائِكَة سود الْوُجُوه	٢٥٠
إن الْعَبْد الْمؤمن إِذَا كَان فِي إقبال مَن الآخرة وَانقطاع من الدنيا نَزَلَت عَلَيْه مَلَائِكَة بيض الْوُجُوه	٢٤٩
أن الله تعالىٰ ينزل لفصل القضاء بين عباده -كما يشاء-	١٩١
أن الله جعل الرحمة مائةَ جزء	٦٢
إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا	١٦٥
إن الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء وعلمه في كل مكان	٣٨
إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية، وفخرها بالآباء	٣٥٣

الحديث	الصفحة
إِنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَةً فَقَالَ: إِلَىٰ الْجَنَّةِ بِرَحْمَتِي	١٦٥
إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ	٢٠
أن النبي ﷺ خطَّ خطًّا، وخطَّ عن يمين الخط وعن شماله خططًا	٨٥
أن الوليد بن عقبة كان واليًا علىٰ الكوفة...فتقدم يصلي بهم وهو سكران	٣٠٣
أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ	١٩٢
إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فقال: اكتب	١٥٩
أن تعبد الله كأنك تراه	٢٠٢
أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ	١٦٧
أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ	٦٩، ١٩٩
أن ثلاثة من المشركين اجتمعوا فقالوا: أتظنون أن الله يسمع كلامنا ويرانا؟... فنزلت: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾	١٢٩، ١٥٩
إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ	٣٩٠
إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ، فَتَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ	٢٥٧
أن فتاني القبر اسمهما: منكر ونكير	٢٦٣
إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ	٨٩
إن لم تجديني فأتي أبا بكر	٢٨٢
إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم -الطائفة المنصورة-	٤٢
أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ	٢١
الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ	٢٦
أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِهِمْ	٢٧
إنفاذ جيش أُسامة للشام	٣٦٧
إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف	٢٧٢
إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ	٢٦٥
إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ	٩٤، ١٩٢
إنكن صواحبُ يوسف؛ مروا أبا بكر فليُصل بالناس	٢٧٣
إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	١٥٦

الحديث	الصفحة
إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا؛ ضربوا كتاب الله بعضه ببعض	٢٦٦
أنه ﷺ ذكر أن العشرة من أهل الجنة	٢٤٣
إنه ضمن المائة والأربعة في هذه الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن	٧٨
إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ	٤٠٣
أنه مُرّ علىٰ النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرًا، فقال: وجبت	٢٤٥
أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!	٦٣
أو مسلمًا، كرر ذلك ثلاث مرات	٢٣٣
أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ: الْقَلَمُ، ثم قال له: اكتب...فكتب ما يكون	٣٢٢، ٣٩٠
أيُّ الناس أشد بلاءً؟	٢٦
أيُّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر»...قلت: ثم أنت؟	٢٧٩
ائتوني بكتاب أكتب لكم، لا تضلوا بعده	٣٦٤
الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً	٢٠١
الإيمان قول وعمل	٢٢٢
أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟!	٢٨٧
بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	٣٥٠
بشر عكاشة بن محصن بالجنة	٢٤٤
بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله	٢٠٢
بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشرك والْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ	٢١٦
بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ	٢١٤، ٢١٨
التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ	٣٦٧
تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً	٣٢٦
تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا	١٣٨
تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ	٣٥٦

الحديث	الصفحة
تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ	٦٧
ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهن حَلاَوَةَ الإِيمَانِ:	٣٩٨
ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فيكتب: رزقه، وأجله	١٦١
جُعِلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ	٢٤٥
حَتَّىٰ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ	٣٣٩
حتىٰ كان يرىٰ أنه يأتي النساء ولا يأتيهن	٣٣٩
حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ	١٢٧، ١٩١
حَدُّ السَّاحِرِ ضربةٌ بِالسَّيْفِ	٣٤٥، ٣٤٦
حديث تناوب عمر مع الأنصاري في تلقي العلم	٢٩
حديث فضل آية الكرسي	٣٣٤
الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ	٢٤٣
الحسنىٰ: الجنة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ	١٩٣
حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ	٣٩٢
الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أمور مُشْتَبِهَاتٌ	٣٧٧
الْخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكًا بَعْدَ ذَلِكَ	٢٧٧
خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي	٢٩٩، ٣٦١
خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ	٢٧٩
خَيْرُكم: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	٢٧
الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ	٢٦١
ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَه	٣٥٦
الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ العَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ	٢١٦
ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٦٥
رُدَّه؛ فإنه لم يتب بعد	٣٨
رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لديننا	٢٧٣
سَمِعَ دف نَعْلَيْهِ -أو خشخشة نعليه- فِي الجَنَّة	٢٤٣
سنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاةُ الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله	٦٥

الحديث	الصفحة
شهد لثابت بن قيس بالجنة	٢٤٣
الصَّبْرُ عَلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ؛ تُسفك الدماء	٣١٠
الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ	٢٤
صَلِّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل	٣٠٥
صلوا علىٰ من قال: لا إله إلا الله	٣٠١
عجبًا لقوم عرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلىٰ رأي سُفيان	٨٦
الْعُلَمَاء وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاء	٣٦
عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ	٦٧
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين	٢٧٧
عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسله إلىٰ الكوفة...آثرهم به -ابن مسعود-	٣٢
الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ: الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ	٢١٦
فأمرت بها أن تُقتل -الجارية التي سحرت حفصة-	٣٤٦
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِمَقَاعِدِ بَنِيٰ آدَمَ	٣٤٤
فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ	٤٣
فبي يسمع، وبي يبصر	٤٠٠
الفِتْنَة: الكُفر	٨٧
فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ	٢٤٥
فضلُ العالمِ علىٰ العابدِ كفضل القَمَرِ ليلةَ البدرِ علىٰ سائر الكواكِبِ	٢٠
فعلامَ نُعطي الدنية في ديننا؟	٣٦٣
في آخر الزمان يُمحىٰ من المصاحف -القرآن-	١٥٠
قاتلناهم حتىٰ لم تكن فتنة، وأنتم تقاتلون حتىٰ تكون فتنة	٣٧١
القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ	٢٥١
قد عجب الله من صنيعكما	٩٤
قَدِمَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ -فيه قصة في السحر-	٣٤٠
القرن الذين بعثتُ فيهم، ثم الذين يلونهم	٢٩٩
قوموا عني	٢٧٤

الحديث	الصفحة
كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةَ	٢١٧
كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وكان عرشه على الماء	١٦٠
كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ	٣٥٦
الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ	٣٥٤
كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	٣٢١
كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إلينا: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ	٣٤٦
كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ	٤٠٣
كم الأنبياء؟	٧٩
كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير: أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان	٢٧٨
كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، مِائَةَ مَرَّةٍ	٤٠٣
كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله تعالىٰ ذكره فوق عرشه	٣٧
كيف استوىٰ	٩٨
كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟	٣٠٤
الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول	٩٨
الكيف مجهولا ل	١١٣
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ	٣١٧
لا تحزن إن الله معنا، ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢٨١
لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ	٣٩٠
لا تزال طائفة من أُمتي علىٰ الحق منصورة	٤٢
لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ	٣٨٩
لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَىٰ مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَىٰ زَوْجٍ	٧٠
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ	٣٢٧

الحديث	الصفحة
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ	٣٩٦
لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ	٢٨٧
لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ	٢٥
لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ	٢٠٥
لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ	٣٩٦
لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يحب الله ورسوله	٤٠٢
لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ	٦٥
لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّىٰ تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا	٢٩٣
لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني	١٠٤
لَن يُدْخِلَ أَحَدًا مِّنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ	٣١٧،٣١٥
الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم	٩٤
اللهُ أَكْبَرُ؛ إِنَّهَا السُّنَنُ	٦٦
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ	٣٤٤
لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ	٣٣١
لو جرت السباع بأرجل أمهات المؤمنين فلن أترك جيشًا أمر بإنفاذه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٧٤
لو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً	٢٧٢
لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي	٢٣
لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ	٤٣
لئن كان قال ذلك لقد صدق	٢٨٠
مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهم إني عبدك	٨٩
ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في تُرس	٩٧
ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة	٩٧
ما أنا عليه وأصحابي	٣٩٤،٣٧٤
مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ	٢٠٨
ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة	٣٠٤

الحديث	الصفحة
ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن	١٣٥
مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ	١٤٤
مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ	٣٢٣، ٣٩٠
مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ	١٤٧
مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، فقالوا: أفلا نتكل؟	١٦١
مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا	٧٩
المُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ	٢٣٠
مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ	٢١٤، ٢١٦
من ترك الصلاة فقد كفر	٢١٦
مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ	٢١٦
مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟	٢٦٥
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ	١٩
مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضت عليه	٣٩٩
من كان يعبد شيئًا فليتبعْ، فمنهم من يتبع الشمس	١٩١
مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ	٧٠
مَنْ لَا يَرْحَم لَا يُرْحَم	٦٣
مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ	٢٣٩
الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ	٢٢٤
الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	١٥٦
نزلت في المنافقين -﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ ...﴾-	٢٩٧
نفرٌ من قدر الله إلىٰ قدر الله	١٧١
هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ	٢٤٥
هذا صراط الله مستقيمًا، وهذه السُّبل	٨٥
هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ	٣٤٤

الحديث	الصفحة
هي من قدر الله	٣٢٦
هيه يا ابن الخطاب	٣٨٠
وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ	٣٥٥
وإذا سبب واصل من الأرض إلىٰ السماء، فأراك أخذت به فعلوت	٣٩٣
وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ	١٦٢
والله ما مات رسول الله ﷺ، وليبعثنه الله	٣٦٦
وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةَ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً	٣٧٣، ٣٩٤
وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ	٣٩٩، ٤٠١
ولُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ	٦٧
وليُسرىٰ علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في ليلة فلا يبقىٰ في الأرض من آية	١٥٠
وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ	١٢٧
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي	٧٥
يا أبتِ، إني إنما أريد ما أريد	٢٨٠
يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يُضيعني	٣٦٣
يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه: ﴿... وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وهذا من الجاهلين	٣٨١
يا رسول الله، ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل؟ فقال: بلىٰ	٣٦٣
يا رسول الله، ومن يطيق الكلام عند ذلك	٢٦٤
يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا	١٠٣
يأبىٰ الله والمؤمنون إلا أبا بكر	٢٧٣، ٣٦٥
يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ	٧٨
يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ	٣٠٤
يضحك الله إلىٰ رجلين يقتل أحدهما الآخر	٩٤
يُعين علىٰ نوائب الحق	٢٧٢
يُفْسِدُ النَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ ما لا يُفْسِدُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ	٣٥٦

الحديث	الصفحة
يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فينادي بصوت	١٤٧
يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا	٩٤، ١٨٢
يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا	٢٥٨
يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ	٩٢

فهرس الأعلام المترجم لهم

العَلَم	الصفحة
إبراهيم بن يزيد النخعي	٣٣
ابن أبي الدنيا	٢٥٣
ابن أبي العز الحنفيّ	١٠١
ابن أبي عاصم	٦٦
ابن المطهر الرافضي	٥٦
ابن الوزير اليماني	٦٧
ابن مخلوف المالكي	٥٢
ابن منده	٢٢٧
ابن وضاح القرطبي	٣٥٣
أبو الهُذيل العلاف	٥٠، ١٢٣
أبو بكر الخلَّال	٦٦
أبو بكر بن أبي شيبة	٢١٤
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام	٣٢
أبو شامة المقدسي	٣٥٢
أبو عبيد: القاسم بن سلام	٢٢٦
أبو عليّ الجُبَّائي	٥٠
أبو عمرو بن العلاء	١٤٣
أبو هاشم الجُبَّائيّ	١٦٤
أحمد بن أبي دُؤَاد	٤١، ١٢٤
الأخطل النصراني	١٥٤
الأسود بن يزيد النخعي	٣٣
الأوزاعي	٣٧
أيوب السختيانيّ	٢١٤
البربهاري	٤٩

العَلَم	الصفحة
بشر المريسي	٤١
بشر بن المعتمر	١٢٤
تقي الدين السبكي	٥٤
ثمامة بن أشرس	١٢٤
الجاحظ	١٢٤
الحجاج بن يوسف الثقفي	٣٠٤
الحُرّ بن قيس الفزاري	٣٨١
حمَّاد بن زيد	٣٨٨
حمَّاد بن سلمة	٣٨٨
خارجة بن زيد	٣٢
الخليل بن أحمد الفراهيدي	٣٨٤
ذو النون المصري	٣٩٧
ربيعة الرأي	٩٩
سعيد بن المسيب	٣١
السَّفَّاريني	٦٠
سفيان الثوري	٣٨٨
سفيان بن عيينة	٣٨٨
سليمان بن يسار	٣٢
شعبة بن الحجاج	٣٨٨
الشقيري	٣٥٢
شمس الدين بن عدلان	٥٢
طاووس بن كيسان	٣٤
عبد الرحمن بن الأشعث	٣١٠
عبد العزيز بن الماجشون	٣٩
عبد العزيز بن محمد السلمان	٩٣
عبد الكريم بن أبي العوجاء	٣٩

العَلَم	الصفحة
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	٣٠٤
عبد الله بن سعيد بن كُلاب	٤٩
عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي	١٨٧
عبيد الله بن عتبة بن مسعود	٣١
عَبيدة السلماني	٣٣
عثمان بن سعيد الدارمي	١٨٧
عديّ بن مسافر الهكاري	٥٣
عروة بن الزبير	٣١
عطاء بن أبي رباح	٣٤
علقمة بن قيس النخعي	٣٣
عمرو بن عبيد	٣٦، ١٢٣
عُيينة بن حصن الفزاري	٣٨٠
غيلان الدمشقي القدري	٣٦
القاسم بن محمد بن أبي بكر	٣١
قتيبة بن مسلم	٣١١
الكلوذانيّ	١٨٣
كمال الدين بن الزملكاني	٥٤
الليث بن سعد	٣٨٨
محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي	٤٦
محمد بن نصر المروزي	٦٧
محمد زاهد الكوثري	٩٠
المُرْدَار	١٢٤
معبد الجهني	٣٦
النَّظَّام	١٢٤
واصل بن عطاء المعتزلي	١٢٠
الوليد بن عقبة بن أبي معيط	٣٠٣
يزيد بن المُهلب	٣١١

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر الأخرى:

١- الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله ابن بطة العُكْبَري، دار الراية، الرياض، تحقيق: مجموعة من المحققين.

٢- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ، تحقيق: د. فوقية حسين.

٣- أبي كما عرفته، لهيا بنت عبد الله الجبرين، مدار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤٣٩هـ.

٤- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأبي العباس، شهاب الدين البوصيري، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف: ياسر بن إبراهيم.

٥- اجتماع الجيوش الإسلامية، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط ١، ١٤٠٨، تحقيق: عواد المعتق.

٦- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، للمسعودي، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦هـ.

٧- أخبار النحويين البصريين، لأبي سعيد السيرافي، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ، تحقيق: طه الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي.

٨- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن، علي بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٩- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليلي القزويني، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠- أساس البلاغة، لأبي القاسم الزمخشري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود.

١١- أسباب النزول، لأبي الحسن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان.

١٢- الاستذكار، لأبي عمر، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: سالم عطا، ومحمد علي معوض.

١٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود.

١٥- الأسماء والصفات، لأبي بكر البيهقي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، تقديم وتعليق: محمد زاهد الكوثري.

١٦- الأسماء والصفات، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (٢ مج)، تحقيق: عبد الله الحاشدي.

١٧- الأشباه والنظائر، لجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المصري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٨- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض.

١٩- أصول اعتقاد أهل السنة، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي الشافعي، دار طيبة، الرياض، ط ٨، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.

٢٠- أصول الإيمان، لمحمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط٥، ١٤٢٠هـ، تحقيق: د. باسم فيصل الجوابرة.

٢١- أصول السنة، لإمام أهل السنة، أبي عبد الله، أحمد بن حنبل، دار المنار، الخرج، ط١، ١٤١١هـ.

٢٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٣- اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر الإسماعيلي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس.

٢٤- اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر الإسماعيلي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠ - ١٩٩٩هـ، تحقيق: جمال عزون.

٢٥- أعجوبة العصر، سيرة سماحة الشيخ عبد الله ابن جبرين، لعبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، مؤسسة ابن جبرين الخيرية، الرياض، ط ١، ١٤٣٣هـ.

٢٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم.

٢٧- الأعلام، لخير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٢٨- أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق: د. علي أبو زيد وآخرين.
٢٩- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، لمرعي بن يوسف الكرمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٣٠- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، عبد الله محمد الخليلي.
٣١- إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر، لأبي الفضل، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، تحقيق: د. حسن حبشي.
٣٢- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، للإمام ابن رجب الحنبلي، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ، تحقيق: عاطف صابر شاهين.
٣٣- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٤١٦هـ، تحقيق: ناصر الدين الألباني.
٣٤- البدء والتاريخ، للمطهر ابن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.
٣٥- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٣٦- البداية والنهاية، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير البُصروي الدمشقي، دار هجر، مصر، ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ومركز البحوث والدراسات بدار هجر.
٣٧- بدائع الفوائد، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
٣٩- تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية، الكويت، تحقيق: د. عبد الستار فراج، ومجموعة من كبار المحققين.
٤٠- تاريخ أصبهان، أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن.
٤١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام المؤرخ شمس الدين الذهبي الدمشقي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٤٢- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

٤٣- التاريخ الكبير، لأمير المؤمنين أبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، إشراف: محمد عبد المعيد خان.

٤٤- تاريخ بغداد، تاريخ مدينة السلام، لأبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٤٥- تاريخ جرجان، لأبي القاسم، حمزة بن يوسف السهمي، دار عالم الكتب، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، تحقيق: محمد عبد المعيد خان.

٤٦- تاريخ خليفة بن خياط، مؤسسة الرسالة، دمشق- بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ تحقيق: د. أكرم ضياء العمري.

٤٧- تاريخ دمشق، لأبي القاسم، علي بن الحسن ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي.

٤٨- تاريخ واسط، لأبي الحسن، أسلم بن سهل الرزّاز، بَحْشَل الواسطي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، تحقيق: كوركيس عواد.

٤٩- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٥٠- تحرير ألفاظ التنبيه، لأبي زكريا النووي الدمشقي الشافعي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ، تحقيق: عبد الغني الدقر.

٥١- التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، لفالح بن مهدي الدوسري، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٣هـ.

٥٢- التحقيق في أحاديث الخلاف، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق: مسعد السعدني.

٥٣- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله القرطبي، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، تحقيق: د. الصادق بن محمد إبراهيم.

٥٤- التعليق على القصيدة الميمية لابن القيم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الجليمي، القاهرة، اعتنى به: شاهر أبو سِعْدَة.

٥٥- التعليق على ميمية ابن القيم، لمحمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الجليمي، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ، تحقيق: شاهر أبو سعدة.

٥٦- تفسير ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير البُصروي الدمشقي، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠ - ١٩٩٩م، تحقيق: سامي السلامة.

٥٧- تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠، تحقيق: صدقي محمد جميل.
٥٨- تفسير البغوي، معالم التنزيل، لمحيي السنة، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، الرياض، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان الحرش.
٥٩- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر.
٦٠- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.
٦١- التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٦٢- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لأبي بكر ابن نقطة البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
٦٣- تلبيس إبليس، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٦٤- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.
٦٥- تلخيص تاريخ نيسابور، للحاكم النيسابوري -لخصه: أحمد بن محمد بن الحسن الخليفة النيسابوري-، كتابخانة ابن سينا، طهران، إيران، عرَّبه: د. بهمن كريمي.
٦٦- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، للقاضي أبي بكر الباقلاني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، تحقيق: عماد الدين حيدر.
٦٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر، يوسف بن عبد البر النّمري القرطبي، وزارة الأوقاف المغربية، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مجموعة من علماء المغرب.
٦٨- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، لأبي الليث السمرقندي، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط٣، ١٤٢١هـ، تحقيق: يوسف بديوي.
٦٩- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، لشمس الدين، محمد بن عبد الهادي، أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، تحقيق: سامي جاد الله، وعبد العزيز الخباني.
٧٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين، أبي الحجاج، يوسف المِزيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٧١- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٧٢- الثقات، لأبي حاتم، محمد بن حبان البُستي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، إشراف: د. محمد عبد المعيد خان.

٧٣- ثلاثة الأصول، الأصول الثلاثة وأدلتها، وشروط الصلاة، والقواعد الأربع، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، رئاسة الإفتاء، الرياض.

٧٤- ثم اهتديت، لمحمد التيجاني السماوي، مؤسسة الفجر، لندن، ط٤، ١٤١٤هـ.

٧٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

٧٦- جامع المسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، تحقيق: محمد عزير شمس.

٧٧- الجرح والتعديل، لأبي محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

٧٨- جمهرة أشعار العرب، لابي زيد القرشي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، تحقيق وشرح: علي محمد البجاوي.

٧٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، تحقيق: علي بن حسن ناصر، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر، وحمدان بن محمد الحمدان.

٨٠- الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة، لحافظ أحمد الحكمي، دار الشريف، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، تحقيق: مريم طاهر مدخلي.

٨١- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.

٨٢- حاشية ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، لمحمد أمين عابدين الدمشقي الحنفي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٨٤- الحماسة الصغرى، الوحشيات، لأبي تمام، دار المعارف، القاهرة، تحقيق وتعليق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، ومحمود شاكر.

٨٥- الحموية، الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، تحقيق: حمد التويجري.
٨٦- الحوض والكوثر، للإمام بقيّ بن مخلد القرطبي الأندلسي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ، تحقيق: عبد القادر عطا صوفي.
٨٧- حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين، محمد بن موسى، الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٨٨- الحيوان، لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٨٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين المحبي الحموي، دار صادر، بيروت.
٩٠- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، للإمام محيي الدين النووي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق: حسين الجمل.
٩١- خلق أفعال العباد، للإمام البخاري، مكتبة المعارف، الرياض، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.
٩٢- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٩٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، إشراف: محمد عبد المعيد خان.
٩٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الريان، القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، تحقيق: عبد المعطي قلعجي.
٩٥- ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٩٦- ديوان الإسلام، لشمس الدين الغزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: سيد كسروي.
٩٧- ذيل الأعلام، لأحمد بن إبراهيم العلاونة، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٩٨- ذيل طبقات الحنابلة، للإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.
٩٩- رجال صحيح مسلم، لأبي بكر ابن مَنْجُويَه، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، تحقيق: عبد الله الليثي.

١٠٠- الرد الوافر على من زعم: بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الإسلام)؛ كافر، لشمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ، تحقيق: زهير الشاويش.

١٠١- الرد على الجهمية والزنادقة، لإمام أهل السنة، أبي عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الثبات، الرياض، تحقيق: صبري سلامة شاهين.

١٠٢- الرد على الجهمية، لعثمان بن سعيد الدارمي، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ، تحقيق: أبي عاصم الشوامي.

١٠٣- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٤- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي.

١٠٥- رياض الصالحين، لأبي زكريا، محيي الدين النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق: الألباني.

١٠٦- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لمحب الدين، أبي العباس، أحمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٧- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

١٠٨- السلاح، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

١٠٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لأبي عبد الرحمن، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

١١٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١١١- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل الحسيني، دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١١٢- السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

١١٣- السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

١١٤- السنة، لأبي بكر، أحمد بن محمد بن هارون الخَلَّال البغدادي الحنبلي، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، تحقيق: د. عطية الزهراني.

١١٥- السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني.

١١٦- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، دار إحياء الكتب العربية، الحلبي، مصر، ١٣٧٢هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١١٧- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مطبعة الحلبي، مصر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١١٨- سنن الترمذي، لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، أكمل تحقيقه: فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض.

١١٩- سنن الدارقطني، لأبي الحسن، علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين.

١٢٠- سنن الدارمي، لأبي محمد، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني.

١٢١- السنن الكبرى، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٤٤هـ.

١٢٢- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي.

١٢٣- سنن النسائي، المجتبى، لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

١٢٤- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

١٢٥- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المُطَّلبي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، تحقيق: سهيل زكار.

١٢٦- سيرة ابن هشام، السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام الحِمْيَريّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين.

١٢٧- السيرة النبوية -مُستل من البداية والنهاية-، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦م، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

١٢٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الدمشقي الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: محمود الأرناؤوط، أشرف عليه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط.

١٢٩- شرح السنة، لأبي محمد البربهاري، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن الجميزي.

١٣٠- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي.

١٣١- شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين، ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله التركي.

١٣٢- شرح النووي على مسلم، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحيي الدين، أبي زكريا، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

١٣٣- شرح حديث النزول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٣٩٧هـ.

١٣٤- شرح عقيدة الكلوذاني، للشيخ عبد الله بن جبرين، كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ، اعتنى به: طارق الخويطر.

١٣٥- الشريعة، لأبي بكر الآجُرِّيّ، دار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي.

١٣٦- شعب الإيمان، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: عبدالعلي عبد الحميد حامد.

١٣٧- الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية-، لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

١٣٨- صحيح ابن حبان، لأبي حاتم ابن حبان البُستي، بترتيب الأمير ابن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١٣٩- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُننه وأيامه، لأمير المؤمنين أبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٤٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت.

١٤١- صحيح مسلم، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري، مطبعة الحلبي، مصر ١٩٥٥م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٤٢- صفة جزيرة العرب، لابن الحائك، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الشهير بالهمداني، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤ م.
١٤٣- الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط ٢، ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
١٤٤- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله.
١٤٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٤٦- طبقات الحفاظ، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٤٧- طبقات الحنابلة، لأبي الحسين، محمد بن أبي يعلى الفرّاء البغدادي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
١٤٨- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي، دار هجر، مصر، ط ٢، ١٤١٣هـ، تحقيق: د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو.
١٤٩- طبقات الشافعية، لأبي بكر ابن قاضي شهبة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.
١٥٠- طبقات الشعراء، لابن المعتز، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: عبد الستار فراج.
١٥١- طبقات الفقهاء الشافعيين، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير البُصروي الدمشقي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ود. محمد زينهم عزب.
١٥٢- طبقات الفقهاء، للشيرازي -تهذيب ابن منظور-، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٠م، تحقيق: د.إحسان عباس.
١٥٣- الطبقات الكبرى، لابن سعد الزهري البغدادي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، تحقيق: د. إحسان عباس.
١٥٤- طبقات المعتزلة، لأحمد بن يحيى بن المرتضى، لجنة المستشرقين الألمانية، تحقيق: سوسنة ديفلد- فلزر.
١٥٥- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلاّم الجمحي، دار المدني، جدة، تحقيق: شيخ العربية أبي فهر، محمود محمد شاكر.
١٥٦- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، الدار السلفية، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٤هـ.

١٥٧- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٥٨- العرش، للإمام شمس الدين الذهبي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤هـ، تحقيق: د.محمد بن خليفة التميمي.

١٥٩- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، لشمس الدين ابن عبد الهادي، دار الكاتب العربي، بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي.

١٦٠- العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني.

١٦١- العقيدة الواسطية، لابن تيمية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ

١٦٢- العلو للعلي الغفار، للإمام شمس الدين الذهبي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ تحقيق: أشرف عبد المقصود.

١٦٣- العواصم والقواصم في الذّب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير اليماني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١٦٤- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس اليعمري، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، تعليق: إبراهيم محمد رمضان.

١٦٥- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، تحقيق: نزار رضا.

١٦٦- غاية المرام في علم الكلام، لأبي الحسن الآمدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف.

١٦٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين، الحسن بن محمد القُمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ، تحقيق: زكريا عميرات.

١٦٨- غريب الحديث، لأبي عُبيد، القاسم بن سلام الهروي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان.

١٦٩- غريب القرآن، لأبي محمد ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: السيد أحمد صقر.

١٧٠- الفائق في غريب الحديث، لأبي القاسم الزمخشري المعتزلي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

١٧١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لشهاب الدين، أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٧٢- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، لمحمد بن علي الشوكاني اليماني، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، حققه ورتبه: محمد صبحي حلاق.

١٧٣- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، لشمس الدين السخاوي، مكتبة السنة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: علي حسين علي.

١٧٤- فتح المنان بترجمة الشيخ عبد العزيز السلمان، لولده: عبد الحميد بن عبد العزيز السلمان، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

١٧٥- الفتنة ووقعة الجمل، لسيف بن عمر التميمي، دار النفائس، ط ٧، ١٤١٣هـ، تحقيق: أحمد راتب عرموش.

١٧٦- الفَرق بين الفِرق، لأبي منصور، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.

١٧٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة دار البيان، دمشق، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

١٧٨- الفروع، كتاب الفروع، لشمس الدين ابن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: د. عبد الله التركي.

١٧٩- الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق، لشهاب الدين، أحمد بن إدريس القرافي المالكي، عالم الكتب، بيروت.

١٨٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد، علي بن حزم الأندلسي، الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٨١- فضائل الصحابة، لإمام أهل السنة أبي عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، تحقيق: د. وصي الله عباس.

١٨٢- الفهرست، لابن النديم البغدادي المعتزلي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ، تحقيق: إبراهيم رمضان.

١٨٣- فوات الوفيات، لمحمد ابن شاكر الكتبي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٧٣- ١٩٧٤م، تحقيق: د. إحسان عباس.

١٨٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

١٨٥- القاموس المحيط، لمجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، تحقيق: نعيم العرقسوسي، وآخرين.

١٨٦- قصيدة أنا المُقر بأنني وهابي، للملا عمران بن رضوان الفارسي الشافعي، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، تحقيق: د. عبد السلام الشويعر.

١٨٧- القضاء والقدر، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر.
١٨٨- الكامل في التاريخ، لعز الدين ابن الأثير الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري.
١٨٩- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ، تحقيق: د. مازن السرساوي.
١٩٠- الكبائر، للإمام شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.
١٩١- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لأبي بكر ابن خزيمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان.
١٩٢- كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، دار الإفتاء السعودية، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٩٣- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي.
١٩٤- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، تحقيق: إبراهيم حمدي المدني.
١٩٥- كلمة الإخلاص، لابن رجب الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٧هـ، تحقيق: زهير الشاويش.
١٩٦- الكليات -معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري.
١٩٧- الكواشف الجلية شرح العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٢هـ.
١٩٨- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين، محمد بن محمد الغزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، تحقيق: خليل المنصور.
١٩٩- الكوثري وآراؤه الاعتقادية، عرض ونقد، رسالة لنيل درجة الماجستير، مقدمة من الطالب علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الفهيد، إشراف د. أحمد بن عبد اللطيف العبد اللطيف، جامعة أم القرى، كليه الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، ١٤٢٣هـ.
٢٠٠- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الافريقي، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٢٠١- لسان الميزان، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند.

٢٠٢- اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف، لأبي موسى، محمد بن عمر الأصبهاني المديني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: محمد علي سمك.

٢٠٣- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، لإمام الحرمين، أبي المعالي، الجويني، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، تحقيق: د. فوقية حسين.

٢٠٤- لمعة الاعتقاد، للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢٠٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم السَّفَّاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٠٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن، نور الدين الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: حسام الدين القدسي.

٢٠٧- مجموع الفتاوى، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، لشيخ الإسلام ابن تيميّة الحراني، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٠٨- المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: الشيخ محمد نجيب المطيعي.

٢٠٩- مجموع فتاوى ابن باز، للشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وترتيب: محمد سعد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢١٠- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، ودار الثريا، الرياض، ١٤١٣هـ.

٢١١- مجموعة الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، لجنة التراث العربي، السيد محمد رشيد رضا.

٢١٢- مجموعة القصائد الزهديات، لعبد العزيز السلمان، مطابع الخالد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢١٣- المحلى بالآثار، لأبي محمد، علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر، بيروت.

٢١٤- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن الموصلي، دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، تحقيق: سيد إبراهيم.

٢١٥- المراجعات، للإمام للموسوي، قدم له حسن الشيرازي، مؤسسة الوفاء.

٢١٦- المسائل والأجوبة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ، تحقيق: حسين عكاشة.

٢١٧- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، إشراف: د يوسف المرعشلي.

٢١٨- مسند أبي يعلى، لأبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، تحقيق: حسين سليم أسد.

٢١٩- مسند أحمد، لإمام أهل السنة، أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر.

٢٢٠- مسند أحمد، لإمام أهل السنة، أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين.

٢٢١- مسند البزار، البحر الزخار، للحافظ أبي بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٨م- ٢٠٠٩م، تحقيق الشيخ: محفوظ الرحمن، وآخرين.

٢٢٢- مسند الموطأ، لأبي القاسم الجَوْهَرِيُّ المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، تحقيق: لطفي الصغير، وطه بُو سريح.

٢٢٣- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لأبي حاتم ابن حبان البُستي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١١هـ، تحقيق: رزوق إبراهيم.

٢٢٤- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لشهاب الدين، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، البوصيري المصري الشافعي، دار العربية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، تحقيق: محمد الكشناوي.

٢٢٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٢٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: عمر بن محمود.

٢٢٧- معالم السنن، لأبي سليمان، حمد بن محمد الخطابي البُسْتي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، تحقيق: الشيخ محمد راغب الطباخ.

٢٢٨- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

٢٢٩- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، تحقيق: د. إحسان عباس.

٢٣٠- المعجم الأوسط، لأبي القاسم، لسليمان بن أيوب الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني.
٢٣١- معجم البلدان، لشهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٢٣٢- المعجم الكبير، لأبي القاسم، سليمان بن أيوب الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٢٣٣- معجم الكتب، لجمال الدين، يوسف بن عبد الهادي، ابن المبرد، مكتبة ابن سينا، مصر، تحقيق: يسري البشري.
٢٣٤- معجم المؤلفين، لعمر رضا كَحَّالَة، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
٢٣٦- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، تحقيق: العلامة عبد السلام محمد هارون.
٢٣٧- معرفة السنن والآثار، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، دار قتيبة، دمشق، دار الوعي، حلب، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي.
٢٣٨- معرفة الصحابة، لأبي نُعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق: د. عادل بن يوسف العزازي.
٢٣٩- معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ، تحقيق: السيد معظم حسين.
٢٤٠- المعين في طبقات المحدثين، لشمس الدين الذهبي، دار الفرقان، عمّان، ط١، ١٤٠٤هـ، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد.
٢٤١- المغني شرح مختصر الخِرَقِي، لأبي محمد، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
٢٤٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن، عليّ بن إسماعيل الأشعري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، تحقيق: نعيم زرزور.

٢٤٤- مقدمة ابن الصلاح، علوم الحديث، لتقيّ الدين، أبي عمرو، عثمان ابن الصلاح، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، تحقيق: د. نور الدين عتر.

٢٤٥- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لبرهان الدين ابن مفلح، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين.

٢٤٦- مكارم الأخلاق، للطبراني (مطبوع مع مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا)، دار الكتب العلمية، بيروت، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين.

٢٤٧- الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

٢٤٨- مناقب الإمام أحمد، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٢٤٩- مناقب الشافعي، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، تحقيق: السيد أحمد صقر.

٢٥٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا.

٢٥١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٢٥٢- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، لأبي القاسم الآمدي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ، تحقيق: د. ف. كرنكو.

٢٥٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ شمس الدين الذهبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٣م، تحقيق: علي البجاوي.

٢٥٤- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، تحقيق: عبد العزيز الطويان.

٢٥٥- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٢٥٦- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات، كمال الدين الأنباري، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم السامرائي.

٢٥٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي.

٢٥٨- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، مكتبة الرشد، المحقق: رشيد بن حسن الألمعي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٥٩- النونية، (الكافية الشافية)، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.

٢٦٠- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م، عناية وتقديم: د. عبد الحميد الهرامة.

٢٦١- الوافي بالوَفَيَات، لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى.

٢٦٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، لأبي الحسن السمهودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٦٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين ابن خلكان، دار صادر، بيروت، تحقيق: د. إحسان عباس.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

موقع البراري: http://www.albrari.com/vb/showthread.php?t=40961

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤسسة	٥
ترجمة مختصرة للشارح الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ	٩
ترجمة مختصرة لمؤلف المتن	١٥
مقدمة الشارح	١٩
فضل طلب العلم	١٩
حقيقة العقيدة وآثارها	٢١
حال من ضعفت العقيدة عنده	٢٤
تعريف عقيدة أهل السنة وأئمة الحديث	٢٧
تلامذة الصحابة - الفقهاء السبعة	٣٠
القدرية	٣٥
تلامذة التابعين	٣٦
بدعة الجهمية	٣٩
العقيدة الصحيحة ما كان عليه السلف	٤٠
بدعة الخوارج	٤٣
بدعة القدرية	٤٤
بدعة الاعتزال	٤٤
تمكن بدعة الجهمية	٤٥
امتحان أهل السنة في مسألة خلق القرآن	٤٥
موقف الإمام أحمد بن حنبل من مسألة خلق القرآن	٤٥
لما جاء المتوكل نصر السنة	٤٧
تمكن مذهب الاعتزال	٤٩
مذهب الأشاعرة	٤٩
ظهور شيخ الإسلام ابن تيمية	٥٢
ظهور علماء السنة	٥٧

الموضوع	الصفحة
شرح مقدمة الكتاب	٦١
المراد بأهل بمذهب أهل الحديث	٦٣
الإيمان بالله	٦٩
تعريف الدهري	٧٠
الإيمان بالملائكة	٧٦
الإيمان بالكتب	٧٨
الإيمان بالرسل	٧٩
قبول ما نطق به القرآن	٨٠
قبول ما صحت به السنة النبوية	٨١
القول في الأسماء والصفات	٨٨
عقيدة أهل السنة اثبات أسماء الله وصفاته	٨٨
أسماء الله لا تحصر في التسعة والتسعين	٨٩
الدعاء بأسماء الله	٩٠
الله تعالىٰ موصوف بصفاته التي سمىٰ ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ	٩٣
الإيمان بصفات الله بلا اعقاد كيف	٩٥
الكلام علىٰ الاستواء	٩٨
ذِكر بعض خصائص الربوبية	١٠٢
نعتقد بأن الله هو الذي خلق الخلق	١٠٢
ليس هناك دافع دفعه إلىٰ خلق الخلق	١٠٤
إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى	١٠٧
مدعو بأسمائه وموصوف بصفاته	١٠٧
لا يوصف الله بما فيه نقص أو عيب	١٠٧
حكم نفي الصفات التي لم ترد في النصوص	١١١
لا يعتقد في الذات الإلهية الأعضاء والجوارح... ونحو ذلك	١١١
ردُّ القول بأن أسماء الله غير الله	١١٧

الموضوع	الصفحة
أسماء الله ليست مخلوقة	١١٧
أسماء الله دالة عليه	١١٨
أصول مذهب المعتزلة	١٢١
أئمة المعتزلة	١٢٣
الخوارج هم الذين خرجوا علىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٢٤
إثبات صفة الوجه والسمع والبصر والعلم والقوة والقدرة والكلام والعزة	١٢٦
إثبات المشيئة لله عَزَّ وَجَلَّ	١٣٥
عِلْمُ الله عَزَّ وَجَلَّ	١٤٠
القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ	١٤٢
انتقاض تأويلات المعتزلة	١٤٤
الجعد بن درهم أول من أنكر صفة كلام الله	١٤٥
الكلام في الأصل هو الكلام الذي تكلم به الله تعالىٰ	١٤٩
القرآن – حروفه ومعانيه – كلام الله غير مخلوق	١٥٢
القول قول الباري والصوت صوت القاري	١٥٧
أفعال العباد مخلوقة لله تعالى	١٥٨
غلاة القدرية يقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها	١٥٩
الإيمان بالقدر السابق وبعلم الله القديم واجب علىٰ كل مسلم	١٦١
أقسام الإيمان بالقدر	١٦١
الأشاعرة يقولون: إن أفعال العباد: خَلْقُ الله وكسب العباد	١٦٣
الأدلة علىٰ أن أفعال العباد كلها خلق الله	١٦٤
الخير والشر بقضاء الله عَزَّ وَجَلَّ	١٦٧
درجات القدر	١٦٨
أقسام الناس في الدرجة الثانية	١٦٩
قسم أنكروها وهم المعتزلة	١٦٩
وقسم غلو فيها وهو الجبرية	١٦٩
وقسم أثبتوها وهم أهل السنة الجماعة	١٧٢

الموضوع	الصفحة
مشيئة العباد يتمكنون بها من مزاولة الأعمال الدينية والدنيوية	١٧٣
أقسام الناس في الهداية والضلال	١٧٤
القدر سر الله في خلقه	١٧٥
الإرادة في كتاب الله علىٰ نوعين	١٧٦
إثبات صفة النزول والمجيء والإتيان لله عَزَّوَجَلَّ	١٧٩
الأدلة الواردة في الإتيان والمجيء	١٧٩
الأحاديث الواردة في النزول	١٨٢
رؤية المؤمنين ربَّهم في الآخرة	١٨٦
إثبات الرؤية عند أئمة السلف	١٨٧
مخالفة المعتزلة ومن علىٰ شاكلتهم للرؤية	١٨٧
الأشاعرة يثبتون الرؤية ظاهرًا، ويقولون: الرؤية التي نثبتها هي مكاشفات للقلوب	١٨٩
الأحاديث الواردة في إثبات الرؤية	١٩١
الرؤية من أكمل وأشرف نعيم أهل الجنة	١٩٣
تعريف الإيمان وبيان حقيقته	١٩٨
تعريف بعض الفرق للإيمان	١٩٨
الشرع سمىٰ الأعمال إيمانًا	٢٠٠
سبب تسميتهم بالمرجئة	٢٠٤
الأدلة علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه	٢٠٧
عقيدة أئمة الحديث في حكم مرتكب الكبيرة	٢١٠
موقف الفرق من أصحاب الكبائر	٢١٠
أهل السنة لا يكفرون أصحاب المعاصي الموحدين	٢١٣
حكم تارك الصلاة عمداً	٢١٤
الاختلاف في حكم ترك الصلاة متعمدًا	٢١٤
الأدلة علىٰ كفر تارك الصلاة	٢١٥
القول الراجح في حكم ترك الصلاة	٢١٧

الموضوع	الصفحة
الاختلاف: هل يقتل تارك الصلاة حدًا أو ردةً؟	٢١٨
التهاون بالصلاة فعل مستقبح	٢٢٠
أقوال أهل العلم في الفرق بين الإسلام والإيمان	٢٢١
هل الإسلام والإيمان بمعنىً واحد؟	٢٢٢
تعريف الإسلام والإيمان	٢٢٤
الذين كتبوا في الإيمان	٢٢٦
الأقوال في مسألة الجمع بين معنىٰ الإيمان والإسلام	٢٣٣
عقيدة أهل السنة في الشفاعة والحوض والمعاد والحساب	٢٣٥
أقسام الناس في الشفاعة	٢٣٥
شروط الشفاعة	٢٣٦
صفات الحوض	٢٣٨
البعث بعد الموت	٢٣٨
الميزان الذي توزن فيه أعمال العباد	٢٣٨
الحساب حق	٢٣٩
عدم القطع لأحد من الموحدين بالجنة أو النار	٢٤٠
أهل السنة لا يقطعون لأحد بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار	٢٤٠
نشهد لأهل الإيمان والعمل الصالح عمومًا بالجنة	٢٤٢
نشهد لمن شهد له النبي ﷺ	٢٤٣
من استفاضت عدالتهم يرجىٰ لهم الجنة	٢٤٤
الشهادة لأهل الشرك بالنار	٢٤٥
الفرد المعين أمره إلىٰ الله	٢٤٦
عقيدة أهل السنة في عذاب القبر ونعميه	٢٤٧
الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وما يكون في البرزخ داخل في الإيمان باليوم الآخر	٢٤٨
حديث البراء بن عازب المشهور في عذاب القبر ونعيمه	٢٤٩
حكايات وقعت لبعض المعذبين أو لبعض المنعمين ذكرها الذهبي وغيره	٢٥١

الموضوع	الصفحة
كان ﷺ دائمًا يستعيذ من عذاب القبر	٢٥٣
كثير من الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالغيب أنكروا عذاب القبر	٢٥٤
الروح هي التي تعذب في البرزخ وليس الجسد	٢٥٤
أين تكون أرواح المؤمنين وأرواح الكفار	٢٥٦
عذاب القبر لم يذكر في القرآن مع أنه من أركان الإيمان ومن أصوله وجواب ابن القيم على ذلك	٢٥٧
أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين	٢٥٩
قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ هذا الضنك يكون في البرزخ	٢٦٠
عقيدة أهل السنة في سؤال منكر ونكير	٢٦٣
فتَّاني القبر اسمهما: منكر ونكير	٢٦٣
قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ...﴾	٢٦٤
عقيدة أهل السنة: الأمر بترك الخصومات والمراء في الدين	٢٦٦
كراهة النبي ﷺ للخصومات والمنازعات	٢٦٦
القرآن والسنة نزلا ليصدق بعضهما بعضًا	٢٦٧
عقيدة أهل السنة في خلافة الخلفاء الراشدين	٢٦٨
أول الخلفاء أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٦٨
سبب إدخال الخلافة في العقيدة	٢٦٩
فضائل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٧٢
اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة	٢٧٣
ثاني الخلفاء عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٧٥
ثالث الخلفاء عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٧٥
رابع الخلفاء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٧٦
بعد مقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولىٰ الخلافة ولده الحسين نصف سنة ثم تنازل عن الخلافة لمعاوية	٢٧٦
أهل السنة يعتقدون خلافة الخلفاء الراشدين وأنها حق	٢٧٧

الموضوع	الصفحة
فضائل الخلفاء الراشدين	٢٧٧
الأمة الإسلامية -ماعدا الرافضة- متفقة على أن الخليفة الحق هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٨٢
عقيدة أهل السنة في تفضيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ	٢٨٣
نقول بتفضيل الصحابة لأن الرافضة يطعنون فيهم	٢٨٣
الرافضة يقولون: إن هذه الفضائل بطلت بردتهم	٢٨٥
فضائل الذين بايعوا تحت الشجرة	٢٨٥
عقيدة أهل السنة فيمن يبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ	٢٩٠
الذي تغيظه مكانة الصحابة فهو كافر	٢٩١
قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾	٢٩١
هذه الوعود الثلاث تحققت في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بعده الخلفاء الراشدين	٢٩٢
الصحابة هم الذين حفظ الله بهم الدين	٢٩٤
الصحابة كلهم عدول	٢٩٩
أهل السنة وسط في الصحابة بين غلاة وجفاة	٣٠٠
عقيدة أهل السنة: **الصلاة خلف كل إمام مسلم برًا كان أو فاجرًا**	٣٠١
الأحاديث في الأمر بالصلاة خلف الأمراء ولو كانوا عصاة كثيرة	٣٠٥
الحكمة من الأمر بالصلاة خلف الأمراء ولو كانوا عصاة	٣٠٥
إذا كان الإمام مشركًا فإن من صلىٰ خلفه يؤمر بإعادة الصلاة	٣٠٧
الصلاة خلف الإمام المشرك تكون حال الاضطرار	٣٠٦
عقيدة أهل السنة: **الجهادُ مع الأئمة وإن كانوا جورة وعدم الخروج عليهم**	٣٠٨
موقف أهل السنة مع ولاة الأمور الدعاء لهم	٣٠٩
لا يجوز الخروج علىٰ الأئمة ولو كانوا عصاة	٣٠٩
الطوائف التي خالف أهل السنة في عدم الخروج علىٰ الأئمة	٣١٢

الموضوع	الصفحة
عقيدة أهل السنة في دار الإسلام	٣١٣
معتقد أهل السنة أن الدار دار إسلام ما دام أن فيها المساجد ويقام فيها الأذان والصلاة ولو كان فيها بعض المعاصي	٣١٣
إذا ظهر في البلاد شيء من المعاصي يعتبرها المعتزلة أنها دار كفر وأن أهلها كفار	٣١٣
من عقيدة أهل السنة أن أعمال العباد لا توجب لهم الجنة إلا بفضل الله	٣١٥
نعتقد أن الإنسان لا يكون من أهل الجنة بمجرد عمله بل بفضل الله ورحمته	٣١٥
الأدلة علىٰ أن دخول الجنة يكون بفضل الله وبرحمته	٣١٦
عقيدة أهل السنة في تقدير الآجال	٣٢١
أنواع التقدير	٣٢٢
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٣٢٢
الإنسان مأمور أن يتحصن ويتحفظ من أسباب الردىٰ	٣٢٤
عقيدة أهل السنة في الرزق	٣٢٧
الرزق من الله سواء كان حلالًا أو حرامًا	٣٢٧
الآيات التي فيها الأمر بالاكتساب	٣٣٠
هل يسمىٰ الحرام رزقًا	٣٣٢
عقيدة أهل السنة أن الله خالق الشياطين ووساوسهم	٣٣٣
يؤمن أهل الحديث بأن الله سلط الشياطين علىٰ الإنسان	٣٣٣
اعطىٰ الله الإنسان سالحًا يتقوىٰ به	٣٣٤
الأمور التي تحرز من الشيطان	٣٣٥
عقيدة أهل السنة الإيمان بوجود السحر والسحرة	٣٣٧
من عقيدة أهل السنة والحديث وجود السحر والسحرة	٣٣٧
عمل السحرة سماه الله كفرًا	٣٣٧
سبب ذكر السحر في العقيدة	٣٣٧
الأدلة من الكتاب والسنة علىٰ وجود السحر وتأثيره	٣٣٨
كيف يؤثر السحر في الإنسان	٣٤١

الموضوع	الصفحة
لا يصبح ساحرًا إلا بعد أن يخدم الشياطين	٣٤٣
عقوبة الساحر	٣٤٥
علاج السحر	٣٤٧
متىٰ تنفع الرقية؟	٣٤٨
عقيدة أهل السنة مجانبة البدعة والآثام ونحوها	٣٥١
البدع الاعتقادية والعملية	٣٥١
البعد عن الآثام	٣٥٢
العبد عن الفخر والتكبر والعجب والخيانة والدغل والسعاية وكف الأذىٰ والغيبة وغيرها	٣٥٣
عقيدة أهل السنة الحثُّ على تعلم العلم	٣٥٨
تعلم العلم وطلبه من الواجبات	٣٥٨
عقيدة أهل السنة الكفُّ عما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الوقيعة فيهم	٣٦٠
يجب الكف عن الوقيعة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وما جرىٰ بينهم	٣٦٠
سبب إدخال الكف عن الوقيعة في الصحابة العقيدة	٣٦٠
قصة صلح الحديبية	٣٦٢
قصة الوصية في مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٣٦٤
جيش أسامة بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٣٦٧
خاتمة العقيدة	٣٧٢
الوصية الأولىٰ: لزوم الجماعة	٣٧٣
الوصية الثانية: التعفف في المأكل والمشرب والملبس	٣٧٧
الوصية الثالثة: السعي في عمل الخير	٣٧٧
الوصية الرابعة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٧٨
الوصية الخامسة: الإعراض عن الجاهلين حتىٰ يعلموهم ويبينوا لهم الحق	٣٨٠
جميع ما تقدم في هذه الرسالة هو أصل الدين والمذهب واعتقاد أئمة أهل الحديث	٣٨٥
البدع غالبًا ليست في أهل الحديث	٣٨٩

الموضوع	الصفحة
وصية المؤلف التمسك والاعتصام بحبل الله جميعًا وعدم التفرق	٣٩٣
الذين اتبعوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الفرقة الناجية	٣٩٤
أهمية التقرب إلىٰ الله بالنوافل بعد الفرائض	٤٠٠
الفهارس	٤٠٥
فهرس الآيات القرآنية	٤٠٧
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	٤٣٤
فهرس الأعلام المترجم لهم	٤٤٥
فهرس المصادر والمراجع	٤٤٨
فهرس الموضوعات والفوائد	٤٦٧